

صَبْحُ الْأَسْبَحِ



الجزء السادس



بَارَ الْبَيْتِ الْخَيْرِ

كِتَابُ

صُنْحُ الْأَسْبَعِ

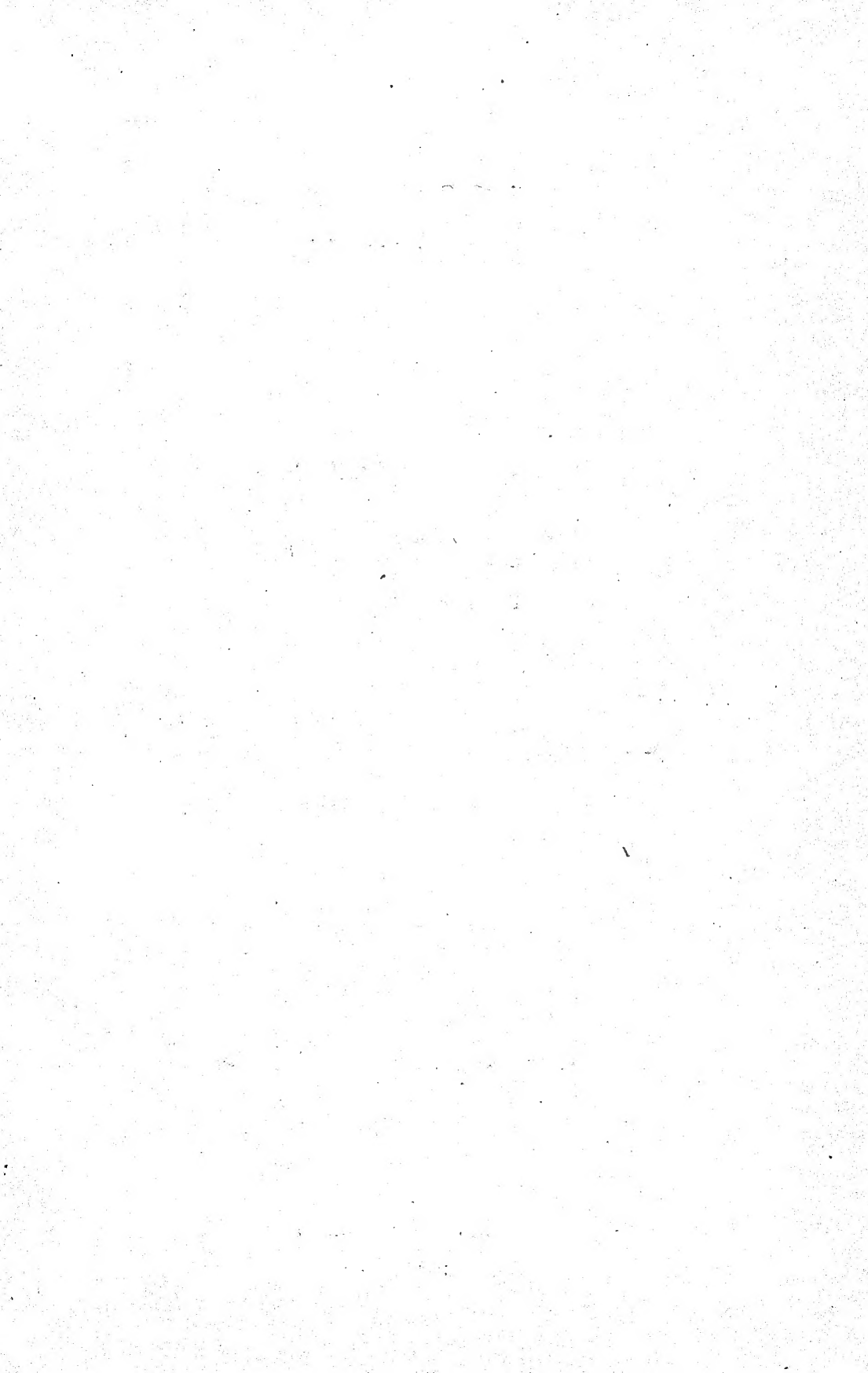
نَالِيقُ

الْشَيْخِ أَبِي الْغُبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلَقَشَنْدِي

الجزء السادس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

المَهْيَعُ الثَّانِي

في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كُتَّاب الزمان، وبيان معانيها،
وَمَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَغَيْرِهِمْ
(وهي نوعان)

النوع الأول

(الألقاب الإسلامية، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المذكَّرة، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب المفردة المختصة في اصطلاح الكُتَّاب باسم الألقاب)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم ليسهل استخراجها .

حرف الألف

(الأتَّابِيّ) وهو من ألقاب أمير الجيوش وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ، كالنائب الكافِل ونحوه،

وهو بالأتَّابِك أَخْصُ . وقد تقدّم معنى الأتَّابِك في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف،

وَأَنَّ أَصْلَهُ بِالطَّاءِ فَقُلِبَتْ تَاءٌ فِي الْأَسْتِمَالِ ، وَأَنْ مَعْنَاهُ « الْأَبُ الْأَمِيرُ » وَحِينَئِذْ فَتَكُونُ النِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ . نَعَمْ إِنْ نُسِبَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَانَتْ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهَا .

(الْأَتَقِيُّ) مِنْ ألقَابِ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ الَّتِي يُكْتَبُ إِلَيْهِمْ بِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، مِثْلَهَا لَمَّا يُوجَدُ فِي مَكَاتِبَاتِهِمْ مِنَ الْألقَابِ . وَهُوَ أَفْعُلُ التَّفْضِيلِ مِنَ التَّقْوَى .

(الْأَيُّوبِيُّ) بِالنَّاءِ الْمَثْلُثَةِ مِنْ ألقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ : مِنَ الْقَضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَنَحْوِهِمْ ، وَرَبْمَا اسْتَعْمِلَ فِي ألقَابِ الصُّلَحَاءِ أَيْضًا . وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُخَالِصِ ، وَحِينَئِذْ فَيُصْلِحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبًا لِكُلِّ مَنْ نُسِبَ إِلَى الْمُخَالِصَةِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ جَمِيعًا ، وَالْأَيُّوبِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَيْئَلُ) بِالْمَثْلُثَةِ أَيْضًا مِنْ ألقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ كَالْأَثِيرِ ، وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْأَصِيلُ ، وَمِنْهُ قِيلَ جَدُّ مُؤْتَلٍ وَأَيْئَلُ أَيْ أَصِيلُ . وَحِينَئِذْ فَيُصْلِحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبًا لِكُلِّ ذِي أَصَالَةٍ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَالْأَيْئَلِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَجَلُّ) يَكُونُ فِي الْأَصْطِلَاحِ مِنْ ألقَابِ السُّلْطَانِ كَمَا يَقَالُ السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ وَيَكُونُ مِنْ ألقَابِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ فَمَا دُونَهُ فَيَقَالُ : « السَّامِيُّ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ » وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِمَّا يُنْكَرُ عَلَى كُتَّابِ الزَّمَانِ : لِأَسْتِمَالِهِ فِي الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى عَلَى مَاسِيَاتِي بَيَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ كَانَ هُوَ أَعْلَى الْألقَابِ وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا ، حَتَّى قَالَ ابْنُ شَيْثٍ فِي « مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ » : إِنَّهُ مُحْظُورٌ عَلَى غَيْرِ الْوَزِيرِ . وَقَدْ كَانَتْ الْوِزَارَةُ فِي زَمَانِهِمْ بِمَثَابَةِ السُّلْطَانَةِ فِي زَمَانِنَا ، فَتَصَرَّفَ فِيهِ الْكَتَّابُ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ فِي أَدْنَى الرُّتَبِ أَيْضًا ، وَالْأَجَلُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الأخَصُّ) من ألقاب أرباب السيوف، والحُبابُ يستعملونه في أدنى الألقاب مما تَسْقُط فيه ياء النسب : من السامى بغير ياء فإدونه ، على أن معناه رفيع : لأخذه من الخُصُوصية : وهى الانفراد بالشئ ، وكان الأحق أن يكون مختصاً بالآلزام المقرين دون غيرهم ؛ والأخصى نسبة إليه للبالغة .

(الأخوى) من الألقاب المختصة في الغالب بالمكتبات الإخوانية ، وربما وقعت في المكتبات الملوكة إذا كان قدر المالكين المتكاتبين متقارباً ، وهو نسبة إلى الأخوة ، وكأنه جعله أخاه حقيقة .

(الأريب) من ألقاب أرباب الأقلام . وهو فى اللغة العاقل ، ومنه قيل للدَّهَاء إرب بكسر الهمزة وإسكان الراء لأنَّ الدَّهَاء من جملة العقل ، والأريبى نسبة إليه للبالغة .

(الأزقى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من الرقى : وهو الارتفاع والعلو فى الدرج .

(الأزكى) من ألقاب ملوك المغرب أيضا . وهو مأخوذ من الزكاة : وهى الزيادة ، كأنه نسبته إلى الزيادة فى الرفعة ونحوها .

(الأسرى) بالسين المهملة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السرو وهو سَخَاء فى مِرْوَةِ ، ومنه قيل لمن أشتمل على ذلك سرى ، وبه لقب من لقب «سرى الدين» .

(الأسفهلار) بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيوف ، وكان فى الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة تلى صاحب الباب ، على ما تقدم

بيانه في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية . ومعناه «مُقدم العسكر» وهو مُرَكَّب من لفظين : فارسيّ، وتُركيّ، فأُسِفَهُ بالفارسية بمعنى 'المقدم، وسِلَّار بالتركية بمعنى 'العسكر، والعامّة تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان : (أسپاسلار) بالباء الموحدة ، وكأنهم راعوا فيه معنى 'المقدم في الجملة ، والباء تعاقب الفاء في اللغة الفارسية كثيرا ، ولذلك قالوا : أَصِيهَان وَأَصْفِهَان بالباء والفاء جميعا ؛ والأُسْفَهْسِلَارِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . وقد ذكر المقرئ الشهابيُّ بن فضل الله في بعض دسَاتيره أن هذا اللقب يختصُّ بأمراء الطَّبَلْخَاناه، على أنه قد تُرِكَ أَسْتَعْمَالُهُ في زماننا، وكأنهم كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه .

(الأسنى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السَّناء بالمدّ : وهو الرفعة ؛ ويجوز أن يكون من السَّنا بالقصر : وهو الضياء .

(الأشرف) من ألقاب المَقَام والمَقَرِّ في مصطلح كُتَّاب الزَّمان على ما تقدم ذكره؛ وربما وقع أيضا في ألقاب ملوك المَغْرِب . وهو أفعُل التفضيل من الشَّرَف بمعنى 'العلو .

(الأضعد) من ألقاب ملوك المَغْرِب ، وهو أفعُل التفضيل من الصُّعود ضدَّ الهبوط .

(الأصيل) من ألقاب أرباب الأقلام غالباً ، وربما وقع في ألقاب أرباب السيوف إذا كان لصاحب اللقب عَرَاقَةُ نَسَب ؛ وهو فعِيل من الأَصْل بمعنى 'الحسب ؛ والأَصِيلِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختصُّ بمن له ثلاثه في الرئاسة، أبْن عن أبٍ عن جدٍّ .

(الأختم) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من الضخامة ؛ والمراد بها هنا العظمة . وهى فى أصل اللغة الغلظ واستعملت فى العظمة تجوزاً .

(الأعز) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وقد يستعمل فى ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فما دونه كالأخص : يقال « الأعز الأخص » ونحو ذلك ؛ وهو أفعل التفضيل من العز .

(الأعظم) من ألقاب السلطان ، يقال فيه « السلطان الأعظم » ويقع فى ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو أفعل التفضيل من العظمة : وهى الكبرياء .

(الأعلى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من العلو : وهو الارتفاع .

(الأعلم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من العلم الذى هو خلاف الجهل .

(الأفخم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من الفخامة : وهى العظمة والقوة .

(الأفضل) من ألقاب السلطان ؛ ويستعمل فى ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو أفعل التفضيل [من الفضل] بمعنى الزيادة ، والمراد الزيادة فى الفضيلة .

(الأكل) من ألقاب السلطان أيضاً ؛ ويستعمل فى ألقاب ملوك المغرب وفى القاب من لم تثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فما دونه ؛ والأكل نسبة إليه للبالغة .

(الإمام) من ألقاب الخلفاء كما يقال فى المكاتبات عنهم « من عبد الله ووليه الإمام الفلانى » وقد تقدم أن أول من تلقب به « إبراهيم بن محمد » أول من بوع له

بالخلافة من بنى العباس، ويقع أيضا في ألقاب أكابر العلماء . وأصل الإمام في اللغة الذي يُقْتَدَى به ؛ ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة : وهم الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد . والإمامي نسبة إليه للبالغة .

(الأجند) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وربما كُتِبَ به للتجار ونحوهم في ألقاب الصّدر الأجل . وهو أفعُل التفضيل من المجد : وهو الشرف أو الأصالة .

(الأميري) من ألقاب أرباب السيوف . قال في "عرف التعريف" : وَيُكْتَبُ بِهِ لِكَبَّارٍ ... (١) ... وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ . وذَكَرَ فِي دُسْتُورِهِ لَهُ آخَرُ أَنَّهُ يَكْتُبُ بِهِ لِنَقِيبِ الْأَشْرَافِ وَلَا يُكْتَبُ لَهُ الْقَضَائِيُّ أَصْلًا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ لِقَبِ الْأَمِيرِ مَجْرَدًا عَنْ يَأَى النِّسْبِ وَأَصْلُهُ الْمَأْخُوذُ مِنْهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمَلُوا فِيهِ النِّسْبَةَ لِنَفْسِ الْإِمْرَةِ فَلَمْ يَقُولُوا فِي النِّسْبَةِ إِلَيْهِ الْإِمْرِي كَمَا قَالُوا فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْقَضَاءِ الْقَضَائِي .

(الأمين) من ألقاب التجّار الخَوَاجِكَةِ وألقاب الخُدّام المعروفين في زماننا بالطَوَاشِيَّةِ ، خُصُّوا بِذَلِكَ لِأَثْمَانِ التَّجَارِ عَلَى الْجَوَارِي وَالْمَالِيكَ فِي حَالِ جَلْبِهِمْ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَأَثْمَانِ الْخُدّامِ عَلَى الْحَرِيمِ وَالْمَالِيكَ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَمَانَةِ ضِدَّ الْخِيَانَةِ ؛ وَالْأَمِينُ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الأوحد) يقع في الألقاب السلطانية ، ويكون من ألقاب أرباب الأقلام لمن لا تثبت الياء في ألقابه من السامعي بغير ياء فما دونه، وفيه ما تقدّم في الكلام على

(١) يياض بالأصول ولعله لكبار الأمراء ، أو الوزراء .

الأجل من الاعتراض على الكُتاب في جمعهم الأعلى والأدنى في لقب واحد؛
والأوحدى نسبة إليه للبالغة .

حرف الباء

(البارِعُ) من ألقاب أرباب الأفلام، وهو فاعلٌ من البراعة : وهى النهضة
بالشئ والتقدم فيه ؛ والبارِعُ نسبة إليه للبالغة .

(البلِغُ) من ألقاب أرباب الأفلام ، وأحسن ما يقع فى ألقاب ذوى البلاغة
من الكُتاب ونحوهم ، وهو فعيل من البلاغة : وهى تأدية كُنْهِ المراد بإيجاز لا يُخل ،
وإطناب لا يُمل ؛ والبلِغُ نسبة إليه للبالغة .

حرف التاء

(التَّقِيُّ) من ألقاب ملوك المَغْرِب يقال التقى الزكى ونحو ذلك ؛ وربما استعمل
بالديار المصرية فى ألقاب أرباب الأفلام وأهل الصلاح ؛ وهو مأخوذ من التقوى
كما تقدم فى الأتى .

حرف الجيم

(الجليلُ) من ألقاب مَنْ يُكتب له الحاج كمقدمى الدولة ونحوهم ، ويقال فيه :
«الحاجُّ الجليلُ» ونحو ذلك ؛ والجليلُ فى أصل اللغة العظيمُ ، وكان مقتضى الوضع
أن يكون لأعلى من هذه الرتبة .

حرف الحاء المهملة

(الحاجُّ) من ألقاب مقدمى الدولة ومِهناريةُ البيوت وَمَنْ فى معناهم وإن لم
يكن قد حجَّ ، وإن كان موضوعُ الحاجِّ فى العرف العام إنما هو لمن حجَّ البيت
وإنما اصطُحِح لهم على ذلك حتى صار كالعلم عليهم .

(الحافظ) من ألقاب المحدثين ؛ وأصله من الحفظ ضدَّ النسيان ، واختصَّ بالمحدثين لأحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك ؛ والحافظي نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحافل) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه الكثير الجمع ، أخذاً من قولهم وادِّ حافلٌ إذا كثر سبله .

(الحاكم) من ألقاب القضاة . قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وأصله من الحكمة بفتح الكاف : وهي حديدةٌ مستديرةٌ في اللِّجَام تمنع الدابة من الجري والشَّباب ؛ سُمِّي بذلك لأنه يرُدُّ النَّاسَ عن الظُّلْم ؛ وأكثر ما يستعمله كُتَّاب الزمان في عُنوان المِكاتِبَات في تعريف المكتوب إليهم ، وفي أَشْأَها في وصف المكتوب بسببه ؛ والحاكمي نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الحِيازَة : وهي الحِياطَة ، والمراد الحائز للملك ، أو الحائز للفضائل ونحو ذلك .

(الحبر) من ألقاب أكابر العلماء - وهو بفتح الحاء وكسرهما لغتان ، والذي اختاره ابن قُتيبة في "أدب الكاتب" الكسر ، وبه سُمِّي الحبر الذي يُكْتَب به ، ولكن الجارى على ألسنة الناس الفتح ؛ والحبري نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحجِّي) بضم الحاء وكسر الجيم المشددة وفي الآخرياء النسب من ألقاب أكابر القضاة والعلماء ، وهو منسوب إلى الحجَّة بحذف تاء التانيث منه على قاعدة النَّسَب ، كما تُحذف من طَلْحَة ونحوه على ما هو مقرَّر في علم النحو . وبعضُ جهلة الكُتَّاب يثبت فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون الحجِّي وهو خطأ ؛ ثم النسبة فيه

حقيقةً لأن المنسوب إليه وهو الحجة غير من له اللقب، ويجوز أن تكون للبالغة بأن يجعل صاحب اللقب هو نفس الحجة تجوزاً وهو أبلغ.

(الحسيب) من ألقاب الشرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها، أخذاً من الحسب: وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة ولذلك اختص في الاصطلاح بالشرفاء، إذ كان آباؤهم أعظم الناس مفاخر، لكن قد ذكر ابن السكيت في "إصلاح المنطق" أن الحسب يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف؛ وعلى هذا فلا يختص هذا اللقب بذوى الأئساب التي فيها عرَاقَةٌ؛ والحسيب نسبةٌ إليه للبالغة.

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وربما استعمل في العلماء، بل ربما استعمل في أرباب السيوف إذا كان المكتوب له متصفاً بذلك، بل ربما استعمل في ألقاب بطارقة النصاري من الباب وغيره، على ما سياتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. والخاشع في اللغة الخاضع والمتذل، والخاشع نسبةٌ إليه للبالغة.

(الخوارج) من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم. وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد؛ والخوارجي زيادة كافٍ نسبةً إليه للبالغة، وكان الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب.

(الخير) بفتح الخاء وتشديد الياء المشناة تحت، من ألقاب أهل الدين والصلاح. وهو في أصل اللغة خلاف الشرير، ثم غلب استعماله فيمن غلب عليه الخير؛ والخيري نسبةٌ إليه للبالغة، وقيل أن يستعمله الكتاب إلا بإثبات الياء في آخره.

حرف الذال المعجمة

(الذَّخِر) بضم الذال وإسكان الخاء من ألقاب أرباب السيوف ، وربما أُطلق على غيرهم . وأصله في اللغة لما يُذخَرُ من النفائس ، وهو مصدر ذَخَرْتُ الشيءَ أَذْخَرُهُ ، وكثيرا ما يُنلَظ فيه فيجعل بالذال المهملة . وممن وقع له الوهم في ذلك الشيخ جمال الدين الأسنوي في "طبقات الفقهاء" فأورد صاحب "الذخائر" في الدال المهملة ؛ والذخري نسبة إليه للبالغة ، وأكثر ما يستعمله الكتاب كذلك .

حرف الزاء المهملة

(الرَّبَّانِي) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وربما لُقِّب به العالم فيقال « العالم الرباني » قال الجوهري ، وهو المُنَالَةُ والعارف بالله تعالى . قال تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ .

(الرَّحَلَة) بضم الزاء من ألقاب أكابر العلماء والمحدثين ، والرحلة في اللغة ما يُرْحَلُ إليه ، لُقِّب بذلك لأنه في حيز أن يُرْحَلَ إليه للأخذ عنه . أما الرحلة بالكسر فالأرتحال ، والرحلى بالضم أيضا نسبة إليه للبالغة .

(الرَّئِيس) بالهمزة على وزن فَعِيل من ألقاب علية الناس وأشرافهم ، ويقال : فيه رَيس على وزن قِيم قاله الجوهري . وأصله من الرِّياسة وهي رفعة القدر وعلو الرتبة ؛ والرئيسي نسبة إليه للبالغة ، وغالب ما يستعمله الكتاب كذلك ، وهو من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكتاب .

حرف الزاي

(الزَاهِد) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو في اللغة خلافُ الراغب ، والمراد هنا مَنْ أَعْرَضَ عن الدنيا فلم يَلْتَفِتْ إليها ، والزاهدي نسبة إليه للبالغة .

(الرَّعِيمُ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كتُواب السلطنة ومن في معناهم؛ وهو نسبة إلى الرِّعِم بمعنى السيد والكافل وكأنَّه بولايته على القوم سادهم أو كفَّلهم وتولَّاهم ولم يستعملوا فيه الرِّعِم بغير ياء : لأنَّه إذا كان مختصا بكبار أرباب السيوف دون أدانيهم، وجب إثبات الياء للبالغة .

(الرَّزَكِيّ) من ألقاب المتدينين من أرباب الأقلام وغيرهم، يقال التقى الرزكى ونحو ذلك . وهو في أصل اللغة بمعنى الزاكي وهو الزائد وقد تقدّم مثله في الأزكى في حرف الألف .

حرف السين المهملة

(السالك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من السلوك، والمراد سلوك سبيل الرشاد الموصل إلى الله تعالى، والسالكي نسبة إليه للبالغة .

(السامى) من ألقاب المجلس، وقد تقدّمت الإشارة إليه في الكلام على الألقاب الأصول وأنه ينقسم إلى السامى بالياء والسامى بغير ياء فليراجع منه .

(السَّفيرى) قال في "عرف التعريف" : وهو من الألقاب الخاصة بالدَّوَادار، على أنى قدر أيتّه في بعض الدساتير الشامية قد كُتب به لبعض التجار الخواجكية لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك بلحلب الممالك والجوارى ونحو ذلك وهو منسوب إلى السفير : وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبة مبالغة ولم يستعمله الكتاب مجزّدا عن الياء : لأنَّه إذا كان خاصا بهدين ورتبتهما عليه لا يليق بها حذف الياء لم يناسب استعماله مجزّدا عنها .

(السلطانيّ) من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيقال المقام الشريف العالى السلطانيّ ونحو ذلك ؛ وهو منسوب إلى السلطان وقد تقدّم الكلام عليه في الكلام على أرباب الوظائف .

(السيد) من الألقاب السلطانية يقال السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ؛ ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما ؛ والسيد نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب الخاصة بالجناب الشريف فما فوقه . قال في "عرف التعريف" ولا يكتب به عن السلطان لأحد .

حرف الشين المعجمة

(الشاهنشاه) من الألقاب الملوكة المختصة بالسلطان وأكابر الملوك . وهو لفظ فارسي معناه بالعربية «ملك الأملاك» وقد ورد النهي عن التسمي به ؛ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : "إن أخنع أسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا ملك الأملاك إلا الله" . قال سفيان بن عيينة : معناه شاهنشاه ؛ ولذلك يحذفه المتدينون من الكتاب من الألقاب السلطانية ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التنقيف" في مكتبة صاحب المغرب .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي تَلْقِيبِ الْمُلُوكِ بِهَذَا اللَّقَبِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي سُلْطَنَةِ السُّلْطَانِ "جَلَّالِ الدَّوْلَةِ" السَّلْجُوقِيِّ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعًا كَمَا حَكَاهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ "الْكَامِلِ" وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ جَلَّالَ الدَّوْلَةِ كَانَ قَدْ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ) الْخَلِيفَةَ يَوْمَئِذٍ فِي أَنْ يُخَاطَبَ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ فَاذْتَمَنَعَ ، فَكُتِبَ قَتَوِيٌّ لِلْفُقَهَاءِ فِي ذَلِكَ ؛ فَكُتِبَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّيْغَرِيُّ . وَالْقَاضِي أَبُو الْبِيضِ الْبِيضَاوِيُّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْكَرْنِيّ بِجَوَازِهِ ؛ وَمَنْعَ مِنْهُ أَقْضَى الْقَضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرِدِيُّ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَقْبَى بِجَوَازِهِ مَرَاجَعَاتٌ ؛ وَخُطِبَ لِحَلَالِ الدَّوْلَةِ بِ«مَلِكِ الْمُلُوكِ» وَكَانَ الْمَاوَرِدِيُّ مِنْ أَخْصِ النَّاسِ بِجَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ كُلِّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَقْبَى فِي ذَلِكَ بِالْمَنْعِ ، انْقَطَعَ وَلَزِمَ بَيْتَهُ خَائِفًا ،

وأقام منقطعاً من شهر رمضان إلى يوم النحر؛ فاستدناه جلال الدولة، فحضر خائفاً فأدخله عليه وحده، وقال له: قد علم كلُّ أحدٍ أنك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً وقرباً منا وقد خالفتهم فيما خالف دواي، ولم تفعل ذلك إلا لعدم الحماة منك وآتباع الحق، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم، وجعلتُ جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك، وجعلتُ إذنَ الحاضرين إليك، ليتحققوا عودى إلى ما يُحب. فشكره ودعا له وأذن لكل من حضر للخدمة بالانصراف.^(١)

(الشریف) من ألقاب المقرّ والجناب، من حيث إنه يقال المقرّ الشريف والجناب الشريف، وذكر في "عرف التعريف" أنه يختص بالأشراف أبناء فاطمة من على رضي الله عنهما، وكأنه يريد في الألقاب المطلقة التي لا تلي المقر والجناب وهو فعيل من الشرف وهو العلو والرنة، قال ابن السكيت: ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه في الشرف بخلاف الحسيب ومن هنا جعله الكتاب أعلى رتبة من الكريم لأشتماله على قدر زائد لا يعتبر في الكريم من عرافة الأصل وشرف المحتد، والشريف نسبة إليه للبالغة.

(الشهير) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه المشهور الظاهر، والمراد هنا من أشهر علو قدره ورفعته.

(الشيخ) من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السن، ولُقّب به أهل العلم والصلاح توقيراً لهم كما يوقر الشيخ الكبير، والشيخى نسبة إليه للبالغة.

حرف الصاد المهملة

(الصاحب) من ألقاب الوزراء. قال في "عرف التعريف": وهو مختص بأرباب الأنلام منهم دون أرباب السيوف. وهو في أصل اللغة اسم للصديق،

(١) أورد ابن الأثير هذه العبارة في كتابه الكامل (ج ٩ ص ١٧١).

وأول مَنْ لُقِّبَ به من الوزراء كافي الكُفَاةِ إسماعيلُ بنُ عَبَّادٍ، وذلك أنه كان يصحب الأستاذَ ابنَ العميدِ، فكان يقال له بذلك «صاحبُ ابنِ العميد» ثم غلب عليه حتى استُعْمِلَ فيه بالألف واللام، ثم صار لَقَبًا على كل مَنْ وَلِيَ الوزارة بعده . على أن كُتِّبَ الإنشاء بالممالك الشامية يلقَّبون العلماء من قضاة القضاة وَمَنْ في معناهم بذلك، وهم على ذلك إلى الآن ، بخلاف كُتِّبَ الديار المصرية ، فإنهم يَقْصُرُونَهُ على الوزراء دون غيرهم كما تقدَّمت الإشارةُ إليه . والصاحِبِيُّ نسبةٌ إليه للبلغة . وهو المستعمل عند كُتِّبَ الإنشاء، وبغير الياء في العرف العام .

(الصالح) من ألقاب أهل الصَّلاح والصُّوفية يقال الشيخُ الصالحُ ونحو ذلك . وهو مأخوذ من الصَّلاح ضدَّ الفساد، ولم يستعملوه بأشياء ياء النسب فلم يقولوا الصالحِيّ ، وكأنهم تركوا ذلك خوفًا من الالتباس بالنسبة إلى البلد المعروف أو غيره .

(الصِّدْر) من ألقاب التجَّار ونحوهم . والمراد مَنْ يكون صَدْرًا في المجالس؛ وصدرُ كلِّ شيء في اللغة أوَّلُهُ، وعبرَ عن صدر المجلس بأوله لأنه في الحقيقة أوَّلُ المجلس وكل جانب من جانبيه تَلَوُّهُ، والصِّدْرِيُّ نسبةٌ إليه للبلغة .

حرف الطاء

(الظاهر) من ألقاب ملوك المَغْرِب، والمراد المتَّزِّعُ عن الأندلس .

حرف الظاء

(الظَهيريّ) من ألقاب بَازِ أرباب السُّيُوف كأعيان الأمراء من نُوَّاب السلطنة وغيرهم؛ وهو نسبةٌ إلى الظَّهير بمعنى العَوْن للبلغة، ومنه قوله تعالى :

(لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَهِيرًا) ولم يستعملوه مجزدا عن ياء النسب لاختصاص المظاهرة بأكابر أرباب السيف، وهو بغير الياء لا يقع إلا على الأدوان منهم .

حرف العين

(العائد) من ألقاب الشوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة . وربما استعمل في أرباب السيف والأقلام أيضا : لانتصاف متصف منهم بذلك أو وقوعه أولا على متصف به منهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام، حيث كتب ليذمر الخوارزمي في نيابته بذلك؛ ثم لزم من بعده من نواب الشام والنائب الكافل على ما سيأتي ذكره في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(العادل) من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجائر، وذلك أعلى ما وُصف به الملك ونحوه من ولادة الأمور : لأن العدل به تقع عمارة الممالك، والعادى نسبة إليه للبالغة؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيف من الثواب ونحوهم .

(العارف) من ألقاب أكابر أهل الصلاح، وهو خلاف الجاهل؛ ومنهم من يفرق بينه وبين العالم بأن المعرفة قد يتقدمها جهل والعلم لا يتقدمه جهل، ولذلك لم يطلق اسم العارف على البارئ سبحانه وتعالى بخلاف العالم فإنه يطلق عليه؛ والعارف نسبة إليه للبالغة .

(العاقد) من ألقاب ملوك المغرب؛ وهو في أصل اللغة اسم للمعين، يقال عَصَدْتُهُ أَعْصَدُهُ إذا أَعْتَمَهُ .

(العالم) من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجاهل . ثم هو في الحقيقة إنما هو من ألقاب العلماء إلا أنهم نعتوا به الملوك تعظيما، إذا علم كل أحد يلاحم على

الأنصاف به ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة . وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأقلام وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء .

(العالى) من الألقاب التى يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام ، ويوصف به المقام والمقر والجناب والمحاسن فى إحدى حالاته ؛ وهو من العلاء بالمد وهو الشرف . يقال على بكسر اللام يعلى بفتحها إذا شرف ، ومنه قيل فى على ونحوه «علاء الدين» ويحتمل أن يكون من العلو فى المكان يقال فيه علا بفتح اللام يعلو علوا ؛ وسيأتى معنى الفرق بينه وبين السامى وإن كان بمعناه فى اللغة .

(العامل) من ألقاب أهل الصلاح ، والمراد المحجد فى العمل المجتهد فى العبادة ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام كالعالمى .

(العريق) من ألقاب ذوى الأصالة ، وأكثر ما يقع على أرباب الأقلام ، والمراد من له عراقة فى كرم الأصل ؛ والعريق نسبة إليه للبالغة .

(العزيز) من ألقاب ديوان الخلافة ، يقال فيه «الديوان العزيز» على ما سيأتى بيانه فى المكتبة إلى أبواب الخلافة ، وربما استعملوه فى الولد فقالوا الولد العزيز ، ولم يستعملوه مضافا إلى ياء النسب .

(العُضد) من ألقاب أرباب السيوف ؛ وهو فى الأصل اسمٌ للمساعد : وهو ما بين المرقق والكثيف ، واستعمل فى المعين والمساعد لقيامه فى المساعدة مقام العضد الحقيقى من الإنسان ؛ ثم الأفضح فيه فتح العين مع ضم الضاد ، ويجوز فيه كسر الضاد وإسكانها مع الفتح أيضا وضم العين مع إسكان الضاد ؛ والعُضدى نسبة إليه للبالغة .

(العَوْنُ) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف، وهو نسبة إلى العَوْن وهو الظهيرُ على الأمرِ المعاوَنُ عليه . ولم يستعملوه مجرّداً عن ياء النسب لوقوع العَوْن على الواحد من أعوان صاحب الشرطة ونحوه .

(العلّامة) بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء . قال الجوهري : وهو العالمُ للغاية ، وقُلَّ أن يُستعملوه إلا في ألقاب المكتوب بسببه ونحو ذلك ، وحذفُ الهاء منه لغةٌ ، وليست بمستعملة بين الكتّاب أصلاً ؛ والعلّامى نسبة إلى العلام أو العلامة للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختص بالمُفتي .

حرف الغين المعجمة

(الغازى) من ألقاب أرباب السيوف، وهو من الأسماء المنقوصة كالفاضى ونحوه، وقُلَّ أن يُستعمل إلا في ألقاب السامى بغير ياء فما دونه .

(القَوْتُ) بالناء المثلثة من ألقاب الصوفية، وهو عندهم لقبٌ على القُطب الذى هو رأس الأولياء؛ وأصله في اللغة من قول الرجل واغوثاه، وقُلَّ أن تستعمله الكتّاب بل لم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب أصلاً .

(الغِيَاثُ) من ألقاب أرباب السيوف ، وأكثرُ ما يُستعمل في الملوك ، وهو في اللغة الاسمُ من استغاثني فأغثنه ، وأصله الغَوَاثِيُّ بالواو فُقِلَّت الواو ياء لانكسار ما قبلها .

حرف الفاء

(الفتاح) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفتح بمعنى النصر ، والمراد فتحُ الأمصار وتملكها .

(الفاضل) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء ، وربما وقع في ألقاب الحُكَّاب ، وهو خلاف الناقص ، والمراد زائد الفضل ، وبه لُقِّب القاضي الفاضل « عبد الرحيم اليَسَّانِي » الكاتب المشهور ؛ والفاضل نسبة إليه للبالغة .

(الفائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفوز بمعنى النجاة أو الظفر ، وقد يُسَاحَّح في التلقيب به فإن الفوز يطلق على الملاك أيضا على ما هو مقترن في كتب اللغة ، ومثل ذلك يجبُ اجتنابه لما فيه من الاشتراك بين المحمود والمذموم ، إلا أنه غلب استعماله في النجاة حتى إنه لم يرد في القرآن إلا بمعناها ، ولذلك عول الحُكَّاب على استعماله .

(الفقيه) من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من فقه بضم القاف إذا صار الفقه له سَجِيَّةً ، ككرم إذا صار الكرم له سَجِيَّةً . قال المسلي^(١) في «شرح مختصر ابن الحاجب» : وإنما يقع على المجتهد دون المقلد ، أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز . على أن الحُكَّاب بالديار المصرية لم يستعملوا هذا اللَّقب إلا في القليل النادر ، بل كثير من جهلة الحُكَّاب وغيرهم يستصغرون التلقيب به ويعُدونه نقصاً ، وإنما يُعَظَّم به جِدُّ التعظيم أهل المغرب ؛ والفقيهيُّ نسبةٌ إليه للبالغة ، وهو مستعمل في ألقاب العلماء .

(الفريدي) من ألقاب أكابر العلماء ، وهو نسبةٌ إلى الفريد بمعنى المنفرد للبالغة ، والمراد المنفرد بما لم يُسَارِكْه فيه غيره ، ولم يستعملوه مجرّداً عن ياء النسب .

(١) كذا بالأصول ولله السبكي انظر شرح مختصر ابن الحاجب في كشف الظنون .

حرف القاف

(القاصوى) من ألقاب أرباب الأفلام، وهو نسبة إلى القاضى للبالغة، ثم فى الحقيقة كان يجب أن يختص بالقضاة الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم، إلا أنه توسع فيه حتى استعمل فى غيرهم من ألقاب أرباب الأفلام.

(القُدوة) بكسر القاف وضمتها لغة من ألقاب العلماء والصالحاء، وهو بمعنى الأسوة. يقال: فلان قُدوة يُقتدى به؛ والقُدوى نسبة إليه للبالغة، وحذفت منه تاء التانيث المبدلة من الهاء على قاعدة النسب عند النحاة، وكثير من جهالة الكتاب يُثبتون فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون القُدوى، وهو خطأ كما تقدم فى الكلام على المجمة فى حرف الحاء.

(القَضَائِمِرى) من الألقاب التى يستعملها بعض الكتاب فى ألقاب من أجمع له رئاسة السيف والقلم، وهو نسبة إلى القضاء والأمير تشبيها بمذهب من يرى النسبة إلى المضاف والمضاف إليه جميعا فيقول فى النسبة إلى عبد شمس عشمى، وإلى عبد الدار عدىرى، ونحو ذلك، وهو مذهب مرجوح على ما تقدم بيانه فى المقالة الأولى فى الكلام على النحو، والأحسن فيه النسبة إلى كل منهما على أنفراده، فيقال القضاى الأميرى، أو الأميرى القضاى؛ وعلى العمل به فاللائق بعلو الرتبة أن يقال القاضيميرى ليكون مرجبا من القاضوى والأميرى، إذ كان القاضوى فى المعنى أبلغ من القضاى لما فى القاضوى من البالغة على ما تقدم بيانه.

(القَضَائى) من ألقاب أرباب الأفلام، وهو نسبة إلى القضاء فلا مبالغة فيه. (الْقُطْب) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو عندهم عبارة عن رأس الأولياء الذى عليه مدارهم كما تقدم فى الغوث، وقيل أن يستعمله الخُطاب؛

ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه أصلاً . والقُطْبُ في أصل اللغة كَوَكَبٌ بين الجَدَى والْفَرْقَدَيْنِ يدور عليه الفَلَكُ فيما قاله الجوهري . والتحقيق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكَوَكَبِ على ما هو مقرر في علم الهيئة ، ولذلك قيل لسيّد القوم الذي عليه مَدَارُ أمرهم قُطْبُ بنى فُلَانٍ ، وَمِنْ هُنَا تَبَرَّأُوا عَنْ مَدَارِ الأولياءِ بالقُطْبِ . وقُلَّ أن يستعمله الحُكَّابُ ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه .

(القَوَامِيّ) بفتح القاف من ألقاب أرباب السيوف . وهو نسبة إلى القَوَام وهو العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

حرف الكاف

(الكافِلُ) من الألقاب المختصة بنائب السلطنة بالحضرة ، يقال فيه النائب الكافِلُ ونحو ذلك ، والكافِلُ في اللغة الذي يَكْفُلُ الإنسانَ وَيَعُولُهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ وتُقْبُ بذلك لأنه يَكْفُلُ الرعيةَ وَيَعُولُهُمْ ، والكافِلُ نسبة إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : وهو مختص بنائب سلطانٍ أو وزيرٍ كبير . وذكر في دستور آخر أنه لا يكتب به لغيرهما .

(الكبير) من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام ، وهو في الأصل خلاف الصغير ، والمراد هنا الرفيع الرتبة ، والكبيرُ نسبة إليه للبالغة .

(الكريم) من ألقاب المَقَرِّ والجَنَابِ ، ويشترك فيه أربابُ السيوف والأقلام ، والكريمُ خلاف اللئيم فيما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال : الكَرَمُ نقيضُ اللُّؤْمِ ، وحينئذ فيكون المراد بالكريم الخالص من اللؤم ، ومن ثمَّ جُعِلَ دون الشريف

في الرتبة، إذ في الشرف قدر زائد على ذلك، وهو اعتبار ثبوت رفعة القدر، بل اعتبار ذلك في آباءه أيضاً كما قاله ابن السكيت على ما تقدم ذكره في الكلام على لقب الشريف، ويوضح ذلك أن الفقهاء قالوا يستحب في الزوجة أن تكون نسبية فعمله بعضهم على الصحيحة النسب احتراماً بذلك عن بنت الزنا، وحمله آخرون على العراقة في النسب، والأول في معنى الكرم الذي لم يعتبر فيه سوى خلوصه من اللؤم، والثاني بمعنى الشريف الذي اعتبر فيه قدر زائد؛ ثم هو فعيل من كرم بضم الراء إذا صار الكرم له سجيّة كما تقدم في الفقيه.

(الكفيلي) من ألقاب أكابر ثواب السلطنة، وهو أدلى من الكافل، لأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هو مقرر في علم النحو والتصريف.

حرف اللام

(الليبي) من ألقاب أرباب الأقاليم، وهو فعيل من اللب وهو العقل؛ والليبي نسبة إليه للبالغة.

(اللوزدي) بالذال المعجمة من ألقاب أرباب الأقاليم، وهو الذكي القلب.

حرف الميم

(الماجد) من ألقاب أرباب الأقاليم غالباً، وربما أطلق على غيرهم، وهو مختص بذوى الأصالة فقد قال ابن السكيت إن المجد لا يكون إلا بالآباء؛ والماجد نسبة إليه للبالغة.

(المالك) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف والأقاليم. قال في "عُرف التعريف": ولا يكتب به عن السلطان لأحد، وهو نسبة إن المالك الذي هو خلاف المملوك للبالغة، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب.

(المُناغِرُ) بالثاء المثلثة من ألقاب السلطان، والمراد القائم بسد الثغور : وهى البلاد التى فى نَحْرِ العدو، أخذًا من الثَغْر وهو السِّنّ، لأنه كالإِباب على الحلق الذى يمتنع الوصول إليه إلا منه ؛ والمُناغِرُ نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المتَصَرِّفُ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فى معناهم ، والمراد مَنْ ينفذ تصرفه فى الأمور، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب .

(المجاهِدُ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ المجاهدُ فى سبيل الله تعالى، وربما استُعمل فى ألقاب السامى من غير ياء فى أدونه كما تقدّم فى الغازى ؛ والمُجاهِدُ نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المُجتهدُ) من ألقاب العلماء ، والمرادُ به فى الأصل مَنْ يَسْتَنْبِط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وقُلَّ أن يستعمله الكُتُوب والمُجتهدُ نسبةٌ إليه للبالغة . وأكثرُ استعماله كذلك .

(المُحْتَرَمُ) من ألقاب العامة مَنْ يلقَّب بالصَّدر الأجل . فىقال : «الصَّدر الأجل الكبير المُحْتَرَمُ» ونحو ذلك .

(المُحَقِّقُ) من ألقاب العلماء ، وربما استُعمل فى ألقاب الصُّوفية ، والمراد أنه يأتى بالأشياء على حقائقها لِحِدَّةِ ذِهْنِهِ وَصِحَّةِ حَدِّسِهِ ؛ والمُحَقِّقُ نسبةٌ إليه للبالغة .

(المُخْتَارُ) من ألقاب أرباب السُّيُوف غالبا ، ويختص بالسامى بغير ياء فى أدونه ، وهو اسمٌ مفعولٍ من الاختيار ، بمعنى أن الملوكة وأرباب الأمور يختارونه ، على أن اسم الفاعل منه أيضا المختارُ كلفظ المفعول على السَّواء وإنما تُرشد إليه القرائن .

(الْمَخْدُوم) من الألقاب المختصة بالمكاتب، والمراد مَنْ هُوَ فِي رُتْبَةٍ أَنْ يَكُونَ مَخْدُومًا لَعَلَّوْ رَتْبَتَهُ وَسُمِّيَ مَحَلَّةً ؛ وَالْمَخْدُومِيّ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ . قَالَ فِي "عَرَفِ التَّعْرِيفِ" : وَلَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ السُّلْطَانِ لِأَحَدٍ .

(الْمَدَبَّرِيّ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ كُتَّابُ السِّرِّ وَنَحْوُهُمْ ، وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْمَدَبَّرِ بِكسر الباء الموحدة : وَهُوَ الَّذِي يَنْظُرُ فِي الْأَمْرِ وَمَا تَوَلَّى إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْرَدًا عَنْ يَأِ النَّسَبِ .

(الْمَدَقَّق) من ألقاب العلماء، وَهُوَ الَّذِي يُنْعَمُ النَّظَرُ فِي الْمَسَائِلِ وَيَدَقِّقُهُ ؛ وَالْمَدَقَّقِيّ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْمُرَابِط) من الألقاب السُّلْطَانِيَّةِ، وَهُوَ مُفَاعِلٌ مِنَ الرِّبَاطِ : وَهُوَ مُلَازِمَةٌ تَعْرِى الْعَدُوَّ ؛ وَالْمُرَابِطِيّ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ . وَهُوَ مِنْ أَلْقَابِ أَكْبَرِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ ، كَنُزَابِ السُّلْطَانَةِ وَنَحْوِهِمْ .

(الْمُرَبِّيّ) من ألقاب الصوفية، والمراد مَنْ يَرْبِيّ الْمُرِيدِينَ وَيَسَلِّكُهُمْ وَيَعْرِفُهُمْ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(الْمُرْتَضَى) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ، وَيَخْتَصُّ بِالسَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ فَمَا دُونَهُ، وَالْمُرَادُ مَنْ يَرْضَاهُ وَلِأَنَّهُ الْأُمُورَ وَيَخْتَارُونَهُ .

(الْمُرْشِد) من ألقاب ملوك المغرب، وَرَبَّمَا اسْتَعْمِلَ فِي أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ، وَالْمُرَادُ مَنْ يُرْشِدُ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ وَيَهْدِيهِمُ السَّبِيلَ ؛ وَالْمُرْشِدِيّ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْمُسَدِّدِيّ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ وَأَلْقَابِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَهُوَ بَفَتْحِ الدَّالِ الْمَشْدَدَةِ نِسْبَةً إِلَى الْمُسَدِّدِ ، وَهُوَ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنَ السَّدَادِ بِالْفَتْحِ : وَهُوَ

الصَّوَابُ والقَصْدُ من القول والعمل . ويجوز أن يكون بالكسر على أنه اسمُ فاعِلٍ منه بمعنى أنه يُسَدِّدُ غيره ، ولم يستعملوه مجرَّدًا عن ياء النسب .

(المسلِّك) بتشديد اللام المكسورة من ألقاب الصوفيَّة ، وهو اسمُ فاعِلٍ من تسليك الطريق وهو تعريفُها ، والمراد تعريفُ المريدين الطريقَ إلى الله تعالى ؛ وأصل التسليك إدخالُ الشيء في الشيء ، ومنه قيل لخيط سلك ، لقب بذلك لإدخاله المريدين في الطريق ؛ والمسلِّك نسبة إليه للبالغة .

(المُشَيِّدِي) بتشديد الياء المكسورة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، كُنُوب السلطنة ونحوهم ، وهو نسبةٌ إلى المُشَيِّدِ فاعِلٍ من التشديد وهو رفعُ البناء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَصِّرْ مَشِيدًا ﴾ أى مرتفع ، والمراد أنه يُشَيِّدُ قواعدَ المملكة ويرفعها ؛ ولم يستعملوه مجرَّدًا عن ياء النسب إذ لا يليق بالأذنين .

(المُشِيرِي) من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء ومن ضاهاهم من يُؤخذ رأيه في الأمور . قال في "عرف التعريف" : ولا يُسمَحُ به لأحدٍ من أرباب السيوف ما لم يكن مقدِّم ألف ؛ وهو نسبةٌ إلى المُشِيرِ : وهو الذي يُؤخذ رأيه . وأختلف في أصله المأخوذ منه فقيل : من شُرْتُ العسل إذا استخرجته من كَوَّارة النحل ، لأنَّ الرأى يُستخرجُ من المُشير . وقيل من شُرْتُ الناقة إذا عرضتها على الحوض لأنَّ المستشار يعرض ما عنده على المُشير ، ولم يستعملوه مجرَّدًا عن ياء النسب لأنَّ خطاطه عن رتبة الأَكابر .

(المُظَاهِر) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه المُعاونُ أخذًا من المُظَاهرة : وهي المُعَاونة .

(المُظَفَّر) من الألقاب السلطانية ، أخذًا من الظَّفَر وهو النَّصْر ؛ والمُظَفَّرِي نسبةٌ إليه للبالغة ، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف .

(المُعْرَق) بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء من ألقاب ملوك المغرب، والمراد به من أَعْرَقَ في الكَرَم . على أن المُعْرِق قد يُطْلَق في اللغة على المُعْرِق في اللُّؤْم أيضا فهو من الأضداد، ومثل ذلك يُجْتَنَب في التلقيب .

(المُعَزَّز) بزائين معجمتين الأولى منهما مشددة مفتوحة من ألقاب ملوك المغرب، وهو أَسْمُ مفعول من العَزَّ خلاف الذَّلَّ، ومنه قراءة من قرأ (ويعزِّزه ويوقِّره) بزائين معجمتين .

(المعْظَم) بفتح الظاء المشددة من ألقاب ملوك المغرب أيضا، وهو أَسْمُ مفعول من العَظْمَة وهي الجَلَالَة، وربما أَسْتَعْمِلَ في ألقاب بعض ملوك الكُفَر على ماسياتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(المَفَحَّم) بفتح الحاء المعجمة المشددة من ألقاب ملوك المغرب، وهو مأخوذ من الفَحَامَة وهي الضَّخَامَة .

(المُفَوَّه) بفتح الواو المشددة من ألقاب البُلَفاء من الكُتَّاب وغيرهم . وهو البَلِيغ اللِّسَن ؛ والمُفَوَّهَى نسبة إليه للبالغة .

(المُفِيد) من ألقاب العلماء، وهو أَسْمُ فاعِلٍ من الإفادة وهي إنالة الشخص مالم يكن حاصلًا عنده؛ والمُفِيدَى نسبة إليه للبالغة .

(المُقَدَّمَى) بفتح الدال المشددة من ألقاب أرباب السيوف . ويختص بمقدمي الألوف من الأمراء ، والمراد أنه مُقَدَّم على مضاهيه من الأمراء والأجناد ، ولم يستعملوه مجزدا عن ياء النسب .

(المُقَرَّب) بفتح الراء المشددة من ألقاب الخُدَّام والخَوَاجِكَةِ، والمراد أنه مقربٌ عند الملوك ومن في معناهم، وهو من القُرب خلاف البُعد؛ والمقَرَّب نسبة إليه للبالغة .

(المُكَرَّم) بفتح الراء المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفَعَّل من الكرامة .

(المَلِكِيّ) بفتح اللام من ألقاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معناهم؛ وهو نسبةٌ إلى المَلِك بكسر اللام وإِنَّمَا فُتِحَتْ لَامُهُ فِي النِّسْبِ جَرِيًّا عَلَى قَاعِدَةِ النِّسْبِ فِي تِمْرٍ فَإِنَّهُ يَنْسَبُ إِلَيْهِ تَمَرِيٌّ بِفَتْحِ المِيمِ عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ النُّحُو . عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنْ كُتَّابِ الزَّمَانِ يَغْلَطُونَ فِيهِ فَيَكْسِرُونَ لَامَهُ فِي النِّسْبِ أَيْضًا وَهُوَ خَطَأٌ . ثُمَّ النِّسْبَةُ إِنْ كَانَتْ فِي حَقِّ الْمَلِكِ نَفْسِهِ كَقَوْلِهِمْ فِي أَلْقَابِ الْمَلِكِ الْمَلِكِيّ ، فَالْنِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ فِي حَقِّ أَحَدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَقَوْلِهِمْ فِي حَقِّ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ وَنَحْوِهِمْ الْمَلِكِيُّ الْفُلَانِيُّ فَالْنِّسْبَةُ فِيهِ عَلَى حَقِيقَةِ النِّسْبِ .

(المُجَدِّد) بفتح الجيم المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفَعَّل من المَجْد وهو الشَّرَف . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَاجِدِ بْنِ أَبِي السَّكَيْتِ أَنَّهُ يَكُونُ الْمَجْدُ لِلرَّجُلِ وَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ شَرَفُ آبَاءِ .

(المُهْدِيّ) بكسر الهاء المشددة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، نسبةٌ إلى المِهْد : وهو الذي يَهْدِي المَمَالِكَ وَيُدَوِّخُهَا ، وَالنِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْزُؤًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ .

(١) المنقول في كتب اللغة عن ابن السكيت أن المجد والشرف لا يكونان إلا بالآباء والحسب والكرم يكونان للرجل وإن لم يكن له آباء كرام وقد نقل المؤلف نفسه هذا المعنى في غير هذا الموضع فتنبه .

(الْمُتَخَب) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ : وهو المختار ؛ والمتخَيَّ نسبةً إليه للبالغة .

(الْمُنْفِذِي) بكسر الفاء المشددة وبالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومن في معناهم نسبة إلى المنفذ : وهو الذي له معرفة بتنفيذ الأمور ووضع الأشياء في مواضعها ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(الْمُنْصِفِي) من ألقاب الوزراء وُولاة الأمور نسبةً إلى الْمُنْصِف : وهو الذي يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِم ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .
(الْمَنْصُورُ) من الألقاب السلطانية ، يقال منه « المؤيد المنصور » ونحو ذلك ، ومعناه ظاهر ، والمنصورى نسبة إليه للبالغة ؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوبِ السُّلْطَةِ ونحوهم .

(الْمُؤَمَّنُ) من ألقاب الخُدَّامِ والتُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، والمراد أن الخُدَّامَ يُؤَمِّنُونَ على الحرِّيمِ والمَمَالِكِ في الحَضَرِ ، والتُّجَّارُ يُؤَمِّنُونَ على المَالِكِ والجَوَارِي في السَّفَرِ ، أو يُؤَمِّنُونَ على أخبار المَمَالِكِ وأحوالها ، فلا يُخْبِرُونَ عن مملكة بمملكة أخرى إلا بما فيه السَّدَاد .

(الْمَوْلَى) من ألقاب الْكُتَّابِ ، وأكثر ما يجري ذلك في تعيين كاتب السرِّ ونحوه . فيقال : « الْمَوْلَى فلان الدين » والمراد هنا السيد ، والمَوْلَى نسبةً إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف والأقلام . قال في "عُرف التعريف" : ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد . على أن المولى لفظٌ مشتركٌ يقع في اللغة على السيد كما تقدم ويعبر عنه بالمولى من أعلى ؛ ويقع على المملوك والعتيق ويعبر عنه بالمولى من أسفل ؛ ويقع على المنتظم إلى القبيلة من غير أنفسهم ، كما يقال في الإمام

لِلْبَحَارِيَّ « الْجُعْفَى مَوْلَاهُمْ » بمعنى أنه ليس من صُلب القبيلة ؛ ويُطْلَقُ عَلَى غير ذلك أيضا . وإذا كان مشتركا بين المولى من أعلى والمولى من أسفل فكان الأحسن الإضراب عنه .

(المؤيَّد) بفتح الياء المشددة من الألقاب السلطانية، وبالكسر من ألقاب السامى بالياء فما دونه، والمراد أنه يُؤيَّد المَلِك وينصَّره، وكلاهما مأخوذ من الأيَّد وهو القُوَّة، والمراد أن الله تعالى يؤيِّده ويَقْوِيه، ومنه قولهم في الدعاء: «أَيِّدْهُ اللهُ تَعَالَى» أى قَوِّهِ، والمؤيَّدى بالفتح من الألقاب المملوكية نسبةً إلى المؤيَّد بالفتح للبالغة؛ وبالكسر من ألقاب أكابر أرباب السيوف نسبةً إلى المؤيَّد بالكسر للبالغة .

(المَلَاذِىّ) بالذال المعجمة من ألقاب الوزراء وَمَنْ فى معناهم من وُلاة الأمور . وهو منسوب إلى المَلَاذِ بِمعنى الملجأ نسبةً مبالغة؛ ولم يستعملوه مجزئا عن ياء النسب .

حرف النون

(الناسِكُ) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصلاح، ومعناه العابدُ أخذًا من التَّسَكُّ وهو العبادة؛ والناسِكُ نسبةً إليه للبالغة . وهو من ألقاب الصُّلَحَاء أيضا، وربما كُتِبَ به لأرباب السيوف والأقلام إذا كان فيهم مَنْ يُنسَبُ إلى الصَّلاح .

(النَّبَوِيّ) من ألقاب ديوان الخلافة وما فى معناه من متعلقاتها، يقال فيه: «الدِّيَّانُ الْعَزِيزُ النَّبَوِيّ» ونحو ذلك . ويقع أيضا فى ألقاب وُلاة الهد بالخِلافة؛ وربما وقع فى ألقاب الأشراف . وهو نسبة إلى النبوة لانتساب الخلافة العباسية إلى العباس عم النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتساب الأشراف إلى أخته فاطمة رضى الله عنها .

(النَّسَبُ) من ألقاب الشُّرفاء أبناءِ فاطمةَ من عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهما، والمراد العريق في النَّسَب ؛ لُقِّبوا بذلك لأنهم أعرقُ الناس نسباً، لا تساهم إلى بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم جوازُ نسبة أولاد بناته إليه بخلاف غيره ، على ما هو مقرر في كُتُب الفقه . وقد أوضحت ذلك في كتابي المسمى بـ «الغُيُوثُ الهوامع» ، في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع « في أوائل النكاح ؛ والنَّسَبِيّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(النَّصِيرُ) من ألقاب أرباب السيوف للجلس السامى بالياء فمن دُونَه . وهو بمعنى الناصر إلا أنه أبلغ منه ، لأن صيغةَ فَعِيل أبلغ من صيغةِ فاعِلٍ على ما تقدّم ؛ والنَّصِيرِيّ نسبةٌ إليه للبالغة في نصره .

(النَّظَامِيُّ) من ألقاب الوزراء ومن في معناتهم ، وهو نسبة إلى النَّظَام وهو صورة الاجتماع والائتِمام ، ومنه نظم التَّوَلُّو وغيره ، والمراد أنه يكون به انتظامُ الأمور والائتِمامها ، وحينئذ يكون النَّسَب فيه على حقيقته ، لأنه نسبة إلى غير صاحب اللَّقَب ؛ ويجوز أن تكون النسبة فيه للبالغة على معنى أن صاحب اللقب قد جعل ^(١) عن النظام تجوزاً ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(النَّوِينُ) بضم النون وفتح الواو وسكون الياء المشتاة تحت ونون في الآخر من ألقاب كُفَّال الممالك بالممالك القانية : كآب السُّلطنة ، وأمراء الأُلوس ، والوزير ونحوهم فيما كان عليه مملكةُ إيران إلى آخرِ مملكةِ أبى سعيد ؛ والنَّوِينِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . قال في «التثقيف» : وهو بمثابة الكافليّ في ألقاب التَّوَاب . قال : وهو نعت يستعمل دائماً لأهل تلك البلاد ولا يستعملون الكافليّ أصلاً .

(١) أى أطلق عليه النظام .

حرف الهاء

(الهُمَام) من ألقاب أرباب السيوف ، والمراد الشجاع ؛ والهُمَامِي نسبة إليه للبالغة .

حرف الواو

(الوالِدِيّ) من ألقاب المُسَنِّين من الأكابر ، وهو نسبة إلى الوالد ، وكأنه جعله والدًا له فتكون النسبةُ إليه على حقيقة النسب ، لأن النسبة فيه ليست إلى صاحب اللقب نفسه ، وربما قصد بذلك الوالد حقيقة ؛ وأكثرُ ما يقع هذا اللقب في المكاتبات .

(الوَرِيع) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ واهل الصلاح ، وربما لُقِّب به أربابُ السيوف والأقلام أيضا إذا آتصفوا بذلك ؛ والمراد من يَتَرَّه عن الوقوع في الشُّبُهَات . وهو في اللغة التَّقَيُّ ، يقال منه وَرِيعٌ يَرِيعُ بكسر الراء فيهما وَرَعًا فهو وَرِيعٌ ؛ والوَرِيعِيّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الْوَزِيرِيّ) من الألقاب الخاصة بالوزراء من أرباب السيوف والأقلام . وهو نسبة إلى الوزير ، وقد تقدّم معناه وأشتقاقه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(الْوَلَدِيّ) من ألقاب الأحداث من الرؤساء ، وهو نسبة إلى الولد ، كأنه جعله ولداً له ، وربما وقع على الولد حقيقة ؛ وأكثر ما يقع في المكاتبات كما تقدّم في الوالِدِيّ .

حرف اللام ألف

(الْأَلَمِيُّ) من ألقاب الأذكياء . قال الجوهري : ومعناه الذكي المتوقد .

حرف الياء

(الْيَمِينِيّ) من ألقاب الدّوّادار وكاتب السرّ والحاجب . قال في "عرف التعريف" ولا يقال لغيرهم ، وهو نسبة إلى اليمين كأنه يمين السلطان الذي يتناول به الأشياء ، وإلا فجائس كاتب السرّ بدار العدل عن يسار السلطان ، والدّوّادار والحاجب قائمان أمامه .

الضرب الثاني

(المرْكَبَةُ المعبر عنها في اصطلاح الكتّاب بالنعوت)

(وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا)

حرف الألف

(أَتَابِك الْعَسَاكِر) من نُعُوت الأمير الأتابك وَمَنْ في معناه كالنائب الكافل وَمَنْ في رُتْبته . وذكر في "عرف التعريف" أنه مما يختص بالنائب الكافل . وقد تقدّم ذكر معنى الأتابك في الكلام على الألقاب الأصول ؛ والعساكر جمع عسكر وهو الجيش .

(إِسْكَندَر الزَّيْمَان) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر ابن فيلبس اليوناني ، وهو الذي يؤرخ بظهوره على الفرس وغلبته إياهم على ماسياتي في الكلام على التاريخ في أواخر هذه المقالة .

كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا مَلِكَ الشَّامِ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالْعِرَاقَيْنِ، وَالسَّنْدَ، وَالْهِنْدَ،
وَبِلَادَ الصِّينِ، وَالتُّبَّتِ، وَخُرَاسَانَ، وَبِلَادَ التُّرْكِ؛ وَذَلَّتْ لَهُ سَائِرُ الْمُلُوكِ؛ وَهَادَاهُ أَهْلُ
الْغَرْبِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّودَانِ؛ وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ
ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ:
وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلِكٌ عَظِيمٌ كَانَ قَبْلَ الْإِسْكَانْدَرِ بَزْمَنٍ طَوِيلٍ .

(أَيْبُرُ الْإِمَامِ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ غَالِبًا، وَهُوَ أَتْيَرُ بِمَعْنَى مَأْتُورٍ، وَالْمُرَادُ
أَنَّ الْإِمَامَ يُؤْتَرُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَيَقْدُمُهُ عَلَيْهِ .

(اعْتِضَادُ صِنَادِيدِ الزَّمَانِ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بِهِ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ. وَالْاعْتِضَادُ الْإِسْتِعَانَةُ، يُقَالُ: اعْتَضَدْتُ بِفُلَانٍ إِذَا اسْتَعَنْتُ بِهِ، وَالصَّنَادِيدُ
جَمْعُ صِنْدِيدٍ وَهُوَ الشُّجَاعُ .

(أَكْرَمُ تُجَبَّاءِ الْأَنْبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ الرُّسُلِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ، وَأَكْرَمُ
أَفْعُلُ التَّفْضِيلِ مِنَ الْكَرَمِ خِلَافِ اللَّؤْمِ، وَالتُّجَبَّاءُ جَمْعُ تَجَبَّبٍ وَهُوَ الْكَرِيمُ .
(أَجْمَلُ الْبُلَغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(الذَّابُّ عَنْ حَوْزَةِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ
مُسْلِمٍ يَقُومُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ. وَالذَّابُّ الدَّافِعُ، وَالْحَوْزَةُ بَفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّيْ
الْمَعْجَمَةُ النَّاحِيَةُ .

(الْقَائِمُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ. ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ"
أَنَّهُ يُكْتُبُ بِهِ إِلَى صَاحِبِ تُونِسَ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مُتَّصِفٍ بِذَلِكَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(المجاهد عن الدين) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه ظاهر أيضا .
 (المعنى ملوك آل ساسان ، ويقايا فراسياب وخاقان) من ألقاب عظماء ملوك الأعاجم .
 وقد ذكره في " التعريف " في ألقاب صاحب الهند . والمعنى بتشديد الفاء المكسورة
 الماحي للأثر ، يقال عفت الرياح كذا بالتشديد إذا درسته ومحت أثره ، وشدد للبالغة .
 وآل ساسان ملوك الأكاسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
 الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وأتزع الملك من أيديهم ، يُنسبون إلى جدّهم
 ساسان : وهو ساسان بن أردشير بهمن بن كيستاسف من ملوك الطبقة الثانية
 فيهم ، على ما سيأتى بيانه في الكلام على مكتبة ملوك إيران ، في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

وفراسياب بقاء في أوله ثم سين مهملة بعدها ياء ثم ألف وباء موحدة ملك عظيم
 من ملوك الترك ، ويقال إن أصله من أبناء ملوك الفرس ، وهو فراسياب بن طوج
 ابن أفريدون ، من الطبقة الأولى من ملوك الفرس ، وإن ابن عمه منوهر غلب
 عليه بعد أن قتل أباه طوجا ففر إلى بلاد الترك وتزوج منهم ، وأتته به الحال
 إلى أن ملكهم وعظم ملكه فيهم .

وخاقان بحاء معجمة وقاف ونون ملك من ملوك الترك أيضا كان في زمن
 كسرى أنوشروان فيما يقتضيه كلام أبي هلال العسكري في كتابه " الأوائل " حيث
 ذكر أنه كان بينه وبينه حرب .

(المواقف المقدسة) من ألقاب الخلفاء في مخاطبتهم في المكتبات ونحوها ،
 والمراد الأماكن التي يقف فيها الخليفة ، كني بها عن الخليفة تنويها عن التصريح
 بذكره ، والمقدسة المطهرة ، والمراد طهارتها عن الأدناس المعنوية .

(إمامُ الأئمةِ) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «إمامُ الأئمةِ في العالمين» .

(إمامُ البلغاء) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّاب ومن في معناهم

(إمام المتكلمين) من ألقاب العلماء ، وهو بأهل المعقول أليق لإطلاق علم الكلام على أصول الدين ، وإنما سُمِّيَ بذلك لأنه لما وقع القولُ بخلق القرآن في صدر الإسلام ممن وقع كثر الكلام والخوض في ذلك فأُطلق على أصول الدين علم الكلام وبقي علماً عليه .

(أُوحدُ الأشراف) من ألقاب الشرفاء ، وربما قيل «أُوحدُ الأشراف في العالمين» أو «أُوحدُ الأشراف الطاهرين» أو «أُوحدُ الأشراف المساجدين» ونحو ذلك .

(أُوحدُ الأصحاب) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقلام ومن في معناهم ككاتب السر ونحوه وإن كان صاحبُ يختص بالوزير في عُرف [كُتَّاب الديار المصرية^(١)] على ما تقدم .

(أُوحدُ الأكابر) من ألقاب التجار الخوارجية ، وربما كُتِبَ به لغيرهم من الرؤساء ، وربما قيل «أُوحدُ الأكابر في العالمين» .

(أُوحدُ الأمة) من ألقاب العلماء ، وربما أُطلق على غيرهم .

(أُوحدُ الأمناء في العالمين) من ألقاب الكُتَّاب ، والامناء جمع أمين وهو خلاف الخائن .

(أُوحدُ الأئمة العلماء في العالمين) من ألقاب العلماء ، وربما اقتصر على أُوحد العلماء .

(١) بياض بالاصول والتصحيح من لقب صاحب المتقدم في الألقاب المفردة .

(أوحد البُلغَاء) من ألقاب أرباب الأقلام، وربما قيل «أوحد البُلغَاء في العالمين» ونحو ذلك والبُلغَاء جمع بُلَيْغ وقد تقدّم معناه .

(أوحد الرؤساء) وربما قيل «أوحد الرؤساء في العالمين» أو «أوحد الرؤساء في الأنام» ونحو ذلك، ومعناه ظاهر .

(أوحد الحُفَاط) من ألقاب المحدثين، وربما قيل «أوحد الحُفَاط في العالمين» ونحو ذلك .

(أوحد الخطباء في العالمين) من ألقاب الخطباء .

(أوحد العلماء الأعلام) من ألقاب العلماء، وربما قيل «أوحد العلماء في العالمين» .

(أوحد الفضلاء) من ألقاب العلماء، وربما استعمل في غيرهم من أرباب الأقلام، وربما قيل «أوحد الفضلاء المفيدين» أو «أوحد الفضلاء العارفين» ونحو ذلك .

(أوحد الكُبراء) من ألقاب التجّار الخَوَاجِكَة، ويموز أن يُستعمل في غيرهم .

(أوحد الكُتّاب) من ألقاب الكُتّاب سواء كُتّاب الإنشاء وغيرهم .

(أوحد المتصرّفين) من ألقاب الوُزراء ومَن في معناتهم .

(أوحد المجاهدين) من ألقاب أرباب السيوف .

(أوحد المحققين) من ألقاب العلماء .

(أوحد المتكلمين) من ألقاب العلماء، وهو بعلماء المعقول أنسب .

(أوحد المفيدين) من ألقاب العلماء .

(أوحد الملوك والسلطين) من الألقاب السلطانية .

(أوحد الوعاظ) من ألقاب أهل التذكير والوعظ .

(أَوْحُدُ الْوَقْتُ) من ألقاب أرباب الأقاليم، وربما قيل «أَوْحُدُ الْوَقْتُ وَالْأَوَانُ» والوقت معروف، والأَوَانُ الْحَيْنُ، ويجمع على أَوَانٍ مثل زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ .

حرف الباء

(بِرْكَةُ الْأَنَامِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ، وقد تُسْتَعْمَلُ للعلماء أيضا .

(بِرْكَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا، وقد يقال «بِرْكَةُ الدَّوْلِ» على الجمع، وربما كُتِبَ به لأرباب الأقاليم من العلماء وغيرهم . والمراد بالدولة المملكة القائمة، وأصلها من الدَّوْلَةِ في الحرب وهي النَّصْر والغَلْبَةُ .

(بِرْكَةُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ، وقد تُسْتَعْمَلُ لأهل العلم أيضا .

(بَقِيَّةُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب بَقَايَا الْبُيُوتِ الرَّئِيسَةِ من أهل الأقاليم وغيرهم، وربما قيل «بَقِيَّةُ الْأَكْبَارِ فِي الْعَالَمِينَ» .

(بَقِيَّةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ) من ألقاب الأشراف، وبه يُكْتَبُ إِلَى إِمَامِ الزَّيْدِيَةِ بِالْيَمَنِ .

(بَقِيَّةُ السَّلَفِ) من ألقاب العلماء والصُّلَحَاءِ، وربما قيل «بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ» أو «بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرَامِ» والمراد بالسَّلَفِ الْآبَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ، أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِمْ سَلَفَ إِذَا مَضَى، وربما أُطْلِقَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

(بَقِيَّةُ السَّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، وقد يقال فيه بَقِيَّةُ السَّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ، وربما أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِمْ . وبذلك يُكْتَبُ لِصَاحِبِ ثَوْنَسٍ لَدَعَائِهِ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالسَّلَالَةُ فِي الْأَصْلِ مَا اسْتُلَّ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْمُرَادُ هُنَا النُّطْفَةُ لِأَنَّهَا مُسْتَلَّةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ .

(بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب مَنْ له سَلَفٌ في الْمُلْكِ ، كصاحبِ حِصْنٍ كَيْفًا من بَقَايَا الْمُلُوكِ الْإِيُوبِيَّةِ .

(بَقِيَّةُ الْأَصْحَابِ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ أربابِ الْأَقْلَامِ وَمَنْ في معنَاهم .

(بَقِيَّةُ شَجَرَةِ الْفَخَّارِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصَالَةِ الْعَرِيقِينَ في النَّسَبِ ، وبه يُكْتَبُ لِابْنِ الْأَحْمَرِ صاحبِ الْأَنْدَلُسِ .

(بَهَاءُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أربابِ الْأَقْلَامِ ، وَالْبَهَاءُ الْحُسْنُ ، وَالْأَعْيَانُ جَمْعُ عَيْنٍ تَجْمَعُ عَلَى أَعْيُنٍ وَعُيُونٍ وَأَعْيَانٍ ، والمراد هنا الْخِيَارُ ، إِذْ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ خِيَارُهُ .

(بَهَاءُ الْأَنْامِ) من ألقاب أربابِ السِّيُوفِ غَالِبًا ، وربما أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَالْأَنْامُ الْخَلْقُ .

(بَهَاءُ الْعِصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ) من ألقاب الْأَشْرَافِ ، وبه يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفِينَ ، وَالْعِصَابَةُ بِالْكَسْرِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَتَجْمَعُ عَلَى عِصَابٍ . وَالْعَلَوِيَّةُ نِسْبَةٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حرف التاء المثناة من فوق

(تاجُ الْعِلْمَاءِ وَالْحُكَّامِ) من ألقاب الْقُضَاةِ ، وَالتَّاجُ مَا يُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ .

(تاجُ الْأَمْنَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، وَيَصْلَحُ لِكُتَابِ الْأَمْوَالِ أَيْضًا .

(تاجُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَمَنْ في معنَاهم .

(تاجُ الْقُضَلَاءِ) من ألقاب أربابِ الْأَقْلَامِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الدَّسَائِرِ الشَّامِيَّةِ

« تاجُ الْقُضَلَاءِ الْمُتَشَشِّينَ » وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَنْ هُوَ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهِ وَأَبْتَدَاءِ رِيَاسَتِهِ ، وَحَدَاثَةِ سَنَتِهِ .

(تاج المِلَّة) من الألقاب التي يشترك فيها أربابُ السيوف والأقلام جميعاً .
والمِلَّة في أصل اللغة الدينُ والشريعة ، والمراد هنا مِلَّةُ الإسلام ، والألف واللام فيها
للعهد الذهني .

حرف التاء المثلثة

(ثِقَّةُ الدُّوَل) من ألقاب التجَّار الخَوَاجِكَةِ ، وربما قيل «ثِقَّةُ الدُّوَلَيْنِ» والثِّقَّةُ
في اللغة الأَمِينُ وخُصَّ ذلك بالتجَّار لترددهم في الممالك ، ويحسُنُ أن يلقَّبَ به
المرتدِّون في الرسائل بين المُلُوك .

حرف الجيم

(جامعُ كلمةِ الإيمان) من الألقاب السلطانية .
(جامعُ طُرُق الواصفين) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصِّلَاح ، وربما قيل
«جامعُ الطُّرُق» ويصلحُ أن يكون من ألقاب العلماء أيضا .
(جمالُ الإسلام) من ألقاب العلماء ، وربما قيل جمال الأكابر من ألقاب التجَّار
الخَوَاجِكَةِ ، وقد يستعملُ لأرباب الأقلام ، والجمالُ في اللغة الحُسْنُ .
(جمالُ الذَّرِّيَّةِ) والمراد ذُرِّيَّةُ النبي صلى الله عليه وسلم لأن الذَّرِّيَّةَ تشمل أولاد
البنات ، وقد عدَّ الله تعالى عيسى عليه السلام ^(١) [من ذُرِّيَّةِ إبراهيم عليه السلام]
وهو ابن بنته .

(جمالُ الصُّدُور) من ألقاب أربابِ الأقلام ، والصُّدُور جمع صَدْر ، والمراد
صُدُور المجالِس .

(١) الزيادة لتسمي الكلام وسقوطها سهو من الناسخ .

(جمال الأئمة) من ألقاب العلماء، وربما قيل «جمال الأئمة العارفين» .

(جمال البارعين) من ألقاب أرباب الأقلام، والبارعين جمع بارع وهو الناهض .

(جمال البلغاء) من ألقاب كُتّاب الإنشاء ونحوهم .

(جمال الطائفة الهاشمية) من ألقاب الشرفاء، والطائفة في أصل اللغة اسم

للقطعة من الشيء . قال ابن عباس وتُطلق على الواحد فما فوقه ، والهاشمية نسبة إلى هاشم : وهو هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم .

(جمال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء أيضا، وربما اقتصر على جمال العترة

فقط . وعترة الرجل نسله وأهله الأذنون، والمراد عترة النبي صلى الله عليه وسلم .

(جمال العصبة الفاطمية) من ألقاب الشرفاء أيضا، والعصبة بفتح العين والصاد

واحدة العصابات ، وهي في أصل اللغة البنون والقراية للأب . قال الجوهري :

سُموا عَصْبَةً لأنهم عَصَبُوا بالشخص بمعنى أنهم أحاطوا به : فالأُمُّ طَرْفٌ، والأبُّ

طَرْفٌ ، والعمُّ جانبٌ ، والأخُّ جانبٌ . والمراد هنا أبناء فاطمة رضى الله عنها وهم

أحد أفراد العصبة . ولا يجوز أن يقال العصبة بضم العين وإسكان الصاد : لأن

المراد بذلك الرجال ما بين العشرة والأربعين كما قاله الجوهري . وبنو فاطمة

رضى الله عنها قد أربوا عن العدد في الشرق والغرب .

(جمال العلماء) من ألقاب أهل العلم .

(جمال الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكُتّاب، وربما قيل

«جمال الفضلاء المفيدين» ونحو ذلك ويختص حينئذ بالعلماء .

(جمال الكُتّاب) من ألقاب كُتّاب الإنشاء وغيرهم من الكُتّاب .

(جمال المملكة) من ألقاب الكُتّاب .

(جَمَالُ الْوَرَعَيْنِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاحِ .

(جَمَالُ أَهْلِ الْإِفْتَاءِ) من ألقاب أكابر العُلَمَاءِ .

(جَلَالُ الْإِسْلَامِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ، ويصلح أن يكون لقباً لبعض الملوك، وبه يُكْتَبُ لإمام الزَّيْدِيَّةِ يالين، وربما قيل «جَلَالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ» .

(جَلَالُ الْأَصْحَابِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعَنَاهُمْ .

(جَلَالُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ، وبه يُكْتَبُ لناظر الخالص .

(جَلَالُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القُضَاةِ، والجَلَالُ فِي اللُّغَةِ الْعَظْمَةُ .

(جَلَالُ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ، وبه يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَيْنِ .

(جَلَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أهل العلم، وربما قيل «جلال العلماء العالمين» ونحو ذلك .

(جَلَالُ الْكِبَرَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأَقْلَامِ .

(جلال الأسرة الزاهرة) من ألقاب الأشراف . والأسرة بضم الهمزة الرَّهْطُ، والمراد رَهْطُ بَنِي هَاشِمٍ، والزاهرة الْمُضِيئَةُ، وبه سَمِيَ الْكَوْكَبُ الْمَعْرُوفُ بِالزُّهْرَةِ .

(جَهَبْدُ الْحَدَّاقِ) من ألقاب الْكُتَّابِ، وربما قيل «جَهَبْدُ الْحَدَّاقِ لِلْمُتَصَرِّفِينَ» وَالْجَهَبْدُ بفتح الجيم وإسكان الهاء وفتح الموحدة النَّقَادُ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ولذلك يقال للصيرفي جَهَبْدُ، والمراد هنا أنه يَنْقُدُ الْأُمُورَ فَيَسْتَخْرِجُ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِيئِهَا كَمَا يَفْعَلُ الصَّيْرَفِيُّ .

(١) ضبط في القاموس الفيروزبازي بالكسر ثم قال شارحه كوبرج .

حرف الحاء المهملة

(حَاكِمُ الْحُكَّامِ) من ألقاب قُضاة القُضاة .

(حَاكِمُ أُمُورِ وِلَاةِ الزَّمانِ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(حَافِظُ الْأَسْرَارِ) من ألقاب كُتِبَ السِّرُّ .

(حُجَّةُ الْأُمَّةِ) من ألقاب قُضاة القُضاة وأكابر العلماء ، والحُجَّةُ في اللغة البُرْهان ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ والأُمَّةُ في أصل اللغة الجماعة ، والمرادُ هنا أُمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والمعنى أنه تَقُومُ به الحُجَّةُ لأهل الإسلام على غيرهم .

(حُجَّةُ الْأُمَّةِ) من ألقاب أكابر العلماء ، والأُمَّةُ جمع إمام ، وقد تقدّم أنه الذي يُقْتَدَى به .

(حُجَّةُ الْبَلْغَاءِ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وهو بِالْكَتَابِ أَمْسٌ .

(حُجَّةُ الْعَرَبِ) من ألقاب النُّحَاةِ واللُّغَوِيِّينَ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، كأنهم يَحْتَجُّونَ به لِلْعَرَبِ .

(حُجَّةُ الْمَذَاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء ، وربما قيل « حُجَّةُ الْمَذْهَبِ » إذا أُريدَ مَذْهَبُهُ خَاصَّةً ، وهو دون الأول .

(حُجَّةُ الْمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بِالْمُفْتِينَ مَنْ هُمْ أَهْلُ لِقَايِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .

(حِرْزُ الإمام) من ألقاب الوُزراءِ وَمَنْ في معنَاهُم من حَفَظَ الأموال . والحِرْزُ في اللغة الموضعُ الحَصِينُ ، والمراد بالإمام السلطانُ وَمَنْ في معناه .

(حُسَامُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كَتُوبُ السلطنة ونحوهم . والحُسَامُ من أسماء السَّيفِ ، سُمِّيَ بذلك أخذًا من الحِسم وهو القَطْعُ .

(حَسَنَةُ الأيام) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من الوُزراءِ والقُضاةِ وَمَنْ في معنَاهُم . والحَسَنَةُ خِلافُ السيئةِ ، والمراد أَنَّ الأيامَ أَحْسَنَتْ بالامتنانِ به . وقد ذكر القاضي «شهابُ الدين بنُ فضل الله» في بعض دساتيره أَنَّهُ يصلح لكل مَنْ له سَلَفٌ في الكِتابةِ ، وهو بعيد المآخذ .

(حَكَمُ المُلوكِ والسلاطين) من ألقاب قُضاةِ القُضاةِ ، والحَكَمُ بمعنى الحَاكِمِ .

حرف الخاء المعجمة

(خَادِمُ الحَرَمَيْنِ الشريفَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، والمراد حَرَمُ مكةَ المشرفةِ ، والمدينةِ النبويةِ الشريفةِ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام .

(خَالِصَةُ الدولة) من ألقاب الوزراء ، والخَالِصَةُ في اللغة بمعنى الخالصة . يقال هذا لي خَالِصَةٌ يعني خالصةً . ومنه قوله تعالى : «خَالِصَةٌ لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» وعليه [حمل] قوله تعالى : «وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي» .

(خالصةُ المُلوكِ والسلاطين) من ألقاب أرباب الأقلام . قال في "عُرف التعريف" : وهو في حَقِّ مَنْ لم يكن حاكمًا في مقام حَكَمِ المُلوكِ والسلاطين لمن هو حَاكِمٌ .

(خَالِصَةُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأقلام .

(خَالِصَةُ الْإِمَام) من ألقاب الصُّوفِيَّة ، وربما جعل من ألقاب العلماء أيضا ، والمراد بالإمام الخليفة أو السلطان .

(خَالِصَةُ سَلَفِ الْأَنْصَار) من الألقاب التي يُكْتَب بها لأبن الأحرر صاحب الأندلس : لأنه يذكّر أنه من ذرية « سعد بن عبادة » الأنصاري رضي الله عنه ، ويصلح لكل من وافقه في ذلك ، وكان الأحسن أن يقال خلاصة بدل خالصة ، لما تقدم من أن المراد بالخالصة الخاصة . والمراد بالأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الأوس والخزرج الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .
(خَطِيبُ الْخُطَبَاء) من ألقاب أكابر الخطباء ، وربما كُتِب به لقضاة القضاة ، إذا أُضيف له خطابة جليلة ، تخطابة جامع القلعة بالديار المصرية ، وخطابة الجامع الأموي بدمشق .

(خَلَفُ الْأَوْلِيَاء) من ألقاب أولاد الصالحين .

(خَلِيفَةُ الْأَئِمَّة) من ألقاب الشيعة ، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم . وبه يُكْتَب لإمام الزيدية باليمن .

(خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أولاد السلطان ، وربما كُتِب به لبعض الملوك ، والخليل بمعنى الصديق .

(خُلَاصَةُ الْخِلَافَةِ الْمُعْظَمَةِ) من ألقاب بعض الملوك ، والخلاصة الذي خلص من الثقل ونحوه . ويقال فيه خلاص أيضا بغير هاء .

(خُلَاصَةُ سَلَفِ الْقَوْم) من ألقاب الصُّوفِيَّة وأهل الصَّلاح ، والقوم يختص في اللغة بالرجال دون النساء قال تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ﴾ .

(خَيْرَةُ الْإِسْلَام) من ألقاب أهل الصَّلاح فيما ذكره في "عُرْف التعريف" :
ويُصْلَح لأهل العلم أيضا . والخَيْرَةُ الأسمُ من قولك آخَرْتُ فلانَ فلاناً ، والمراد أنَّ
الإسلامَ آخَرَهُ .

حرف الدال المهملة

(دَلِيلُ الْمُريدين إلى أوضح الطَّرَاق) من ألقاب مشايخ الصُّوفِيَّة ، والمراد بِالْمُريدين
طُلَّابُ الطَّرِيق إلى الله تعالى .

(دَاعِي الدُّعَاة بالبراهين الظاهرة إلى اسْتِعْلَام الحَقَائِق) من ألقاب العلماء .

حرف الذال المعجمة

(ذُنُرُ الْإِسْلَام والمسلمين) من ألقاب المُلُوك ، وبه يُكْتَب لصاحب تُوس
وملك التُّكرور . والذُّنُرُ في اللغة مصدر ذَنَرْت الشيءَ أَذْنَرُهُ بفتح الحاء إذا جعلته
ذخيرةً .

(ذُنُرُ الْأُمَّة) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كَتُّوب السلطنة ونحوهم .

(ذُنُرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد يقع في ألقاب الصُّلَحَاء
والعلماء .

(ذُنُرُ الْغَزَاة والمجاهدين) من ألقاب أرباب السيوف أيضا .

(ذُنُرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاء والعلماء ، والمراد طَالِبُو الْوَصُولِ إلى الحق
أو نحو ذلك .

(ذُنُرُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب المُلُوك ، وبه يُكْتَب لإمام الزيدية باليمن فيما ذكره

في "التعريف" .

(ذُنُر المِلَّة) من ألقاب أرباب السيوف، وقد تقدم معنى المِلَّة .

(ذُنُر المَمَالِك) من ألقاب بعض الملوك . وربما قيل ذُنُر المملكة .

(ذُنُر الموحِّدين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه ، وجعله في "عرف التعريف" خاصاً بالكافل دُونَ غيره .

(ذُنُر أمير المؤمنين) من ألقاب الملوك، وهو دُونَ خَلِيل أمير المؤمنين .

حرف الراء المهملة

(رَأْسُ البُلغَاء) من ألقاب أكابر كُتَّاب الإنشاء ككاتب السَّرِّ ومن يَجْرِي مجراه .

(رَأْسُ الصُّدُور) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام في الجملة من أهل العلم والكتاب ومن يَجْرِي مجراه . والمراد رأس صدور المجالس .

(رَأْسُ العُلِيَاء) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من العلماء والوزراء . ومن في معناهم ، ويصلح لكلِّ على القَدَر في الجملة ، وبه يُكْتَب إلى إمام الزَيْدِيَّة باليمن .
(رُحْلَةُ الحُقَاطِ) من ألقاب المُحدِّثين ، وقد تقدّم أن الرُّحْلَةَ بضم الراء مأرْحَلُ إليه ، والحُقَاطِ جمع حَافِظٍ ، والمراد حِفْظُ الحديث .

(رُحْلَةُ القاصِّدين) من ألقاب تجار أرباب الأقلام ، وهو بأهل الكرم والجود أخَصُّ ، والمراد مَنْ يُقَصِّد بالترحال إليه .

(رُحْلَةُ المُحَصِّلِينَ) من ألقاب العلماء ، والمراد مَنْ يُرْحَلُ إليه لتحصيل العلم بالأخذ عنه .

(رُحْلَةُ الوقت) من ألقاب العلماء والمراد من آنفرد في الوقت بالرحيل اليه لأخذ العلم عنه .

(رَضِيَ الدَّوْلَةُ) من ألقاب الكُتَّاب، والمراد من يُرْضِيهِ أعيانُ الدولة بالتقريب .
ثم الظاهر أنه بكسر الضاد بمعنى مَرْضَى عند أعيان أهل الدولة . ويجوز أن يكون
بفتح الضاد على جعله هو نفس الرضا تجوزا .

(رَضِيَ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأقلام . والكلام فيه كالللام
في الذي قبله .

(رُكُنُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف . وبه كان يُكْتَب
للنائب الكافل على ما هو مذكور في "التعريف" والركن واحد الأركان وهو معروف .
(ركن الأمة) من ألقاب الملوك، وبه يُكْتَب لملك التُّكُور .

(ركن الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوكة وما في معنى ذلك من أرباب
السيوف . ونقل في "التثقيف" أنه كُتِبَ به لبعض مشايخ التصوف ثم أنكره
وقال : الأولى أن يكون بَدَلَه (بركة الملوك والسلاطين) وما ذكره واضح . على أنه
في "عرف التعريف" قد أورده في ألقاب الصلحاء، وكأنهم راعوا في ذلك أنه
رُكُن لهم من حيث البركة والدعاء إلا أن الأول أظهر .

(رُكُن الأولياء) من ألقاب أهل الصلاح على أن المراد أولياء الله تعالى ويحذف
أن يكون من ألقاب أرباب السيوف وأرباب الأقلام أيضا على معنى أن المراد
أولياء الدولة .

(رئيس الكبراء) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقلام ومن في معناهم . وأهل
الشام يستعملونه في أكابر أرباب الأقلام من قضاة القضاة ونحوهم، وقد تقدم
المراد بالصاحب في الكلام على الألقاب المفردة .

حرف الزاى المعجمة

(زَعِيمُ الْجُنُودِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كالنائب الكافل ، والزَّعِيمُ الكَفِيل . والمراد هنا التَّكْفُلُ بالجنود والقيامُ بأمرها . ويجوز أن يكون بمعنى السيّد ، يُقال لسيّد القوم زَعِيمُهُمْ ، والأوّل أليقُّ بالمقام ، والجنُود جمع جُنْد وهم الأعوان على ما تقدّم .

(زَعِيمُ الْجِيُوشِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كُتُوب السلطنة ونحوهم ، والجيُوش جمع جيش وهو العسكر .

(زَعِيمُ الموحّدين) من ألقاب صاحب تُوسُّ على تخصيص الموحّدين ، والمراد بالموحّدين فيه أتباع المهديّ بن تومرْت الذين من بقاياهم ملوكُ تُوسُّ ، كان المهديُّ المذكور قد سماهم الموحّدين تعريضا بدّم من كان قبله ببلاد المغرب ممن يدعى التجسيم على ما سيأتى ذكره في الكلام على مكتبة صاحب تُوسُّ في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى . ويجوز أن يراد بالموحّدين هنا عامة أهل الإيمان ويكون المراد بالموحّدين جميع المؤمنين . ويصح وقوعُ هذا اللقب حينئذ على غير صاحب تُوسُّ من الملوك ونحوهم ، ولذلك يُكتَب به لملك التُّكرور على ما ذكره في "التعريف" .

(زَعِيمُ المؤمنين) من الألقاب التي يُكتَب بها لإمام الزيدية باين . ويصحُّ وقوعه على غيره من ملوك المسلمين أيضا كما في « زعيم الموحّدين » إذا جعل عامّا في حق كل موحد على ما تقدّم بيّنه .

(زَعِيمُ جُيُوشِ الموحّدين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، كُتّاب السلطنة بجلَب ، وبه يُكتَب لصاحب حصن كيفا فيما ذكره في "التعريف" .

(زَيْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام، والزَّيْنُ في اللغة تَقِيضُ الشَّيْنِ .

(زَيْنُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الأعلام، والأَعْيَانُ جمعُ عَيْنٍ، وقد تقدم الكلام عليه .

(زَيْنُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب الثَّجَارِ الْحَوَاجِكَةِ وَمَنْ في معانهم .

(زَيْنُ الْأَنَامِ) من ألقاب صِغَارِ أرباب السيوف، وربما كُتِبَ به لغيرهم .

(زَيْنُ الْأُئِمَّةِ) من ألقاب العلماء، وربما قيل «زين الأئمة العلماء» .

(زَيْنُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب الكُتَّابِ ونحوهم .

(زَيْنُ الْحُكَّامِ) من ألقاب القضاة .

(زَيْنُ الدُّوَابِّ الْمَهَامِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء، والدُّوَابِّ بالذال المعجمة جمعُ ذُوَابَةٍ بالهمز: وهي ما يُرْخَى من الشَّعْرِ . قال الجوهري: وكانت الأَصْلُ ذَاتِبِ [لأن الألف التي في ذُوَابَةٍ^(١) كالألف التي في رسالة حقها أن تُبَدَلَ منها همزة في الجمع، ولكنهم آسْتَقْلَوْا أن تقع أَلْفُ الجمع بين الهمزتين فأبدلوا من الأولى واوا . وإنما أَخْتَصَّ هذا اللقب بالشرفاء لأنهم من صميم عَرَبِ الْحِجَازِ، وعادة عرب الحجاز إِرْحَاءُ الرِّجَالِ الدُّوَابِّ .

(زَيْنُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصلاح .

(زَيْنُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصَّلَاحِ أيضا .

(زَيْنُ الْعِتْرَةِ الطَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . وقد تقدم معنى العِتْرَةِ .

(١) الزيادة عن الصحاح للجوهري .

(زَيْنُ الْكُتَّابِ) من ألقاب كُتَّاب الإنشاء وغيره .
 (زَيْنُ الْمَجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل « زَيْنُ الْأُمَرَاءِ الْمَجَاهِدِينَ » وربما كُتِبَ به لبعض صغار الملوك ، كصاحب دُنُقْلَةَ ونحوه .
 (زَيْنُ الْمُنْشِيِّينَ) رأيتُه في بعض الدساتير الشامية في ألقاب الكُتَّاب ونحوهم ، وهو صالح لكل حَدِيثٍ مَرَقَّ في العلوِّ .

حرف السين المهملة

(سِدَادُ الثُّغُورِ) من ألقاب الوزراء ، وهو بكسر السين وتخفيف الدال بعدها ، بمعنى أنه الذي تُسَدُّ به الثُّغُورُ ، أخذًا من سِدَادِ الْقَارُورَةِ وهو ما يُسَدُّ به قُبُورُهَا ، ومنه قول الشاعر :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ قَتَّى أَضَاعُوا * لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ نَغْرٍ

وَيُحْكِي أَنَّ الْمَامُونَ نَطَقَ بِمَثَلِ ذَلِكَ بفتح السين بمحضرة النضر بن شُمَيْلٍ فَوَدَّ عَلَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فكان النضر يفتخر بذلك ويقول : أَخَذْتُ بِإِفَادَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(سَفِيرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب الدُّوَادَارِ وكاتب السرِّ ، وقد تقدَّم معنى السَّفِيرِ .

(سَفِيرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب المذكورين .

(سَفِيرُ الْمَمْلَكَةِ) من ألقاب من تقدَّم ، وربما قيل « سَفِيرُ الْمَلِكَةِ » .

(سَفِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) كذلك .

(سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(سُلْطَانُ الْأَوَانِ) من الألقاب السلطانية الجليلة .

(سُلْطَانُ الْبَيْسِطَةِ) من الألقاب السلطانية، والبَيْسِطَةُ الأرض أخذًا من البَسْطَةِ وهي السَّعَةِ ومنه قيل : تَبَسَّطَ فلانٌ في البلاد إذا سار فيها طولًا وعَرْضًا .

(سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ) من الألقاب السلطانية أيضًا . وهو غير محذَر الوضع لأن الْعَجَمَ في اللغة يقع على مَنْ عدا العرب في الجملة ولا يختص بالْفُرسِ على ما هو المعروف بين العامة وهو مقصودهم هنا، فالتُّرْكُ من جملة الْعَجَمِ فكان يَكْنَى أن يقال سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وإنما حملهم على ذلك زيادة الإطراء والمدح .

(سَلِيلُ الْأَطْهَارِ) من ألقاب الثِّرَفَاءِ، والسَّلِيلُ الولدُ، والمراد بالأطهار المبرءون عن الأدناس .

(سَلِيلُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب أولاد الأكابر والرؤساء .

(سَلِيلُ الطَّيِّبِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام من ذوى الأصالة .

(سَلِيلُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب أولاد الملوك ومن مضى له سَلَفٌ في الملك .

(سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ) من ألقاب الأمراء مقدَّمي الألوْفِ، في الرتبة المتوسطة .

(سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كنبُواب السلطنة ونحوهم، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك عن الأبواب السلطانية .

(سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أصحاب الأقلام ككاتب السرِّ ونحوه .

(سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب القُضَاةِ .

(سَيِّدُ الْكِبَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام كمنظر الخِصَصِ ونحوه .

(سيد الوزراء في العالمين) من الألقاب الخاصة بالوزراء .
 (سيّدُ أمراء العالمين) من ألقاب التّوّاب المتوسّطين .
 (سيّفُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما كُتِبَ به
 لبعض الملوك .

(سيّفُ الحقِّ) من ألقاب العلماء وأهل النّظر .
 (سيّفُ الخِلافة) من الألقاب المملوكية ، وبه يُكْتَبُ للملك التّكْوَرُز .
 (سيّفُ المناظيرين) من ألقاب العلماء ، والمراد بالمُناظِرِينَ أهلُ البحثِ
 والجَدَل ، أخذًا من النّظر وهو الفِكر المؤدّي إلى الدّليل .
 (سيّفُ النّظر) بمعناه أيضا .

(سيّفُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كَتوّاب السلطنة ، وهو
 في الرّتبة المتوسطة .

(سيّفُ جماعة الشّاكرين) من الألقاب الخاصّة بصاحب تُوُس ، وهذا اللّقب
 رأيته واردا في "التّثقيف" ولم أعرف له معنًى ، وسألتُ «قاضي القضاة وليّ الدين
 آبن خلدون» هل يَعْرِفُ لذلك معنًى ؟ فقال : لا .

حرف الشين المعجمة

(شَرَفُ الأصفياء المقرّبين) من ألقاب كبار التّجّار الخوارجيّة .
 (شَرَفُ الدّول) من ألقاب بعض الملوك ، ويصلح لغير الملوك أيضا .
 (شَرَفُ الأمراء في العالمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل شَرَفُ
 الأمراء الأشراف في العالمين إذا كان شريفا ، أو شَرَفُ الأمراء العُربان في العالمين

إذا كان غير أميرِ عرب ، وربما قيل «شَرُفُ الأُمراءِ المُقدِّمين» إذا كان مُقدِّم ألف ، وقد يُقتَصَرُ على شَرَفِ الأُمراءِ فقط .

(شَرُفُ الرُّؤساءِ في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم كوزير الشام ونحوه ، وربما أقتصر على «شَرَفِ الرُّؤساء» ويكون من ألقاب التجَّار الخوارجية ونحوهم .

(شَرُفُ الصَّالحاءِ في العالمين) من ألقاب أهل الصَّلاح .

(شرف العلماء العالمين) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وربما قيل «شَرُفُ العلماء في العالمين» .

(شرفُ الكُتَّابِ في العالمين) من الألقاب الكتابية .

(شرف الملوك والسلطين) من الألقاب الملوكية .

(شَمْسُ الأفق) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، وهو بالعلماء أليق ، لأن بهم يحصل النور كما يحصل بالشمس . وهو ما يُتَخَيَّلُ انطباقُ السماء على الأرض بالنظر في كل ناحية فيه . وأصل الأفق الناحيةُ ومنه قيل للنواحي آفاقٌ ، وإنما خُصَّ الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورةً .

(شَمْسُ الشريعة) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالشريعة هنا شريعة الإسلام ، استعيرت الشمس لها لمشابتها لها في النور .

(شَمْسُ العَصْرِ) من ألقاب العلماء والصُّلحاء ونحوهم .

(شَمْسُ المذاهب) من ألقاب العلماء الأكابر ، والمذاهب جمع مذهب وهو ما يذهب إليه المحدث ، وأصله في اللغة لموضع الذهاب .

(شيخ المشايخ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح، وربما قيل «شيخ شيوخ الإسلام» .

(شيخ الملوك والسلطين) من ألقاب المُسنِّين من الملوك . وهذا اللقب رأيته في كتاب وقف عن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، بعث به نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين يوسف .

(شيخ شيوخ العارفين) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، ومرادهم بالعارفين العارِفون بالله تعالى .

حرف الصاد المهملة

(صالح الأولياء) من ألقاب إمام الزيدية باليمن، ويصالح لأهل الصلاح أيضا .

(صدر المدرسين) من ألقاب العلماء .

(صدر مصر والشام) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم، وإنما خُصَّ هذان القطران بالذكر لكثرة علمائهما، وربما قيل «صدر مصر والعراق والشام» وربما أقصر على صدر الشام فقط إذا كان برسم وظيفة في الشام ونحو ذلك .

(صفوة الدولة) من ألقاب من في معنى الوزراء كناظر الخاص ونحوه .

(صفوة الصلحاء) من ألقاب أهل الصلاح .

(صفوة الأتقياء) من ألقاب الصلحاء أيضا .

(١١)
(صفوة الملوك والسلطين) من ألقاب أرباب الأقاليم كناظر الشام ونحوه، وربما كتب به للتجار الخواجكية .

(صلاح الإسلام) من ألقاب الصوفية والعلماء .

(١) لعله كناظر الخاص أو ناظر الجيش .

(صلاح الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام، كالوزراء
ومن في معانهم .

(صَلَحُ الدُول) من ألقاب بعض الملوك، وبه يُكْتَب لصاحب تُوس .
ويصلح أيضا لأكابر أرباب الأقلام من الوزراء وغيرهم .
(صَلَحُ الْمِلَّة) من ألقاب العلماء والصلحاء .

حرف الضاد المعجمة

(ضياء الإسلام) من ألقاب العلماء والصلحاء، وير بما قيل «ضياء الإسلام والمسلمين»
والضياء خلاف الظلام . وهو مخصوص بما كان مُضيئاً لذاته، بخلاف النور فإنه يقع
على ما هو مكتسب النور، ولذلك قال تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾
نخَص الضياءَ بالشمس لأنَّ نورها لذاتها، والنور بالقمر لأنَّ نوره مكتسب من
الشمس، على ما هو مقرَّر في علم الهيئة .

(ضياء الأنام) من ألقاب من تقدَّم ذكره .

حرف الطاء المهملة

(طِرَازُ الْعِصَابَةِ الْعُلَوِيَّةِ) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين .
والطِّرازُ في أصل اللغة علم الثوب . قال الجوهري : وهو فارسى معرب، كأن
صاحب اللقب جعل علما لتلك الطائفة كما جعل الطِّراز علما للثوب .

حرف الظاء المعجمة

(ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ) من الألقاب السلطانية، والظل ما يحصل عن الشاخص
في ضوء الشمس، والمراد أن الخلق يستظلون بالسلطان من حرِّ الجور كما يستظلُّ

المستظِلُّ يظَلُّ الشجرة ونحوها من حرِّ الشمس . وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أصل الظلِّ السَّتر ومنه قولهم : أنا في ظِلِّك أى في سِتْرِكَ ، ثم أَسَمُ الظلَّ مخصوصاً بما قبل الزوال ؛ أما بعد الزوال فإنه يسمَّى فيئاً لأنه يَرْجِعُ من جهة الغرب إلى جهة الشرق أخذاً من قولهم فَأَإِذَا رَجِعَ .

(ظهيرُ الملوك والسلطين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوب السلاطنة .

(ظهيرُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف أيضاً، وربما كُتِبَ به لبعض

الملوك كصاحب الأندلس ونحوه .

(ظهير الإمامة) من ألقاب بعض الملوك، وبه يُكْتَبُ إلى صاحب التُّكُور .

حرف العين المهملة

(عاقِدُ البُنُود) من ألقاب النائب الكافِل ونحوه، والعاقِد فاعل من العَقَدَ تقيض

الحلِّ ، والبُنُود جمع بُنْد - بفتح الباء وإسكان النون - وهو العَلَم الكبير قال الجوهري - وهو فارسيٌّ معرب .

(عِزُّ الإسلام) من ألقاب بعض الملوك، وبه يُكْتَبُ إلى ملك التُّكُور .

(عِزُّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب الرُّتبة الوُسْطى من نُوب السلاطنة ومن

في معنَاهم، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(عُدَّة الدنيا والدين) من ألقاب الملوك، وبه يُكْتَبُ لصاحب نُوس .

والعُدَّة بالضم في اللغة ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسَّلاح ونحو ذلك وهو المراد هنا ، وربما أُطلق على نفس الاستعداد .

(عُدَّة الملوك والسلطين) من ألقاب أصاغِر أرباب السُّيُوف .

(عَضُدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب متوسّطي أرباب السيوف ، وقد تقدّم
أن أصل العَضُد لما بين الساعد والكُتِف .

(عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف من نواب السلطنة
وغيرهم . وربما كُتِبَ به إلى بعض الملوك كملك التُّكُور .

(عَلَمُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء والوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وقد تقدّم معنى
الْعَلَمِ ومعنى الدولة .

(عَلَمُ الزَّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلاح ، وقد تقدّم أن المراد بِالْعَلَمِ
الرَّايَةُ وبِالزَّهْدِ الإِقْلَاعُ عَنِ الدُّنْيَا .

(عَلَمُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب أكابر أهل العلم ، وربما قيل «عَلَمُ الْمُقْسِرِينَ»
أو «عَلَمُ النَّحَاةِ» ونحو ذلك .

(عَلَمُ الْهَدَاةِ) من ألقاب إمام الزَيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ ، وَيَصْلُحُ لِأَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ .
وَالْهَدَاةُ جَمْعُ هَادٍ وَهُوَ الْمُرْشِدُ .

(عَلَمُ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء والصالحاء ، وَيَصْلُحُ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ أَيْضًا .
(عِمَادُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القضاة ، وربما قيل «عِمَادُ الْحُكَّامِ الْبَارِعِينَ»
أو «عِمَادُ الْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك . وأصل العِمَادِ فِي اللُّغَةِ الْأَبْنِيَّةِ الرِّقْعَةُ وَاحِدُهَا
عِمَادَةٌ ، وَمِنْهُ قِيلَ فَلَنْ طَوِيلَ الْعِمَادِ كَأَنَّ بِنَاءَهُ بِالْأَرْتِفَاعِ صَارَ عَلَمًا لِزَائِرِيهِ .

(عِمَادُ الْعَرَبِ) من ألقاب أكابر أمراء العربان ، كَأَمِيرِ آلِ فَضْلِ وَنَحْوِهِ .

(عِمَادُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم .

(عِمَادُ الْمَلَّةِ) كذلك .

(عِمَادُ الْمَلَكَةِ) نحوه ، وهو دونه في الرتبة .

(عِمَادُ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب علماء الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبه يُكْتَبُ لِقُضَاةِ الْقُضَاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(عُمْدَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب صغار أرباب السيوف ، وهو دُونَ عُدَّةِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ وَالْعُمْدَةُ فِي اللُّغَةِ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

(عَوْنُ الْعَسَاكِرِ) من ألقاب نَازِرِ الْجَيْشِ وَنَحْوِهِ ، وَالْعَوْنُ فِي اللُّغَةِ الظَّهِيرُ وَالْمَعَاوُنُ .

(عَوْنُ جِيُوشِ الْمُوَحِّدِينَ) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ لِمَلِكِ التُّكُورِ ، وَيَصْلَحُ لِكَبَارِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَكَةِ أَيْضًا .

(عِلَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب العلماء والصلحاء ويصلح لأرباب السيوف أَيْضًا .

وَالْعِلَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ مُصْدَرُ عَلَا فِي الشَّرَفِ وَنَحْوِهِ يَعْلِي بِفَتْحِ اللَّامِ .^(١)

(عَيْنُ الْمَلَكَةِ) من ألقاب أرباب الأقلام ونحوهم .

(عَيْنُ الْأَعْيَانِ) نحوه .

حرف الغين المعجمة

(غُرَّةُ الزَّمَانِ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وَالْغُرَّةُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ فَوْقَ الدَّرْهِمِ ، شُبَّ بِالْغُرَّةِ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ لظهورها وتحسين الفرس بها .

(غَوْتُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه .
وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْغَوْتِ .

(١) قوله بفتح اللام أى فيها وهي لغة فى على يعلى من باب تعب أنظر المختار .

(غِيَاثُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر الملوك كصاحب الهند ونحوه . وقد تقدم معنى الغِيَاث .

(غِيَاثُ الْأُمَّةِ) نحوه .

حرف الفاء

(فَاتِحُ الْأَفْطَارِ) من الألقاب السلطانية، والفَاتِحُ فاعِلٌ من الفتح وهو معروف، والأَفْطَارُ جمع قُطْرٍ وهو الناحية والجانب، والمراد نواحي الممالك .

(فَارِسُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، ذكره ابن شيث من كُتُب الدولة الأيوبية في "معالم الكتابة" .

(نَخْرُ الْأَنَامِ) من ألقاب أرباب الأقاليم، ويجوز أن يكون من ألقاب أرباب السيوف أيضا .

(نَخْرُ الْأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرفتين، وأُسْرَةُ الرجل بضم الهمزة رهطه .

(نَخْرُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب التجّار الخَوَاجِكِيَّةِ، ويصلح لغيرهم من الرُؤَسَاءِ أيضا .
(نَخْرُ الرُؤَسَاءِ) من ألقاب التجّار الخَوَاجِكِيَّةِ .

(نَخْرُ السَّلَالَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، كأميرى مكة والمدينة المشرفتين، والسَّلَالَةُ الزَاهِرَةُ تقدم الكلام على معناها .

(نَخْرُ الصُّدُورِ) من ألقاب أرباب الأقاليم، وربما كُتِبَ به للتجّار الخَوَاجِكِيَّةِ .
(نَخْرُ الصِّلَمَاءِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصِّلَاح .

- (فَخَرَّ الْعُبَادُ) من ألقاب أهل الصَّلاح أيضا .
- (فَخَرَّ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .
- (فَخَرَّ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب أصحاب الحديث .
- (فَخَرَّ الْمُدَرِّسِينَ) من ألقاب العلماء، وبه يُكْتَبَ لِقُضَاة الْقُضَاة ونحوهم .
- (فَخَرَّ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء أيضا .
- (فَخَرَّ الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ) من ألقاب بعض الملوك .
- (فَخَرَّ الشَّجَرَةَ الزَّكِيَّةَ) من ألقاب الشرفاء، والمراد شَجَرَةُ نَسَبِهِم الشريف .
- (فَخَرَّ النَّسَبَ الْعَلَوِيَّ) من ألقاب الشرفاء أيضا، وبه يُكْتَبَ لِإِمَامِ الزَّيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ .
- (فَرَّدُ السَّالِكِينَ) من ألقاب أهل الصلاح .
- (فَرَّدُ الزَّمَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .
- (فَرَّدُ الْوُجُودِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح .
- (فَرَعُ الشَّجَرَةِ الزَّكِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء .

حرف القاف

(قَامِعُ الْبِدْعَةِ) من ألقاب أكابر العلماء، وربما قيل «قَامِعُ الْبِدْعِ» وقد يقال «قَامِعُ الْبِدْعِ وَمُخَفِّى أَهْلِهَا» والقامع فاعلٌ من قَمَعَهُ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْمَقْمَعَةِ : وهى مِخْجَنٌ من حديد يُضْرَبُ بِهِ عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ، وَالْبِدْعَةُ وَاحِدَةُ الْبِدْعِ : وهى خِلافُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ .

(قُدْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقاب أهل الصلاح .

(قُدْوَةُ الْبَارِعِينَ) من ألقاب أرباب الأقسام، وهو بالكُتَابِ أَلِيْق، والبارِعُ الماهر .

(قُدْوَةُ الْبُلَفَاءِ) من ألقاب أرباب الأقسام . وهو بَكُتَابِ الْإِنْشَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ أَخَصُّ .

(قُدْوَةُ الْخَلَفِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح، والْخَلَفُ فِي اللُّغَةِ الَّذِي يَمِيحُ بَعْدَ غَيْرِهِ وَيَقُومُ مَقَامَهُ؛ وَالْمُرَادُ خَلَفَ مَنْ سَلَفَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ أَوْ صَالِحِيهَا .

(قُدْوَةُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصلاح، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَّادِ» أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

(قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أهل العلم، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ» وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(قُدْوَةُ الْفِرَقِ) من ألقاب العلماء، والمراد فِرَقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ وَالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ، وَالْفِرَقُ جَمْعُ فِرْقَةٍ .

(قُدْوَةُ الْفُضَّلَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء، وَالْفُضَّلَاءُ جَمْعُ فَاضِلٍ وَهُوَ خِلَافُ النَّاقِصِ .

(قُدْوَةُ الْكُتَّابِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ كَالْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مَنْ كَاتَبَ السَّرَّ وَنَحْوَهُ .

(قُدْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ) من ألقاب كبار العلماء، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْأَلْقَابِ أَنَّ الْأَجْتَهِادَ عِبَارَةٌ عَنْ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ .

(قُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب أكابر العلماء، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى التَّحْقِيقِ .

(قُدوةُ المُسلِّكين) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلاح، والمراد بالمسلِّكين المعترفون الطريقَ إلى الله تعالى كما تقدّم بيانه .

(قُدوةُ المشتغلين) من ألقاب أهل العلم، والمرادُ الاشتغالُ بالعلم .

(قُدوةُ الموحِّدين) من الألقاب الخاصّة بصاحب تُوُسّ : لوقوع الموحِّدين في اصطلاحهم على أتباع المهديّ بن تومرْت؛ وصاحب تُوُسّ الآن من بقاياهم كما تقدّم .

(قَسيمُ أمير المؤمنين) من الألقاب السلطانية ، وهو فَعِيلٌ بمعنى فاعِلٍ فيكون معناه يُقاسِمُ أمير المؤمنين ، والمراد مقاسمته الأمر .

(قُطب الزهّاد) من ألقاب أهل الصلاح ؛ والقُطبُ تقدّم معناه .

(قُطب الأولياء) من ألقابهم أيضا ، والأولياءُ جمع وَلِيٍّ وهو خلاف العدو ، والمرادُ أولياء الله تعالى .

(قَوّام الأُمّة) من ألقاب الوزراء ومَن في معناهم ، والقَوّام بالكسر نظام الشيء وعمادُه ومِلاكه ، يقال فلانٌ قَوّامُ أهل بيته ، ومنه قَوّام الأمر بمعنى نظامه .

(قَوّام الجُهور) قال في "عرف التعريف" : هو من ألقاب الوزراء ؛ والجُهور من الناس جُلُهم ، أخذا من الجُهور وهي الرملة المجتمعة المُشرّفة على ماحوها .

(قَوّام الدّولة) من ألقاب الكُتّاب وهو بالكسر أيضا .

(قَوّام المصالح) من ألقاب أكابر الكُتّاب من الوزراء ومَن في معناهم ، وهو بالكسر أيضا ، والمصالح جمع مَصْلَحَة وهي خلاف المَفْسَدة .

(قَوّام الإسلام) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو بالكسر كالذي قبله .

حرف الكاف

(كَافِلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب بَكَارِ النُّوَابِ كُثَّابِ دِمَشْقَ ، وقد تقدّم معنى الكافل في الكلام على ألقابِ أربابِ الوظائف .

(كَافِلُ المَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ) من ألقاب النَّائِبِ الكافل : وهو النَّائِبُ بحضرة السلطان .

(كَافِي الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي معنَاهُمْ ، والكافي اسمُ فاعِلٍ من الكِفَايَةِ .

(كَثَرُ التَّقَى) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والكثرة في أصل اللغة المال المدفون ، استعير لصاحب اللَّقَبِ لأنه كالشيء المكنوز لذلك الباب .
(كَثَرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(كَثَرُ العُلَمَاءِ) من ألقاب أهل العلم وربما قيل « كَثَرُ المُفَسِّرِينَ » أو « كَثَرُ المَتَقَهِّينَ » ونحو ذلك .

(كَثَرُ المُسْلِكِينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصَّلاح .

(كَهْفُ الأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء ، والكهف المَلْجَأُ ، ومنه قولهم : فُلَانٌ كَهْفٌ . والأصل في الكهف البيتُ المَتَّقُورُ في الجبل ويجمع على كُهُوف ؛ وقد تقدّم الكلام على الأُسْرَةِ والزَاهِرَةِ .

(كَهْفُ الكُتَّابِ) من ألقاب أَكْبَرِ الكُتَّابِ كالوزير من أرباب الأقسام وكاتب السرِّ وَمَنْ فِي معنَاهُمْ .

- (كَوْفُ الْمَلَّةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كَتَوَابِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم .
 (كَوْكُبُ الْأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف كَأَمِيرِى مَكَّةَ والمدينة المشْرِقَتَيْنِ
 وَالْكَوْكُبُ واحد الكواكب وهو يَقَعُ عَلَى النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .
 (كَوْكُبُ الذَّرِّيَّةِ) من ألقاب الشرفاء أيضا، والمراد الذَّرِّيَّةُ الْعُلَوِيَّةُ .

حرف اللام

- (لِسَانُ الْحَقِيقَةِ) من ألقاب الصوفية ، واللَّسَانُ هنا جارحةُ الكلام ، والحقيقةُ
 خِلافُ الْمَجَازِ، وهى فى الْأَصْلِ عَيْنُ الْحَقِّ، والمراد هنا معرفةُ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ .
 (لِسَانُ الْحِفَاطِ) من ألقاب المحدثين والوَعَاظِ، والمراد المتكلمُ عنهم، يقال فلان
 لِسَانُ الْقَوْمِ إِذَا كَانَ مُتَكَلِّمًا عَنْهُمْ؛ وَيُحْزَنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ اللَّسَانَ الَّذِى هُوَ جَارِحَةُ
 الْكَلَامِ وَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ لِلْكَلامِ كَمَا أَنَّ اللَّسَانَ آلَةُ الْكَلَامِ لِلتَّكَلُّمِ؛ وَيُحْزَنُ أَنْ يَكُونَ
 مِنَ اللَّسَانِ بِمَعْنَى اللُّغَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾
 وَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُ الْمُرْتَجِمُ عَنْهُمْ وَالْمُتَكَلِّمُ بِلُغَاتِهِمُ الْمُخْتَلَفَةِ .

- (لِسَانُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب كاتب السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ، وَاللَّسَانُ فِيهِ يَحْتَمِلُ
 الْمَعْنَيْنِ .

- (لِسَانُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب كاتب السِّرِّ .

- (لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء ، وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُحْزَنُ أَنْ يَرَادَ بِهِمْ كُلُّ مُتَكَلِّمٍ
 فِي الْجُمْلَةِ تَعَمِيمًا لِلدَّحْ؛ وَيُحْزَنُ أَنْ يَرَادَ الْعُلَمَاءُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَهُوَ أَصُولُ الدِّينِ ،
 لِأَنَّ أَصْحَابَهُ هُمُ أَرْبَابُ النَّظَرِ الدَّقِيقِ وَالْبَحْثِ لِدَقَّةِ مُتَعَلِّقِهِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ .

(لِسَانُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب كُتَّاب السِّرِّ، والممالك جمع مملكة وهو موضع المُلْك، والمعنى أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك .
(لِسَانُ ملوك الأُمصارِ) من ألقاب كاتب السِّرِّ .

حرف الميم

(مَالِكُ زِمَامِ الْأَدَبِ) من ألقاب البُلغاء من الكُتَّاب ونحوهم، ويصلح لكاتب السِّرِّ ومَنْ في معناه .

(مانحُ الممالكِ والأقاليمِ والأُمصارِ) من الألقاب السلطانية، والمانحُ المُعْطى، والممالكُ تقدِّمُ بَيانَهُ، والأقاليمُ جمع إقليم، وله معنيان أحدهما واحدُ الأقاليمِ السبعة التي تُسمِّيها الحكماء، ممتدة في طول الأرض ما بين المغرب والمشرق . والثاني الواحد من الأقاليم العُرفيَّة : كمصر والشَّام والعِراق وما أشبه ذلك وقد مرَّ القولُ فيهما .

(متعمِّدُ المَصالحِ) من ألقاب الوزراء ومَنْ في معنَاهم، والمراد بالمتعمِّد المتقصد .

(مجدُ الإسلامِ) من ألقاب صغار أرباب السيوف .

(مجدُ الإسلامِ والمسلمين) من ألقاب متوسطيهم .

(مجدُ الأمراءِ) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف كأمرء العِشرين ونحوهم .

(مجدُ الرُّؤساءِ) من ألقاب التُّجَّار الخَوَاجِكِيَّةِ .

(مُجَلَّى الْغِيَاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء، والمُجَلَّى بالتشديد الكاشفُ، يقال :

جَلَا الأَمْرَ إذا أَوْضَحَهُ وَكَشَفَهُ، ومنه جَلَوْتُ السَّيْفَ ونحوه إذا كَشَفْتَهُ من الصَّدَأِ؛

وَالْغِيَاهِبُ جمع غَيْبٍ وهو الظُّلْمة الشديدة، يقال : فَرَسَ أَدْهَمُ غَيْبًا إذا أَشْتَدَّ

سَوَادُهُ .

(مَجْدُ الصُّدُورِ) من ألقاب التُّجَّارِ الخَوَاجِكَةِ .

(مُجَمِّلُ الْأَمْصَارِ) من ألقاب أكابر أربابِ الأقلامِ ، والمُجَمِّلُ فاعِلُ الجَمَالِ ،
والأَمْصَارُ جمعُ مَصِيرٍ وهو الإقليم .

(مُجْهِدٌ نَفْسَهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح [والمرادُ به]
المُعْمِلُ نَفْسَهُ لِلْغَايَةِ . يقال : أَجْهَدَ جَهْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْ أَيْلَغَ غَايَتَكَ ، والمراد
بِالْمَوْلَى هُنَا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(مُحْيِي السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

(مُحْيِي الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مُدَبِّرُ الْجُيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .

(مُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الوزراء ، وربما قيل «مُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ» والمُدَبِّرُ فاعِلُ
التدبيرِ ، وقد تقدّم معناه في الكلام على المُدَبِّرِيِّ فِي جُمْلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(مُدَبِّرُ أُمُورِ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب الوزراء وَكُتِّبَ السِّرُّ وَغَيْرُهُمْ .

(مُذَكِّرُ الْقُلُوبِ) من ألقاب الخطباءِ وَالْوُعَاظِ ، والمُذَكِّرُ فاعِلُ التذكير وهو الآخذ
بِالذِّكْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(مُذِلُّ الْبِدْعَةِ) من ألقاب علماء السنة ، والمُذِلُّ تَقْيِيزُ الْمُعِزِّ .

(مُذِلُّ حَزْبِ الشَّيْطَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والحِزْبُ الطائفةُ ،
وحزبُ الرجل أصحابُه .

(مُرَبِّي الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصلحاء .

- (مُرْتَبّ الجيوش) من ألقاب ناظر الجيش .
- (مُرْتَضَى الدولة) من ألقاب الكُتّاب، والمُرْتَضَى بمعنى المَرْضَى المقبول .
- (مُرْتَضَى الملوك والسلاطين) من ألقاب ارباب السيوف والأقلام جميعا .
- (مُسْتَحْدِمُ أربابِ الطُّبْلِ والعَلَمِ) من ألقاب النائب الكافل ونحوه .
- (مُشِيد الممالك) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معناهم، والمُشِيد فاعل التشييد وهو رَفَعَ البناء .
- (مُشِير الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معناهم، والمُشِير الذي يُشِير على غيره بالرأى .
- (مُشِير السلطنة) مثله .
- (مُشِير الملوك والسلاطين) مثله .
- (مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء، وهو بضم الميم وإسكان الظاء على أنه فاعِلٌ من الظُّهُورِ، والأنباء جمعُ نَبَأٍ وهو الخبرُ، والمراد أنه يُظْهِرُ أخبارَ الشريعة وَيُدَيِّعُهَا، ويجوز أن يكون بفتح الميم على أنه هو نفس المَظْهِر وهو أبلغ .
- (مُعِزُّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب النائب الكافل وَمَنْ في معناه .
- (مُعِزُّ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء، والسُّنَّةُ خلافُ الْبِدْعَةِ .
- (مُعِينُ الْحَقِّ وَنَاصِرُهُ) من ألقاب الحُكَّامِ من أرباب السيوف وغيرهم .
- (مُفَقِّهِ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب العلماء .
- (مُقِيدُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتّاب وغيرهم .

(مُفِيد الطالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيد المَنَاجِح) من ألقاب الوزراء ، والمَنَاجِح جمع مَنَجَح أخذنا من النَّجَاح وهو الظَّفَر بالحوائج .

(مُفِيد أهل مِصرَ والعِراق والشَّام) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَاحٍ) من ألقابهم أيضا .

(مُقَرَّبُ الحَضَرِيِّينَ) من ألقاب التُّجَّارِ الحَوَاجِكِيَّةِ إذا كان مترددا بين مملكتين .

(مُقَرَّبُ الدُّوَلِ) من ألقاب التُّجَّارِ الحَوَاجِكِيَّةِ ، وهو أعمُّ من الأوَّل .

(مَلَجَأُ الفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ) من ألقاب النَّائِبِ الكافِلِ ونائِبِ الشَّامِ على ما استقرَّ عليه الحال آنفا .

(مَلَجَأُ المُرِيدِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصِّلاح .

(مَلِكُ البَحْرَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ ببحرِ الرُّومِ وبحرِ القُلُومِ : لأنهما يتقاربان بين مِصرَ والشَّامِ على القُرْبِ من العَرِيشِ .

(مَلِكُ البُلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وغيرهم .

(مُمَلِّكُ المَمَالِكِ والتُّخُوتِ والتَّيجَانِ) من الألقاب السلطانية أيضا ، والمرادُ بالتُّخُوتِ هنا مُنْحُوتُ المُلْكِ ، يريد أنه مَمْلُوكُ المَمْلُوكِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ .

(مُمَهِّدُ الدُّوَلِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السلطنة ونحوهم ،

وربما كُتِبَ به لبعض الملوك أيضا ، وقد تقدَّم الكلام على التمهيد عند الكلام على المُمَهِّدِ فِي جَمَلَةِ الألقاب المفردة .

(مُنْبَه الخَوَاطِر) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، والمُنْبَه الموقظ ، والخَوَاطِر جمع خاطير .

(مُنْجِد المملوك والسلاطين) من ألقاب النائب الكافل ، وبه يُكْتَب لإمام الزيدية باليمن . والمُنْجِد المَعِين أَخْذًا من قولهم آسْتَجِدُنِي فَلَانٌ فَأُنْجِدُهُ أَيْ آسْتَعَانَ بِي فَأَعْتَهُ .

(مُنْشَى العلماء والمفتين) من ألقاب أكابر العلماء .

(مُنْصِف المظلومين من الظالمين) من الألقاب السلطانية .

(مَوْرِد الجود) من ألقاب الكرماء .

(مُوَصِّل السالكين) من ألقاب الصوفية والصلحاء .

(مُوَضِّح الطريقة) من ألقاب الصوفية والصلحاء أيضا ، وربما قيل «مُوَضِّح الطرائق» وقد تقدم أن المراد الطريقُ إلى الله تعالى .

(مُبُولِي الإحسان) من الألقاب السلطانية، والمراد بالمُبُولِي المُنِيل .

(مُؤَمِّن الأرض المحيطة) من الألقاب السلطانية أيضا، وكأنهم يريدون الأرض المحيطة لا تساعها، ويكون المراد أرض المملكة، وإلا فالأرض محوطة من حيث استدارة الماء عليها لا لمحيطه بغيرها .

(مَلَاذُ الطالبيين) من ألقاب العلماء والصلحاء، والمراد المَلَجَا .

(مَلَاذُ العباد) من ألقاب الصلحاء . وفيه نظر لأن العباد لا يلوذون إلا بالله تعالى ولا يَلْجَأُونَ إلا إليه .

(مَلَاذُ الكُتَّاب) من ألقاب أكابر الكُتَّاب، ككاتب السر ونحوه .

(مُؤَيِّدُ الْحَقِّ) من ألقاب أرباب السيوف وغيرهم ، والمُؤَيِّدُ الْمُقَوِّى أَخْذاً من الأَيْدِ وهو الْقُوَّة .

(مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ) من ألقاب العلماء .

(مُؤَيِّدُ أُمُورِ الدِّينِ) كذلك . وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن .

حرف النون

(نَاصِحُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ .

(نَاصِرُ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء .

(نَاصِرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كملك التُّرُكُورِ ونحوه .

(نَاصِرُ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء، والشريعةُ ما شرعه اللهُ تعالى من الدين . يقال شَرَعَ لهم شَرْعاً، وأصله من الشريعة التي هي مَوْرِدُ الْمَاءِ .

(نَاشِرُ لَوَاءِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية .

(نَجَلُ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب أولاد الملوك ، والمراد أنه وُلِدَ في السلطنة .

(نَجَلُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصَالَةِ ، والنجل النسل . يقال نَجَلَهُ أَبُوهُ إِذَا وَلَدَهُ .

(نَسِيبُ الْإِمَامِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرفين ، والنَّسِيبُ الْقَرِيبُ . يقال فلان نَسِيبُ فلان أى قَرِيبُهُ ، وذلك أن مَرْجِعَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَلَوِيِّينَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ .

(نَسِيبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) مثله .

(نَصْرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبُ السُلْطَانَةِ ونحوهم ، وهو عندهم [فَوْقَ] نَاصِرِ الْغَزَاةِ .

(نَصِيرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) كذلك ، وهو عندهم دُونَ الْأَوَّلِ وفَوْقَ الثَّانِي ، وفيه كلامٌ يَأْتِي ذِكْرُهُ .

(نِظَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف وَكُتَّابُ السِّرِّ ، وقد تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى النِّظَامِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(نِظَامُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَكُتَّابِ السِّرِّ ونحوهم .

(نِظَامُ الْمَنَاجِحِ) من ألقابهم أَيْضًا .

(نُورُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

حرف الهاء

(هُمَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف وقد تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ أَنَّ الْهُمَامَ بِمَعْنَى الشَّجَاعِ .

حرف الواو

(وَارِثُ الْمُلْكِ) من الألقاب السُّلْطَانِيَّةِ .

(وَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) من الألقاب الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا أَرْبَابُ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ : كَالْوُزَرَاءِ وَقُضَاةِ الْقَضَاةِ وَكُتَّابِ السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ خِلَافُ الْعَدُوِّ .

حرف اللام ألف

(لَا يُسُّ تَوْبِ الْفَخَّارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام .

(لَا فِتْ الْغَوَاةُ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ) من ألقاب الصلحاء والوعاظ، واللافِتْ

الصارف، يقال لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ إِذَا صَرَفَهُ، وَأَصْلُ اللَّفْتِ اللَّيْ، وَالْغَوَاةُ جَمْعُ غَاوٍ وَهُوَ الضَّالُّ، يُقَالُ غَوَى يَغْوِي غِيًّا إِذَا ضَلَّ فَهُوَ غَاوٍ .

حرف الياء

(يَمِينُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) قَالَ فِي "عَرَفِ التَّعْرِيفِ" : يَخْتَصُّ بِالذَّوَادَارِ

وَكَاتِبِ السَّرِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْيَمِينِ فِي الْأَلْقَابِ

المفردة، وَأَنَّ الْمُرَادَ يَمِينُ السُّلْطَانِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ بِهَا، وَإِلَّا فَمَجْلِسُ كَاتِبِ السَّرِّ عَنْ يَسَارِ

السُّلْطَانِ وَالذَّوَادَارُ وَقَفْتُ أَمَامَهُ .

(يَمِينُ الْمَمْلُوكَةِ) مثله .

(يَمِينُ الدَّوْلَةِ) كذلك .

الضرب الثاني

(من الألقاب المفردة المؤنثة ؛ ولأنها سببان)

السبب الأول

(الجمع)

بأن يجمع شيء من الألقاب المذكرة المفردة أو المربة، فننقل من التذكير إلى

التأنيث، فإنَّ الْجُمُوعَ كُلَّهَا مُؤَنَّثَةٌ عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ النُّحُو . وَيَتَأَنَّى ذَلِكَ

في المُطلقات، مثل أن يجمع في صدر المُطلق بين المقرّ الكريم والجناب الكريم والجناب العالى والمجلس العالى؛ ثم يُتبعها بالألقاب التى تليق بها مما يأتى ذكره، فيأتى بتلك الألقاب مجموعةً بلفظ التانيث مفردةً ومركبةً . مثل أن يكتب إلى المقر والجناب الكريمين، والجنابات العاليتين، والمجلس العالى الأُميرى، الكبيرى، العالمية العادلة، المؤيدية، الرعية، العونية، الغياية، المناغرية، المرابطية، المهدية، المشيدية، الظهيرية، الكافلية، الفلانية، إعزاز الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء فى العالمين، أنصار الغزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدّمى العساكر، مُمهدى الدول، مشيدى الممالك، عمادات الملّة، أعوان الأُمّة، ظهيرى الملوك والسلاطين، سُيوف أمير المؤمنين، ونحو ذلك .

وأعلم أن هذه الألقاب كلّها من جملة الألقاب المفردة والمركبة المتقدم ذكرها، فيستغنى عن بيان مُشكلها وتعريف أحوالها هنا آكتفاءً بما تقدّم، إلا أن من الألقاب المجموعة ما يقوم لفظ الأفراد مقامه بأن يكون اللقب اسم جنس، مثل عَصُد ونحو ذلك مما لا يجوز جمعه لأنه يُقصد به الجنس . فيجوز للكتاب حينئذ أن يأتى بذلك بلفظ الجمع ولفظ الأفراد الذى معناه الجمع . وقد أشار إلى ذلك القاضى شهابُ الدين بن فضل الله فى "التعريف" فى الكلام على المطلقات . فقال عند ذكره أعضاد الملوك والسلطين : ويجوز فيه أعضاد الملوك وعَصُد الملوك، إطلاقاً للأفراد على الجمع .

السبب الثاني

(تأنيث اللقب الأصل الذي نتفرع عليه الألقاب الفروع . وله حالتان)

الحالة الأولى -- أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة وَالْيَدِ
والبَاسِطَة . فتأني الألقاب المتفرعة عليها مؤنثة بناء على أن الصفة تتبع الموصوف
في تذكيره وتأنيثه ، على ما هو مقرّر في علم النحو . أما نعوت الحَضْرَة فمثل أن
يقال : « الحَضْرَة الشريفة ، العلية ، السنية ، العالمية ، العالمية ، العادلة ، الأوحديّة ،
المؤيديّة ، المجاهديّة ، المرابطة ، المتأغريّة ، المظفرية ، المنصورية ، وما أشبه ذلك »
وأما نعوت الباسطة فمثل أن يقال : « الباسطة الشريفة ، العلية ، المولوية ،
الأميرية ، الكبرى ، العالمية ، العادلة ، المؤيديّة ، المحسنيّة ، السيديّة ، المالكيّة ،
الفلانية » وفي معناها نعوت اليد . وألقاب هذه الحالة كلّها في معنى ما تقدّم من
الألقاب المذكورة لا تختلف الحال فيها إلا في التذكير والتأنيث ، وأنه ليس فيها ألقاب
مركبة ، فيستغنى بما تقدّم عن ذكر معانيها وأحوالها أيضا .

الحالة الثانية -- أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق ، كالْدارِ وَالسّارة
والْجَهّة إذا كُنّي بها عن المرأة في الكتابة إليها مثل أن يقال : « الدارُ الكريمة »
و « السّارة الرفيعة » و « الجَهّة المصونة » ونحو ذلك ، فتتبعها الألقاب المنزعة
عليها أيضا في التأنيث إلا أنّ لها معاني تخصها . وهي على ضربين : مفردة ومركبة
كما تقدّم في المذكورة ، وإن لم تبلغ شأوها في الكثرة . فأما المفردة فكالشريفة ،
والكبرى ، والعلية ، والمعظمة ، والمكرمة ، والحجبة ، والمصونة ، والحاتونية ،
والخوند . وربما قيل الوالدية إذا كانت والدّة حقيقة أو في مقامها ، والولدية إذا كانت
بنات حقيقة أو قائمة مقامها ، والحاجية إذا كانت حاجّة ونحو ذلك .

ثم الألقاب المفردة تارة تكون مجردة عن ياء النسب، كالألقاب المتقدم ذكرها؛ وقد تلحقها ياء النسب للبالغة في التعظيم فيما تدخل فيه ياء النسب في المذكر، مثل أن يقال: المعظمية والمكرمية، والمحجبة، وما أشبه ذلك. وهذه الألقاب أكثرها منقول عن المذكر، فيستغنى عن ذكر معانيها وأحوالها؛ وفيها ألقاب لم يتقدم ذكر مثلها في المذكر كالمحجبة، وهو مأخوذ من الحجاب كأنها محجوبة عن أن يراها الناس؛ ومنها المصونة وهو مأخوذ من الصيانة، وهي جعل الشيء في الصون وقاية له عن مثل النظر والمس ونحو ذلك؛ ومنها الخاتون، وهو لفظ تركي معناه السيدة؛ ومنها الخوند، وهي لفظة عجمية بمعنى السيادة أيضا.

وأما المركبة فمثل جلال النساء، وسيدة الخواتين في العالمين، وشرف الخواتين، وجميلة المحجبات، وجميلة المصونات، وقرينة الملوك والسلاطين، وسليمة الملوك والسلاطين، إذا كانت بنتا لسلطان أو في معناها، وكريمة الملوك والسلاطين إذا كانت أخت سلطان. ومعاني هذه الألقاب ظاهرة معلومة.

الصنف الثاني^(١)

(من الألقاب المفردة على الأصول ألقاب من يكتب إليه

من أهل الكفر، مما أصطلح عليها لمكاتباتهم)

وأعلم أنه لم يكن ملك من ملوك الكفر ممن يكتب له عن الأبواب السلطانية غير النصاري؛ لأنه لم يكن لغيرهم من أهل الملل بالقرب من هذه المملكة مملكة نائمة، بل اليهود ليس لهم مملكة قائمة في قطر من الأقطار بعد غلبة الإسلام، إنما يؤدون الجزية حيث حلوا، إذ يقول تعالى في حقهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أُنْمَاقُهَا يُمَقُّوْنَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

(١) لعل الصواب "النوع الثاني" وبالجملة فالترجم كثيرا ما يقع فيها السهو إما من الناسخ أو المؤلف فتنبه.

ثم مَنْ يَلَقَّبُ من أهل الكفر في المكاتبات إن كان من متديتتهم كالساي والبَطْرَك، ناسبه من الألقاب ما فيه معنى التَنَسُّك والتعبُد؛ وإن كان من الملوك ناسبه ما فيه معنى الشَّجاعة والرَّياسة والقيام بأمر دينه وتحمُّله أعباء رعيته وما في معنى ذلك . فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هِرَقْلَ : ” مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ “ وفي كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى كِسْرَى : ” مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ “ وأنه كتب إلى الْمُقَوْقِسَ : ” مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ “ فعبر عن كلٍّ من الملوك الثلاثة بعظيم قومه لمناسبة ذلك لهم .

وبالجملة فالألقاب التي تُكْتَبُ إليهم على ضربين :

الضرب الأول

(الألقاب المدَّكَّرة ، وهي تَمَطَّان)

النمط الأول

(المفردة)

وأكثر ما تُبْنَى على صفات الشَّجاعة وما في معناها . وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا ، مَقْفَّاة عليها .

حرف الألف

(الأسد) من الألقاب التي أُصْطُلِحَ عليها بمعنى الشَّجاعة ، وهو في الأصل للحيوان المفترس ، ثم أُسْتُعْمِلَ في الرَّجُلِ الشَّجاع مجازاً لعلاقة ما بينهما من الشَّجاعة .

(الأصيل) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم أيضا، وقد تقدم في الكلام على الألقاب الإسلامية نقلا عن "عرف التعريف" أنه يختص بكل من له ثلاثة آباء في الرئاسة، وحينئذ فيكون هنا مختصا بمن له ثلاثة آباء في الملك، على أنهم الآن لا يققون مع ذلك بل يرأعون من له أدنى نسب .

(الأنجالوس) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي لفظة يونانية معناها الملك واحد الملائكة ، وإنما كتبت إليهم بذلك مضاهاة لاكتب الواردة عنهم ، ولعل الكاتب لم يعلم معنى ذلك ، وكذلك غيرها من الألفاظ التي في معناها .

حرف الباء

(البالوغيس) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي لفظة يونانية أصلها البالي لوغيس ، ومعناها «الكلمة القديمة» .

حرف الجيم

(الجليل) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، ومعنى الجليل في اللغة العظيم ، لكن قد استعمل في ألقابهم في المكاتبات لملوكهم . فيقال «الملك الجليل» والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكفر ، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة . وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم ، لاسميا وهو أسم من أسمائه تعالى .

حرف الخاء المعجمة

(الخالشع) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينينهم : كالباپ والبطرك . وقد تقدم في الألقاب الإسلامية أنه يكون من ألقاب الصالحاء والصوفية ، وأن معنى الخالشع المتدلل .

(الخطير) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، والخطير في اللغة الكبير الجليلُ القدر ، ومنه قولهم : أمرُّ له خطرُ أي مقدار كبير .

حرف الدال المهملة

(الدوقس) بضم الدال وكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم . وقد يقال (الضوقس) بالضاد بدل الدال ، وهي لفظة يونانية أصلها دقستين ، ومعناها المشكور .

حرف الراء المهملة

(الروحاني) من الألقاب التي أصطلح عليها للتدئين منهم ، وهو بضم الراء نسبة إلى الروح التي بها مناط الحياة للمخلوقين ، ومنه نُسب إلى الملائكة والجن روحاني ، وبالفتح نسبة إلى الروح بمعنى الرائحة ، والمعنى الأول أقرب إلى مراد الكتاب .

حرف السين

(السَّمِيدَع) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم . قال الجوهرى : وهو بضم السين وقال في "كفاية المتحفظ" بفتحها ، ومعناه السيد ، وكان المراد سيد قومه وزعيمهم .

حرف الضاد المعجمة

(الضرغام) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، وهو من أسماء الأسد ، لُقّب به ملوكهم لما فيه من معنى الشجاعة .

حرف الغين المعجمة

(الغَضَنَفَرُ) بفتح الغين والضاد المعجمتين وسكون النون وفتح الفاء من أسماء الأسد، أَصْطَلَحَ الكُتَّابُ عَلَى تَلْقِيهِمْ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشَّجَاعَةِ كَالْأَسَدِ وَالضَّرْغَامِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الرَّجُلِ الْغَلِيظِ كَمَا حَكَاهُ الْجَوْهَرِيُّ . وَلَا بَأْسَ بِاسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَهَا كَامِلٌ بَارِلُهُ فِي الْمَكَاتِبَاتِ إِلَى الْكُفَّارِ .^(١)

حرف القاف

(الْقَدِّيسُ) بكسر القاف من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُتَدَيِّتِهِمْ مِنَ الْبَابِ وَالْبَطْرِيرِكُ وَنَحْوَهُمَا، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّقْدِيسِ وَهُوَ التَّزْيِينُ .

حرف الكاف

(الْكِرَّارُ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ، وَالْكَتَّرَارُ صِغَةُ مِبَالِغَةٍ مِنَ الْكَثَرِ خِلَافِ الْفَرِّ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَرْجِعُ فِي الْحَارَبَةِ عَلَى قِرْنِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ وَلَا يَنْهَزِمُ عَنْهُ .

(الْكَمِينِيوسُ) ^(٢) مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ، وَهُوَ لَفْظٌ رُومِيٌّ مَعْنَاهُ
.....

حرف الميم

(الْمَتَبَتِّلُ) مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُتَدَيِّتِهِمْ، وَمَعْنَاهُ الْمُنْقَطِعُ عَنِ الدُّنْيَا .

(الْمُتَخَّخْتُ) . بفتح الخاء المعجمة المشددة من الألقاب التي اصطلاح عليها لمُلُوكِهِمْ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ مَنْ يَجْلِسُ مِثْلَهُ عَلَى تَحْتَ الْمَلِكِ لِاسْتِحْقَاقِهِ لَهُ .

(الْمُتَوَّجُ) بفتح الواو المشددة من الألقاب التي اصطلاح عليها لمُلُوكِهِمْ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ مَنْ يَلْبَسُ التَّاجَ لِاسْتِحْقَاقِهِ لَهُ .

(١) كذا في الأصول بالاهمال مع اشارة التوقف والمراد الألفاظ التي تحتل التعظيم وغيره .

(٢) بيض له في الأصول وأورده في الضوء ولم يفسره .

(الْمُحْتَشِم) من الألقاب التي أصطلح عليها لتُجار الروم والفرنج ، والمراد بالاحتشم هنا الرئيس الذي له حشم وهم خولُه وخَدَمُه . وأصل الحِشْمَة في اللغة الغَضَب ، وسمى خَوْلُ الرجل وخَدَمُه حَشِماً لأنهم يَفْضَبُونَ له ؛ وبعضهم يُطلق المحتشم على المستَحْيِي وعليه عُرِفَ العامة وهو المراد هنا ، وأنكره ابن قتيبة وغيره حتى قال النحاس إنه لا يُعرَفُ أَحْتَشَمٌ إلا بمعنى غَضِبَ وإن كان الجوهرى قد حكاه .

(الْمُعَزَّز) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكةم [وهو أسم مفعول من العز خلاف الذل .

(المجد) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكةم^(١) وهو مُفَعَّل من المجد . وقد تقدّم الكلام عليه في الألقاب الإسلامية .

حرف الهاء

(الهام) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكةم ، وقد تقدّم في الألقاب الإسلامية ان معناه الشجاع .

الخط الثاني

(من الألقاب التي يُكْتَبُ بها ملوك الكفر الألقاب المركبة)
وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا .

حرف الألف

(آخر ملوك اليونان) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكةم ، وهي تصلح لكل ملك ينتسب إلى اليونان أو قام مقامهم في الملك . واليونان أمةٌ معروفة مشهورة ، وكانت مملكتهم أولاً في الجانب الشرق من الخليج القُسْطَنْطِينِي المعروف الآن ببلاد

(١) الزيادة يقتضيا الكلام كما لا يخفى على المتأمل .

الروم ثم ملكوا بعدها العراق، والترك، والهند، وبلاد أرمينية، والشام، ومصر، والإسكندرية. ومنهم أكثر الحكماء والفلاسفة. وكانت دولتهم من أعظم الدول؛ واختلف في نسبهم: فنقل ابن سعيد عن البيهقي وغيره من المحققين أنهم من ولد أفريقش بن يونان، بن علجان، بن يافث، بن نوح عليه السلام. والمنقول عن التوراة أن يونان هو ابن يافث لصلبه، وأسمه فيها ياقان بقاء تقرب في اللفظ من الواو فعزبت يونان. وخالف كثير من المؤرخين فنسبوا يونان إلى عابر بن فالغ، بفعله أخا لقحطان جد العرب العاربة، وأنه خرج من اليمن مغاضبا لأخيه قحطان فنزل ما بين الأفرنجية والروم واختلط نسبه بنسبهم. وقيل: بل اليونان من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام.

(أسوة الملوك والسلاطين) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، والإسوة بكسر الهمزة وضمها بمعنى القدوة ومنه قولهم: لي في فلان إسوة يعني قدوة، وكأنهم جعلوه إسوة الملوك الكفريقتدون به وإلا فلا يجوز إطلاق ذلك على الملوك من حيث هم لدخول ملوك الإسلام فيهم.

(العاذل في ملته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وقد تقدم معنى العادل والملة في الكلام على الألقاب الإسلامية.

(العاذل في مملكته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وقد تقدم معنى العادل، والمملكة في الأصل موضع الملك ثم أطلقت على الرعية مجازا.

(الريد أرغون) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم ممن يملك البلاد المعروفة بأرغون، وقد ذكر في "الروض المعطار" بلاد أرغون، وقال: هو آسم بلاد غرسية بن شانجة، تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، ولم يذكر في أي حيز هي

ولا في أى قُطر . وقد رأيت هذا اللقب في ” التعريف “ : للقرن الشهابي بن فضل الله في ألقاب صاحب القسطنطينية وفي ” التثقيف “ لابن ناظر الجليش ، في ألقاب الأدفونش صاحب طليطلة من الأندلس ، ويحتاج إلى تحقيق من يملك هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه . والرّيد في لغتهم بمعنى الملك كما تقدّم في الكلام على ريد أفرنس في ألقاب الملوك .

(المُنْصِف لرعيته) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، والرعية من يسوسه الملك ، سُموا بذلك تشبيها لهم بالغنم وله بالراعي .

(أُوْحَدُ الْمُلُوكِ الْعِيسَوِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، ويصلح للملكانية واليعقوبية جميعا : لأنه لم يقيد بمذهب من مذاهب النصاري .

(أُوْحَدُ مَلُوكِ الْيَعْقُوبِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوك الحبشة : لأن ملكها من طائفة اليعقوبية .

حرف الباء

(بَطْلُ النِّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، وهو صالح لكل واحد منهم ؛ ومعنى البطل في اللغة الشجاع ، سُمي بذلك لأنه يُبطل حركة قرنه .

(بَقِيَّةُ أَبْنَاءِ التُّخُوتِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، وهي تصلح لكلّ منهم أيضا من الملكانية واليعاقبة جميعا .

(بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ الْأَغْرِيْقِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها بعض الملوك من بقايا طائفة الأغريقية من اليونان ، وهم طائفة من اليونان تنسب إلى أغريقش بن يونان المقدم ذكره ، وهم اليونان الأول . وقد ذكره في ” التعريف “ في ألقاب ملك الكرج ، ولعله أطلع على أنه من بقايا هذه الطائفة ، وهو مما يحتاج إلى تحرير .

(بَقِيَّةُ سَلَفٍ قَيْصَرٍ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لبعض ملوكهم من
 أَنْتَسَبَ إِلَى الْقِيَاصِرَةِ ملوك الروم أو قام مقامهم . وَقَيْصَرُ اسْمٌ قَدِيمٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ
 الروم ، وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية جَاشَرِيْجِيمَ وشين معجمة فُعِرَّتْ قَيْصَرُ ،
 ولها عندهم معنيان : أحدهما الشيء المشقوق عنه ، والثاني الشَّعَر . وأختلف
 في أَوَّلِ مَنْ لُقِّبَ بِذَلِكَ منهم فقيل : أَغَانِيُوشُ قَيْصَرُ ، أَوَّلُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ من
 ملوك الروم : ماتت أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ بَطْنُهَا وَأَخْرَجَ فَسَمَّى بِذَلِكَ لما فيه من الشق
 عليه ، وقيل يوليوش قَيْصَرُ ، وهو الذي ملك بعد أَغَانِيُوشِ المَقْدَمِ ذكره ، وقيل
 أَغَشْطُشُ قَيْصَرُ وهو الذي وُلِدَ الْمَسِيحُ عليه السلام في زمانه ، فقد قيل إنه الذي
 ماتت أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ جَوْفُهَا وَأَخْرَجَ فَسَمَّى بِذَلِكَ ، وقيل لأنه وُلِدَ لَهُ شَعْرَتَانِ
 فَسَمَّى قَيْصَرَ لَوْجُودِ الشَّعْرِ فِيهِ حِينَئِذٍ .

حرف الجيم

(جَامِعُ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ) من الألقاب التي تَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ [مَمْلَكَةٍ] مُتَّسِعَةٍ
 عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كصاحب القُسْطَنْطِينِيَّةِ ونحوه .

حرف الحاء المهملة

(حَافِظُ الْبِلَادِ الْجَنُوبِيَّةِ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لِمَلِكِ الْحَبَشَةِ من
 النصارى . على أَنَّهُ يَصْلُحُ لغيره من ملوك السُّودَانِ أَيضاً مَنْ أَخَذَ فِي الْجَنُوبِ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ .

(حَامِلُ رَايَةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لِمُلُوكِهِمْ ، وهى تَصْلُحُ
 لِكُلِّ مَلِكٍ كَبِيرٍ مِنْ مُلُوكِ النَّصَارَى ، والمراد بِالْمَسِيحِيَّةِ الْمِلَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، فُخِذَ

الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، يريدون ملة المسيح وهو عيسى عليه السلام .
وأختلف في [سبب] تسميته بالمسيح : فقليل لأنه كان ممسوح القدمين بمعنى أنه لا يمسح
له . وقيل لأنه مسح الأرض بالسياحة ، وقيل غير ذلك . أما تسمية الدجال بالمسيح
فلأنه ممسوح العين لأنه أعور . وقيل لأنه يمسح الأرض بالسيف فيها .

(حامي البحار والخُلجان) من الألقاب التي تصلح لكل من مملكته منهم على
البحر ، والبحار جمع بحر ، وأصله في اللغة الشَّق ، ومنه سميت البحيرة المذكورة
في القرآن : وهي الناقة التي تُشَقُّ أذنُّها فتُرسل فلا تُعَارِضُ ؛ والخُلجان جمع خَلِيج
وهو الجدول الصغير ، والمراد ما يتشعب من البحر تخليج القسطنطينية وجون
البنادقة ونحوهما .

(حامي حماة بني الأصفر) من الألقاب التي تصلح لملوك الروم والفرنج بالممالك
العظام : كصاحب القسطنطينية وغيره ، والمراد ببني الأصفر الروم فإنهم من ولد
صوفر بن العيص ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليه السلام ، والمؤرخون يعبرون عن
صوفر بالأصفر . وإنما خصه بحماية الحماة تفخيلا له فإنه إذا حمى الحماة كان بحماية
غيرهم أجدر .

حرف الخاء المعجمة

(خالصة الأصدقاء) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد بالخالصة
هنا من ليس في صداقته شائبة .

(خلاصة ملوك السريان) من الألقاب التي تصلح لكل من ينسب إلى بقايا
السريانيين من الملوك . والسريان أقدم الأمم في الخليقة ، وكانوا يدينون بدين
الصائبة ، ويتنسبون إلى صابئ بن إدريس عليه السلام . قال ابن حزم : ودينهم

أقدم الأديان على وجه الأرض، ومدار مذاهبهم على تعظيم الرُوحانيّات والكواكب، وكانت منازلهم أرض بابل من العراق . قال المسعودي : وهم أول ملوك الأرض بعد الطوفان .

حرف الذال المعجمة

(ذُئِرْ ملوك البحار والخلج) من الألقاب التي تصلح لكل ملك منهم على ساحل البحر، وقد تقدّم معنى الذُئِر والبخار، والخلج هي الخُلجان؛ وقد تقدّم معناها .

(ذُئِر الأمة النصرانية) من الألقاب التي تصلح لجميع ملوك النصرانية من الملكانيّة واليعاقبة، وقد تقدّم معنى الذُئِر والأمة في الكلام على الألقاب الإسلامية .

حرف الراء المهملة

(رَضِيَ الباب باباً رُومِيّة) يجوز أن يكون بفتح الراء وكسر الضاد بمعنى مَرْضَى الباب، ويجوز أن يكون بكسر الراء وفتح الضاد بمعنى أنه يُجْعَل نفس رضا الباب وهو أبلغ . وهو من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم؛ وقد تقدّم في الألقاب الأصول معنى البابا، ورُومِيّة اسم لرُومِيّة التي بها الباب مقيم، إضافة إليها لإقامته بها، وقد مرّ القول عليها في الكلام على المسالك وأمالك في المقالة الثانية، وتأتى الإشارة إليها في الكلام على مكتبة الباب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(رُكُنُ الأمة العيسويّة) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم كملك الحبشة ونحوه، ويصلح للملكانيّة واليعاقبة جميعاً .

حرف الشين المعجمة

(شَيْبُهُ مَرِيحًا مَعْمَدَانِ) من الألقاب التي تصلح لجار ملوكهم، ومَرِيحًا بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وبعدها حاء مهملة ونون . ومعنى 'مَر' السيد ، وَيَحَنَّا بلغتهم يحيي' ، والمراد شَيْبُهُ السيد يحيي' ، والمَعْمَدَانُ بيمين مفتوحتين بينهما عين مهملة صفة عندهم ليحيي' فهم يزعمون أن مريم عليها السلام خرجت بعيسى عليه السلام من الشام إلى مصر وعادت به إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فتلقاه يحيي' عليه السلام وهو ابن خالته ، فغمسه في نهر الأردن ، وهو عندهم أصل ماء المعمودية الذي لا يصح عندهم تنصّر نصراني إلا به فأطلقوا على يحيي' عليه السلام المَعْمَدَانِ لمغنى ذلك ، وكأنه شَبَّه به من حيث إنه أصل المعمودية بزعمهم .

حرف الصاد المهملة

(صَدِيقُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد أن فيه صداقةً وودًا لملوك الإسلام وسلاطينهم .

حرف الضاد المعجمة

(ضَابِطُ الْمَمَالِكِ الرُّومِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية ، وهو نظير حافظ البلاد الجنوبية لملك الحبشة .

حرف الظاء المعجمة

(ظَهِيرُ الْبَابِ بَابًا رُومِيَّةً) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وقد تقدم معنى 'الباب والبابا' .

حرف العين المهملة

(عِزُّ الْمَلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم .

(عِمَادُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم، والعماد في اللغة الأبنية الرفيعة، يذكَرُ وَيُؤَنَّثُ . وقد مرَّ بيانُ معنى المعمودية في حرف الشين .

حرف الفاء

(فَارِسُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يصلح لمن يكون مجاورا للبر والبحر من الملوك كأصحاب الجزائر، وقد يصلح لغيرهم أيضا .

(فَخْرُ الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وتصلح للإلحائية واليعاقبة منهم .

حرف الميم

(مُتَبِعُ الْخَوَارِيِّينَ وَالْأَخْبَارِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْبَطَارِكَةِ الْقِدِّيسِينَ) من ألقاب عظماء ملوكهم ، والمراد بالخواريين أصحاب عيسى عليه السلام الذين بعثهم إلى أقطار الأرض للبشارة به وللدعاية إلى الله تعالى ، وعنه أخبر تعالى بقوله : ﴿ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وهم اثنا عشر نفسا أسماؤهم يُونَانِيَّةٌ .

أحدهم — بَطْرُس ، ويقال له سَمْعُون الصِّفَا ، وهو الذي بَشَّرَ بِالْقُدُسِ وَأَنْطَاكِيَّةَ وَمَا حَوْلَهَا .

والثاني — أُنْدَرَاوَس . وهو الذي بَشَّرَ بِلَادَ الْحَبَشَةِ وَالسُّودَانِ .

(١)

والثالث — يَعْقُوبُ بْنُ زِيْرِي . وهو الذي بَشَّرَ بِمَدِينَةِ

- والرابع — يُوَحَّنَا الْإِنْجِيلِيَّ . وهو الذى بَشَّرَ ببلاد أفسُس وما معها .
والخامس — فِيلِبِس . ولم أقف على موضع بشارته .
والسادس — بَرْتُولُومَا . وهو الذى بشر فى الواحات والبربر .
والسابع — تُوْمَا ويعرف تُوْمَا الرسول . وهو الذى بَشَّرَ فى السِّند والهند .
والثامن — مَتَّى . وهو الذى بَشَّرَ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ ، وَصُور ، وَصَيْدَا ،
ومصر ، وَقَرْطَاجَنَّةَ من بلاد المغرب .
والتاسع — يَعْقُوبُ بن حَلْفَا . وهو ممن بَشَّرَ ببلاد الهند أيضا .
والعاشر — سِمْعَانَ ويقال شَعْنُون الصَّفَا . وهو الذى بشر بِشِمَشَاط وَحَلَبَ
وَمَنْبِيج وَبَزَنْطِيَّةَ : وهى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ .
والحادى عشر — بُولُس ويقال له تداوس ، وهو الذى بَشَّرَ بِدِمَشْقَ وبالقدس
أيضا وبلاد الروم والجزائر ورومية .
والثانى عشر — يَهُوذَا الْأَنْتَخَرِيُوطِيَّ : وهو الذى خرج عن طاعة الْمَسِيحِ ودَلَّ
عليه الْيَهُودُ لِيَقْتُلُوهُ فَأَلْقَى اللهُ تَعَالَى شَبَهَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ فَأَمْسَكَهُ الْيَهُودُ وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ
ورفع الله تَعَالَى الْمَسِيحَ إِلَيْهِ ، وليس هذا من المراد بِالْحَوَارِيِّينَ هُنَا : لأنه قد خرج عن
دائرتهم . فلفظ الْحَوَارِيِّينَ مأخوذ من الْحَوْر وهو شِدَّةُ الْبَيَاضِ ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِصَفَائِهِمْ
وتفانيهم فى اتِّبَاعِ الْمَسِيحِ عَنِ الدَّخْلِ ، وقيل لأنهم كانوا فى الْأَوَّلِ قَصَّارِينَ يَبِيعُونَ
الثياب .
والأخبار جمع حَبَرٍ — بفتح الحاء وكسرها وهو العالم .
وَالرَّبَّانِيُّونَ جمع رَبَّانِيٍّ وقد تقدّم معناه فى الألقاب الإسلامية .
وَالْبَطَارِكَةُ جمع بَطْرِكٍ وقد تقدّم الكلام عليه فى الألقاب الأصول وأن أصله
بَطْرِيْرُكٌ ، وأنه يقال فيه فَطْرُكٌ بالفاء بدل الباء ، وكان لهم خمسة كراسى : كرسى برومية ،

وهو الذى قعد فيه الباب ، وكرسى الإسكندرية : وهو الذى استقر لبطرك يعقوبية الآن ، وكرسى بيزنطية وهى القسطنطينية ، وكرسى أنطاكية وكان فيه بطرك النسطورية ، وكرسى بالقدس وهو أصغرهما عندهم .

(محي طرق الفلاسفة والحكماء) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لأن مملكته منبع حكاء اليونان وفلاسفتهم . والفلاسفة جمع فيلسوف بكسر الفاء وهى لفظ يونانى مركب من مضاف ومضاف إليه ، معناه محب الحكمة ، فلفظ فيل بمعنى محب ، وسوف بمعنى الحكمة ، وهم يطلقون الفلسفة على من يحيط بالعلوم الرياضية . وهى : الهيئة والهندسة والحساب واللحون وغيرها . والحكماء جمع حكيم ، وهو من يُحسن دقائق الصناعات ويُنقنها أو من يتعاطى الحكمة ، وهى معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم ، وأول ما صارت الحكمة فيهم فى زمن بختنصر ، ثم اشتهرت فيهم بعد ذلك ، ولذلك عبر بالفلاسفة القدماء إشارة إلى أول زمن الحكماء .

(محوّل الثخوت والتيجان) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظم مملكته فى القديم والحديث ، والمحوّل المملك ، والثخوت جمع تخت وهو كرسى الملك الذى يجلس عليه الملك فى مجلسه العام ، والتيجان جمع تاج وهو الذى يوضع على رأس الملك إذا جلس على تخته ، والمعنى أنه يعطى الملوك الممالك من تحت يده لسعة مملكته وعظمتها ، وقد كانت القسطنطينية قبل غلبة الفرنج وقوة شوكتهم ملكا عظيما .

(مسيح الأبطال المسيحية) من الألقاب التى أصطلح عليها لأكابر ملوكهم كصاحب القسطنطينية . أضاف المسيح إلى الأبطال ثم وصفها به جمعا له بين رتبتي الشجاعة والتدين بدينه .

(مُصَافِي الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التي أَصْطُلِحَ عليها لملوكهم، والمُصَافِي مفاعل من الصِّفاء، والمراد أنه صافي النية للمسلمين والمسلمون صافو النية له .

(مُعْزَا النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أَصْطُلِحَ عليها لأكابر ملوكهم، والمراد بالنصرانية ملة النصرانية، حذف الموصوف وأقام الصفة مُقَامَهُ، والنصرانية في الأصل منسوبة إلى الناصرة وهي القرية التي نزلها المسيح وأمه عليهما السلام من بلاد القُدُس عند عودهما إلى مصر، وقيل مأخوذة من قوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ .

(معظم البيت المقدس) من الألقاب التي أَصْطُلِحَ عليها لملوكهم، وربما زيد فيها فقيل «معظم البيت المقدس بعقد النية» لموافقة الروي في السجعة التي تقارنها، ويصلح لكل ملك من ملوكهم لأن جميعهم يعتقدون تعظيم البيت المقدس، والبيت المقدس معروف، والتقديس التزيه والتطهير .

(معظم كنيسة صهيون) من الألقاب المختصة بملك الحبشة لأنه يعقوبى، وكنيسة صهيون بالإسكندرية : وهي كنيسة بطرك اليعاقبة الآن، ومعتقدهم أنه لا يصح ولاية ملك منهم إلا باتصال من هذا البطرك، على أنه في ابتداء البطركية في زمن الخواريين لم يكن بكرسى الإسكندرية أحد من الخواريين، إنما كان بها مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس الخوارى صاحب كرسى رومية، والنصارى يومئذ على طريقة واحدة قبل ظهور الملكية واليعقوبية، فلما افترق دين النصرانية إلى الملكية واليعاقبة وغيرهم، كانت بطركية الإسكندرية يتداولها الملكية واليعقوبية تارة وتارة بحسب انتقال الملوك والميل إلى كل من المذهبين، ثم استقرت آخرًا في بطرك اليعاقبة إلى زماننا، وتبعه ملوك الحبشة لأنتحلهم مذهب اليعاقبة، كما تبع الروم والفرنجية الباب

برومية : لانتحالم مذهب المَلِكَانِيَّة ، وسيأتى الكلام على طَرَف من ذلك فى الكلام على مكتبة ملك الحبشة إن شاء الله تعالى .

(مَلِكُ مُلُوكِ السُّرْيَان) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظمته عندهم ، وقد تقدم ذكر السُّرْيَان فيما قبل .

(مُؤَادُ الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم ، وهو بتشديد الدال أخذًا من المَوَدَّة .

(مُؤَيِّدُ الْمَسِيحِيَّة) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم ، والمُؤَيِّدُ المَتَوَكِّلُ ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية كما تقدم بيانه ، وربما قيل «مُؤَيِّدُ الْعِيسَوِيَّة» : والأمر فيهما كذلك .

حرف النون

(نَاصِرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّة) من الألقاب التى أصطلح عليها لأَكْبَرِ ملوكهم ، وقد تقدم معنى هذه الألقاب فى مواضعها .

حرف الواو

(وَارِثُ التَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم . وقد تقدم معنى التَّيْجَانِ ، والمراد أنه أنتقل إليه الملكُ وراثته من آبائه .

(وَارِثُ آبَائِهِ فى الأَسْرَةِ والتَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لمن يكون عَرِيقًا فى المُلْكِ ، وهو قريب من اللَّقَبِ الذى قبله .

(وَارِثُ الْقِيَاصَةِ الْعُظْمَاءِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية التى هى قاعدة الْقِيَاصَةِ ، وقد تقدم أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ قيصرًا فيما سلف من الألقاب .

الضرب الثاني

(من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة: بأن يكون اللقب الأصل مؤنثاً

فتبعه الألقاب الفروع في التأنيث. ولها حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة مَثَلًا ،
فترد ألقابه مؤنثة ، وفي الغالب إنما يقع التأنيث في اللقب الأول ثم ينتقل إلى
الألقاب المذكورة ، مثل أن يقال : « الحَضْرَة العَالِيَة أو السَامِيَة أو الْعَالِيَة ، حَضْرَة
الملك الجليل » ويؤتى بما يناسبه من الألقاب بعد ذلك ، وربما أتى للحَضْرَة بِلَقَبَيْنِ
فأكثَر طلباً للتفخيم ، ثم يعدل إلى الألقاب المذكورة ، مثل «الحَضْرَة الْعَالِيَة الْمَكْرَمَة»
ثم يقال « حَضْرَة الْمَلِكِ الْجَلِيل » وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق بأن يكون لامرأة كما إذا
كانت مَلِكَةً في بعض ممالكهم ، على قاعدة الأعاجم في إسناد الملك إلى بنات الملوك ،
فيؤتى بألقابها المفردة والمركبة مؤنثة ، فيكتب مثلاً « الْمَلِكَة الْجَلِيلَة الْمَكْرَمَة الْمَبْجَلَة
الْمَوْقَرَة الْمَفْخَمَة الْمَعَزَّزَة فَلَانَه الْعَادِلَة في مملكته ، كَبِيرَة دِين النَّصْرَانِيَة ، نُصْرَة الْأُمّة
الْعِيسَوِيَة ، حَامِيَة الثُّغُور ، صَدِيقَة الْمُلُوك وَالسَّلَاطِين » وما أشبه ذلك ، ومعاني هذه
الألقاب معلومة مما تقدم .

قلت : قد أتيت من ألقاب أهل الإسلام وألقاب أهل الكفر : المفردة
والمركبة على ما تضمنته "التعريف بالمصطلح الشريف" للمقر الشهابي بن فضل الله ،
و"عرف التعريف" في الإخوانيات له ، و"تثقيف التعريف" للقاضي تقي الدين
أبن ناظر الجيش إلا ما شرد عنه القلم ، مع ما ضممته إلى ذلك مما وجدته في غيرها من

الديساتير المجموعة في السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جارياً على عُرفهم مما آستعمله أهل الزمان ومن قاربه ، والكتاب الماهر إذا فهم أصلها وعرف طرقها، اخترع ماشاء من الألقاب والتعوت ؛ والضابط في وضع الألقاب أن يراعى فيها أحوال المكتوب له ، فيؤتى منها بما يناسب حاله في الوظيفة والرياسة وسائر أوصاف المدح اللائقة به ؛ فيؤتى لصاحب السيف بالألقاب المقتضية للشجاعة والبسالة : مثل المجاهدى والمناغرى والمرابطى وما أشبه ذلك . وربما أضيف له بعض الألقاب المقتضية للعلم والصلاح ، كالعالمى والعاملى ونحو ذلك ، لأشتراك الناس في المدح بمثل ذلك . ويؤتى للعالم والقاضى ونحوهما بالألقاب المقتضية للعلم كالعالمى والمحقق والمدقق ونحو ذلك . وربما أضيف إليها الألقاب المقتضية للصلاح لتمدح العلماء به . ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب المقتضية للصلاح والتعبد كالعابدى والزاهدى ونحوهما . ويؤتى لكُتّاب الإنشاء بالألقاب المقتضية للبلاغة كالبلّغ والمفوهى ونحوهما . ويؤتى للنساء بالألقاب المقتضية للصيانة والعفة كالمصونة والمحجبة وما أشبههما . ويؤتى لأهل الكفر من الملوك ونحوهم بما لاجر فيه على الكاتب : كالشجاعة وما في معناها ، والتقدم على ملوك طائفته وأهل ملته وما في معنى ذلك . فإن اجتمع في شخص واحد أوصاف متعددة من الممدوح جُمعت له . على أن أكثر ما يستعمله الكُتّاب من الألقاب غير موجودة في صاحبها ، وإنما هي ألقاب حَفَظُوهَا لَرَبِّ مَعِينَةٍ لا يسعهم الإخلال بشيء منها وإن كانت كذبا محضاً و﴿ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . وقد كان في القديم قاعدة مستقرّة : وهو أنه لا يلقّب أحد بلقب ولا يُكنى بكنية إلا أن يكون الخليفة هو الذى يلقّب بذلك أو يكنى .

الجملة السابعة

(في تفاوت الألقاب في المراتب ، وهي قسمان)

القسم الأول

(ما يقع التفاوت فيه بالصعود والهبوط ، وهو نوعان)

النوع الأول

(ما يقع التفاوت فيه بحسب القلة والكثرة ، وله حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون المكتوب إليه من أتباع المكتوب عنه ، كقواب السلطنة فيما يكتب عن الأبواب السلطانية من مكاتبات وولايات ، فزيادة الألقاب وكثرتها في هذه الحالة علو وشرف في حق المكتوب إليه ، لأنها من باب المدح والإطراء ، ولا شك أن كثرة المدح من المتبوع للتابع أعلى من قلته ، ولذلك تقع الإطالة في ألقاب كبار الثواب والاختصار في صغارهم ، وتأتي في غاية الاختصار في نحو ولاية النواحي ومن في معناهم .

الحالة الثانية — أن يكون المكتوب له أجنبياً عن المكتوب عنه ، كالملوك الذين تكتب إليهم المكاتبات عن السلطان ، فقلة الألقاب في حقّه أرفع لأن الإكثار من ذلك يرى أنه من باب الملق المذموم بين الأكابر في المكاتبات فوجب تجنبه كما يجب تجنب المدح وكثرة الداء ، ولذلك يقع الاختصار في الألقاب فيما يكتب لهم عن السلطان إجلالاً لقدرهم عن رتبة رعاياه الذين يكثر من ألقابهم .

النوع الثاني

(ما يقع فيه التفاوت في العلوّ والهبوط بحسب ما يقتضيه جوهر اللفظ
أو ما وقع الاصطلاح عليه . وهو صنفان)

الصنف الأول

(الألقاب المفردة . وهي على أربعة أنماط)

النمط الأول

(التوابع)

وهي التي تأتي الألقاب الأصول كالتي تلي المقام والمقرّ والجناب والمجلس ؛ فيسلي
المقام لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ العالی ، فالمقام يقال فيه « المقام
الأشرف العالی » و « المقام الشريف العالی » و « المقام العالی » . ويلى المقرّ
لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « المقرّ الأشرف
العالی » و « المقرّ الشريف العالی » و « المقرّ الكريم العالی » و « المقرّ العالی » .
ويلى الجناب لفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « الجناب الكريم العالی »
و « الجناب العالی » . ويلى المجلس لفظ العالی والسامى ، فيقال « المجلس العالی »
و « المجلس السامى » . والألفاظ التي تتبع وهي الأشرف والشريف والكريم
والعالی والسامى بعضها أرفع من بعض على الترتيب . فالأشرف أرفع من الشريف ،
لأن أشرف أفعّل تفضيل يقتضى الترجيح على غيره كما هو مقرر في علم النحو ؛
والشريف أرفع رتبة من الكريم لما تقدّم عن ابن السكيت أن الكرم يكون في الرجل
وإن لم يكن له آباء شرفاء ، والشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء . ومقتضى ذلك
ترجيح الشريف على الكريم لاقتضائه الفضل في نفس الشخص وفي آبائه ، بخلاف

الكرم ؛ ولذلك آختر الشرف لأبناء فاطمة رضى الله عنها دون الكرم . والكريم
أرفع رتبة من العالى ، لأن الكريم يحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف اللؤم
ويحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف البخل وكلاهما مقطوع بأنه صفة
مدح ، وإن الأقرب إلى مراد الكتاب المعنى الأول . والعالى يحتمل أن يكون
من على بكسر اللام على بفتحها علاء بفتح العين والمد إذا شرف ؛ ويحتمل أن
يكون من علا يعلو علوا إذا ارتفع فى المكان ، وليس العلو فى المكان مما يدل على
صفة المدح إلا أن يستعار للارتفاع فى الشرف فيكون صفة مدح حينئذ على
سبيل المجاز وإن كان مراد الكتاب هو المعنى الأول ؛ وما كان مقطوعا فيه بالمدح
من الجانبين على مما يكون مقطوعا فيه بالمدح من جانب دون جانب . وقد
أصطلحوا على أن جعلوا العالى أرفع رتبة من السامى ، وهو مما أنكر على واضعه ،
إذ لافرق بينهما من حيث المعنى ، لأن السمو بمعنى العلو . والذى يظهر أن الواضع
لم يحتمل ذلك ولعله إنما جعل العالى أرفع رتبة من السامى وإن كان بعينه لأن
العالى لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام ، فيكون المدح به أعم باعتبار من
يفهمه ، بخلاف السامى فإنه لا يفهم معنى العلومنه إلا الخاصة ، فيكون المدح به
أخص لاقتصار الخاصة على معرفته دون العامة .

النمط الثانى

(ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياء النسب وتجرده منها)

قد تقدم أن الألقاب المفردة منها ما تلحق به ياء النسب ومنها ما يتجرده عنها ،
وأن الذى تلحقه ياء النسب منها ما هو منسوب إلى شىء خارج عن صاحب
اللقب كالقضائى فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو نفس الوظيفة ، فيكون النسب

فيه على بابيه ، ومنه ما هو منسوبٌ إلى صاحب اللقب نفسه كالأمرى فإنه نسبةٌ إلى الأمير وهو عين صاحب اللقب فدخلت فيه ياء النسب للمبالغة ، كما في قولهم لشديد الحمرة أحمرى على ما تقدم بيانه .

وبالجملة فقد آصطلحوا على أن يكون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها ، سواء كان منسوباً إلى نفس صاحب اللقب أو غيره ، فيجعلون الأمرى أعلى رتبة من الأمير ، والقضائى أرفع رتبة من القاضى ؛ ثم يجعلون المنسوب إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبة من المنسوب إلى شيء خارج عنه ؛ ومن أجل ذلك جعلوا القاضوى أرفع رتبة من القضائى . أما كون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة من المجرد عنها فظاهر : لأن المبالغة تقتضى الرفع ضرورة ؛ وأما كون المنسوب إلى شيء آخر غير المنسوب إليه يقتضى الرفع وإن لم يكن فيه مبالغة ، فللاحاق بما فيه المبالغة استطراداً ، لئلا يلتبس الحال فى النسبتين على الضعيف الفهم فلا يفرق بين ما هو منسوب إلى هذا وبين ما هو منسوب إلى ذاك . على أنهم لم يَقِفُوا مع الحكم فى كون ما دخلت عليه ياء النسب أرفع مما لم تدخل عليه فقد استعملوا الأجل ونحوه فى الألقاب السلطانية التى هى أعلى الألقاب ، فقالوا «السلطان الأجل العالم العادل» إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق ياء النسب بها ؛ ثم استعملوا مثل ذلك فى ألقاب السامى بغير ياء فما دونه مما هو أدنى الألقاب رتبة . وكأنهم اكتفوا بمكانة السلطان من الرفع عن المبالغة فى ألقابه بإلحاق ياء النسب ، من حيث إن المعروف لا يحتاج إلى تعريف .

(١) أى التى للمبالغة كما يفيد التعليل بعد .

النمط الثالث

(ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب)

فيكون أرفع رتبةً لمعنى المبالغة كما في الكَفِيلِ فإنه أرفع رتبةً من الكافِلِ ، لأن صيغةَ فَعِيلٍ أبلغُ في المعنى من صيغةِ فاعِلٍ من حيثُ إن فَعِيلًا لا يصاغ إلا من فَعَل بضم العين إذا صار ذلك الفعلُ له سجيّةً ، كما يقال كَرُمَ فهو كَرِيمٌ وعَظُمَ فهو عَظِيمٌ وحَلُمَ فهو حَلِيمٌ ، بخلاف فاعِلٍ ، ومن أجل ذلك كان لفظُ فَعِيهِ أبلغُ من لفظِ فاقِهِ لأن فاقِهِ يُصاغُ من فَعِهَ بكسر القاف إذا فهم ، ومن فَعِهَ بفتحها إذا سبق غيره إلى الفهم . وفَعِيهِ إنما يُصاغُ من فَعِهَ بضمها إذا صار الفَعِهَ له سجيّةً كما مرّ القول عليه في الكلام على الفَقِيهِ والفَقِيهِيَّ في الألقاب الإسلامية المفردة .

النمط الرابع

(ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللَّقب من اقتضاء

التشريف لعلو متعلّقه ورفعته)

كالمَهْدِيّ والمَشِيدِيّ ، فإن المراد مَهَّدَ الدُولَ ومَشَيْدَ الممالك على مامرٍ في الألقاب المركبة ؛ فإن من ينتهى في الرتبة إلى تمهيد الدُولَ وتشيد الممالك فلا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الأرفع ، وكذلك ما يجرى هذا المجرى كالمَدْبَرِيّ بالنسبة إلى الوزراء ومن في معناهم ، والمحَقَّقِيّ بالنسبة إلى العلماء ، والأَصِيلِيّ بالنسبة إلى العَرِيق في كَرَم الأصل ونحو ذلك .

الصف الثاني

(الألقابُ المبرَّكة، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب، وله اعتباران)

الاعتبار الأول

(أن يشترك فى رعاية الترتيب أربابُ السيوف والأقلام وغيرهم،

وهو على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يُضاف إلى الإسلام، وله ثلاثة أحوال)

الحال الأول - أن يكون ذلك فى ألقاب أرباب السيوف . وقد اضطلح المقرُّ الشَّهابيُّ بن فضل الله على أن جعل أعلاها رُكنَ الإسلام والمسلمين فذكر ذلك فى المكتبة إلى النائب الكافِل، ومكاتبته يومئذ بالجناب الكريم؛ ثم أبدل الكُتَّاب ذلك بعده بمَعزِّ الإسلام والمسلمين، وجعلوه مع المكتبة إليه بالمقرِّ الكريم على ما استقرَّ عليه الحال آخرًا فى المكتبة إلى النائب الكافِل ونائب الشام؛ وجعلوا دُونَ ذلك عِزَّ الإسلام والمسلمين فأوردوه مع الجناب الكريم والجناب العالى على ما استقرَّ عليه مصطلحهم فى السلطانيات . وجعل فى "عرف التعريف" فى الإخوانيَّات عِزَّ الإسلام والمسلمين أعلى الألقاب فأورده فى ألقاب المقرِّ الشريف، ثم طَرَّده فيما بعد ذلك من المقرِّ الكريم والمقرِّ العالى ولم يَعُدْه إلى ما بعد؛

ثم جعل دُونَهُ مجد الإسلام والمسلمين ، فأورده مع المجلس العالى مُطلقاً مع الدعاء وصَدَرَتْ ؛ ثم جعل دُونَ ذلك مجد الإسلام فَقَطْ من غير عطف المسلمين عليه ، فأورده فى المجلس السامى بالياء والسامى بغير ياء ، ولم يَعُدْهُ إلى مجلس الأمير بل أعاضه بمجد الأمراء على ما سياتى ذكره ، وتابعه على ذلك فى التنقيف .

الحال الثانى — أن يكون ذلك فى ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن فى معنائهم ككاتب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاَص فمن دُونهم من الكُتَّاب . وقد ذكر المقتّر الشَّهابى بن فضل الله فى بعض دساتيره السامية أن أعلاها لهم ركنُ الإسلام والمسلمين ، وجعل فى "عرف التعريف" أعلاها للوزراء صلاح الإسلام والمسلمين ، ولمن فى معنى الوزراء عز الإسلام والمسلمين ، ووجلال الإسلام والمسلمين وأورد ذلك مع المَقَرَّ الشريف وما بعده : من المَقَرَّ الكريم ، والمَقَرَّ العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، وجعل دُونَ ذلك مجد الإسلام مجرداً عن عطف المسلمين عليه ، وأورده مع المجلس العالى ، والمجلس السامى .

أما تخصيص صلاح الإسلام والمسلمين بالوزراء ، وعز الإسلام والمسلمين ووجلال الإسلام والمسلمين بمن فى معنائهم فلا أن الصلاح فيه معنى السِّداد والقصد ، والعز والجلال فهما معنى العِظْمة والهيبة ، ولا شك أن وظيفة الوزارة التى مَنَاطُها تدبير المُلْك بالصلاح أجدر ؛ على أنه اذا حصل الصلاح تبعته العِظْمة والهيبة ضرورة . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلا مرين أحدهما أن الجلال بمعنى العِظْمة والمجد بمعنى الشرف والعِظْمة أبلغ من الشرف لما فى العِظْمة من نَفَاز الكلمة . والثانى أن الإضافة فى جلال الإسلام والمسلمين فى المعنى إلى شئين وفى مجد الإسلام إلى أحدهما .

الحال الثالث — أن يكون في ألقاب القضاة والعلماء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها حُجَّة الإسلام أوضياء الإسلام، فأوردهما مع الجَنَاب الشريف الذى هو عنده أعلى الرُتَب لهذه الطائفة ، وجعل دُون ذلك بهاء الإسلام فأورده مع الجَنَاب الكريم ، وجعل دُونه مجد الإسلام فأورده مع المجلس العالى والسامى بالياء وبغير ياء .

أما كون حجة الإسلام وضياء الإسلام أعلى رتبة من مجد الإسلام فلأن الحجة فى اللغة بمعنى البرهان وهو الدليل القاطع ، وبه تتقرر قواعد الإسلام ومبانيه ؛ والضياء فى أصل اللغة خلاف الظلمة ؛ ثم استعير للهداية وما فى معناها ، ولا شك أن الوصف بهذين الأمرين أبلغ من الوصف بالمجد الذى هو بمعنى الشرف .

الحال الرابع — أن يكون فى ألقاب الصلحاء ، وقد جعل فى "عُرف التعريف" أعلاها صَلَاح الإسلام وأورده مع الحَضرة ، ومع الجَنَاب الشَّريف ، والجَنَاب الكريم، وجعل دُونه جَلال الإسلام وأورده مع الجَنَاب العالى، ودونه ضياء الإسلام وأورده مع المجلس العالى ، وجعل دونه جلال الإسلام فأورده مع المجلس السامى بالياء فى دُونه .

أما كون صَلَاح الإسلام والمسلمين أعلى من جَلال الإسلام والمسلمين فقد تقدم بيانه . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من ضياء الإسلام والمسلمين فلأنَّ الجَلال معناه العَظْمَة وهى أعلى من الضياء على ما فيه من التعسُّف .

النمط الثاني

(من الألقاب المركبة ما يُضاف إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ،
من أرباب المراتب السنية ، وهو على الأحوال الأربعة
المتقدمة الذكر فيما يُضاف إلى الإسلام)

الحال الأول — أن يكون في ألقاب أرباب السيوف . قد جعل
في "عرف التعريف" أعلاها سيّد الأمراء في العالمين ، وأورده مع المَقَرّ الشريف ،
والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالى . وجعل دُونَهُ سيّد الأمراء المقدمين ، وأورده
مع الجَنَاب الشريف ، والجَنَاب الكريم ، والجَنَاب العالى . ودُونَهُ شَرَفُ الأمراء
المقدمين ، وأورده مع المجلس العالى والدعاء . ودُونَهُ شَرَفُ الأمراء في الأنام ،
وأورده مع السامى بالياء . ودُونَهُ زَيْنُ الأمراء المجاهدين ، وأورده مع السامى
بغير ياء . ودُونَهُ مَجْدُ الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير .

والذى في "التثقيف" بعد سيّد الأمراء في العالمين سيّد أمراء العالمين ، وأورده مع
الجَنَاب العالى . ودُونَهُ شَرَفُ الأمراء في العالمين ، وأورده مع المجلس العالى والدعاء .
ودُونَهُ شَرَفُ الأمراء المقدمين ، وأورده مع صدرت العالى . ودُونَهُ شَرَفُ الأمراء
فقط ، وأورده مع السامى بالياء . ودُونَهُ نَخْرُ الأمراء ، وأورده مع السامى بغير ياء .
ودُونَهُ مَجْدُ الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير . ولا يخفى ما بينهما من الاختلاف .
ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى ، ولا نزاع في أن الترتيب الذى
في التثقيف أحسن . وإذا تأملت ذلك وعرضته على ما تقدّم من التوجيه في النمط
الأول ظهر لك حقيقة ذلك .

الحال الثانى — أن يكون في ألقاب الوزراء ومن في معناهم . فقد ذكر
في "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيّد الوزراء في العالمين ، ولمن في معناهم

من كاتب السر ونحوه سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرّ الشريف ،
والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالی ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالی ،
وجعل دونه لمن دون هؤلاء من الكُتّاب نحر الأنام ، وأورده في المجلس العالی
والدعاء مع ما بعده .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء .

وقد جعل في "عرف التعريف" : أعلاها شرف الأنام . وأورده مع الجناب
الشريف الذي جعله أعلى المكاتب لهم ، ومع الجناب الكريم والجناب العالی
وجعل دونه نحر الأنام ، فأورده مع المجلس العالی بالدعاء . ودونه بهاء الأنام ، وأورده
مع صدرت والعالی ، ومع السامی بالياء والسامی بغير ياء .

الحال الرابع — أن يكون من ألقاب الصلحاء وقد جعل في "عرف التعريف"
أعلاها خالصة الأنام ، وأورده مع الحضرة الشريفة التي جعلها أكبر رتبهم ،
ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالی ، وجعل دونه شرف الأنام
وأورده مع المجلس العالی . ودونه زين الأنام ، وأورده مع السامی بالياء وبغير ياء .

النمط الثالث

(من الألقاب المركبة ما يُضاف إلى الملوك والسلاطين ،

وهو على الأحوال الأربعة المتقدمة الذكر)

الحال الأول — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف . وقد ذكر
في "عرف التعريف" أن أعلاها ظهير الملوك والسلاطين ، وأورده مع المَقَرّ الشريف
والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالی ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالی ؛

وجعل دُونَهُ عَضُدَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالى والمجلس السامى بالياء . ودُونَهُ عُمْدَةَ الملوك والسلاطين ، وجعله مع مجلس الأمير . والذى فى ”التثقيف“ إيراد ظهير الملوك والسلاطين مع المَقَرَّ الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ؛ وجعل عَضُدَ الملوك والسلاطين مع السامى بالياء ، وعُمْدَةَ الملوك والسلاطين مع السامى بغير ياء ، وعُدَّةَ الملوك والسلاطين مع مجلس الأمير .

والحاصل أنه فى ”التثقيف“ زاد رُتَبَتَيْنِ فى ظهير الملوك والسلاطين ، فجعله فى المجلس السامى مع الدعاء ومع صدرت ، على أن التحقيق أن عَضُدَ الملوك والسلاطين أعلى فى الحقيقة من ظهير الملوك والسلاطين ؛ لأن العَضُدَ عُضْوٌ من أعضاء الإنسان : وهو ما بين المِرْفَقِ والكَتِفِ ، والظَّهير خارجٌ عنه ، وما كان من نفس الإنسان كيف يُجَعَلُ ما هو خارجٌ عنه أرفع منه بالنسبة إلى ذلك الشخص ؟ .

الحال الثانى — أن يكونَ من ألقاب الوزراء وَمَنْ فى معناهم . وقد جعل فى ”عرف التعريف“ أعلاها ظهيرَ الملوك والسلاطين أيضاً ، وأورده مع المَقَرَّ الشريف ، والمَقَرَّ الكريم ، والمَقَرَّ العالى ؛ والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالى ؛ وجعل دُونَهُ صَفْوَةَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالى فما دُونَهُ .

الحال الثالث — أن يكونَ من ألقاب القُضَاةِ والعُلماء . وقد جعل فى ”عرف التعريف“ أعلاها للقضاة حَكَمَ الملوك والسلاطين ، ولغيرهم من العلماء خالصةَ الملوك والسلاطين ، وهو عنده للجناب الشريف فما فوقه . ودُونَهُ بركةَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع الجناب الكريم ، والجناب العالى ، والمجلس العالى ، مع الدعاء . وجعل دُونَهُ صَفْوَةَ الملوك والسلاطين ، وأورده فى صدرت والعالى فما دُونَ ذلك .

الحال الرابع — أن يكون في ألقاب الصّاحاء . ولم يزد في ”عرف التعريف“ على أنه يُكتَب لهم بركةُ الملوك والسلاطين ، وحينئذ فيقتصر عليها لجميعهم ممن يستحق ذلك بحسب ما يقتضيه حال المكتوب بسببه .

النمط الرابع

(من الألقاب المركبة ما يضاف لأمر المؤمنين ، وهو على الأحوال

(١) الأربعة المتقدم ذكرها)

الحال الأول — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف ، وأعلامها قسيمُ أمير المؤمنين ، وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان كما تقدم ذكره في موضعه . ودونه خليل أمير المؤمنين ، وهو من ألقاب أولاد الملوك وألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب السلطانية . ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى المكتوب لنواب السلطنة عن الأبواب السلطانية ؛ وجعله في ”عرف التعريف“ مع المَقَرّ الشريف خاصة . ودونه سيف أمير المؤمنين ، وأورده مع المَقَرّ الكريم والمَقَرّ العالی ؛ ودونه حسام أمير المؤمنين ، وجعله في ”عرف التعريف“ مع الجناب الشريف والجناب الكريم والجناب العالی ؛ ولم يورد بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين . وأما في التثقيف فجعله مع المَقَرّ الكريم والمَقَرّ العالی . ودونه حسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المجلس العالی والدعاء ، ولم يورد فيما بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين .

والحاصل أنه في ”عرف التعريف“ زاد رتبةً فيما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وهي حسام أمير المؤمنين .

(١) كذا في الاصول ولم يذكر الحال الرابع وهو ألقاب الصلحاء فتأمل .

الحال الثاني — أن يكونَ من القاب الوزراء ومن في معناهم . ولم يزد في ”عرف التعريف“ على وليّ أمير المؤمنين ، وأورده مع المقرّ الشريف ، والمقرّ الكريم ، والمقرّ العالى والجناب الشريف ، ويحسن أن يجيء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالى صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يضاف إلى أمير المؤمنين مع المجلس العالى فادونه شيء من الألقاب اكتفاء بما يضاف إلى الملوك والسلاطين كما تقدم في أرباب السيوف .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . فقد جعل في ”عرف التعريف“ أعلاها وليّ أمير المؤمنين ، وجعله مع الجناب الشريف فما فوقه ، ويحسن أن يجيء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالى صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، كما تقدم في الوزراء ومن في معناهم ومن دونهم من الكُتّاب .

الاعتبار الثانى

(في الألقاب المرتبة أن يختصّ الترتيب في الألقاب بنوع من المكتوب لهم ، وهو أربعة أنماط)

النمط الأول

(ما يختصّ بأرباب السيوف ، وله حالان)

الحال الأول — أن تقع الإضافة فيه إلى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل المقرّ الشهابى بن فضل الله في ”التعريف“ ناصر الغزاة والمجاهدين أعلاها ، فأورده في المكتبة إلى نائب الشام ، والمكتبة إليه يومئذ دون المكتبة إلى النائب الكافل ؛

وهو خلاف مقتضى تركيب لغة العرب لما تقدم من أن صيغة فعيل أعلى من صيغة فاعل ، ولذلك جعلوا الكفيل أعلى من الكافل على ما تقدم بيانه . وحينئذ فيكون نصير الغزاة والمجاهدين أعلى من ناصر الغزاة والمجاهدين على خلاف ما ذكره .

أما في "عُرف التعريف" فإنه أعرض عن ذكر الألقاب المضافة إلى الغزاة والمجاهدين مع المَقَر الشريف الذى هو أعلى الألقاب لأرباب السيوف من الثواب ومن في معناتهم ، وأتى بعده مع المَقَر الكريم بنصير الغزاة والمجاهدين ، ثم أتى بعده مع الجَنَاب الشريف إلى آخر المجلس العالى بنصرة الغزاة والمجاهدين ، فجعل نصير الغزاة أبلغ من نُصرة الغزاة : لما فى نصير من لفظ التذكير وفى نُصرة من لفظ التأنيث ، والتذكير أعلى رتبة من التأنيث ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بذخر الغزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بغير ياء بزَيْن الأمراء المجاهدين على وُصف الأمراء بالمجاهدين دُونَ عطِف المجاهدين على الأمراء ؛ ثم مع مجلس الأمير بزَيْن المجاهدين .

وجعل في "التثقيف" أعلاها ناصر الغزاة والمجاهدين تبعاً "للتعريف" وأورده مع المَقَر الكريم ؛ ودونه نُصرة الغزاة والمجاهدين ، وأورده مع الجَنَاب الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بغير ياء ومجلس الأمير بزَيْن المجاهدين ، والحال فى ذلك قريب .

الحال الثانى — أن يكون اللقب مضافاً إلى الجيوش . وقد جعل في "التعريف" أعلاها أتابك الجيوش ، وأورده فى ألقاب النائب الكافل ؛ وجعل دونه زعيم الجيوش وأورده فى ألقاب نائب الشام ، وهو يومئذ دُون النائب الكافل ؛ ثم جعل دونه زعيم جيوش الموحدين ، وأورده فى ألقاب نائب حلب . وعلى نحو من ذلك جرى فى "عرف التعريف" فجعل أعلاها زعيم الجيوش وأورده مع المَقَر الشريف ،

والمَقَرَّ الكَرِيمَ والمَقَرَّ العَالِي ؛ ودُونَهُ زَعِيمَ جُيُوشِ المُوَحِّدِينَ ، وأورده مع الجَنَابِ الشَرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِي ؛ ولم يُورِدْ شيئاً في هذا المعنى فيما بعد ذلك ، وعلى نحو ذلك جرى في التثقيف .

النمط الثاني

(ما يختص بالوزراء ومن في معانهم : من كاتب السر ونحوه
فمن دونهم من الكُتَّاب)

وقد ذكر في "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيّد الوزراء في العالمين ، ولن في معانهم سيّد الكُبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرَّ الشَرِيفِ والمَقَرَّ الكَرِيمِ والمَقَرَّ العَالِي والجَنَابِ الشَرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِي ؛ وجعل دُونَهُ لِمَنْ دُونَهُم من الكُتَّاب شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ ، وأورده مع المجلس العَالِي ؛ ولا شك أنه يجيء بعده أُوْحَدُ الكُتَّابِ أو شَرَفُ الكُتَّابِ مع المجلس السامي بالياء ، ثم جَمَالَ الكُتَّابِ للسامي بغير الياء فإِ دُونَهُ .

النمط الثالث

(ما يختص بالقضاة والعلماء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها سيّد العلماء والحُكَّام ، ولغيرهم أُوْحَدُ العلماء الأعلام ، وجعله للجَنَابِ الشَرِيفِ فإِ قُوَّةً ، ثم للجَنَابِ الكَرِيمِ ، والجَنَابِ العَالِي ؛ وجعل دُونَهُ تاجُ العلماء والحُكَّام ، أو شَرَفُ العلماء والحُكَّام ، وأورده مع المجلس العَالِي ؛ ودُونَهُ جَمَالَ العلماء أُوْحَدُ القُضَلَاءِ ، وأورده مع السامي بالياء ؛ ودُونَهُ جَمَالَ الأعيان مع السامي بغير ياء فإِ دُونَهُ .

المَطَرُ الرابع

(ما يَحْتَصُّ بِالصَّلَاحِ)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها لهم شيخُ شيوخ العارفين، وأورده مع الحضرة الطاهرة، وجعل دُونَ ذلك أَوْحَدَ المحققين، فأورده مع الجَنَابِ الكريم؛ ودُونَهُ أَوْحَدَ النَّاسِكِينَ، فأورده مع الجَنَابِ العالى .

قلت : وليس وَضَعُ هذه الألقاب على الترتيب فى العُلُوِّ والهَبُوطِ راجعاً إلى مجزء التَّشَمُّى من غير تَقْصُّصٍ لُعلُّو أو هُبُوطِ يدلُّ عليه جوهرُ اللفظ ، بل لا بد أن يكون لتقدُّم كلِّ لقبٍ منها على الآخر وَرِفْعَتُهُ عليه فى الرِّبَّةِ سببٌ يقتضيه اللفظُ وتوجُّبُهُ دلالتُهُ الظاهرةُ أو الخفيةُ . وما وقع فيها مما يخالف ذلك فلعدم تأمل الواضع لذلك ، أو وقوعه من بعض المدَّعين الظانِّين أن القلم فى ذلك مطلق العنان ، يتصرَّف فى وضعه كيف شاء من غير نظير إلى ما يوجب تقدُّماً ولا تأخيراً . ومما يوضح ذلك ويبيِّن أنه إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى الإسلام المتقدمة الذكرى فى أرباب السيوف مثلاً ، رأيت أعلاها رُكنَ الإسلام والمسلمين ، على ما هو مذكور فى "التعريف" وغيره من سائر دساتير المَقَرَّ الشَّهابيِّ بن فضل الله ، وأعلاها على ما ذكره فى "التثقيف" مُعِزُّ الإسلام والمسلمين ، ودُونَ ذلك فى الرِّبَّةِ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، ودُونَهُ مُجِدُّ الإسلام والمسلمين ، ودُونَهُ مجد الإسلام فقط من غير عَطْف ، على ما تقدم ذكره .

أما كونُ رُكنِ الإسلام والمسلمين أعلى من عِزِّ الإسلام والمسلمين ، فلا نَّ رُكنَ الشَّيْءِ فى اللغة جانبُهُ الأَقْوَى ، وقد قال الأصوليون : إن الرُّكنَ ما كان داخلَ المساهية ، وحينئذ فيكون رُكنُ الشَّيْءِ بعضاً منه بخلاف العِزِّ فإنه معنى من المعانى خارجٌ عنه ، وما كان بعضاً للشَّيْءِ كان أَحْصَى به مما هو خارجٌ عنه .

وأما وجه إبدالهم رُكن الإسلام والمسلمين بمعز الإسلام والمسلمين فلأن
 في الرُكن معنى العِز والقُوَّة ، وقد فسر قوله تعالى حِكَايَةً عن لُوطٍ عليه السلام :
 ﴿ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ بالعِزِّ والمنعة ، فجعل المعز لهذا الاعتبار في الألقاب قائماً
 مقامَ الركن .

وأما كَوْنُ عِزِّ الإسلام والمسلمين أعلى من مَجْد الإسلام والمسلمين ، فلأن العِزَّ
 أجدى في النفع من المجد ، فقد تقدم أن ابن السكيت قال : إن المجد لا يكون
 إلا بشرف الآباء ، ولا نزاع في أن العِزَّ في تعارف الملوك أكثر جدوى وأوفر نفعاً
 في تحصيل المقاصد . وقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أن الكتاب
 في الزمن القديم كانوا يجعلون الدعاء بالعِزَّ عقب الدعاء بطول البقاء ، فإنه يكون بالعِزَّ
 مصوناً عالياً آمناً غنياً .

وأما كَوْنُ مَجْد الإسلام والمسلمين أعلى من مَجْد الإسلام ، فلأن الشيء كلما تعدى
 فعله إلى غيره كان أرفع رتبةً ، ومجد الإسلام والمسلمين يتعدى إلى شيئين : وهما
 الإسلام والمسلمين ، ومجد الإسلام لا يتعدى إلا إلى شيء واحد : وهو الإسلام .
 فذلك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ، رأيت أعلاها في أرباب
 السيوف قسيم أمير المؤمنين ، ودونه خليل أمير المؤمنين ، ودونه عضد أمير المؤمنين
 ودونه سيف أمير المؤمنين ، ودونه حسام أمير المؤمنين .

أما كَوْنُ قسيم أمير المؤمنين أعلى من خليل أمير المؤمنين ، فلأن القسيم بمعنى
 المُقاسم ، والمراد أنه قاسم أمير المؤمنين الملك وساهمه في الأمر فصاراً فيه مشتركين ،
 و خليل أمير المؤمنين مأخوذ من الخلَّة بضم الخاء وهي الصداقة ، وفرق بين من يقاسم

(١) كذا في الأصول والأظهر وكذلك إذا اعتبرت الخ عطفاً على أنك إذا اعتبرت الخ المتقدم

في الصفحة قبل .

الخليفة فيصير عديله في الامر، وبين من يكون خليله وصاحبه . على انه قد تقدم
أن الملوكة قد أربت بأنفسها عن هذا اللقب لاستبدادهم بالملك واستيلائهم عليه .

وأما كون خليل أمير المؤمنين أعلى من عضد أمير المؤمنين ، فلأن العضد ليس
المراد منه العضو الحقيقي الذي هو بين الكتف والمرفق ، وإنما استعير للناصر وكأنه
ينصره بنفسه كما ينصره عضده ، ومثل هذا الوصف لا يكون إلا للاتباع ، بخلاف
الخليل والصدیق فإنه لا تكاد رتبته عند الشخص تنحط عن رتبة نفسه .

وأما كون عضد أمير المؤمنين أعلى من سيف أمير المؤمنين ، فلأن العضد وإن
قصد به الناصر فإنه منقول عن العضو للناصر كما تقدم وعضو الإنسان عنده
في العزة وقوة النصر فوق سيفه في ذلك .

وأما كون سيف أمير المؤمنين أعلى من حسام أمير المؤمنين - وإن كان الحسام
متضمنًا لوصف القطع الذي هو المقصود الأعظم من السيف من حيث إنه مأخوذ
من الحسم : وهو القطع - فلأن السيف مأخوذ من ساف إذا هلك كما صرح به
الشيخ "جمال الدين بن هشام" في شرح قصيدة كعب بن زهير ، ولا شك أن معنى
الإهلاك أبلغ من معنى القطع : لأن القطع قد يقع في بعض البدن مما لا يتضمن
الإهلاك ، وهذا مما يجب التنبيه له فإنه ربما توهم أن الحسام أبلغ من السيف
لتضمن وصف القطع كما تقدم .

وبالجملة فلا سبيل إلى استيعاب جميع ما يرد من هذا الباب بالتوجيه : لأن ذلك
يؤدي إلى الإسهاب والملل . والقول الجامع في ذلك أنه يُنظر إلى الألفاظ الواقعة
في الألقاب وما تقتضيه من أصناف المدح ، وما تنتهي إليه رتبته فيها من أعلى

(١) لعله ربأت بأنفسها أي ترفعت أو زمت بأنفسها أي شمت .

الدرجات أو أوسطها أو أدناها فيرتبها على هذا الترتيب ، ويوجَّهها بما يظهر له من التوجيه على نحو ما تقدّم . كما إذا اعتبرت رتبة الجلال والجمال فإنك تجد الجلال أعلى رتبة : لأن معنى الجلال العظمة ، ومعنى الجمال الحسن ، ولا نزاع في أن العظمة أبلغ وأعلى موقعاً من الحسن . وكما إذا اعتبرت الضياء والبهاء ، فإن الضياء يكون أبلغ لأن الضياء معناه الثور الذاتي وهو متعدى النفع عام الفضيلة ، والبهاء معناه الحسن وهو قاصر على صاحبه . وفيما ذكر إرشاداً إلى ما لم يذكر .

القسم الثاني

(مما تفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم

والتأخير ، وهو نوعان)

النوع الأول

(الألقاب المفردة ، وهي على ستة أنماط)

النمط الأول

(الألقاب التي تلي الألقاب الأصول)

وهي التي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس : كالأشرف والشریف والكريم والعالی والسامی : فالأشرف يلي المقام والمقر ، فيقال : المقام الأشرف ، والمقر الأشرف ، والشریف يلي المقام والمقر والجناب ، فيقال : المقام الشریف ، والمقر الشریف ، والجناب الشریف . والكريم يلي المقر والجناب ، فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم . والعالی يلي المقام والمقر والجناب والمجلس ، فيقال : المقام العالی ، والمقر

العالى ، والجناب العالى ، والمجلس العالى . والسامى إلى المجلس خاصة ، يقال :
المجلس السامى . والعالى إلى الأشرف والشريف والكریم ، يقال : الأشرف العالى ،
والشريف العالى ، والكریم العالى .

النمط الثانى

(ما إلى العالى أو السامى من الألقاب)

وهو اللقب الذى يميز نوع المكتب له ، كالأميرى لأرباب السيوف ،
والصاحبى للوزراء من أرباب الأقلام ، والقضائى والقاضى لسائر أرباب الأقلام ،
والشيعى للصوفية وأهل الصلاح ، والصدرى للتجار ومن فى معناتهم . مثل أن
يقال : المقر الكريم العالى [الأميرى] ^(١) والجناب العالى الصاحبى ، أو الجناب العالى
القاضى ، أو المجلس العالى ، أو المجلس السامى الشيعى ، أو المجلس السامى
الصدرى ، وما أشبه ذلك . والمعنى فى وضع هذه الألقاب فى هذا الموضع أن يدل
أول لقب يذكر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدل براءة الاستهلال
على صورة الحال فى المكتبة أو الولاية أو غيرها ، وربما كان المحل مما يقتضى
التلقب بالمولوى فيقدم لقب المولوى على لقب الوظيفة . مثل أن يقال : المقر
الشريف العالى المولوى الأميرى ، فإن كان اللقب الأصل مضافاً لمجلس الأمير
أو مجلس القاضى أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر ، قام المضاف إليه مقام لقب
الوظيفة ؛ فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميرى ، والقاضى من مجلس القاضى

(١) الزيادة متعينة وقد أخذناها من الضوء للولف .

مقام القضاة ، والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخ ، والصدر من مجلس الصدر مقام الصدر . ثم لا يُنتع بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل ، ويؤتى بعده بما يناسبه من الألقاب .

النمط الثالث

(مايلي لقب الوظيفة)

وهو الكبير أو الكبير ، فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال : المقتزى العالى الأميرى الكبير ، أو الجناح العالى القضاة الكبير ، أو المجلس السامى الكبير إذا كان بالياء ، أو الكبير إذا كان بغير الياء .

النمط الرابع

(مايقع قبل لقب التعريف الذى هو الفلانى أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة ، كالكاغى والكفيل للنواب ، والوزيرى للوزراء ، والحاكى للقضاة . فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل الفلانى الكافى أو الكفيل بحسب ما يقتضيه الحال ، وإن كان حاكماً كتب الحاكى . قال فى "التشيف" : وإن كان وزيراً كتب فى آخر ألقابه الوزيرى . والذى ذكره فى "عُرف التعريف" أن الوزيرى يل لقب الوظيفة ، فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب الأميرى الوزيرى ، وإن كان من أرباب الأقلام كتب الصاحى الوزيرى . وما ذكره فى "التشيف" متجه فيما إذا كان الوزير صاحب قلم ، فإن التعريف فى الوظيفة يُعرف أولاً من قوله الصاحى .

وما ذكره في "التعريف" ظاهرٌ فيما إذا كان الوزيرُ من أرباب السيوف ، فإنه يتعين تقديمُ الوزيرِ فيذكر بعد الأميرِ ليدل من الابتداء على الوظيفة ، إذ مطلق الإمرة لا يدل على وزارة ولا عهدها ، فلو أُخِّر إلى آخر الألقاب لما عُرف أنها ألقابُ وزيرٍ إلى حين ذكر هذا اللقب ، وإنما رُتِب هذا الترتيب ليدل باللقب الذي هو أول الألقاب بعد العالي أو السامي على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الأقلام أو غير ذلك ، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصة به .

النمط الخامس

(ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والمركبة)

وهو لقب التعريف كالثلاثي وفلان الدين ، فقد جعلوه فاصلاً بينهما .

النمط السادس

(ما ليس له موضعٌ مخصوص من الألقاب المفردة)

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأمير ونحوه ، وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالمى والعادلى ونحوهما ، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب .

النوع الثاني

(مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة المعبر عنها بالثعوث، وهي على ثلاثة أنماط)

النمط الاول

(ما يلي لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل ركن الإسلام والمسلمين وعمر الإسلام والمسلمين وما أشبه ذلك ، فقد أصطلحوا على أن يكون ذلك أول الألقاب المركبة ، وتوجيهه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، ولا أشرف عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره .

النمط الثاني

(ما يقع في آخر الألقاب المركبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له ، فإن كان ممن يكتب له المجلس السامي بغيرياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ، مثل أن يقال : صفوة الملوك والسلاطين ، أو اختيار الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك . وإن كان ممن يكتب له السامي بالياء فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى أمير المؤمنين : مثل عضد أمير المؤمنين ، وولي أمير المؤمنين ، وخاصة أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبة المكتوب له . والمعنى فيه أن حسن الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني رتبة الخلافة .

النمط الثالث

(مايين أول الألقاب المركبة وبين آخرها)

فقد أصطلحوا على أن يكون المقدم منها مما يقتضى تقديم المكتوب له على أبناء جنسه . مثل : سيّد الأمراء في العالمين ، وسيّد العلماء والحكّام في العالمين ، وما أشبه ذلك ؛ ثم في حقّ كل أحد من أرباب الألقام والسيوف بحسب ما يقتضيه حاله على نحو ما تقدّم في الكلام على ما تتفاوت رتبته بالعلو والهبط .

الجملة الثامنة

(في بيان محلّ اللَّقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاصّ به
الواقع تلو اللقب الملويّ ، مثل المَلِكِيّ الناصريّ الزيّنيّ
وما أشبه ذلك ؛ وله ثلاثة أحوال)

الحالة الاولى — أن يكون ذلك في ألقاب السلطان نفسه ، كما يقع في التقاليد والمناسير ونحوهما . فوضعه بعد رِسم بالأمر الشريف ، أو خرج الأمر الشريف ، مثل أن يُكتب رِسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني المَلِكِيّ الناصريّ الزيّنيّ ، أو فلذلك رِسم بالأمر الشريف الفلانيّ الفلانيّ ، أو خرج الأمر الشريف العالي المولويّ السلطانيّ المَلِكِيّ الفلانيّ الفلانيّ ، وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب المضاف إلى الملك في ألقاب المكتوب له ، كما لو كتبت في تقليد أو نحوه . ومحلّه بعد ذكر اسم المكتوب له بعد الألقاب ، مثل أن يقال بعد انتهاء الألقاب : فلان الظاهريّ أو الناصريّ ونحو ذلك ، ولا يقال له المَلِكِيّ حينئذ .

الحالة الثالثة — أن يكون في ألقاب المكتوب عنه كما يُكْتَب في أول المكاتبات الملكى الفلانى، وقد اصطَلَحُوا على أن يُكْتَب ذلك تحت جَرَّة البسملة على ماسياتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة التاسعة

(فى ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
على قدر طبقاتها، وهى قسام)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية)

واعلم أن ترتيب الألقاب تارة يكون فى السُّلْطَانِيَّات ، وتارة يكون فى الإخْوَانيَّات وما يُكْتَب عن النُّوَاب . وقد كانوا فى الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » يستعملون فى الإخْوَانيَّات وما يُكْتَب عن النُّوَاب النُّعُوتَ المَرْكَبَةَ كما فى السُّلْطَانِيَّات، لا يفرق بينهما إلا ما فى الإخْوَانيَّات وما فى معناها من الألقاب التى لا تصلح للسلطانيات، كالمَوْلَى والسَيِّدَى والمُخْدُومَى ونحوها . أما الآن فقد وقع الاختصارُ فيها على المُفْرَدَات دُونَ المَرْكَبَات، وصارت المَرْكَبَات مَحْصُةً بالسُّلْطَانِيَّات .

ثم الألقاب الإسلامية الفروعُ المَرْبُةُ على الألقاب الأصول على سبعة أَضْرُب :

الضرب الأول

(الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلحقُ بها، ومبناها على الاختصار؛
وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء، وهي صنفان)

الصنف الأول — أن تكون لنفس الخليفة . فكان يقال فيها في الزمن القديم
« عبدُ الله فلانُ أمير المؤمنين » [فإن كان اسمُ الخليفة عبدَ الله كالمؤمن كُرِّر الاسمُ
مرتين : مرةً للاسم العَلَم ومرةً للقبِ الخِلافة ، يقال : « عبدُ الله عبدُ الله
أمير المؤمنين »^(١)] ثم زيد فيها الكنيةُ بعد ذلك ، ف قيل « عبدُ الله فلانُ أبو فلان
أمير المؤمنين » ثم زيدَ لفظُ الإمام ف قيل « عبد الله فلانُ أبو فلان [الإمام]
الفلاني — بلقب الخلافة مثل المتوكل على الله ونحوه — أمير المؤمنين » ثم زيدَ ووليُّه
بعد عبدِ الله ، ف قيل : « عبدُ الله ووليُّه فلانُ أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
وهو ما استقرَّ عليه الحال آنحرا .

الصنف الثاني — أن تكون الألقاب للديوان في مكتبةٍ أو غيرها . والذي
أصطلح عليه أن يقال « الديوانُ العزيزُ المولويُّ السيديُّ النبويُّ الإماميُّ
الفلاني » بلقب الخلافة .

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للؤلف ج ١ ص ٣٦٩ تمام الفائدة .

النوع الثانى

(ألقابُ وُلاةِ العهد بالخلافة)

وهى « الجنايبُ الشريفُ ، المُولَوَى ، السيِّدَى ، النَّبَوَى ، الفُلاَنَى » بلقبه المنسوب إلى الخلافة . وربما قيل فيه الجَنَاب بدل الجنايب ، وبقية الألقاب على ما تقدم .

النوع الثالث

(ألقابُ إمام الزيدية باليمن)

وهى « الجَنَاب الكريم ، العالى ، السيِّدَى ، الإمامى ، الشَّريفَى ، النَّسَبَى ، الجَسَبَى ، الفُلاَنَى » بلقب التعريف « سَلِيل الأَطْهَار ، جَلال الإسلام ، سَيْف الإمام ، بقية البيت النبوى ، نَحْر الحَسَب العلوى ، مُؤَيِّدُ أمور الدين ، خليفة الأئمة ، رأس العَلِيا ، صالح الأولياء ، عَلم الهداة ، زَعيم المؤمنين ، دُخْر المسلمين ، مُنْجِد الملوك والسلاطين » .

الضرب الثانى

(الألقابُ المُلوَكِيَّة ، وهى نوعان)

النوع الأول

(الألقابُ التى أَصْطَلَحَ عليها للسلطان بالديار المصرية على ما الحالُ مستقر

عليه ، وقد ذكر فيها فى التعريف مذهبين)

المذهبُ الأول — أن يقال « السُّلطان السيِّدُ الأَجَلُ الملكُ الفُلاَنى العالم العادلُ المجاهدُ المِرابِطُ المتأغرُّ المؤيِّدُ المظفَّرُ المنصورُ الشاهنشاهُ فلاَنُ الدنيا

والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر والأسرة والتيجان، واهب الأقاليم والأمصار، ميسد الطغاة والبغاة والكفار، حامى الحرمين الشريفين والقبليتين، جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان، سيد ملوك الزمان، أبو فلان فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني، والد الملوك والسلاطين، أبي فلان فلان» .

أما في "التثقيف" فإنه ذكر ذلك بزيادة وتغيير، وتقديم وتأخير - فقال : «السلطان الأعظم، المالك الملك الأشرف السيد الأجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرباط المثار المظفر الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، مانح الممالك والأمصار، إسكندر الزمان، مولى الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب المنابر والتخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلك سبل القبليتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو فلان فلان بن فلان» . وذكر أن الغالب أن تُحذف الشاهنشاه، لأن معناها ملك الأملاك، وقد تقدم النهي عن التسمي بذلك. ثم قال : والواجب أن يكون بدل ولي أمير المؤمنين، قسيم أمير المؤمنين .

المذهب الثاني - أن يكتب المقام الشريف أو الكريم أو العالی مجرداً عنهما، ويُقتصر على المفردة دون المركبة . مثل أن يكتب «المقام الشريف العالی،

المُولَوِيّ، السُلْطَانِيّ، المَلِكِيّ، الفَلَانِيّ، ابو فُلَانٍ فُلَانٌ . قال في "التعريف" :
وإلى هذا ذهب المتأخرون من الكُتّاب ؛ ثم قال : وأنا على الأول أعمل .

النوع الثاني

(الألقاب التي يُكْتَبُ بها عن السلطان لغيره من الملوك ،
وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(ألقابُ وُلاة العهد بالسلطنة)

« وهي المَقَامُ العَالِي ، العَالِمِيّ ، العَادِلِيّ ، المَلِكِيّ ، الفَلَانِيّ ، الفُلَانِيّ - بلقبِ
الملك واللقبِ المتعارف » . قال في "التثقيف" : فإن كان أَخًا للسلطان زيد فيه
الأَخَوِيّ ، أو ولدا زيد فيه الولَدِيّ .

الصنف الثاني

(ألقابُ الملوك المستقلين بصغار البلدان)

كما كان صاحبُ حماة في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وكان يُكْتَبُ له :
«المَقَامُ الشريف العَالِي السُلْطَانِيّ المَلِكِيّ الفَلَانِيّ ، بلقبِ المَلِكِ» . وربما كُتِبَ
له قبل لقب الملك «الأَصِيلِيّ» لعزاقته في المُلْك .

الصنف الثالث

(ألقاب المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، وهي نمطان)

النمط الأول

(ما يُصَدَّر بالألقاب المذكرة. وهي على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — ما يُصَدَّر بالمقام. وأعلىها «المقام الأشرف» كألقاب صاحب الهند، وهي: «المقام الأشرف العالي المولوي السلطاني الأعظمي الشاهنشاهي العاليمي العادلي المجاهدي المظفري المؤيدي المنصوري إسكندر الزمان، سلطان الأوان، منبع الكرم والإحسان، المعنى آل ساسان، وبقياً فراسياب وخاقان، ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوجد الملوك والسلاطين».

ودونه «المقام الشريف» كألقاب الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد كان، وهي: «المقام الشريف العالي الكبير السلطاني العالمي العادلي المجاهدي المؤيدي المرابطي المنصوري الملكي الفلاني الفلاني — بلقي الملك والتعارف».

ودونه «المقام العالي» كألقاب القان ببلاد أذربك فيما ذكره في «التتيف» وهي: «المقام العالي السلطاني الكبير الملكي الأكرمي الفلاني — بلقب التعريف — فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين» . وكألقاب صاحب المغرب فيما ذكره في «التعريف» وهي: «المقام العالي السلطاني السيد الأجل العالم العادل المجاهد المرابط المظفر المؤيد المظفر المنصور على أعداء الله أمير المسلمين، قائد الموحدين، مجي الغزاة والمجاهدين، مجند الجنود، عاقد البتود، مالي صُدُور البرارى والبحار،

مُرْغِزِ عِيسَى الكُفَّار ، مُؤَيِّدِ السَّنَةِ ، مُعَزِّمِ الْمَلِكِ ، شَرَفُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّسَبِ الصَّامِمِ ، رَبِيبِ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ ، أَبُو فُلَانٍ فُلَانٍ .

الطبقة الثانية — مَا يُصَدَّرُ بِالْمَقَرِّ ، وَأَعْلَاهَا فِيمَا رَأَيْتُ «الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ هَرَّاءَ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" وَهِيَ : «الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي الْعَالِي الْعَادِلِي الْمَجَاهِدِي الْمُؤَيِّدِي الْمُرَاطِي الْمُنَافِي الْأَوْحَدِي الْفُلَانِي ، شَرَفُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» . وَكَأَلْقَابِ صَاحِبِ كَرْمِينَانَ [مِنْ بِلَادِ الرُّومِ] فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التَّنْقِيصِ" وَهِيَ : «الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ الْعَالِي الْمَلِكِي الْأَجَلِّي الْعَالِي [الْعَادِلِي] الْمَجَاهِدِي الْمُؤَيِّدِي الْمُرَاطِي الْمُنَافِي الْمُنْظَرِي الْمَنْصُورِي الْفُلَانِي ، عَزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، نَحَرَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، نَصَرَ الْغُرَاةَ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعَمَ الْجِيُوشَ مَقْدَمَ الْعَسَاكِرِ ظَهِيرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

وَدُونَهُ «الْمَقَرُّ الْعَالِي» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ مَالِي مِنْ بِلَادِ التُّكُرُورِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" وَهِيَ : «الْمَقَرُّ الْعَالِي السُّلْطَانِي الْجَلِيلُ الْكَبِيرُ الْعَالِمُ الْعَادِلُ الْمَجَاهِدُ الْمُؤَيِّدُ الْأَوْحَدُ ، عَزَّ الْإِسْلَامَ ، شَرَفُ الْمُلُوكِ الْأَنَامِ ، نَاصِرُ الْغُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعَمَ جِيُوشَ الْمُوَحِّدِينَ ، جَمَالَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، سَيْفُ الْخِلَافَةِ ، ظَهِيرُ الْإِمَامَةِ ، عَصْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

الطبقة الثالثة — مَا يُصَدَّرُ بِالْجَنَابِ . وَأَعْلَاهَا «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ» كَأَلْقَابِ مَلِكِ التُّكُرُورِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التَّنْقِيصِ" أَنَّهُ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ ، وَهِيَ : «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْعَالِمُ الْعَادِلُ الْمَجَاهِدُ الْمُؤَيِّدُ الْمُنَافِي الْمُرَاطِي الْعَادِلُ الْخَاشِعُ النَّاسِكُ الْأَوْحَدُ فُلَانٍ ، دُحِرَ الْإِسْلَامَ» . وَكَأَلْقَابِ مَلِكِي الْبَرْنُو وَالْكَانَمِ فِيمَا ذَكَرَهُ

في "التعريف" وهي : «الجناب الكريم العالى الملك الحليل الكبير العالم العادل الغازى المجاهد الهمام الأوحد المظفر المنصور عن الإسلام». ثم بقية الألقاب من نسبة ألقاب ملك التكرور .

الطبقة الرابعة - ألقاب المجلس . وأعلاها « المجلس العالى » كألقاب صاحب حصن كيفا فيما ذكره في "التعريف" وهو : «المجلس العالى الملى الفلانى الأجل العالمى العادلى المجاهدى المؤيدى المراطى المناغرى الأوحدى الأصلى الفلانى - بلقب التعريف - عن الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلاطين ، نصير الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، شرف الدول ، دخر الممالك ، خليل أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين» على مخالفة فيه فيما أورده في "التثقيف" تأتي في المكتبة إليه .

ودونه المجلس السامى بالياء - كألقاب صاحب أرزن ، وهي «المجلس السامى الملى الفلانى - بلقب الملك - الأصلى الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى المراطى الأوحدى الفلانى - بلقب التعريف - عن الإسلام ، شرف الملوك فى الأنام ، بقية السلاطين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، ولي أمير المؤمنين» .

ودونه المجلس بغير ياء فى ألقابه كألقاب صاحب دقنقلة إذا كان مسلما ، فيما ذكره في "التعريف" وهي : «المجلس الكبير الغازى المجاهد المؤيد الأوحد العضد ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، نجر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين» ولم يذكر فيه السامى ولا لقباً مضافاً إلى الملك ، وهو الملى إلا أنهم أورده فى عدة الملوك .

قلت وأكثر هذه الألقاب يؤتى فيها بالألقاب المختصة بالملك : إما في المفردة كالمَلِكِيّ الفلانيّ ، وإما في المركبة مثل « بَقِيَّةُ الملوك والسلاطين » ونحو ذلك ، لتدلّ على أن المكتوب له ملك فيمتاز عن غيره . وربما أُتِيَ فيها بالألقاب الإِمَارِيَّة دون الملوكية لوقوع اصطلاح أهل تلك المملكة على ذلك . كما يُكْتَبُ في ألقاب صاحب تُوس « أمير المؤمنين » لادّعائه الخلافة ، وفي ألقاب صاحب فاس « أمير المسلمين » أتباعا ليوسف بن تاشفين صاحبها في القديم ، إذ كان أول من تلقب بذلك خضوعاً عن أن يتلقب بأمر المؤمنين ، لاختصاصه بالخلافة كما سيأتي الكلام عليه في المكتبة إليه إن شاء الله تعالى .

النمط الثاني

(ما يصدر بالألقاب المؤنثة ، وهي الحضرة)

ويختلف الحال فيها باختلاف الممالك . فالألقاب القان بمملكة إيران على ما كان عليه الحال في أيام السلطان أبي سعيد وما قبله « الحضرة ، الشريفة ، العالية ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحدية ، القانية ، الفلانية » . قال في " التعريف " ولا يخلط فيها الملكية لهوانها لديهم وإن كان صاحب " التنقيف " قد أثبت فيها الملكية أيضاً على ما سيأتي في الكلام على المكتبة إليه في موضعه إن شاء الله تعالى . وألقاب صاحب تُوس فيما ذكره في " التنقيف " « الحضرة ، العلية ، السنية ، السرية ، المظفرية ، الميمونة ، المنصورة ، المصونة ، حضرة الأمير العالم » إلى آخر الألقاب المذكورة .

الضربُ الثالثُ

(من الألقاب الإسلامية للألقاب العامة لسائر الطوائف مما يُكتب به
عن الأبواب [السلطانية]^(١) ، وهي ثمانية أنواع)

النوع الأول

(ألقابُ أربابِ السيوف من أهل المملكة وغيرهم : من الأمراء والعُربان
والأكراد والتركمان . وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَر ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَر الشريف . وهو مختص في عُرف الزمان
بما يُكتب عن نواب السلطنة .

وصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المَقَر الشريف ، العالى ،
المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المهدى ، المشيدى ، الزعيمى ،
المقدمى ، الغوثى ، الغياثى ، المريبطى ، المناغرى ، الظهيرى ، المالكى ، المخدومى ،
الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، زعيم الجيوش ، مُقدم
العساكر ، عون الأمة ، غياث الملّة ، مُمهد الدول ، مشيد الممالك ، ظهير الملوك
والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المَقَر الكريم . وهي مستعملة فى السلطانيات وما يُكتب
عن النّواب .

فأما في السُّلْطَانِيَّاتِ فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في الألقاب المستقرة للنائب الكافل ونائب الشام : «المقرّ الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الرعى ، الغوثى ، الغياثى ، المثنغرى ، المرابطى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، العابدى ، الناسكى ، الأتابكى ، الكفلى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، ممدّ الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملّة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .



وأما فيما يكتب عن الثّواب فقد ذكر في " التعريف " أن ألقابها من نسبة ما تقدم في ألقاب المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام : «المقرّ الكريم ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، المهدى ، الغوثى ، المقدّمى ، الذئرى ، الغياثى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدّم العساكر المجاهدين ، دُخر الدولة بهاء الملّة ، ممدّ المملكة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفدى في دُستوره عن نائب الشام أيضا : «المقرّ الكريم ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الذئرى ، العضدى ، النصيرى ، المقدّمى ، الغوثى ، الغياثى ، الفلانى ، ركن الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، غياث الملّة ، كهف الأمة ، دُخر الملوك والسلاطين » .

ثم قال : وإن كان المكتوبُ إليه نائبَ سلطنة زيد في ألقابه « المَهْدِيّ » ،
المَشِيدِيّ ، الرِّعِمِيّ ، المَدْبَرِيّ ، الكافِيّ ، الفلانيّ » .

وصورتها على ما أورده غيره : « المَقَرّ الكريم ، العالِي ، المَوَلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ،
البَكِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العادِلِيّ ، الفَوْثِيّ ، الغِيَاثِيّ ، الذُّنْحَرِيّ ، الرِّعِمِيّ ، الفلانيّ » ،
عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأمراء في العالمين ، بَهْمَالُ الدولة ، دُخْرُ الملة ، زَيْنُ
المملكة ، عَيْنُ السلطنة ، سَفِيرُ الأُمة ، ظَهِيرُ الملوك والسلاطين ، عَضُدُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير عن نائب حلب : « المَقَرّ الكريم ، العالِي ،
المَوَلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ، البَكِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العلَدِلِيّ ، المؤَيَّدِيّ ، الذُّنْحَرِيّ ، المَشِيدِيّ ،
الرِّعِمِيّ ، الظَّهِيرِيّ ، الفلانيّ » ، عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأمراء في العالمين ،
نَاصِرُ الغَزاة والمجاهدين ، زَعِيمُ الجيوش ، مَقْدُمُ العساكر ، عَوْنُ الأُمة ، ظَهِيرُ الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ المَقَرّ العالِي . وقد ذكر في "عرف التعريف" أن
ألقابها من نسبة ما تقدّم في المَقَرّ الشريف . وذكر الصّلاح الصّفديّ في دُستوره
عن نائب الشام في ألقابه ما تقدّم له في ألقاب المَقَرّ الكريم ثم قال : إلا أنه لا يقال
فيه الذُّنْحَرِيّ .

وصورتها على ما رأيته في توقيع تَقِيْب الأشراف بحلب عن النائب بها : « المَقَرّ
العالِي ، الأَمِيرِيّ ، البَكِيرِيّ ، التَّقِيْبِيّ ، الشَّرِيفِيّ ، الحَسِيْبِيّ ، النَّسِيْبِيّ ، العَرِيقِيّ ،
الأَصِيلِيّ ، الفاضِلِيّ ، العَلَامِيّ ، الحُجِّيّ ، القُدْوِيّ ، النَّاسِكِيّ ، الزَّاهِدِيّ ، العَايِدِيّ ،
الفلانيّ » ، عِزُّ الإسلام والمسلمين ، جلالُ العلماء العاملين ، بَهْمَالُ الفُضلاء البارعين ،
مُجَّةُ الأمراء الحاكِمين ، زَيْنُ العِثْرَةِ الطاهرة ، شَرَفُ الأُسرة الزاهرة ، مُجَّةُ العِصَابَةِ

الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، مُجبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب،
نقيب أولى المناقب، ملاذ الطلاب الراغبين، بركة الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة الجناب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الجناب الشريف . وليست مستعملة في السلطانيات،
وهي مستعملة فيما يُكتب عن الثواب .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « الجناب الشريف العالی،
المولوی، المجاهدی، المؤیدی، المهدی، الذخری، الأوحدي، العونی،
الظهیری، الفلانی، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء المقدمين، نصر الغزاة
والمجاهدين، عماد الملة، عون الأمة، ذخر الملة، ظهير الملوك والسلاطين، سيف
أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجناب الكريم . وهي مستعملة في السلطانيات
وما يُكتب عن الثواب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب النائب
الكافل في الزمن المتقدم : « الجناب الكريم العالی، الأميری، الأجلی، الكیري،
العالمی، العادلی، المؤیدی، المهدی، المشیدی، الزعيمی، الذخری، المقدمی،
العونی، العیانی، المرباطی، المشاغري، المظفری، المنصوري، الأتابكي، ركن
الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء في العالمين، أتابك الجيوش، مقدم العساكر،
زعيم الجنود، عاقد البندود، ذخر الموحدين، ناصر الغزاة والمجاهدين، غياث الأمة،

عون الملة ، مشيد الدول ، كافل الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب النائب الكافل أيضا على ما كان الحال عليه أولا : «الجناب الكريم العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغياثى، المتأخرى، المرابطى، الممهدى، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، مؤيد الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، مقدم العساكر، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، كافل السلطنة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب نائب الشام على ما كان الحال عليه أولا : «الجناب الكريم العالى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الممهدى، المشيدى، العونى، الغياثى، الذخرى، الزعيمى، المقدمى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، عون الأمة، غياث الملة، ممد الدول، مشيد الممالك، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" فى المكاتبه لنائب الشام على ما كان عليه الحال أيضا : «الجناب الكريم العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغياثى، المتأخرى، المرابطى، الممهدى، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، عز الاسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، مقدم العساكر،

ممهّد الدول ، مشيّد الممالك ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في المكتبة إلى أحد الأمراء الألوّس بمملكة إيران في دولة السلطان أبي سعيد : «الجناب الكريم العالى ، الأُميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيّدى ، الزعيمى ، العونى ، الغياثى ، المُنَاغِرَى ، المُرَابِطَى ، الممهّدى ، المشيّدى ، الثوينى ، الفلانى ؛ عونُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، ناصرُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحّدين ، ممهّدُ الدول ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ، كافى الدولة القانيّة ، كافل المملّكة الشرقية ، أميرالتّوامين ، أميرالألوّس ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، عضدُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" فى ألقاب ابن المظفر اليزدى : «الجناب الكريم العالى ، الأُميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيّدى ، العونى ، الزعيمى ، الممهّدى ، المشيّدى ، الظهيرى ، الغياثى ، المُنَاغِرَى ، المُرَابِطَى ، الثوينى ، الفلانى ؛ عزّ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، ناصرُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحّدين ، مقدّمُ العساكر ، ممهّدُ الدول ، مشيّدُ الممالك ، عمادُ الملة ، عونُ الأئمة ، حاكمُ أمور ولاة الزمان ، موصّحُ قوانين العدل والإحسان ، اعتضادُ صناديد الأوان ، مستنّيبُ ملوك العجم ، مستخدمُ أرباب الطُّبُل والعلم ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين .



وأما فيما يكتب عن النّوّاب وما كان يكتب به فى الإخوانيات فى الزمن المتقدّم ، فقد ذكر فى "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقدّم فى ألقاب الجناب الشريف .

وصورتها على ما أورده القاضي شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام :
« الجَنَابُ الكريم العالى ، المَوْلَوَى ، الأَمِيرَى ، الكَبِيرَى ، العَالِمَى ، العَادِلَى ،
العَصْدَى ، النَّصِيرَى ، المؤَيَّدَى ، المَقْدَمَى ، الذُّخْرَى ، الفَلَانَى ؛ مَجْدُ الإسلام والمسلمين ،
شَرَفُ الأمراء فى العالمين ، نُصْرَةُ الغُزَاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصفدى في دُستوره عن نائب الشام : « الجَنَابُ
الكريم العالى ، المَوْلَوَى ، الأَمِيرَى ، العَالِمَى ، العَادِلَى ، العَوْنَى ، الغِيَاثَى ،
الظَّهْرَى ، المَقْدَمَى ، الفَلَانَى ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأمراء فى العالمين ،
ناصِرُ الغُزَاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَاب العالى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وما يكتب
عن النَوَاب وما كان فى الإخوانيَّات قديما .

فأما فى السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وصورتها على ما أورده فى " التعريف " فى ألقاب نائب حلب على ما كان الحال
عليه أولا : « الجَنَابُ العالى ، الأَمِيرَى ، الأَجَلَى ، الكَبِيرَى ، العَالِمَى ، العَادِلَى ،
المُهَيَّدَى ، المَشِيدَى ، العَوْنَى ، الذُّخْرَى ، الرَّعِيمَى ، المَقْدَمَى ، الظَّهْرَى ، المُرَابِطَى ،
المُتَاغِرَى ، الفَلَانَى ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأمراء فى العالمين ، نَصِيرُ الغُزَاة
والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، غمادُ الأمة ، دُخْرُ الدولة ، ظهيرُ الملوك
والسلاطين ، سَيْفُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى " التثقيف " فى ألقاب نائب طَرَابُلسَ وَمَنْ فى رُتَبته :
« الجَنَابُ العالى ، الأَمِيرَى ، الكَبِيرَى ، العَالِمَى ، العَادِلَى ، المؤَيَّدَى ، العَوْنَى ،

الزَعِمَى، الممهّدى، المشيّدَى، الظّهيرَى، الكافَى، الفلانى؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيدُ أمراء العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، زعيمُ جيوش الموحّدين مقدّمُ العساكر، ممهّدُ الدّول، مشيّدُ الممالك، عمادُ المِلَّة، عونُ الأُمّة، ظهيرُ الملوك والسلطين، سيفُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب قطلوبغا إيناق أحد امراء الأُلوس بلاد أذربك : «الجناب العالى، الأميرَى، الكبيرَى، العالمَى، العادَى، المؤيّدَى، العونَى، الزعيمَى، الممهّدى، المشيّدَى، الظهيري، التّوئى، الفلانى؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيدُ الأمراء فى العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، زعيمُ الجيوش، مقدّمُ العساكر، كهفُ المِلَّة، دُخْرُ الدّولة، ظهيرُ الملوك والسلطين، سيفُ أمير المؤمنين .

الرتبة الثانية — مع الدعاء بدوام النعمة .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب مقدّم العسكر بغزة وهنّ فى رتبته : «الجنابُ العالى، الأميرَى، الكبيرَى، العالمَى، العادَى، المؤيّدَى، الأوحدَى، النَّصيرَى، العونَى، الهَمَامَى، المقدّمَى، الظّهيرَى، الفلانى؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيدُ الأمراء فى العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، مقدّمُ العساكر، كهفُ المِلَّة، دُخْرُ الدّولة، عمادُ المملكة، ظهيرُ الملوك والسلطين، حُسامُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب مامى : أحد الحُكّام ببلاد أذربك كان : «الجناب العالى، الأميرَى، الكبيرَى، العالمَى، المُجاهدى، المؤيّدَى، الدّخرى، النَّصيرَى، الهَمَامَى، المقدّمَى، التّوئى، الفلانى؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيدُ الأمراء فى العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، مقدّمُ العساكر، دُخْرُ الدّولة، عَضُدُ الملوك والسلطين، حُسامُ أمير المؤمنين .



وأما ما يكتب عن التَّوَاب وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً، فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقدم في ألقاب الجَنَاب الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام في الرتبة الأولى منها : « الجَنَابُ العَالِي ، الأَمِيرِي ، الأَجَلِي ، الكَبِيرِي ، المؤَيَّدِي ، المَجَاهِدِي ، العَوْنِي ، المَقْدَمِي ، الاسْفَهَسَلَارِي ، الظَّهِيرِي ، الفَلَانِي ؛ مَجْدُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الأَمْرَاءِ المَقْدَمِينَ ، نُصْرَةُ الغُرَاةِ والمَجَاهِدِينَ ، عَضُدُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينَ » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمِدِيَّة" عن نائب الشام أيضاً في الرتبة الثانية من هذه المرتبة : « الجَنَابُ العَالِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَضُدِي ، الذُّخْرِي ، النَّصِيرِي ، المؤَيَّدِي ، المَقْدَمِي ، الظَّهِيرِي ، الفَلَانِي ؛ مَجْدُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، نُصْرَةُ الغُرَاةِ والمَجَاهِدِينَ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينَ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مرتبة المجلس العَالِي)

وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن التَّوَاب وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدعاء للجلس .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب نائب الكرك : «المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المقدمى ، الأوحدي ، النصيرى ، الهمامى ، الظهيرى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، كهف الملّة ، دُخر الدولة ، ظهير الملوك والسلطين ، حُسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" أيضا فى ألقاب وزير القان بيلاد أذربك : «المجلس العالى الأميرى ، الكبيرى ، الذخرى ، الأوحدي ، الاكلى ، المتصرفى ، العونى ، الوزيرى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء والوزراء فى العالمين ، جمال المتصرفين ، أوحداً الأولياء المقربين ، دُخر الدولة ، مُشير الملوك والسلطين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" أيضا فى ألقاب حافظ أنحى على باشاه : «المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الأوحدي ، النصيرى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، التوينى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، كهف الملّة ، عماد الأمة ، ظهير الملوك والسلطين ، حُسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" فى ألقاب أمير مكة المشرفة : «المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الشرىفى ، الحسىبى ، النسىبى ، العالمى ، المجاهدى ،

المُقَدِّمَى ، الأَوْحَدَى ، النَّصِيرَى ، الْعَوْنَى ، الْهَمَامَى ، الظَّهِيرَى ، الْأَصِيلَى ،
 الْعَرِيقَى ، الشَّهَابَى ؛ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرُفُ الْأُمَرَاءِ الْأَشْرَافِ فِي الْعَالَمِينَ ،
 نُصْرَةُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، كَهْفُ الْمِلَّةِ ، عَوْنُ الْأُمَّةِ ، نَخْرُ السَّلَالَةِ الزَّاهِرَةِ ، زَيْنُ الْعِتْرَةِ
 الطَّاهِرَةِ ، بَهَاءُ الْعِصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ ، جَمَالُ الطَّائِفَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ،
 سَيِّبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده في " التثقيف " في ألقاب أمير آل فضل من عرب
 الشام : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ،
 الأوحدى ، النصيرى ، العونى ، الهامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الأصلى ، الفلانى ؛
 عِزُّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرُفُ الْأُمَرَاءِ الْعُرَبَانِ فِي الْعَالَمِينَ ، نُصْرَةُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ،
 مَقْدَمُ الْعَسَاكِرِ ، كَهْفُ الْمِلَّةِ ، دُحْرُ الدَّوْلَةِ ، عِمَادُ الْعَرَبِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ،
 حُسَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

الرتبة الثانية — المجلس العالى مع صدرت .

وصورتها على ما أورده في " التثقيف " في ألقاب نائب الرّحبة ومن في رتبته :
 « المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العضدى ، الذّحرى ، النصيرى ، الأوحدى ،
 المؤيدى ، العونى ، الهامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ؛ مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ،
 شَرُفُ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ ، نُصْرَةُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، مَقْدَمُ الْعَسَاكِرِ ، دُحْرُ الدَّوْلَةِ ،
 كَهْفُ الْمِلَّةِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .



وأما فيما يكتب عن الثّواب وما كان يُكْتَبُ فِي الْإِخْوَانِيَّاتِ أَوَّلًا ، فَصُورَتُهَا عَلَى
 مَا أوردته في "عُرف التعريف" : «المجلسُ العالى، الأميرى ، الاسفَهسلارى ،

الأجلّي ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، النصيرى ، الظهيرى ، الفلانى ،
مجد الإسلام والمسلمين ، زينُ الأمراء المقدمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ،
عَضُد الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده الصلاح الصفدى فى دُستوره عن نائب الشام "المجلس
العالى ، الأميرى ، الأجلّي ، الكبيرى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الاسفَهْسلارى ،
العونى ، الظهيرى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء المقدمين
نُصرة الغزاة والمجاهدين ، عَضُد الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده فى "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام : «المجلس العالى ،
الأميرى ، الكبيرى ، العضدى ، النصيرى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الذُخرى ،
مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء المقدمين ، ذُخر الغزاة والمجاهدين ،
عَضُد الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية

(مرتبة المجلس السامى بالياء)

وهو مستعمل فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله فى بعض
دساتيره فى توقيع تقيب الأشراف : «المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ،
العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الشريفى ، الحسينى ، النسيبى ، الذُخرى ،
النصيرى ، الأوحدي ، الأصلى ، عز الإسلام ، زينُ الأنام ، نسيب الإمام ،
شرفُ الأمراء ، تقيبُ النُقباء ، جمالُ العترة الطاهرة ، جلالُ الأسرة الزاهرة ، ذُخر
الغزاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الكُشَاف بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، الذُخْرى ، النَّصِيرى ، الأُوحدى ، المؤيِّدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الأمراء ، أُوحدُ المجاهدين ، عضدُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض المراسيم لأُمير آل مرا من عَرَب الشام : « المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيِّدى ، العَضدى ، الذُخْرى ، النَّصِيرى ، الأُوحدى ، الأصيلى ، العريقى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الأمراء ، زينُ القبائل ، نجر العِشائر ، ملاذُ العرب ، عضدُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب وزير الشيخ أويس ببغداد : « المجلس السامى ، الأَجَلّى ، الكبيرى ، الأُوحدى ، المقَدِّمى ، المتخَيّى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الرؤساء ، أُوحدُ الأعيان ، صفوة الملوك والسلاطين » .

وصورتها في ألقاب أمراء العرب : « المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذُخْرى ، المؤيِّدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زينُ القبائل ، نجر العِشائر ، عمادُ الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتَب عن الثَّواب ونحوهم ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المجلس السامى ، الأميرى ، الأَجَلّى ، الكبيرى ، المؤيِّدى ، العَضدى ، النَّصِيرى ،

الأوحدى، الهمامى، الفلانى؛ مجد الإسلام، زين الأمراء فى الأنام؛ دُحر الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقى فى دُستوره عن نائب الشام :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، العضدى، النصيرى، المؤيدى،
الفلانى؛ مجد الإسلام، جمال الأمراء، نُصرة الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصفدى فى دُستوره عن نائب الشام أيضا :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، المؤيدى، المجاهدى، العضدى،
النصيرى، الهمامى، الفلانى؛ مجد الإسلام، شرف الأمراء، نُصرة الغزاة،
عمدة الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة

(مرتبة المجلس السامى بغيرياء)

وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب الولاية
الطبلخاناه بالوجهين القبلى والبحرى : المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير،
الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى؛ فلان الدين، مجد الإسلام،
بهاء الأنام، نحر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته فى بعض نُسخ التّواقيع : ترتيب الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي : «المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الحسيب، النسيب،

الطاهر، الكامل، العالم، العامل، الفاضل، الزاهد، الورع، الزكي، التقي؛
 فلان الدين، جلال الإسلام، شرف السادة الأشراف، نحر العترة الطاهرة،
 زين السلالة الزاهرة، نقيب نقباء الشرفاء، مجد العصبة العلوية، جمال العصبة الفاطمية؛
 صدر الأئمة العلماء، مجتبي الدولة، بهاء الملة، خالصة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما في ألقاب النائب بالينبع : « المجلس السامي، الأمير، الأجل،
 المجاهد، المؤيد، الشريف، الحبيب، النسيب، مجد الإسلام، بهاء الأنام،
 زين العترة، نحر الأسره، جمال الذرية، نحر الشجرة الزكية، عمدة الملوك والسلاطين» .
 وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب أكابر عربان آل فضل من
 عرب الشام: « المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد،
 الأوحّد، الأصيل؛ فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر القبائل،
 زين العشائر، عماد الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يكتب عن النُواب ومن في معنهم، فصورتها على ما أورده
 في "عرف التعريف" : « المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازي،
 المجاهد، المؤيد؛ فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأمراء، نحر الأنام، دُحر الغزاة
 والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام: « المجلس السامي،
 الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، العضد، النصير؛ فلان الدين، مجد الأمراء،
 شرف الخواص، زين الغزاة، عُدّة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الأمير)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها على مرتبة واحدة .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الولاة العشرات بالوجهين القبلي والبحري : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحده، المرتضى، فلان الدين، مجد الأمراء، زين المجاهدين، عتة الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن النُواب ومن في معنهم، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المرتضى، فلان الدين، فخر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده الفارقي في دُستوره عن نائب الشام : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الأخص، الأكل، الغازي، المجاهد، المرتضى، المختار، فلان الدين، مجد الأمراء، زين الغزاة، عتة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "الذاكرة الآمديّة" : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، الأعز، الأخص، الأكل، المجتبى، المختار، فلان الدين، مجد الأمراء، زين الغزاة، عتة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الخامسة

(درجة الأمير مجّردا عن مضاف إليه)

وأكثر ما يأتي ذلك في الولايات أو فيمن يُكْتَبُ بسببه كتابٌ وما أشبه ذلك .
وصورتها في السلطانيات : « الأميرُ الأجلُّ » وربما زيد على ذلك فقليل :
« الكبيرُ الغازي » .

وصورتها في غير السلطانيات على ما أورده في " التذكرة الآمديّة " : « الأميرُ ،
الأجلُّ ، الأخصُّ ، الأكلُّ » .

النوع الثاني

(من الألقاب الإسلامية الألقابُ الديوانية . وهي أيضا على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَرّ)

وليست مستعملةً في السلطانيات جملةً لأنه لا يُكْتَبُ لأحدٍ من هذا النوع
عن السلطان بالمَقَرّ، وهي مستعملةٌ فيما يكتب عن الثواب ومن في معانهم ،
ولها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَرّ الشريف . وصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" في ألقاب الوزراء من أرباب الأفلام : « المَقَرّ الشريف ،
العالى ، المولوى ، الصاحى ، الوزيرى ، المتقدّى ، العالمى ، الممهّدى ، المشيدى ،

العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْدُومِيّ، الفَلَانِيّ؛ صَلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ،
سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ، قَوَامُ الأُمَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، مَدَبَرُ الدَّوْلَةِ،
ذُنْحَرُ المَمَالِكِ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ، وَلِيّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" أيضا في ألقاب غير الوزراء
من الكُتَّابِ : «المَقَرُّ الشَّرِيفُ، العَالِي، المَوْلَوِيّ، القَضَائِيّ، السَّيِّدِيّ،
العَالِمِيّ، العَادِلِيّ، المَهْمَدِيّ، المَشِيدِيّ، العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْدُومِيّ،
الفَلَانِيّ؛ صَلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ،
قَوَامُ الأُمَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، زَيْنُ الدَّوْلَةِ، ذُنْحَرُ المَمَالِكِ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ،
وَلِيّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب الشام في ألقاب بعض كُتَّابِ
السَّرِّ العُلَمَاءِ : «المَقَرُّ الشَّرِيفُ، العَالِي، المَوْلَوِيّ، القَاضِيّ، الكَبِيرِيّ، العَالِمِيّ،
العَامِلِيّ، العَالِمِيّ، الأَكْبَلِيّ، الأَفْضَلِيّ، المُفِيدِيّ، القَرِيدِيّ، القُدْرِيّ، المَحْقَقِيّ،
المُسَلِّكِيّ، الأَصِيلِيّ، العَرِيقِيّ، المَدَبَرِيّ، المَشِيرِيّ، الِيمِينِيّ، السَّفِيرِيّ، المَالِكِيّ،
المَخْدُومِيّ، الشَّيْخِيّ، العَالِمِيّ؛ ضِيَاءُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ والرُّؤَسَاءِ
والمَشَاحِجِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ، نَفَرُ الكُتَّابِ، حَسَنَةُ الأَيَّامِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ
الكَرَامِ، صَدْرُ مَصْرَ والشَّامِ، لِسَانُ السُّلْطَنَةِ، سَفِيرُ المَمْلَكَةِ، شَيْخُ شُيُوخِ العَارِفِينَ،
جَامِعُ طُرُقِ الوَاصِفِينَ، صَدْرُ المَدْرَسِينَ، مَشِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ، وَلِيّ أَمِيرِ
المُؤْمِنِينَ .

المرتبة الثانية — مَرْتَبَةُ المَقَرِّ الكَرِيمِ . قال في "عرف التعريف" : والألقابُ
فيها من نِسْبَةٍ ما تَقَدَّمَ فِي ألقَابِ المَقَرِّ الشَّرِيفِ .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام :
« المَقَرَّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوَلَوِي ، القَضَائِي ، العَالِمِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، المَدَبَرِي ،
المُشِيرِي ، المَلَاذِي ، الفَلَانِي ؛ جَلَالُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الأَكْبَرِ فِي الْعَالَمِينَ ،
عَوْنُ الْأُمَّةِ ، ذُنُورُ الْمِلَّةِ ، مَدَبَرُ الدَّوَلِ ، حِمَاةُ الْمَالِكِ ، حَسَنَةُ الْوَجُودِ ، خَالِصَةُ
الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ المَقَرَّ العَالِي . وقد جعلها في " عرف التعريف " من
نسبة ما تقدم من ألقاب المَقَرَّ الشريف أيضا .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير عن نائب الشام فيما كُتِبَ به للقاضي
شرف الدين عبد الوهَّاب بن أبي الطيب كاتب السرِّ بالشام : « المَقَرَّ العَالِي ،
المَوَلَوِي ، القَضَائِي ، الكِبَرِيُّ ، العَالِمِي ، الفَاضِلِي ، الكَامِلِي ، البَارِعِي ، الأَوْحِدِي ،
المَسَاجِدِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، الْمُفَوِّهِ ، الرَّئِيسِي ، الْأَيْمَرِي ، الْأَيْمَلِي ، الْأَصِيلِي ،
الْعَرِيقِي ، الفَلَانِي ؛ عِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، أَوْحُدُ
الْفَضْلَاءِ الْمَاجِدِينَ ، مُجَّةُ الْمُتَنَشِّئِينَ ، صَدْرُ الرُّؤَسَاءِ ، رَأْسُ الصُّدُورِ ، عَيْنُ الْأَعْيَانِ ،
خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَابِ ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مَرْتَبَةُ الجَنَابِ الشَّرِيفِ . وهي مستعملةٌ ^(١) في غير السلطان دون
السُّلْطَانِيَّاتِ . قال في " عرف التعريف " : وهي من نسبة الألقاب المتقدمة
في المَقَرَّ الشريف .

(١) عبارة الضوء ج ١ ص ١٨٠ «وهي مختصة بما يكتب عن التواب دون السلطانيات» وهي أوضح .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَابِ الكريم . وجعلها في "عرف التعريف" من نسبة ماتقدم في المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّالِحُ الصَّفْدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام: «الجَنَابِ الكريمُ العَالِي، المَوْلَى، القَضَائِي، العَالِمِي، الأَوْحَدِي، الرَّئِيسِي، الأَجَلِّي، الأَثِيرِي، البَارِعِي، المَاجِدِي، الفَلَانِي، مُجْدُ الإسلام والمسلمين، شرفُ الرؤساء في العالمين، جمالُ الأكابر، نَفَرُ الأعيان، أَوْحَدُ الكُتَّاب، خالصةُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيتُهُ في بعض الدساتير عن نائب الشام في توقيع باسم شهاب الدين آبن أبي الطيب بكتابة الدُست بالشام : « الجَنَابِ الكريم ، العَالِي ، المَوْلَى ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، البَارِعِي ، الكَامِلِي ، المَاجِدِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، الرَّئِيسِي ، الأَصِيلِي ، العَرِيقِي ، الأَوْحَدِي ، الفَلَانِي ؛ جلالُ الإسلام والمسلمين ، أَوْحَدُ الرؤساء في العالمين ، تاجُ الفضلاء المُنتَشِينَ ، جِهْدُ الحُدُوق المتصرفين ، سُلالةُ الأتقياء العارفين ، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الوزارة بالديار المصرية : « الجَنَابِ العَالِي ، الصَّاحِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، الأَوْحَدِي ، الأَكْبَلِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، الأَثِيرِي ، البَلِغِي ، المُنْفَذِي ، المَسَدْدِي ، المتصرفي ، الممهدي ، العَوْنِي ، المَدْبَرِي ، المُشِيرِي ، الوزيرِي ، الفَلَانِي ؛ صلاحُ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الوزراء في العالمين ، رئيسُ الكبراء ، كبيرُ الرؤساء ، أَوْحَدُ الأصحاب ، مَلَأْدُ الكُتَّاب ، قِوَامُ الدُّول ، نِظَامُ المُلُك ، مُفِيد

المنّاجح، معتمد المصالح، مرتّب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مُشير الملوك والسلّاطين، وليّ أمير المؤمنين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيتها في بعض الدساتير عن نائب الشام في ألقاب كاتب دسّت بالشام : « الجنّابُ العالى، القَضائى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الأكملى، البارعى، الأوحدى، القوّامى، النظامى، المُقوّهى، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوحد الفضلاء الماجدين، قُدوة البغاء، جمال الكُتّاب، زين المنتشئين، خالصة الملوك والسلّاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التتقيف" فى ألقاب كاتب السرّ بالأبواب السلطانية : « المجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادلى، العلّامى، الأفضلى، الأكملى، البليغى، المسدّدى، المنقّدى، المشيّدى، العونى، المشيرى، اليمينى، السّفيرى، الأصلى، العربى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قُدوة العلماء العالمين، جمال البغاء،

أوحد الفضلاء ، جلال الأصحاب ، كهف الكُتّاب ، بين المملكة ، لسان السُّلطنة ،
سفير الأمة ، سليل الأَكابر ، مشيرُ الملوك والسلاطين ، وليّ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ناظر الخواص الشريفة :
« المجلس العالی ، القاضی ، الکبیری ، العالی ، الفاضلی ، الأوحدی ، الأکلی ،
الرئیس ، البلیغی ، البارعی ، القوامی ، النظامی ، الماجدی ، الأمیری ، المنفّذی ،
المسدّدی ، المتصرّفی ، الفلانی ، جمال الإسلام والمسلمین ، سید الرؤساء فی العالمین ،
قوام المصالح ، نظام المناجیح ، جلال الأکابر ، قدوة کُتّاب ، رئیس الأصحاب ،
عماد الملة ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، وليّ أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في ألقاب وزير دمشق إذا صُرح له بالوزارة : « المجلس
العالی ، الصاحبی ، وزیری ، الأصیل ، الکبیری ، العالی ، العادلی ، المؤید ،
الأوحدی ، القوامی ، النظامی ، الماجدی ، الأثیری ، المُشیر ، الفلانی ،
صلاح الإسلام والمسلمین ، سید الوزراء فی العالمین ، رئیس الکبراء ، کبر الرؤساء ،
بقية الأصحاب ، ملاذ کُتّاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك والسلاطين ،
خالصة أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في ألقابه إذا لم يُصرَّح له بالوزارة ، بل كان ناظر النظار
بالمملكة الشامية : « المجلس العالی ، القضاة ، الکبیری ، العالی ، العاملی ،
الأوحدی ، الرئیس ، الأثیری ، القوامی ، النظامی ، المنفّذی ، المتصرّفی ، الفلانی ،
مجد الإسلام والمسلمین ، شرف الأُمراء فی العالمین ، أوحد الفضلاء ، جلال الکبراء ،
حجة کُتّاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين . »



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" في بعض التواقيع من ترتيب المقرّ الشهابي بن فضل الله بكتابة الدست بالشام: «المجلس العالي، القضائي، الأجلّي، الكبيرى، الرئيسى، العالمى، العالمى، البارعى، الأوحدي، الماجدى، الأثيرى، الأئبلى، الأفضلى، الأصلى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، أوجد الكبراء، صدر الأعيان، جمال الكُتاب، جلال الحُساب، صفوة الدولة، خالصة الملوك والسلطين» .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر صورتها في "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير: «المجلس السامى، القضائي، الأجلّي، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكافلى، الرئيسى، الأوحدي، الأصلى، الأثيرى، البليغى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، نحر الأنام، زين البلغاء، جمال الفضلاء، أوجد الكُتاب، نحر الحُساب، صفوة الملوك والسلطين» .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في "التذكرة الآمدية" في توقيع بكتابة الدرّج عن نائب الشام: «المجلس السامى، القضائي، الأجلّي، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى، البليغى، الأصلى، الرئيسى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوجد الكُتاب، جمال البلغاء، مرتضى الملوك والسلطين» .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغير ياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" أيضا .

وصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمدية" في توقيع شريف بكتابة الدرج :
المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأوحّد، البارّع،
الكامل، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام،
شرف الأكاير، زين الرؤساء، أوحّد الفضلاء، زين الكُتّاب، صفوة الملوك
والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمدية" في توقيع
كريم عن نائب الشام بكتابة الدرج بالشام، ترتيب مؤلف "التذكرة" المذكورة :
«المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، البارّع، الكامل، الأوحّد،
الرئيس، الأثير، فلان الدين، مجد الإسلام، شرف الصُّدور، أوحّد الفضلاء،
زين الكُتّاب، جمال الحُساب، صفوة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فلم يُورد لها في "التثقيف" أيضا صورة .

وصورتها على ما يقتضيه عرف الديوان : «مجلس القاضي، الأجل، الكبير،
الفاضل، الأوحّد، الأثير، الرئيس، البالغ، العريق، الأصيل، فلان الدين،
مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء» .



وأما في غير السلطانيات، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الخامسة

(١)

(درجة القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات [وغيرها])

وصورتها فيهما : « القاضي الأجل » وربما زيد في تعظيمه فقيل « الكبير الصدر الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية،

وهي على خمس درجات أيضا)

الدرجة الأولى

(درجة المقر)

وهي مختصة بغير السلطانيات، لأنه لا يُكتب لأحد من أهل هذا النوع عن السلطان بالمقر أيضا، بل قال في «عرف التعريف» : إنه لا يُكتب به لأحد من هذا النوع في غير السلطانيات أيضا ولكن رأيت مستعملا فيما يكتب عن النواب بالممالك . وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المقر الشريف .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير في توقيع عن نائب الشام للقاضي جمال الدين إبراهيم بن العديم بعض الأنظار والتدريس بالشام : «المقر الشريف، العالى، المولوى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادلى، الأصيلى، العريقى، القوامى، النظامى، الإمامى، العلامى، القدوى، المفيدى، الشيعى، الصاحى»

الحاكمي، المُحْسِنِي، الفلاني؛ جمالُ الإسلام والمسلمين، سيدُ الفضلاء العالمين،
قُدوةُ العلماء في العالمين، لسانُ المتكلمين، برهانُ المناظرين، صدرُ المدرسين،
جلالُ الطالبين، بقيةُ السلف الكرام الدارجين، بركةُ الملوك والسلاطين، خالصةُ
أمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية — مرتبة المَقَرِّ الكَرِيم .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب الشام في توقيع ببعض الوظائف
الدَّيْنِيَّة بِدِمَشْقَ : « المَقَرُّ الكَرِيمُ العَالِي، المَوْلَوِي، القَضَائِي، الصَّاحِبِي، الإِمَامِي،
العَالِمِي، العَامِلِي، العَلَّامِي، المُفِيدِي، الفَرِيدِي، البَلِيغِي، الأَوْحَدِي، المحَقِّقِي،
القَوَامِي، النَّظَامِي، العَرِيقِي، الحاكمِي، المُحْسِنِي، الفلاني؛ جمالُ الإسلام
والمسلمين، جلالُ العلماء العالمين، أَوْحَدُ المتكلمين، أَكْمَلُ البُلغَاء في العالمين، قُدوةُ
المُحَقِّقِينَ، بركةُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَقَرِّ العَالِي .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب حلب بتدريس بها : « المَقَرُّ
العَالِي، المَوْلَوِي، الشَّيْخِي، الكَبِيرِي، الإِمَامِي، الْعَالِمِي، الْعَلَّامِي، الْمُفِيدِي،
القُدُودِي، الفَرِيدِي، المحَقِّقِي، القَوَامِي، النَّظَامِي، الحاكمِي، الفلاني؛ علاءُ الإسلام
والمسلمين، أَوْحَدُ الفضلاء العارفين، رُحْلَةُ الطالبين، نُجْبَةُ المُحَقِّقِينَ، جمالُ العلماء
في العالمين، خالصةُ الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب)

وقد جعلها في "عرف التعريف" أعلى ما يُكْتَب لهذا النوع ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وهي مختصة بغير السلطانيات .
وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" « الجَنَاب الشريف العالى ،
المولوى ، القضائى ، السيدى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العلّامى ، الكاملى ،
الأصيلى ، الأوحدى ، المفيدى ، القدوى ، الفريدى ، الحجّى ، المجتهدى ، الفلانى ،
مُجَّة الإسلام (أوصياء الإسلام) شرف الأنام ، أمير الإمام ، صدر الشام ، سيد العلماء
والحكام ، أو أوحد العلماء الأعلام ، بقيّة السلف الكرام ، شيخ المذاهب ، مجلّى
الغيايب ، قدوة الفرق ، رئيس الأصحاب ، مفى السنّة ، مؤيد الملة ، شمس الشريعة ،
سيف النّظر ، مفيد الطالبين ، لسان المتكلّمين ، ولّى أمير المؤمنين » .

فإن كان حاكما قبل الفلانى « الحاكى » وقبل ولّى أمير المؤمنين « حاكم
الملوك والسلطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مختصة بغير السلطانيات أيضا .
وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في توقيع القاضى جمال الدين
آبن أبى جرادة الحنفى ببعض الوظائف الدينية : « الجَنَاب الكريم العالى ، المولوى ،
القضائى ، الكبيرى ، الصاحبى ، الإمامى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأريى ،
اللببى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
أوحد الفضلاء فى العالمين ، أكمل مُجَبَّاء الأبناء العالمين ، خالصة الملوك والسلطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العالى . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما استقر عليه الحال فى ألقاب قاضى القضاة
الشافعى بالديار المصرية : « الجَنَابِ العالى ، القاضوى ، الشيخى ، الكبيرى ،
العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ، البلىغى ، الفريدى ، المفيدى ،
النَّجيدى ، القُدوى ، الحُجّى ، المحقّقى ، الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، الإمامى ،
العَلَامى ، الأصيلى ، العريقى ، الحاكى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
شرف العلماء العاملين ، أوحُد الفضلاء المفيدين ، قُدوةُ البلغاء ، حُجَّةُ الأئمة ، عمدةُ
المحققين ، نخر المدرسين ، مفتي المسلمين ، جلالُ الحُكَّام ، بركةُ الدولة صَدْرُ مصر
والشام ، مُعزُّ السنة ، مؤيِّدُ الملة ، شمسُ الشريعة ، رئيسُ الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ،
حَكَمُ الملوك والسلاطين ، وَلِىُّ أمير المؤمنين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما رأيت فى بعض الدساتير فى توقيع عن
نائب الشام ببعض الوظائف الدينية لبعض العلماء : « الجَنَابُ العالى ، الشيخى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحدى ، الماجدى ، القوامى ، النظامى ،
الفلانى ، ضياءُ الإسلام والمسلمين ، أوحُد الفضلاء العارفين ، جلالُ الأئمة
فى العالمين ، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
 فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب القضاة
 الثلاثة بالديار المصرية غير الشافعى : « المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى » ،
 العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدي ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ،
 النجيدى ، القدوى ، المجبى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ، العريقى ، الحاكى ،
 الفلافى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ،
 قدوة البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة المحدثين ، نحر المدرسين ، مفتي المسلمين ، جلال
 الحُكَّام ، حاكم الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عرف التعريف" : « المجلس
 العالى ، القضاى ، الأجلّى ، الإمامى ، الصدى ، الرئيسى ، الفقيهى ، العالمى ،
 العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدي ، الفلافى ، مجد الإسلام ، نحر الأنام ،
 تاج العلماء والحكّام (أو شرف العلماء والحكّام) جمال الأئمة ، أوجد الأئمة ، صدر
 المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
 وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فلم يذكر لها فى "التثقيف" صورة .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القضاى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الرئيسى ، المفيدى ، البليغى ، القدوى ،
الأثيرى ، مجد الإسلام والمسلمين ، جمال العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء ، صدر
المدرسين ، عمدة المفتين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض تواقيع بعض الخطباء « المجلس السامى ، القضاى ،
الشيخى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العابدى ، الزاهدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
الخطيبى ، الفلانى ، ضياء الإسلام والمسلمين ، أوجد الخطباء في العالمين ، جمال الأئمة
الفضحاء البارعين ، لسان البيان ، ترجمان الزمان ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" :
« المجلس السامى ، القضاى ، الأجلّى ، الإمامى ، الصّدرى ، الفقيهى ، العالمى ،
الكاملّى ، الفاضلى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، جمال العلماء ، أوجد
الفضلاء ، شرف النبلاء ، صفوة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة في السلطانيات
وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ،
الكبرى ، الصّدر ، الرئيس ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، فلان الدين ، مجد الصدور ،
زين الأعيان ، مرضى الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "عرف التعريف" :
«المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوجد ،
الأيثر ، البارُع ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الصدور ،
جمال الأعيان ، مرتضى الدولة ، صفوة الملوك والسلطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : «مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير ،
العالم ، الفاضل ، الأوجد ، الكامل ، الصدر ، الرئيس ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين الأعيان ، نحر الصدور ، مرتضى الملوك والسلطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الخامسة

(درجة القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : «القاضي ، الأجل » وربما زيد في التعظيم نحو «الكبير الصدر
الرئيس» ونحو ذلك .

النوع الرابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ،

وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقر، وليس لها استعمال في السلطانيات ؛ وفي غير السلطانيات

لها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المقر الشريف .

وصورتها : « المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، الشيخى ، السيدى ، الإمامى ،

العالى ، العاملى ، الكافى ، الفاضلى ، الورعى ، الزاهدى ، العابدى ، الناسكى ،

السالكى ، الخاشعى ، المسلكى ، المحققى ، المدققى ، الفلانى ؛ صلاح الإسلام

والمسامين ، جمال الأصفياء العاملين ، خالصة الأنام ، صفوة الأتقياء ، قُطب العباد ،

الملئ على الحقيقه ، والمالك لأزمة الطريقه ، بقية السلف ، قدوة الخلف ،

مفيد الطالبين ، أوحّد المحققين ، ركن الملوك والسلاطين ، ولّى أمير المؤمنين .

وقد تقدم أن الأحسن في اللقب المضاف إلى السلاطين هنا « بركة الملوك

والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المقر الكريم ، وألقابها من نسبة الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — مرتبة المقر العالى ، وألقابها نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(دَرَجَةُ الْجَنَاب ، وفيها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبةُ الجَنَاب الشريف . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات .

وصورتها : « الجَنَابُ الشريفُ ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، الشَّيْخِي ، الإِمَامِي ، العَالِمِي ،
العَامِلِي ، الكَافِلِي ، الفاضِلِي ، الزَاهِدِي ، العَابِدِي ، الخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الْوَرَعِي ،
جَلَالُ الإِسْلَام ، سَيْفُ الإِمَام ، قُطْبُ الزُّهَاد ، عِلْمُ الْعِبَاد ، أَوْحَدُ النَّاسِكِينَ ،
فَرْدُ السَّالِكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنَاب الكَرِيم . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات أيضا .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع عن نائب الشام : « الجَنَابُ الكَرِيمُ ،
العَالِي ، الشَّيْخِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الْعَلَّامِي ، الْأَوْحَدِي ، الْقُدُّوسِي ، الْعَابِدِي ،
النَّاسِكِي ، الْخَاشِعِي ، الْمَسَلِّكِي ، الْمُرَبِّي ، الرَّبَّانِي ، الْأَصِيلِي ، الْفَلَاحِي ، مُجَدُّ الإِسْلَام ،
حَسَنَةُ الْأَيَّام ، قِدْوَةُ الزُّهَاد ، مَلَاذُ الْعِبَاد ، جَمَالُ الْوَرَعِينَ ، مُرَبِّي الْمُرِيدِينَ ،
أَوْحَدُ الْمَسَلِّكِينَ ، خَلْفُ الْأَوْلِيَاء ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ الجَنَاب العَالِي . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع عن نائب الشام : « الجَنَابُ العَالِي ،
الشَّيْخِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ، الْعَابِدِي ، النَّاسِكِي ، الْوَرَعِي ، الزَاهِدِي ،
الْخَاشِعِي ، الْمَسَلِّكِي ، الْأَصِيلِي ، الْفَلَاحِي ، مُجَدُّ الإِسْلَام ، بهاءُ الْأَنَام ، قِدْوَةُ الْعِبَاد ،
جَمَالُ الزُّهَاد ، أَوْحَدُ الْمَسَلِّكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب شيخ
الشيوخ بخانقاه سرياقوس : « المجلس العالى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ،
العالمى ، السالكى ، الأوحدي ، الزاهدي ، العايدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
المفيدى ، القدوى ، الإمامى ، النظامى ، الملاذى ، جلال الإسلام والمسلمين ،
شرف الصلحاء فى العالمين ، شيخ شيوخ الإسلام ، أوجد العلماء فى الأنام ،
قدوة السالكين ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "عرف التعريف" : « المجلس
العالى ، الشيخى ، الأجل ، الإمامى ، العالمى ، العايدى ، الزاهدي ، العايدى ،
الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الفلانى ، خيرة الإسلام ، شرف الأنام ،
زين العباد ، نور الزهاد ، دُخر الطالبين ، كثر التقي ، ملجأ المريدين ، بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

أما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب الشيخ
شمس الدين الطوطى ممن كان يكتب إليه قديما : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الأجل ، العالمى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدي ، الورعى ، العايدى ،
الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الأوحدي ، الفلانى ، مجد الإسلام ، ضياء الأنام ،

بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرَامِ ، نَخْرُ الصُّلَحَاءَ ، أَوْحَدُ الْكِبَرَاءِ ، زَيْنُ الزُّهَادِ ، عِمَادُ الْعِبَادِ ،
قُدُوةُ الْمُتَوَرِّعِينَ ، ذُنُورُ الدُّوَلِ ، رَكْنُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الكبرى ، الأوحدي ، الأكلى ، العابدى ، الخاشعى ، الناسكى ، جمال الإسلام ،
زين الأنام ، صَفْوَةُ الصُّلَحَاءِ ، نَخْرُ الْعِبَادِ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بِرَبِّ فَضْلِ اللَّهِ
في بعض التواقيع عن نائب الشام : « المجلس السامى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ،
الخاشعى ، الوردى ، الناسكى ، السالكى ، العارفى ، القُدُوى ، البليغى ، الأصلى ،
الشيخى ، الفلافى ، مجد الإسلام ، شرف العلماء ، قُدُوةُ الْفُضَلَاءِ ، نَخْرُ الصُّلَحَاءِ ،
جمال النَّسَّاكِ ، قُدُوةُ السُّلَّاكِ ، أَوْحَدُ الْعَارِفِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها .

فأما فى السلطانيات فلم يُورد لها صورةٌ فى "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيتُه فى بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخ ،
الصالح ، الزاهد ، العابد ، الورد ، الخاشع ، الناسك ، السالك ، فلان الدين ،
مجد الصلحاء ، زين المشايخ ، قُدُوةُ السَّاكِينِ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على نحو من ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الشيخ)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

ولم يورد لها صورة في "التثقيف" . وصورتها على ما في بعض الدساتير: «مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الخامسة

(درجة الشيخ)

وهي «الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد» ونحو ذلك .

النوع الخامس

(ألقاب التجار الخوارجية، والمستعمل فيه أربع درجات)

الدرجة الأولى

(درجة الجَنَاب)

ولم أر فيها غير مرتبة الجَنَاب العالی فيما عدا السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية فيما كتب به لبعض الخوارجية: «الجَنَابُ العالی، الصَّدری، الکبیری، المحترمی، المؤتمنی، الأوحدي، الأکلی، الرئيسی، العارفي، المقرَّبی، الخوارجي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين،

شرف الأَكابر في العالمين، أَوْحُدُ الأَمْناءِ المقَرَّبِينَ، صَدْرُ الرُّؤساءِ، رَأْسُ الصُّدُورِ، عَيْنُ الأَعْيَانِ، كَبِيرُ الخَوَاجِكَةِ، ثِقَّةُ الدَّوْلَةِ، مُؤْتَمِنُ المُلُوكِ والسُّلاطِينِ». . فإنَّ اتَّفَقَ أنْ يُكْتَبَ لِاحِدٍ مِنَ الخَوَاجِكَةِ بأَعْلَى مِنَ الجَنابِ العَالِي، كُتِبَ لَهُ مِنْ نَظِيرِ هَذِهِ الأَلْقَابِ وَأَعْلَى مِنْهَا .

الدرجة الثانية

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالی، وهي مخصصة بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية : « المجلس العالی ، الصَّدریّ ، الرئیسى ، الكبیرى ، المحترمى ، المؤتمنى ، الأوحدى ، الأکلى ، المقربى ، الخَوَاجكى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، شرف الأَكابر ، أَوْحُدُ الأَمْناءِ ، صَدْرُ الرُّؤساءِ ، زَيْنُ الأَعْيَانِ ، ثِقَّةُ الدَّوْلَةِ ، مُؤْتَمِنُ المُلُوكِ والسُّلاطِينِ » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب خَوَاجَا عَسَافِ بْنِ مُسَافِرٍ، ونظام الدين الإسعردى : « المجلس السامى ، الصَّدرى ، الكبیرى ، الکاملی ، الماجدى ، الأوحدى ، المقربى ، المتخى ، الأمینى ، الأئیرى ، الخَوَاجكى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، زَيْنُ الأَنَامِ ، شرفُ الرُّؤساءِ ، أَوْحُدُ الكُبراءِ ، تاجُ الأَمْناءِ ، نَحرُ الأَعْيَانِ ، مُقَرَّبُ الحَضَرَتینِ ، مُؤْتَمِنُ الدُّوَلِ ، صَفْوَةُ المُلُوكِ والسُّلاطِينِ » .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على نحو من ذلك .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامي بغيرياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التشيف" في ألقاب بعض الخوارجية: «المجلس السامي، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحى، المقرب، المنتخب، الأمين، الأثير، الخوارج، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكاير، مجد الصدور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الثالثة

(درجة مجلس الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التشيف": «مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحى، فلان الدين» .



وأما في غير السلطانيات، فلا تخرج عن ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة الصّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فصورُها على ما أشار إليه في "التثقيف" : « الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المقرب ، الأوحد ، فلان الدين » .



وأما في غير السلطانيات ، فلا تبعُد من ذلك .

النوع السادس

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسيّة ،

كرئاسة الطب ، ورئاسة الكحّالين ، ورئاسة الجراحية ،

ونحو ذلك ، والمستعمل فيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الاولى — مرتبة المجلس العالي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فكألقاب رئيس الأطباء ، وهي « المجلس العالي » . [القَضَائِي^(١) ،

العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحديّ ، الفلانى ؛ جمال الإسلام والمسلمين ،

سيدّ الرؤساء في العالمين ، أوحد الفضلاء المقربين ، خاصّة الملوك والسلاطين^(١)] .

(١) يبيّض لهذه العبارة في الاصول ، فنقلناها من ضوء الصبح للزلف .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، القلانى » .



وأما فى غير السلطانيات فعلى نحو منه .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، المحترم » .



وأما فى غير السلطانيات ، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها)

وصورتها فهما : « الصدر الأجلّ » فإن زيد فى تعظيمه ، قيل : « الكبير المحترم » .

النوع السابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ، كـمِـهـتـارِـةُ البـيـوت ،
ومُـهـنـدِسُ العـائـر ، ورئـيـسُ الحـزَاقـة ونحوهم ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة مجلس الصّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في " التنقيف " في ألقاب المهندس
والرئيس : « مجلس الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين » .
وفي ألقاب مهتارية البيوت : من مهتار الشراب خاناه ، والطّشت خاناه ، والفراش
خاناه ، وإخوان سَلار ونحوهم : « مجلس الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ،
الحاج فلان » .



وأما في غير السلطانيات ، فكذلك أو أزيد .

الدرجة الثانية

(درجة الصّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصّدر الأجل » فإن زيد في رعايته قيل بعد ذلك :
« الكبير المحترم » .

النوع الثامن

(من الألقاب الإسلامية ألقاب النساء ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة الجهة ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — مرتبة الجهة الشريفة ، وصورتها على ما ذكره في "التثقيف"^(١) في ألقاب إلى بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون عن والدتها : «الجهة الشريفة ، العالية المحجبة ، المصونة ، الولدية ، العظيمة ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف الخواتين ، سليله الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" أيضا في المكتبة إلى أم آتوك : زوجة السلطان الملك الناصر عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المعظمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، قرينة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في المكتبة إلى أخت السلطان الملك الناصر حسن عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المكرمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، الخاتون ، جلال النساء في العالمين ، بحيلة المحجبات ، جليلة المصونات ، كريمة الملوك والسلاطين» .

(١) سقط لفظ إلى من الضوء وهي أوضح .

وصورتها على ما ذكره في ألقاب الستِّ حَدَقَ : «الجهة الشريفة، العالية، الكبيرة، المحجَّبة، المصُونَة، الحاجَّة، الوالديَّة؛ جلالُ النساء في العالمين، بركة الدولة، والدَةُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير في ألقاب والدَةِ الأشرفِ شعبانِ ابنِ حسين : «الجهة الشريفة، العالية، الكُبرى، المعظَّمة، المحجَّبة، العِصْمَى، الخاتُونى؛ جلالُ النساء في العالمين، سيِّدَةُ الخواتين، جميلةُ المحجَّبات، جليلةُ المصُونات، والدَةُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية — مرتبة الجهة الكريمة .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب دلشاه : زوج الشيخ حسن الكبير ببغداد : الجهة الكريمة، المحجَّبة، المصونة، العِصْمِيَّة، الخاتُونِيَّة، المعظَّمة؛ سيِّدَةُ الخواتين، زينةُ النساء في العالمين، جميلةُ المحجَّبات، جليلةُ المصُونات، قرينةُ نَوَّينِ الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجةُ الدار. وهي على نحو المرتبتين المتقدمتين في الألقاب السابقة)

الدرجة الثالثة

(درجة السَّتارة وهي لا تكَادُ تَخْرُجُ عما تقدَّم من المرتبتين المتقدمتين)

القسم الثانى

(من الألقاب المرتبة ألقاب أهل الكُفر ، وهى على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب متدينهم ، وهى نوعان)

النوع الأول

(ألقاب بطارقة النصارى)

وصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب الباب برومية : «الباب ، الجليل ، القديس ، الروحاني ، الخاشع ، العامل ، بابا رومية ، عظيم الملة المسيحية ، قُدوة الطوائف العيسوية ، مملك ملوك النصرانية ، حافظ البحار والخلجان ، ملاذ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالى الإنجيل ، معرف طائفته التحريم والتحليل ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره فى "التثقيف" فى ألقاب البطريرك بالديار المصرية : «البطريرك الجليل ، القديس ، الخاشع ، قُدوة النصرانية» . ثم قال : ومن نسبة ذلك . وصورتها على ما رأيت فى بعض التواقيع له : «الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافي ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كثر الطائفة الصليبية ، اختيار الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت فى بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام للبطريرك بها : «البطريرك ، المحتشم ، المبجل ، العارف ، الحبر ، فلان ، العالم بأمور دينه ، المعلم لأهل ملته ، دُخر الملة المسيحية ، كثر الطائفة العيسوية ، المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب رؤساء اليهود)

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع لرئيس اليهود بالشام من إنشاء القاضي محي الدين بن الزكي في سنة ست وعشرين وثمانئة : «الرئيس، الأوحد، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الطائفة الإسرائيلية فلان» .

الضرب الثاني

(ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى ، وهو نمطان)

النمط الأول

(الألقاب المذكرة، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما يُصَدَّر بالآلف واللام ، وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الحضرة العالية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب ملك الحبشة : « الحضرة العالِيَّة، حضرة الملك الجليل ، الهمام ، الضُّرغام ، الأسد ، الفضُّفَر ، الخطير ، الباسل ، السَّمِيدَع ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المُتَصِف لرعيته ، المُتَّبِع لما يجب في أفضيته ، عز الأمة النصرانية ، ناصر الملة المسيحية ، ركن الأمة العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، حافظ البلاد الجنوبية ، مُتَّبِع الحواريين ، والأخبار السُّرْيَانِيَّين ،

والبطارقة القديسين، معظم كنيسة صهيون، أوجد ملوك اليعقوبية، صديق الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" أيضا في ألقاب صاحب القسطنطينية :
« الحضرة العالية ، المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ،
الغضنفر ، الباسل ، الضرغام ، المعرق ، الأصيل ، المجد ، الأيل ، البلاوس ،
الريدأرغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القدماء ،
مُحيي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه ، العادل في ممالكه ، مُعزّ النصرانية ،
مؤيد المسيحية ، أوجد ملوك العيسوية ، مُحول الثخوت والتيجان ، حامى البحار
والخلجان ، ملك ملوك الشريان ، عماد بني المعمودية ، رضى الباب بابا رومية ، ثقة
الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والسلاطين فلان » .

المرتبة الثانية — مرتبة الحضرة العلية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج : « الحضرة العلية ،
حضرة الملك الجليل ، الهمام ، الباسل ، الضرغام ، السמידع ، الكرّار ، الغضنفر ،
المتخت ، المتوج ، العالم في ملته ، العادل في رعيته ، بقية الملوك الاغريقية ، سلطان
الكرج ، دُحر ملوك البحار والخلج ، حامى جمى الفرسان ، وارث آبائه في الأسرة
والتيجان ، سِاج بلاد الروم وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك الشريان ،
بقية أبناء الثخوت والتيجان ، مُعزّ النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ،
معظم البيت المقدس بعقد النية ، عماد بني المعمودية ، ظهير الباب بابا رومية ،
مواد المسلمين ، خالصة الاصدقاء المقربين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الحضرة السامية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب الأدفونش صاحب طُلَيْطَلَة وإشِبِيلِيَّة من الأندلس : « الحضرة السامية ، الملك الجليل ، الهَمَام ، الأسد ، الباسل ، الضَّرغام ، الغَضَنَفَر ، بَقِيَّة سلف قَيْصَر ، حامي حِمَاة بنى الأصْفَر ، المنع السلوك ، وارث لَذَرِيق وذَرَارِي الملوك ، فارس البر والبحر ، ملك طُلَيْطَلَة ومايلها من البلاد الأندَلُوسِيَّة ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل راية المَسِيحِيَّة ، وارث التَّيجَان ، شبه مَرْيَمَا المَعْمَدَان ، محب المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الرابعة — مرتبة الحضرة المكرمة .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدَّسَاتِير الشامية في ألقاب صاحب قُبْرَس : « الحضرة المَكْرَمَة ، حضرة الملك الجليل ، البطل ، الهَمَام ، السَمِيدَع الضَّرغام ، الغَضَنَفَر ، القَمَقَام ، مؤيد الملة المَسِيحِيَّة ، عماد بنى المعمودية ، ذُخْر الملة النصرانية ، حامي الجزائر القُبْرُسِيَّة ، مؤاد المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين ، الملك فلان » .

المرتبة الخامسة — مرتبة الحضرة الموقرة .

وصورتها على ما ذكره في " التثقيف " في ألقاب الأدفونش المقدم ذكره : « الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المَكْرَم ، المبجل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهَمَام ، الضَّرغام ، الرِّيدَارْغُون ، نصر النصرانية ، نخر الأُمَّة العيسوية ، ذُخْر الملة المسيحية ، حامي الثغور ، ممتلك السواحل والبحور ، عماد بنى المعمودية ، ظهير بابا رومية ، ملاذ الفُرْسَان ، جمال التُّخُوت والتَّيجَان ، صديق الملوك والسلاطين » .

النوع الثاني

(ما يُصدَّر بحضرة مع الإضافة)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب صاحب القُسطنطينية :
«حضرةُ الملك، الجليل، المكرَّم، المبجل، الأسد، الخطير، البطل، الباسل، الهَمَام،
الضَّرغام، فلان؛ العالم في ملته، العادل في أهل مملكته، عزَّ الأُمَّة المَسيحية، كثرِ
الطائفة الصَّليبيَّة، بحالِ بنى المعمودية، صمَّصام الملوك اليُونانيَّة، حُسامِ المملكة
المالُوصية، صاحبِ أمصار الرُّوس والعلَّان، مُعزَّ اعتقاد الكُرُج والسُّريان، وارثِ
الأسرة والتَّيجان، الحاكم على الثُّغور والبحور والخُلجان، الدُّوقس الانجalous
البيكينوس البالالوغس، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ملك الكُرُج : «حضرةُ الملك
الجليل، المكرَّم، الخطير، الباسل، القمقام، القديس، الرُّوحانيّ، فلان؛ عزَّ الأُمَّة
المسيحية، كثرِ الطائفة الصليبية، تُخَرِّدين النصرانية، ملك الجبال والكُرُج والخرُجان،
صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير في ألقاب ملك الكُرُج أيضا : «حضرة
الملك الجليل، العالم في ملته، العادل في مملكته، المتوجَّع من الله فلان؛ سيد ملوك
النصرانية، أكبر زُعماء الملة المَسيحية، ضابط الممالك الكُرُجية، خليل^(١)
الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التعريف" في ألقاب مُمَلِّك سِيس قبل فتحها :
«حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهَمَام، السَّميدع الضَّرغام، الغَضنفر

(١) يياض بالاصول بقدر كلفة .

فلان؛ فخر الملة المسيحية، دُحر الأمة النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ممتلك سيس المذكور أيضا :
 « حضرة الملك الجليل، المكرّم، المبجل، المعزّز، الهام، الباسل، فلان؛ عزّ دين
 النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .
 وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" أيضا في ألقاب صاحب البندقيّة :
 « حضرة الدوك الجليل، المكرّم، الخطير، الباسل، الموقر، المفخّم، فلان؛
 فخر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوك البندقيّة والمانسية، فلان؛
 زين بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ملك السّرب والبُلغار : «حضرة
 الملك الجليل، المكرّم، المبجل، الهمام، الضّرغام، الباسل، الدوقس، الأنجالوس،
 الكينيوس، فلان؛ عماد النصرانية، مالك السّرب والبُلغار، فخر الأمة العيسويّة،
 دُحر الملة المسيحية، فارس البُحور، حامى الحصون والثغور» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب ملك مونفراد : «حضرة الملك الجليل، المكرّم،
 البطل، الهام، الأسد، الضّرغام، فلان؛ مجد النصرانية، فخر العيسوية، عماد بنى
 المعمودية، جمال الطائفتين الرومية والفرنجيّة، ملك منفرد، وارثُ التاج،
 معزّ الباب» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب لدوك البندقيّة غير ما تقدّم : «حضرة المحتشم،
 الجليل، المبجل، الموقر، المكرّم، المفخّم، الباسل، الضّرغام، فلان؛ عزّ الملة
 المسيحية، جمال الطائفة العيسويّة، دُحر الملة الصليبيّة، صديق الملوك والسلطين» .

النوع الثالث

(ما يُصَدَّر بِالْمَلِكِ وما في معناه)

وصورته على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ملك الحبشة : «الملك الجليل ،
المكرم ، الخطير ، الأسد ، الضرغام ، الباسل ، فلان ؛ العالم في ملته ، العادل في مملكته ،
حطى ملك أممرا ، أكبر ملوك الحبشان ، نجاشى عصره ، سند الملة المسيحية ،
عضد دين النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكر في "التثقيف" في ألقاب دوك البندقية غير ماتقدم : «الدوك
الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، البطل ، الهام ، الضرغام ، الغضنفر ، الخطير ،
مجد الملة النصرانية ، فخر العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، معز بابا رومية ، صديق
الملوك والسلاطين فلان» .

النمط الثاني

(من ألقاب ملوك الكفر [الألقاب المؤنثة])

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب صاحبة بابل : «الملكة الجليلة ،
المكرمة ، المبجلة ، الموقرة ، المفخمة ، المعززة ، فلانة ؛ العالمة في ملتها ، العادلة
في مملكته ، كبيرة دين النصرانية ، نصيرة الملة العيسوية ، حامية الثغور ، صديقة
الملوك والسلاطين» .

الضرب الثالث

(ألقاب نواب ملولهم وكأصلتهم ومن في معنى ذلك . وهو على نوعين)

النوع الأول

(ألقاب النواب)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب النائب بالأبواب : «النائب الجليل ، المجل ، الموقر ، القديس ، الروحاني» والتعوت من نسبة ألقاب متملك سيس .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب صاحب دُفلة : «النائب الجليل ، المجل ، الموقر ، الأسد ، الباسل ، فلان ، مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، غرس الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب الكاصلة)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب الكُنصل بانكفا كألقاب متملك^(١) سيس المنقولة عن التثقيف فيما تقدم .

وصورتها على ما أشار إليه في "التثقيف" في ألقاب المطران نائب الباب بالانسة :^(١) وهي قبرس نحو ما تقدم في ألقاب البطرک بالديار المصرية . قال : ويُرَاد عليه «المُطران فلان» ويقال في نعوته «ناصر الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية في ألقاب إبراهيم كرى : أحد كتّاب الفرنج عن نائب دمشق : «المُحتشم ، الكبير ، المخول ، الأسد ، الهمام ، الفضنفر ،

(١) كذا في الأصول بدون نقط .

مواد المسلمين، متبع الحواريين، جمال العيسويّة، أوحّد بنى المعمودية، صاحب الملوك والسلاطين» .

قلت : قد تبيّن بما تقدّم من الألقاب والتّعوت الإسلامية وألقاب أهل الكفر وتّعوتهم أنها ليست واقفة عند حدّ، بل هي راجعة إلى اصطلاح الكتاب واختيارهم في زيادة الألقاب وتقصّها، والإتيان بلقب دون لقب، مع رعاية المناسبة لكل مقام وما يحتمله من الألقاب، إلا أن لذلك (أصولاً يرجع إليها) وقوانين يوقف عندها، إذا اعتمدها الكاتب ومشى على نهجها ونسج على منوالها، أصاب سواء الثغرة من الصناعة، وطبق المفصل بالمفصل في الإتيان بالمعصّد، ومتى أهملها وفرط في مراعاتها ضلّ سواء السبيل، ونخرج عن جادة الصواب : ((ومن يضلّل الله فماله من هادٍ)) .

الأصل الأول — أن يقف على ما ربّبه البلغاء من أرباب الصنعة من الألقاب والتّعوت لكل صنف من دوى الألقاب والتّعوت : لأهل الإسلام وأهل الكفر . ويجرى ذلك منه مجرى الحفظ والاستحضار، ليسهل عليه إيرادُه في موضعه، ولا يشدّ عنه شيء منها عند الاحتياج إليه . وقد تقدّم من ذلك جملة مستكثرة يهتدى بتجمها، ويستضاء في ظلمة اللبس بضوئها .

الأصل الثاني — أن يعرف ماهو من الألقاب والتّعوت حقيقة لصاحب اللقب الذي يستعمله فيه : كالعلمي لأهل العلم، والعائدي لأهل الصّلاح، والعائدي للحكام من أرباب السيوف وغيرهم، وما هو منها مجازي : كالعلمي لأرباب السيوف والكتاب حيث لا أتصاف لصاحب اللقب بالعلم، والأصيل لمن ليس له آباء في الرياسة ولا عراقة في النسب، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

الأصل الثالث — أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض، كالشريف، والحسيبي، والنسبي، للأشراف أولاد فاطمة رضى الله عنها، والكافى لنائب

السلطنة أو وزير كبير، والتَّوَيْنِيّ لِأَمِيرِ التَّوَامِينَ بِالشَّرْقِ، والمَدَبَّرِيّ لِلوَزِيرِ ونحوه من ناظر الخِصَاصِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ، والمُشِيرِيّ لِمَنْ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ مِنْ أَكْبَرِ أَرْبَابِ السِّیُوفِ والأَقْلَامِ، والسَّفِيرِيّ لِلْحَاجِبِ والدَّوَادَارِ وَكَاتِبِ السِّرِّ، واليَمِينِيّ للدَّوَادَارِ وَكَاتِبِ السِّرِّ، والعَرِيقِيّ لِذِي العَرَاقَةِ فِي النِّسَبِ، والأَصِيلِيّ لِمَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ آبَاءٍ فِي الرِّيَاسَةِ .

وكذلك النُّعُوتُ كَوَالِدِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِمَنْ يَكُونُ لَهُ أَوْلَادٌ مِنَ المُلُوكِ ، وَوَلَدِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِأَوْلَادِ المُلُوكِ ، وَعَضُدِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِلْأَمْرَاءِ ونحوهم ، وَكَافِلِ المَمَالِكِ لِلنَّائِبِ الكَافِلِ ، وَسَفِيرِ الدَّوْلَةِ وَلِسَانِ المَمْلَكَةِ للدَّوَادَارِ وَكَاتِبِ السِّرِّ ، وَيَمِينِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لَهَا أَيْضًا ، وَوَالِدَةِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِمَنْ يَكُونُ مِنْ أَوْلَادِهَا مَلِكًا ، وَكَرِيمَةِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِمَنْ يَكُونُ مِنْ إِخْوَتِهَا سُلْطَانًا ، وَقَرِينَةِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِمَنْ تَكُونُ زَوْجَةً مَلِكًا ، وَصَدِيقِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ، أَوْ مُوَادِّ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِلْمُلُوكِ الكُفَرِ ، وَقَرِينِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ لِنُؤَابِهِمْ ، ونحو ذلك مما يَجْرِي هَذَا المَجْرَى : فَيُوقِعُ كُلُّ لَقَبٍ أَوْ نَعْتٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا سَلَفَ مِنْ تَرْتِيبِ الأَلْقَابِ والنُّعُوتِ عَلَى الْأَصُولِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، ظَهَرَ لَكَ مِنْهَا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَإِقَاعِهَا مَوَاقِعَهَا .

الأصل الرابع — أَنْ يَعْرِفَ الأَلْقَابَ والنُّعُوتَ الرِّفْعَةَ المِقْدَارَ ، فَيُلْحِقَهَا بِمَا نَسَبَهَا مِنَ الأَلْقَابِ الْأَصُولِ ؛ كِلِ الْحَاقِ الْعَالِيَّ وَالْعَادِلِيَّ وَمَهَّدِ الدَّوْلَ وَمُشِيدِ المَمَالِكِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ بِالْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ الْكَرِيمِ . وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَيَعْرِفُ الأَلْقَابَ النَّازِلَةَ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَا يَجُودُ عَنْ الْبَاءِ وَيُلْحِقُهُ بِالسَّامِيِّ بِغَيْرِ الْبَاءِ فَمَا دُونَهُ كَالْعَضُدِ وَالذُّخْرُومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

الأصل الخامس — أَنْ يَعْرِفَ مَرَاتِبَ الأَلْقَابِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، مِثْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْكَرِيمَ يَلِيَانِ الْمَقَرَّ وَالْجَنَابَ ، وَالْعَالِيَّ يَلِيهِمَا ؛ ثُمَّ الْعَالِيَّ يَلِي الْمَقَرَّ

والجناب والمجلس ، والسامى إلى المجلس حيث لايلىه العالى . وأن النعت المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عَضُد أمير المؤمنين ، وسيف أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، يكون آخر الثعوت . وأن المضاف إلى الملوك والولاطين مثل عَضُد الملوك والولاطين ، وظهير الملوك والولاطين ، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان فى رتبة يثبت فيها ما يُضاف إلى أمير المؤمنين ، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والولاطين هو آخر الألقاب . وأن يعلم أن لقب التعريف : وهو القلائى أو فلان الدين يكون واسطة بين الألقاب والثعوت ، فاصلاً بينهما . وأن لقب الوظيفة كالكا فى والحا كمى وماشبههما يكون قبل لقب التعريف غالباً على ما تقدم بيانه ، فيضع هذه الألقاب فى مواضعها ولا يخرجها عنها ، بخلاف ما يجوز فيه التقديم والتأخير من الألقاب والثعوت .

الجملة العاشرة

(فى ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت فى عرف الكتاب . وهى على ضربين)

الضرب الأول

(فيما يجرى من ذلك مجرى التفاؤل ، ويختلف باختلاف الأحوال والوقائع ، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول

(ما يوصف بالنصر ، كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال فى الجيوش والعساكر : «الجيوش المنصورة ، والعساكر المنصورة» ويقال فى القلاع المنصورة «وقلعة دمشق المنصورة وقلعة حلب المنصورة» ونحو ذلك ،

وكذلك يقال « القلاع المنصورة » على الجمع تَقَاوُلًا بحصول النَّصر لها ، ويقال في البريد : « البريد المنصور » على ما أَصْطَلَحَ عليه كُتَّابُ الزمان . على أن في وصف البريد بالمنصور نظرا : لأنه إنما وُضِعَ لِيُوصَلَ الْأَخْبَارَ ونحو ذلك ، وكان الأحسن أن يوصف بالسَّعيد ونحوه اللهم إلا أن يُراد أنه ربما وصل به خبر النصر على العدو ، وهو من أهم المهمات ، وكأنه وُصِفَ بأشرف متعلقاته .

النوع الثاني

(ما يوصف بالحِراسة ، كالمُدُنِ والثغُور)

فيقال في المُدُنِ « مِصرُ المحروسة » و « القاهرةُ المحروسة » و « دِمَشقُ المحروسة » و « حَلَبُ المحروسة » ونحو ذلك . ويقال في الثغُور « الثغرُ المحروس » و « ثغَرُ الإسكندريةِ المحروس » و « ثغَرُ رَشِيدِ المحروس » و « ثغَرُ دِمياطِ المحروس » و « ثغَرُ أسوانِ المحروس » ونحو ذلك تَقَاوُلًا بِوقوعِ الحِراسةِ لها . على أنه لو وُصِفَتِ القلاعُ أيضًا بالحِراسةِ فقليل « القلعةُ المحروسة » و « القلاعُ المحروسة » ونحو ذلك لكان له وَجْهٌ ظاهر . وبكل حال فكلُّ ما كان محلَّ خوفٍ مما ينبغي حِراسَتَهُ والاحتفاظُ به ، حَسُنَ وصفه بالحِراسة . وقد رأيتُ مَنْ يذكُرُ ضابطا لذلك في البلاد : وهو أن كل مدينة مُسَوَّرة يُقال فيها محروسة وإلا فلا ، وهو بعيد ، والظاهر ما قدّمنا ذكره .

النوع الثالث

(ما يُوصَف بالعمارة، كالداوين)

وهى المواضع التى يجلس فيها الكُتَّاب على ما تقدّم بيانه فى مقدّمة الكتاب وغير ذلك . فيقال : « الدّيون المعمور » و « الدّواوين المعمورة » تفاؤلا بأنها لا تزال معمورة بالکُتَّاب ، أو بدوام عِزِّ صاحبها وبقاء دولته .

النوع الرابع

(ما يوصف بالسّعادة، كالداوين أيضا)

فيقال : « الدّيون السعيد » و « الدّواوين السعيدة » تفاؤلا بدوام سعادتها بدوام سعادة صاحبها .

النوع الخامس

(ما يُوصَف بالقبول)

كالضّحايا المقبولة تفاؤلا بأن الله تعالى يتقبّلها ، وهو فى الحقيقة بمعنى الدعاء ، كأنه يقال تقبلها الله تعالى .

النوع السادس

(ما يُوصَف بالبرّ، كالصدقة والأحباس)

فيقال فى الأحباس : « الأحباس المبرورة » وفى الصّدقة « الصدقة المبرورة » تفاؤلا بأنها تكون جارية مجرى البرّ الذى يلحق به الثواب . وکُتَّاب الجيش ونحوهم يستعملون ذلك فى وصف الرّزقة أيضا : وهى القطعة من الأرض تُرصد لمصالح المسجد أو الرّباط أو الشخص المعين . فيقولون : « الرّزقة المبرورة » لجرّانها مجرى الصدقة .

النوع السابع

(ما يوصف بالخذلان ، كالعَدُو ونحوه)

فيقال : « العَدُو المخذول » على الإجمال و « فلانُ المخذول » بالتصريح باسمه
« وأهل الكُفر المخذولون » ونحو ذلك تفاؤلا بأن الله تعالى يُوقع بالعدو الخذلان
ويُزييه به .

الضرب الثاني

(ما يجري من ذلك مجرى التشریف ، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال ، ويتنوع أنواعا)

النوع الأول

(ما يوصف بالعزّ ، كالكتاب بمعنى القرآن)

فيقال فيه : « الكتاب العزيز » ومن ثمّ يقولون في قارئ القرآن : « من حملة
كتاب الله العزيز » وربما وُصف بذلك الديوان أيضا ، كما يقال في ديوان الخلافة :
« الديوانُ العزيزُ » على ما تقدّم ذكره في الكلام على الألقاب .

النوع الثاني

(ما يوصف بالشریف ، كالمُصَحَّف والعِلْم)

فيقال في المُصَحَّف : « المصحفُ الشريف » وفي العلم « العِلْمُ الشريف » ولذلك
يقولون « فلانٌ من طلبة العلم الشريف » ونحو ذلك ، وكذا في الأماكن الرفيعة ،

مَكَّةَ والمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ وَالْقُدْسَ . فيقال : «مَكَّةُ الْمُشْرِفَةُ» و «المَدِينَةُ الشَّرِيفَةُ» و «الْقُدْسُ الشَّرِيفُ» وَالْحَرَمُ الشَّرِيفُ تَارَةً لِحَرَمِ مَكَّةَ وَتَارَةً لِحَرَمِ الْمَدِينَةِ . فإذا جُمِعَا قِيلَ : «الْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ» وَرَبَّمَا أُطْلِقَ فِي عُرْفِ الْكُتُبِ الْحَرَمَانِ عَلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ وَمَقَامِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ مُرَادُ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «التَّعْرِيفُ» فِي قِسْمِ الْوَصَايَا بِنَظَرِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ دُونَ حَرَمِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَتَيْنِ . وَقَدْ أَصْطَلَحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى أَنْ وَصَفُوا أَكْثَرَ مَا يُضَافُ إِلَى السُّلْطَانِ بِالشَّرِيفِ ، فيَقُولُونَ فيما يَصْدُرُّ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْ عَهْدٍ وَتَقْلِيدٍ وَتَوْقِيعٍ وَمَرْسُومٍ وَمِثَالٍ وَتَذَكُّرَةٍ : «عَهْدُ شَرِيفٍ» وَ«تَقْلِيدُ شَرِيفٍ» وَ«تَوْقِيعُ شَرِيفٍ» وَ«مَرْسُومُ شَرِيفٍ» وَ«مِثَالُ شَرِيفٍ» وَ«تَذَكُّرَةُ شَرِيفَةٍ» وَنَحْوُ ذَلِكَ .

النوع الثالث

(مَا يُوصَفُ بِالْكَرِيمِ ، كَالْقِرَاءَانِ)

فيقال : «الْقِرَاءَانُ الْكَرِيمُ» وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ وَقَدْ أَصْطَلَحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى أَنْ جَعَلُوهُ دُونَ الشَّرِيفِ فِي الْوَصْفِ ، فَوَصَفُوا بِهِ مَا يَصْدُرُّ عَمَّنْ دُونَ السُّلْطَانِ مِنْ أَكْبَرِ الدَّوْلَةِ مِنَ التُّوَابِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ : مِنْ تَوْقِيعٍ وَمَرْسُومٍ وَمِثَالٍ وَتَذَكُّرَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . فيَقُولُونَ : «تَوْقِيعُ كَرِيمٍ» وَ«مَرْسُومُ كَرِيمٍ» وَ«مِثَالُ كَرِيمٍ» وَ«تَذَكُّرَةُ كَرِيمَةٍ» . وَقَدْ تُوصَفُ بِهِ الْمَكَاتِبَةُ أَيْضًا فيَقَالُ : «إِنَّ مَكَاتِبَتَهُ الْكَرِيمَةَ وَرَدَّتْ» وَنَحْوُ ذَلِكَ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَرْفَعَ رَتَبَةً مِنَ الشَّرِيفِ لَوُرُودِ التَّنْزِيلِ بِوَصْفِ الْقِرَاءَانِ بِهِ .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ، وهو في معنى الكَرَمِ في اصطلاحهم)

فيقال : « تَوْقِيعُ عَالٍ » و « مَرْسُومُ عَالٍ » ونحو ذلك ، وقد يُوصَفُ به الرَّأْيُ .
فيقال : « الرَّأْيُ الْعَالِي » وقد يُوصَفُ به أَمْرُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِنْ ذِي الرُّتْبَةِ الرَّفِيعَةِ ،
مثل كِتَابَةِ الْوَزِيرِ عَلَى الْمَرَّاسِمِ الشَّرِيفَةِ ونحوها « أَمْتِلُ الْأَمْرِ الْعَالِي » .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بِالسَّعَادَةِ)

كـ « الرَّأْيُ السَّعِيدُ » و « الْآرَاءُ السَّعِيدَةُ » وربما وصف بذلك الدِّيَوَانُ فَقِيلَ
« الدِّيَوَانُ السَّعِيدُ » ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بِالْبَرَكَةِ ، كَالْكَعْبِ)

فيقال : « كَعْبٌ مُبَارَكٌ » وقد يُوصَفُ به الْمُتَزَلُّ فيقال : « مُتَزَلٌّ مُبَارَكٌ »
وقد يوصف به الْأَمْرُ لِمَنْ دُونَ الْعَالِي ، فيقال : « يَتَقَدَّمُ أَمْرُهُ الْمُبَارَكُ » وكذلك
الْمَكَاتِبَةُ ، فيقال : « إِنَّ مَكَاتِبَتَهُ الْمُبَارَكَةَ وَرَدَتْ » ونحو ذلك .

الباب الثاني

من المقالة الثالثة

(في مقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ،
ومقادير البياض في أول الدرَج وحاشيته ، وبعْد ما بين السطور
في الكتابات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقادير قطع الورق ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقادير قطع الورق في الزمن القديم)

قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أن الخلفاء لم تزل تستعمل
القراطيس أمتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان . وذلك أنه يكتب
لخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار ، وإلى الأمراء من نصف طومار ، وإلى العمال
والكتاب من ثلث ، وإلى التجار وأشباههم من ربع ، وإلى الحُساب والمُساح من
سدس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم : وهي الثلثان والنصف والثلث والربع
والسدس ، ومنها أستخرجت المقادير الآتي ذكرها . ثم المراد بالطومار الورقة
الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرخة ؛ والظاهر أنه أراد القطع البغدادي
لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي ، لاسيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة ،
فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع أشتماله على كمال المحاسن . وقد تقدّم في الكلام
على آلات الكتابة في المقالة الأولى بيان الخلاف في أول من صنع الورق .

الطرف الثاني

(في بيان مقادير قَطْع الورق المستعمل في زماننا، وفيه ثلاث جملي)

الجملة الأولى

(في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية

بالديار المصرية، وهي تسعة مقادير)

المقدار الأول — قَطْع البَغْدَادِيّ الكامل . وعَرَضُ دَرَجِه عَرَضُ البَغْدَادِيّ بأكمله : وهو ذراعٌ واحد بذراع القُمَاشِ المِصْرِيّ، وطولُ كُلِّ وصل من الدَّرَجِ المذكور ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكور. وفيه كان تُكْتَبُ عُهُودُ الخلفاء وبيعتُهم. وفيه تُكْتَبُ الآن عُهُودُ أكابر الملوك، والمكاتباتُ إلى الطبقة العليا من الملوك، كأكابر القانات من ملوك الشرق .

المقدار الثاني — قَطْع البَغْدَادِيّ الناقص . وعَرَضُ دَرَجِه دون عَرَضِ البَغْدَادِيّ الكامل بأربعة أصابع مطبوقَةٍ (١). وفيه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من الملوك، وربما كُتِبَ فيه [للطبقة العليا] لإعواز البَغْدَادِيّ الكامل .

المقدار الثالث — قَطْع الثلثين من الورق المِصْرِيّ . والمراد به ثُلثا الطُّومار من كامل المنصوريّ، وعَرَضُ دَرَجِه ثُلثا ذراع بذراع القُمَاشِ المِصْرِيّ أيضا . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الأمراء المقدمين، وتقاليِدُ التُّوابع الكبار والوزراء وأكابر القضاة ومن في معانهم . ولم تجر العادة بكتابة مكاتبة عن الأبواب السلطانية فيه .

(١) الزيادة من الضوء بالمعنى لِيَتِمَّ الكلام .

المقدار الرابع — قطع النصف . والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري ؛ وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتب مناشيرُ الامراءِ الطبْلَخاناه ، ومراسيمُ الطبقة الثانية من التّواب ، والمكاتباتُ إلى الطبقة الثانية من الملوك .

المقدار الخامس — قطع الثلث . والمراد به ثلث القطع المنصوري ؛ وعرض درجه ثلث ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتب مناشيرُ أمراءِ العشرات ، ومراسيمُ صفار التّواب ، والمكاتباتُ إلى الطبقة الرابعة من الملوك .

المقدار السادس — القطع المعروف بالمنصوري . وعرضه تقديرُ ربع ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتب مناشيرُ الممالك السلطانية ومقدّمى الحلقة ، ومناشيرُ عشرات التّركمان ببعض الممالك الشامية ، وبعضُ التّواقيع وما في معنى ذلك .

المقدار السابع — القطع الصغير ، ويقال فيه قطع العادة . وعرض درجه تقدير سُدس ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتب عامةُ المكاتبات لأهل المملكة وحكامها ، وبعضُ التّواقيع والمراسيم الصّغار ، والمكاتباتُ إلى حُكّام البلاد بالممالك ، وما يجري هذا المجرى . وقد كان هذا القطعُ والذي قبله في أول الدّولة التركية طُولُ كُلِّ وصل منه شبران وأربعة أصابع مطبوقة فما حوّل ذلك .

المقدار الثامن — قطع الشاميّ الكامل . وعرض درجه عرض الطومار الشاميّ في طوله ؛ وهو قليلُ الاستعمال بالديوان ، إلا أنه ربما كُتب فيه بعضُ المكاتبات ، كما كتب فيه عن الأشرف شعبان بن حسين لوالدته حين سافرت إلى الحجاز الشريف .

المقدار التاسع — القَطْع الصغير . وهو في عَرْض ثلاثة أصابع مطبوعة من الورق المعروف بورق الطَّيْر، وهو صِنْف من الورق الشامي رقيقٌ للغاية . وفيه تُكْتَب ملطّفات الكُتُب وبطاقق الحمام .

الجملة الثانية

(في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية :

دمشق، وحلب، وطرابلس، وحمّة، وصفد، والكرك .

في المكاتبات والولايات الصادرة عن الثواب بالممالك،

وهي لاتخرج عن أربعة مقادير)

المقدار الأول — قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عَرْضه عَرْض الطومار الشامي الكامل في طوله على ما تقدّم فيه . وفيه يُكْتَب عن الثواب لأعلى الطبقات من أرباب التّواقيع والمراسيم ليس إلّا .

المقدار الثاني — قطع نصف الجموي . وعَرْض درّجه عَرْض نصف الطومار الجموي ، وطوله بطول الطومار . وفيه يُكْتَب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن الثواب .

المقدار الثالث — قطع العادة من الشامي . وعَرْض درّجه سدس ذراع بذراع القماش المصري في طول الطومار أو دُونَه . وفيه يُكْتَب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن الثواب وعامة المكاتبات الصادرة

عن النّوّاب إلى السلطان فَنَ دُونَهُ من اهل المملكة وغيرهم ، إلا أن نائب الشام ونائب الكرك قد جرت عادتُهما بصدور المكاتبات عنهما في الورق الأحمر دُونَ غيرهما من النّوّاب .

المقدار الرابع — قَطَعَ ورق الطير المقدم ذكره في آخر المقادير المستعملة بالأبواب السلطانية بالديار المصرية . وفيه تُكتب المَلَطَّقاتُ والبطائقُ على ما تقدم .

قلت : هذه مقادير قَطَعَ الورق بالديار المصرية والبلاد الشامية . أما غير مملكة الديار المصرية من الممالك ، فالحال فيها يَخْتَلِفُ في مقادير الورق المستعمل بدواوينها . فأما بلاد المَشْرِقِ فعلى نحو المقادير المتقدمة . وأما بلاد المَغْرِبِ والسُّودان وبلادُ القَرَنْجِ ، فعادةُ كتابتهم في طُومارٍ واحدٍ ، يزيدُ طولُه على عَرْضِه قليلاً ، ما بين صغير وكبير بحسب ما يَقْتَضِيهِ حال المكتوب .

الجملة الثالثة

(في مقادير قَطَعَ الورق الذي تجرى فيه مكاتباتُ أعيان الدّولة)

من الأمراء والوزراء وغيرهم بالديار المصرية

(والبلاد الشامية)

وهو قَطَعَ العادة من البلدى بالديار المصرية ، ومن الشامى بالبلاد الشامية .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثالثة

(فى بيان ما يُناسبُ كلَّ مقدار من مقادير قَطْع الورق المتقدمة الذِّكر
من الأقلام ، ومقادير البَيَاض الواقع فى أعلى الدَّرَج وحاشيته ،
وبعد ما بين السُّطور فى الكتابة . وفيه طَرَفَان)

الطرف الأول

(فيما يَناسبُ كلَّ مقدار منها من قَطْع الورق من الأقلام)

قد ذكر المقرُّ الشَّهابيُّ بنُ فضل الله فى كتابه ” التعريف ” فى آخر القسم الثانى
ما يَناسبُ كلَّ مقدار من مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء بالديار المصرية
من أقلام الخَطِّ المنسوب فقال : إن لِقَطْع البَغْدادى قَلَمٌ مختَصَر الطُّومار ، ولِقَطْع
الثلاثين قَلَمٌ الثلث الثقيل ، ولِقَطْع النِّصْف قَلَمٌ الثلث الخفيف ، ولِقَطْع الثلث قَلَمٌ
التوقيعات ، ولِقَطْع العادة قَلَمٌ الرَّقاع . ومن ذلك يُعلم ما يَناسبُ كلَّ قَطْع من مقادير
القطع المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية . فيَناسبُ الشامى الكامل قَلَمُ
التوقيعات : لأنه فى مقدار قطع الثلث البَلَدى أَوْ قَرِيبٌ منه ؛ ويناسبُ نصف
الحوى والعادة من الشامى قَلَمُ الرَّقاع ، لأنهما فى معنى القَطْع المنصورى والعادة
بالديار المصرية . أما قَلَمُ الجَنَاح ^(١) لكتابة بطائق الحمام به . وأما ما كان يَكُتَبُ به الخلفاء

(١) عبارة الضوء لأؤلف ج ١ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ” ويناسب قطع الحوى والعادة من الشامى قلم الرقاع

لانهما فى معنى العادة ، ويناسب ورق الطير الذى تكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الغبار ولذلك يسميه بعض

الكُتَّاب قلم الجناح الخ ” وهى واضحة .

أسماءهم في الزمن القديم وبه يُكتب الملوك أسماءهم الآن ، فقلم الطومار : وهو القلم
الجليل الذي لاقلم فوقه . وقد تقدّم الكلام على هذه الأقلام في بيان ما يحتاج إليه
الكتاب في أواخر المقالة الأولى .

الطرف الثاني

(في مقادير البياض الواقع في أول الدرّج ، وحاشيته
وبعد ما بين السطور في الكتابة)

أما مقدار البياض قبل البسملة ، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق ،
فكلما عظم قطع الورق ، كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادى يُترك فيه ستة أوصال
بياضا ، وتُكتب البسملة في أول السابع ، وقطع الثلاثين يُترك فيه خمسة أوصال ،
وقطع النصف يُترك فيه أربعة أوصال ، وقطع الثلث يُترك فيه ثلاثة أوصال ، وقطع
المنصورى والعادة تارة يُترك فيه ثلاثة أوصال ، وتارة يُترك فيه وصلان ، بحسب
ما تقتضيه الحال . وقطع الشامى الكامل في معنى قطع الثلث ، وقطع نصف الحموى
والعادة من الشامى في معنى القطع المنصورى والعادة في البلدى . وربما اجتهد
الكتاب في زيادة بعض الأوصال وتقصانها بحسب ما تقتضيه الحال . وفي المكاتبات
الصادرة عن سائر أرباب الدولة مصرّا وشامّا يُترك في جميعها قبل البسملة وصل
واحد فقط . وفي كتابة الأدنى إلى الأعلى يُترك بعض وصل .



وأما حاشية الكتاب ، فبحسب اجتهد الكاتب فيه في السعة والضيق . وقد رأيت
بعض الكُتاب المعتبرين يقدّر حاشية الكتاب بالرُّبع من عرض الدرّج ، وهو اعتبار
حسن لا يكاد يخرج عن القانون .



وأما بُعد ما بين السطور ، فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق : ففي السلطانيات كلها على اختلاف قطع الورق فيها تكتب البسملة في أول الفصل بعد ما يترك من أوصال البياض في أعلى الدّرج بحسب ما تقتضيه الحال ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطر ملاصق لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم المكتوب به في القرب والبعد ، بحسب الدقة والغاظ ؛ ثم يكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كتبت البسملة في أوله ، بحيث يبقى من الوصل ثلاثة أصابع مطبوعة أو نحوها في القطع الكبير ، وقدر إصبعين في القطع الصغير ، وما بينهما بحسبه .

وقد قدر صاحب «مواد البيان» البياض الباقي بين السطر الأول والثاني أيضا .^(١)
وهذا إنما يقارب في القطع الكبير . وقد ذكر ابن شيث في «معالم الكتابة» .
- وكان في آخر الدولة الأيوبية فيما أظن - أن مقدار ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . والذي جرت به عادة الكُتّاب في زماننا أنه يكون في قطع العادة والمنصورية في كل وصل من أوصال الزمان ثلاثة أسطر ، وفيما عداه سطران . وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتى يكون في التواقع التي على ظهور القصص ونحوها بين كل سطرين بعد بيت العلامة قدر إصبعين ؛ وربما تواصلت الأسطر كما في المظنفات ونحوها .

أما ما يكتب عن الثواب من الولايات والمكاتبات من سائر أعيان الدولة ، فدون السلطانيات في مقدار خلو موضع العلامة ، وهو ما بين قدر خمس أصابع مطبوعة ونحوها ؛ وقدر [بعد] السطور فيما بعد بيت العلامة من قدر إصبعين إلى مادونهما .

(١) عبارة الضوء نقلا عن مواد البيان "بين السطر الأول والثاني بقدر شير" .

(٢) لعله من أوصاله أى العادة أو المنصورية . انظر الضوء ص ٤١٧ .

الباب الثالث

من المقالة الثالثة

(في بيان المستندات ، وكتابة الملخصات ، وكيفية التعيين . وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في بيان المستندات : وهى التوقيع على القصص ومايجرى مجراه ، وما يحتاج فيه إلى كتابة المستندات ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(السلطانيات ، وهى صنفان)

الصنف الأول

(ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء : كولايات الثواب والقضاة وغيرهما من أرباب الوظائف ، والتواقيع التى تكتب فى المسامحات والإطلاقات ، ومكاتب البريد الخاصة بالأشغال السلطانية ، وأوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك)

وجميعها معدودة بنظر صاحب ديوان الإنشاء . فما كان منها جليل الخطر كولايات الثواب والقضاة وأكبر أرباب الوظائف والمكاتب المتعلقة بمهمات السلطنة ، فلا بد من مخاطبة صاحب ديوان الإنشاء فيها واعتماد مايرز به أمره . وما كان منها حقيراً بالنسبة إلى مخاطبة السلطان فيه استقل فيه بما يقتضيه رأيه . ثم من ذلك ما يكتب به صاحب الديوان رقاعاً لطيفة بخطه ويعينها على الكاتب الذى يكتبها وتدفع إليه لتخلد عنده شاهداً له ، كالولايات والمسامحات والإطلاقات

والمكاتبات المتعلقة بأمور المملكة ونحو ذلك . ومن ذلك ما يبرز به أمر صاحب الديوان مشافهةً فيكتبه من غير شاهد عنده ، وذلك في الأمور التي لا درك فيها على الكاتب ، كتقاليد الثواب وبعض المكاتبات ، إذ لا تهمّة تلحق كاتب الإنشاء في مثل ولاية نائب كبير أو قاض حفيّل : لأن مثل ذلك لا يخفى على السلطان ، فأشبهه خطاب صاحب الديوان فيها الكاتب خطاب السلطان صاحب الديوان حيث لا شاهد عليه إلا الله تعالى ، بخلاف الأمور التي يلحق كاتبها الدرك ، فإنه لا بد في كتابتها من تخليد شاهد . وكان الواجب أن لا يكتب حقيراً ولا جليلاً إلا بشاهد من صاحب الديوان ، فإن الأمور تراكم وتكثر ، والإنسان معرض للنسيان ، وربما عرض إنكار بسبب ما يكتبه الكاتب ونسيه صاحب الديوان فيكون الكاتب قد عرض نفسه لأمر عظيم . ولا يقاس الكاتب على صاحب الديوان في عدم أخذه شاهداً بخط السلطان ، فإن صاحب الديوان هو المتصرف حقيقةً ، والسلطان وكلّ جميع أمور المملكة إليه ، فلا يُتهم في شيء منها ، بخلاف الكاتب .

وقد ذكر أبو الفضل الصوري في "تذكرته" أن المكتوب من الديوان إن كان مكتبةً فالواجب أن يكون عنوانها بخط متولى الديوان ، وإن كان منشوراً فالواجب أن يكون التاريخ بخطه ليدل على أنه وقف على المكتوب وأمضى حكمه ورضيه ، ويكون ذلك قد قام مقام كتابة اسمه فيه . ثم قال : وقد كان الرسم بالعراق - وفيه الكتاب الأفاضل - أن يكتب الكتاب ما يكتبون ثم يقولون في آخره : « وكتب فلان بن فلان » باسم متولى الديوان الرسائل . وما ذكره عن أهل العراق قد ذكر نحوه أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" إلا أنه قد جعل بدل اسم متولى الديوان اسم الوزير [فقال] ويكتب في آخر الكتاب « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه . وقد رأيت نسخاً عدّة من سجلات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية

مستشهداً فيها باسم الوزير على النهج المذكور . على أنه كان الواجب أن يكون
الاستشهاد في آخر كل كتاب باسم كاتبه الذى يكتبه ليعلم من كتبه ، فإن الخطوط
كثيرة التشابه ، لاسيما وقد كثُر كُتَّاب الإنشاء فى زماننا وخرجوا عن الحد ، حتى إنه
لم يعرف بعضهم بعضاً فضلاً عن أن يعرف خطه . وقد كان كُتَّاب النبى صلى الله
عليه وسلم إذا سَجَّلُوا عنه سَجَلًا أو نحوه كتب الكاتب فى آخره «وكتب فلان
ابن فلان» . وهذه الرقعة التى كتبها النبى صلى الله عليه وسلم تميم الدارى بإقطاع
قُرَى من قُرَى الشام موجودة بأيدى التميميين إلى الآن مستشهداً فيها بخط أمير المؤمنين
على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وإنما عدلوا عن اسم الكاتب نفسه إلى اسم
متولى الديوان أو الوزير استصغاراً للكاتب أن يستشهد للكاتب باسمه فيما يكتب به
عن الخليفة . قال أبو هلال العسكري فى كتابه «الأوائل» : وقد قالوا إن أول
من كتب فى آخر الكتاب «وكتب فلان بن فلان» أبى بن كعب رضى الله عنه .

الصنف الثانى

(ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء : كالأمر التى يكتب بها من
الدواوين السلطانية غير ديوان الإنشاء وتلتمس الكتب من
ديوان الإنشاء على مقتضاها ، كالمكتبات الخاصة بتعلقات
شئ من الدواوين المذكورة ، وبعض التواقيع
التي أصلها من ديوان الوزارة)
ويختصر ذلك فى أربعة دواوين :

الديوان الأول - ديوان الوزارة : وهو أعظمها خطراً ، وأجلها قدراً .

وقد جرت العادة أنه إذا دعت الضرورة إلى كتابة كتاب من ديوان الإنشاء يتعلّق بديوان الوزارة أن تُكتب به قائمة من ديوان الوزارة في ورقة ديوانية بما مثاله : « رِسم بالأمر الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يُكتب مثلاً شريف إلى فلان الفلاني بكذا وكذا » . وكيفية وضع هذه القائمة أن يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها، وآخره «شرفه الله تعالى وعظمه» وبينه وبين السطر الثاني قدر إصبعين معترّضين بياضاً، وباقي السطور مسترسلة متقاربة بقلم الرّقاع؛ ويكتب الوزير في البياض الذي بين السطر الأول والثاني بقلم الثلث ماثله : «يُكتب» . ويوجه بالقائمة إلى ديوان الإنشاء صحبة مدير من ديوان الوزارة أو غيره، فيكتب على حاشيتها يُكتب بذلك، ويُعينها على بعض كتاب الإنشاء فيكتب مثلاً بما فيها، ويخلّد القائمة عنده شاهداً له ؛ وربما خلّدت بديوان الإنشاء في جملة ما يخلّد في الأضيّير شاهداً لديوان الإنشاء، والأول هو الأليق .

وإن كان الذي يُكتب من ديوان الوزارة توقيعاً باطلاقاً أو نحوه مما أصله من ديوان الوزارة، كتب الوزير على حاشية قصة صاحبه ما مثاله «يكتب بذلك، أو يُوقع بذلك» وتُبعت إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب ديوان الإنشاء بالتعيين . ثم إن كان التوقيع مُلصقاً بقصة فذاك ، وإلا خلّد الكاتب القصة شاهداً عنده على ذلك ؛ وربما كُتب بالإطلاقات من ديوان الوزارة مُربّعات بخط مُستوفي الصّحبة .

الديوان الثاني - ديوان الخاّص :

وهو في كتابة الأمثلة الشريفة على مامر من كتابة القائمة ليخرج المثال على نظيرها، على ما تقدّم في ديوان الوزارة . فتكتب القائمة على الحكم المتقدم من غير فرق،

ويكتب ناظر الخاص عليها نظير كتابة الوزير السابقة ، ويوجه بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها بالتعيين كما تقدم ، ويخلد الكاتب القائمة عنده شاهداً له ، أو يُخلد بديوان الإنشاء على ما تقدم في ديوان الوزارة . ولا يُكتب من ديوان الخاصّ تواقعُ بإطلاقات ونحوها بل يُكتب بها مراسيمُ مربعة في ورقٍ شامخٍ بخط مباشرٍ ديوان الخاصّ .

الديوان الثالث - ديوان الإستدّارية :

وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاصّ من غير فرق ، ويكتب الإستدّار عليها كما يكتب الوزير وناظر الخاصّ ، ويبعث بها إلى ديوان الإنشاء ، فيجرى الحكم فيها على ما تقدم في الديوانين المذكورين .

الديوان الرابع - ديوان الجئش :

والذي يرد إلى ديوان الإنشاء منه ابتداءً هي المربعات التي تُكتب بالإقطاعات لتخرج المناشير على نظيرها .

وصورتها أن يُكتب في نصف فرجة مكسورة في القطع البلديّ بعد البسملة الشريفة مأمّاله « المرسوم بالأمر العالي ، المولويّ ، السلطانيّ ، الملكيّ ، الفلانيّ ، الفلانيّ ، أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ؛ أو أعلاه الله تعالى وأسماءه ، وشرفه وأمضاه ، أن يُقطع باسم فلان الفلاني - أحد الأمراء المقدمين ، أو الطبلخانات ، أو العشرات ، أو النخسات - بالمكان الفلاني ؛ أو أحد الممالك السلطانية ، أو مقدمي الحلقة ، أو أجناد الحلقة ، بالمكان الفلاني المرسوم استقراره في أمراء العشرات ، أو الطبلخانات ، أو المقدمين ، أو نحو ذلك - وأرسم له به الآن من الإقطاع » .
فإن كان أميراً قبل بعد ذلك : « لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد للخدمة الشريفة ، والبرك التام ، والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف ، أو الخطّ

العالى الكافى؛ أو بمقتضى الإشهاد المشمول بالخطّ الشريف، أو الخط الكافى على نظير ما تقدّم « أو » بمقتضى المربعة المكتبة من الملكة الفلانية المشمولة بالخط الشريف « إن كان أصله مربعة من بعض الممالك وما أشبه ذلك . فإن كان أميراً ذُكرت عِدته على ما سياتى فى الكلام على المناشير فى المقالة الخامسة . ثم يقال : « حَسَبَ الأمر الشريف » ويكمل التاريخ « والحمد لله ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » ويُبعث بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب الديوان بالتعيين على بعض كُتّاب الإنشاء ، فيكتبها ويخلّد المربعة شاهداً عنده .

الضرب الثانى

(ما يتعلق بالكُتب فى المظالم ، والنظر فيه من وجهين)

الوجه الأول

(فيما يتعلق بالقِصص)

وهى تُرفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلقة بتلك الحاجة ، وتُسمّى قصصاً على سبيل المجاز، من حيث إن القِصة اسم للحكى فى الورقة لا لنفس الورقة . وربما سُمّيت فى الزمن القديم رقاعاً لصغر حجمها ، أخذاً من الرقعة فى الثوب .

ثم الذى يجب فى هذه القِصص الإيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والقرب من فهم المخاطب ، فإنها متى كانت خارجة عن الحد فى الطول ، أدّت إلى الإضجار والسّامة المنفرّين للرؤساء . وربما كان فى ذلك حرمان الطالب ودفعه عن حاجته : إما للإعراض عنها استقلاً ، وإما لعدم فهم المقصود منها لطولها واختلاط بعض مقاصدها ببعض . وأما كونها مبلّغة للغرض المطلوب وفهم المخاطب ،

فلانها إذا كانت بصدد الاختصار المجحف والتعقيد، نبأ عنها فهم الرئيس ومجها سمعه :
فإما أن يعرض عنها فيئوت على صاحبها المطلوب، وإما أن يسأل غيره عن معناها
فيكون سبباً لتنزله عن عزّ الرياسة إلى ذلّ السؤال، وكلاهما غير مستحسن .

وقد جرت العادة في مثل ذلك أن يخفى من أول الورقة قليلاً ، ويجعل لها هامش
بحسب عَرْضها ، ويتبدأ فيها بالبسملة ثم يُكْتَب تحت أول البسملة : « المملوكُ
فلانٌ يقبل الأرضَ ، وينهى كذا وكذا » إلى آخر إنهائه : ثم يقال : « وسؤاله كذا
وكذا » فإن كان السؤال للسلطان قال : « وسؤاله من الصدقات الشريفة كذا وكذا »
وإن كان السؤال لغير السلطان قال : « وسؤاله من الصدقات العيمة كذا وكذا » .
ثم إن كان المسئول كتاباً : فإن كان عن السلطان قال : وسؤاله مثالٌ شريفٌ بكذا
وكذا ، وإن كان عن غير السلطان قال : « مثالٌ كريمٌ بكذا وكذا » ثم يقول إن شاء
الله تعالى ، ويحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب . وربما
كتب « المملوك فلان » بحاشية القصّة ، خارجاً عن سمت البسملة . وربما أبدل
لفظ المملوك بلفظ الفقير إلى الله تعالى . ويقال حينئذ بدل « يقبل الأرض »
« يتبرّل إلى الله تعالى بالأذعية الصالحة » أو « يواصل بالأذعية الصالحة »
ونحو ذلك .

وقد جرت العادة في كتابة القصص أن صاحبها إن كان أميراً ونحوه كتب تحت
البسملة « المملوك الفلاني » بلقب سلطانه ، مخلياً بياضاً من جانبيها . على أنه قد
تصدى لكتابة القصص من لا يفرق بين حسنّها وقبيحها ، ولا ينظر في دلائها ،
ولا يراعى مدلولها . وذلك كسنة الزمان في أكثر أحواله .

قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة القصة يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من الجهة السفلى ، مستندين في ذلك إلى كراهة التربع .

(١)

ومن غريب ما يُحكى في ذلك أن بعض الوزراء قال يوما يجلس وأنا وليت الوزارة ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة - فقال له بعض جلسائه : إن تفاءلت أنت به فقد تطيرنا نحن به . ولا شك أن مستندهم في ذلك التشاؤم بالتربع في القرآن التجمي ، ولا يُعول عليه . وقد ورد أن حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة زواياه على التربع ، ولولا أن التربع أحسن الأشكال لما وُضع عليه حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني

(فيما يتعلق بالنظر في المظالم ، وما يكتب على القصص ،

وما ينشأ عنها من المساءلات وغيرها)

وهو أمر مهم ، به يقع إنصاف المظلوم من الظالم ، وخلاص المحق من المبطل ، ونصرة الضعيف على القوى ، وإقامة قوانين العدل في المملكة . وقد نبه أبو الفضل الصوري في "تذكرته" على جلالة هذا القدر وخطره ، ثم قال : ومن المعلوم أن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرم والمنقطعات

والأيتام والصّعاليك ، وكلّ من يقدّم منهم معتقداً أنه يصير إلى من ينصره ويكشف ظلامته ويُعديه على خصمه . فيجب أن يتلقّى كلّ منهم بالترحاب واللطف ، ويُندب لهم من يحفظ رعايتهم ويتنجز التوقيع فيها من غير التماس رشوة ولا فائدة منهم ، وأن تكون التوقيعات لهم شافية في معانيها ، مستوعبة لكشف ظلماتهم ، مؤذنة بإنجاح طلباتهم .

قال أبو هلال العسكري : في كتابه ” الأوائل “ : كان المهديّ يجلس للظالم وتدخل القصص إليه ، فارتضى بعض أصحابه بتقديم بعضها ، فاتخذ بيتاً له شبّاك حديد على الطريق تُطرح فيه القصص ، وكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من القصص أولاً فاولاً فينظر فيه ثمّلاً يقدّم بعضها على بعض .

قال : وقدم عليه رجل فتظلم فأنصفه فاستخفّه الفرج حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال : ما حسبت أنى أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأته داخلني من السرور مازال معه عقي - فقال له المهديّ : كان الواجب أن تُنصفك في بلدك ، وكان قد صرف في نفقة طريقه عشرين ديناراً فأمر له بخمسين ديناراً وتحلّ منه .

قال أبو الفضل الصوريّ : ومهما كان من الرقاع يحتاج إلى العرض على السلطان ، عرضه عليه ، وأحسن السّفارة والتلطف فيه ، ووقع بما يؤمر به ، فقد تحدث في هذه الرقاع الأمور المهمة التي تنفع بها الدولة ، وتستضرّ بتأخير النظر فيها ، ويفهم من طي هذه الرقاع من جور بعض الولاة والمستخدين ما توجب السياسة صرفهم عمّا ولّوه منها . ومهما كان منها مما يشكّ السلطان في صحته ، ندب من يثق به للكشف مع رافعه ، فإن صحّ قوله أنصف من خصمه ، وإن بان تمحله قويل بما

يَرَدُّعُ أمثاله عن الكَذِبِ والتمرد؛ ويعلم الولاةُ والمشارِفون وسائرُ المستخدَمين أن السلطانَ متفرِّغٌ للنظر في قِصَصِ الناسِ وشكاويهم ، وقد نصب لذلك من يتفرَّغُ له ويطالعه بالمُهَمِّ منه فيُكفِّ أيديهم عن الظلم ، ويحذرون سوءَ عاقبة فعلهم ، ويقلُّ المتظلمون قولاً واحداً ، وتحسُنُ سُمعةُ الدولة بذلك فيكون لها به الجمالُ الكبير .

قلت : والذي يُرَفَّعُ من القِصَصِ في معنى ذلك في زماننا على ستة أنواع .

النوع الأول

منها

(ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام)

وقد جرت العادةُ فيه أن يُقرأ على السلطان : فما أمضاه منه كُتِبَ على ظهر القِصةِ ما مثاله «يُكْتَبُ» ثم تجل إلى كاتب السر فيعيِّنُها على بعض كُتَّاب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويخلِّدها عنده شاهداً له .

النوع الثاني

(ما يُرَفَّعُ لصاحب ديوان الإنشاء)

وقد جرت العادةُ في ذلك أن رافع القِصةِ والمحتاج إلى الأمثلة الشريفة السلطانية في مُهمَّاته ومتعلقاته إن كان من الأعيان والمعتبرين كأحد من الأمراء أو المماليك السلطانية وأكابر أرباب الأقلام ، بعث بقِصَّتِهِ لـديوان الإنشاء ، فيقف عليها صاحب ديوان الإنشاء ويتأمَّلُها وينظر ما تضمَّنَتْه ، فإن كان مما يُحتاج فيه إلى مخاطبة السلطان ومؤامراته ، أخذها ليقراها عليه عند حُضُوره بين يديه ، ويمثِّلَ

ما يأمر به فيها ، فيكتب بمقتضاه ، سواء طابق سؤال السائل أم لا ، ويعينها على كاتب من كُتاب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويخلد القصة شاهدا عنده . وهذه المثلثات ورقها من ديوان الإنشاء من المرتب السلطاني . وإن كان رافع القصة من غير المعتبرين كأحد الناس ، دفع القصة إلى مدير من مدراء ديوان الإنشاء فيجعل عليها علامة له ، ويجمع كل مدير مامعه من القصص ، وترفع إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فما كان منها غير سائق للكتابة عليه قطعه أو رده ؛ وما كان منها سائغا كتب عليه وعينه . وربما استشكل بعضها فأنهر ليقراه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه فيعتمده . وإذا عينها على كاتب من كُتاب الإنشاء كتب بمقتضاها وخلد القصة عنده شاهدا .

النوع الثالث

(ما يُرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواكب)

وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ترتب مجلس السلطان على ما تقدم في ترتيب المملكة أن القصص تُفترق على كاتب السر ومن حضر من كُتاب الدست ، فيقرأ كاتب السر منها ما عن له قراءته ، ثم يقرأ الذي يليه من كُتاب الدست ، ثم الذي يليه إلى آخرهم ؛ ويشير السلطان برأسه أو يده بإمضاء ما شاء منها ؛ فيكتب كاتب السر أو كاتب الدست على تلك القصة بما فيه خلاص قلمه ، ثم تُحمل إلى ديوان الإنشاء فيعينها على من يشاء من كُتاب الإنشاء فيكتبها ، ويخلد تلك القصص عنده شاهدا .

النوع الرابع

(ما يُرَفَّعُ منها للنائب الكافل ، إذا كان ثمَّ نائبٌ)

وقد جرتِ العادةُ أن النائب يكونُ عنده كاتبٌ من كُتَّاب الدَّستِ يجلسُ بين يديه لقراءة القصص عليه ، وتنفيذ ما يُكْتَبُ عنه . فإذا رُفِعت القصةُ إلى النائب الكافل قرأها عليه كاتبُ الدَّستِ وأمثل أمره فيها ، وأصلح في القصة ما يجب إصلاحه ، وضرب على ما يجب الضربُ عليه ، وزاد بين سطوره ما تقتضيه الزيادة ؛ ثم تُدفع القصةُ إلى النائب الكافل ، فيكُتَبُ على حاشيتها في الوسطِ أخذًا من جهة أسفلها إلى جهة أعلاها بقلمٍ مختصر الطومار مأمثاله «يُكْتَبُ» ثم تحمُلُ بعد ذلك إلى كاتب السرفيعينها على بعض كُتَّاب الإنشاء فيكتبها .

النوع الخامس

(ما يُرَفَّعُ من القصص إلى الأتابك ، إذا كان في الدولة)

أتابك عسكر : وهو الأمير الكبير)

وغالب ما يكون ذلك إذا كان السلطان طفلًا أو نحو ذلك . وقد جرتِ العادةُ أن يكون عند الأتابك كاتبٌ من كُتَّاب الدَّستِ أيضًا ، فإذا رُفِعت القصةُ إلى الأتابك : فإن كان الأمرُ فيها واضحًا تخلص حقَّ أو نحوه ، كتب كاتبُ الدَّستِ على حاشيتها ما تقتضيه الحال في ذلك من غير قراءتها إلى الأتابك . وإن كان الأمرُ فيها غير واضح كما إذا كان الأمرُ راجعًا إلى مُنازعةٍ خصمين ونحو ذلك ، قرأها على الأتابك وأمثل أمره فيها ، وكتب عليها ما برز به مرسومه . وفي كلتا الحالتين جرتِ العادةُ في زماننا [أنه يعمد] إلى أشهر حرفٍ في اسم الأتابك فيرقه في آخر ما يكتبه أو تحته ؛ كما كان يُكْتَبُ عن برقوق قبل السلطنة (ق) وعن إيتش (ش) وعن نوروز (ن) ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُرفع منها للدّوادار لتعلّق عنه الرسالة عن السلطان به)

وأعلم أن العادة كانت جارية في الزمن المتقدم أن السلطان إذا أمر بكتابة شيء على لسان أحد من الدّوادارية ، حمل بریدی من البریدیة الرسالة لذلك عن ذلك الدّوادار إلى كاتب السرّ فيسمع كلام البریدی ويكتب على القصّة إن كانت أو ورقة مفردة ماثاله : « حضرت رسالة على لسان فلان البریدی بكذا وكذا » ويعينه على من يكتبه من كُتاب الإنشاء . ولم يزل الأمر على ذلك إلى الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » فأفرد المقرّ الشهابی بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء كاتباً من كُتاب الإنشاء لتعليق الرسالة ؛ فصار يكتب ما كان كاتب السرّ يكتبه من ذلك على القصص أو الورقة المفردة ثم تُرفع إلى كاتب السرّ فيكتب عليها بالأمر بكتابتها ؛ ويعينه على من يكتب بمقتضاها ، وتُخلّد القصّة أو الورقة التي علّقت فيها الرسالة عنده شاهداً له . واستمر ذلك إلى مباشرة القاضي فتح الدين بن شاس أحد كُتاب الدست عند الدّوادار ؛ والدّوادار يومئذ الأمير يونس التّوروزی ، فأذن له كاتب السرّ في تعليق الرسالة عن الأمير يونس الدّوادار على ظهور القصص وغيرها ففعل . وكان يكتب على حواشي القصص في وسط القصّة آخذاً من جهة اليمين إلى جهة اليسار بميلة إلى الأعلى بقلم دقيق متلاصق الأسطر ماثاله : « رُسم رسالة الجناب العالي الأميری الكبيری الشرفی یونس الدّوادار الظاهری - ضاعف الله تعالى نعمته - أن يُكتب مثلاً شریف بكذا أو توقيع شریف بكذا » وما أشبه ذلك ، ويؤرخه بيوم الكتابة ، ثم تحمل إلى كاتب السرّ فيكتب عليها بالأمر بالكتابة ، ويعينه

على كاتبٍ من كُتّاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلدُها شاهداً عنده . وجرى الأمرُ على ذلك بعده إلى آخر وقت .

قلت : وقد كان في الدولة الفاطمية كاتبٌ مفرد لتعليق الرسالة عن الخليفة، يسمّى صاحبَ القلم الدقيق، يعلّق ما تبرز به أوامر الخليفة في الرّقاع وحواشي القصص، وتحملُ إلى ديوان الوزارة، فيعتمدُها الوزيرُ، ويبرز أمره إلى ديوان الإنشاء باعتمادها وكتابة ما فيها، على ما تقدّم ذكره في ترتيب الخلافة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

الفصل الثاني

(في التعيين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على الرّقاع
والقصص، وتعيينها على كُتّاب الإنشاء)

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال الكاتب المعين عليه وحال الرقعة المعينة . فاما اختلافه باختلاف حال من يعين عليه . فإنه إن كان المعين عليه كاتباً من كُتّاب الدّست، كتب له كاتبُ السرّ في التعيين : « المولى ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » وربما رفع قدره على ذلك فيكتب له : « المولى ، الأخ ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » . وإن كان من كُتّاب الدّرج : فإن كان كبيراً كتب له : « المولى فلان الدين » . وإن كان صغيراً ، كتب له : « الولد فلان الدين » وربما وقع التمييز لبعض كُتّاب الدّست أو كُتّاب الدّرج للتقدم بالفضل فكتب له : « المولى ، الشيخ فلان الدين » أو « الشيخ فلان الدين » تارة مع الدعاء وتارة دونه .



وأما اختلافه باختلاف حال المكتوب الذى يعين، فإنه إن كان قصّة بظاهرها خط السلطان «يُكتب» فوضع كتابة التعيين تحت خط السلطان بظاهر القصّة، ولا كتابة له عليها غير ذلك .

وإن كان رُفعةً جميعها بخط كاتب السرّ، فإنه يكتب فيها «يكتب بكذا وكذا» ثم يكتب التعيين بأول ذيلها .

وإن كان قصّة رفعت إلى كاتب السرّ، فإنه يكتب على حاشيتها في أعاليها أخذاً من جهة أسفل القصّة إلى أعلاها ما مثاله : «يُكتب بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» ثم يُكتب التعيين بحاشيتها أسفل ذلك في عرض الحاشية مُميلاً للكتابة إلى جهة الأعلى قليلاً .

وإن كان قصّة عليها خطّ النائب الكافل، فإنه يكتب عليها بالتعيين ليس إلا، وموضع التعيين فيها بحاشية القصّة أسفل خط النائب .

وإن كان قصّة قد كتب بهامشها مرسومُ الأتابك أو علّق بحاشيتها رسالةُ الدّوادار، كُتِبَ في جهة أعلى القصّة : «يكتب بذلك» وعلى القُرب منه التعيين . وإنما يُكتب هنا في جهة أعلى القصّة وفيما عليه خطّ النائب الكافل في جهة أسفلها لأن التعليق الذى على الهامش فيما علّق عن مرسوم الأتابك أو رسالة الدّوادار بخط كاتب الدّست الذى فى خدمته ، بخلاف ما عليه خطّ النائب بنفسه .

وإن كان الذى يقع فيه التعيين قائمةً من ديوان الوزارة ، أو ديوان الخصاص أو ديوان الإستدار، كتب بهامش القائمة من أعلاها مقابل كتابة المتحدّث على ذلك الديوان ما مثاله : «يُكتب بذلك» ثم يكتب التعيين تحته على القُرب منه .

وإن كان الذى يقع فيه التعيين مربعة إقطاع من ديوان الجيش، كُتِبَ بالتعيين فى آخرها مقابل التاريخ من الجهة اليمنى، ولا كتابة له عليها غير ذلك.

قلت : وقد جرت عادة كُتَّاب السرِّ فى زماننا أنه يُكْتَبَ على القصص ونحوها، "يُكْتَبَ بذلك" أو "يُكْتَبَ بكذا وكذا" على ما تقدم بيانه بغير لام فى أوله . وكذلك الوزير وناظر الخاص والإستدار يكتبون بغير لام فى الأول . أما القضاة فى الإذن بكتابة المحاضر ونحو ذلك فإنهم يكتبون "لِيُكْتَبَ" بأشياء اللام فى أوله ، وهذه اللام تسمى لام الأمر وقد صرح الإمام أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكُتَّاب" أنه لا يجوز حذفها . وعلى ذلك ورد لفظ القراء الكريم كما فى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ . وقوله : ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ فليَنْظُرْ هَلْ يُدْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ ونحو ذلك . وحكى جمال الدين ابن هشام فى المغنى [جواز حذفها فى الشعر كقوله :

فَلَا تَسْتَطِلْ مِنِّي بَقَائِي وَمُدَّتِي * وَلَكِنْ يَكُنْ لِلْخَيْرِ مِنْكَ نَصِيبُ!

وقوله :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ * إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا!]^(٢)

الطَّرَفُ الثَّانِي^(٢)

(فى كتابة الملخصات والإجابة عنها من الدواوين السلطانية)

قد تقدم فى الكلام على ما ينظر فيه صاحب الديوان أنه لما كان صاحب ديوان الإنشاء يضيق زمنه عن استيعاب حال الكُتُب الواردة من المملكة لوفورها واتساع

(١) بيض فى الأصول لهذه الجملة، وقد نقلناها من المغنى (ج ١ ص ٣٢٢) والشاعر يعطى ابنه لما تبنى موته .

(٢) لم يتقدم له تقسيم بالأطراف فى هذا الباب ولم يذكر الأول حتى يكون هذا تانيا له نعم قال فى عنوان الباب انه يتكلم فيه على كتابة الملخصات فهو مما وعد به وجل من لا يسهو .

الدولة وكثرة المكاتبين ، ناسب أن يتخذ كاتباً يتصفح الكتب الواردة ويتأملها ، ويلخص مقاصدها ؛ قال أبو الفضل الصوري في "تذكرته" : والرسم في ذلك أن الكاتب الذي يُقيمه صاحب الديوان يتسلم الكتب الواردة ويُخرج معانيها على ظهورها ، ملخصاً الألفاظ الكثيرة في اللفظ القليل ، غير مخلّ بشيء من المعنى ولا محزفٍ له ، مُسقِطاً فضول القول وحشوه ، كالدهاء والتصدير والألفاظ المترددة . قال : ويُخرج أيضاً ما يختص بديوان الخراج ، من الأمور التي تردّ ضمن الكتب في معنى الخراج في أوراق يُعين فيها الكتب التي وصلت فيها وتاريخها والجهة التي وردت منها ، وينصّها على هيئتها ، ويوجهها إلى ديوان الخراج ، فيجاب عنها منه ، ويستدعى من متولّى ديوان الخراج الجواب عنها ؛ ثم يُعرض جميع ذلك على الملك ، ويستخرج أمره بإمضاء المكتبة به أو بغيره . فإن كان بخط مخالف للعربيّ : كالروميّ والفرنجيّ والأرمينيّ وغيرها ، أحضر من يعرف ذلك الخطّ ممن يوثق به ليترجمه في ظهره ، فإن كان ذلك المترجم يُحسن الخطّ العربيّ ، كتب بخطه في ظهر الكتاب ما مثاله « يقول فلان : إني حضرتُ إلى ديوان الإنشاء وتسلمتُ الرقعة أو الكتاب الذي هذا الخط بظاهره ، وسُئلتُ عن تفسيره فذكرتُ أنه كذا وكذا » ويسرّده إلى آخره « وبذلك أشهدتُ على نفسي » ويشهد عليه شاهدان : « هذا الذي ذكره بلا زيادة ولا نقص » .

وإن كان الكتاب مشحوناً بالكلام بطناً وظهراً ، نقله بخطه بالقلم الذي هو مكتوب به ، وترجمه على ظاهره بخطه بالعربيّ . وإن لم يحسن الكتابة بالعربيّ ، كتب عنه الكاتبُ بحضر من الشاهدين وأشهد عليه ليهاب أو يُججم فيما يقول ، أو يغيره أو يفتّسه لأن أكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط ، فربما كتم عنه أوداجاً فيه . فإذا خُوف بالإشهاد عليه وخشى أن غيره قد يقرؤه على غير الوجه

الذى أشهد به على نفسه ربما أدّى الأمانة فيه . فإذا لُحِصَتِ المكتبةُ بظاهرها ،
سُلِّمَت إلى متولّى الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها : فإن وجده أحلَّ فيها بشيء ،
أضافه بخطه وأنكر عليه إهماله ليتنبّه في المستقبل . فإن لم يكن فيها خلل عرضه
على الملك وأعتمد أمره فيه ، وكتب تحت كلّ فصل منها ما يجب أن يكون جوابا
عنه على أحسن الوجوه وأفضلها ؛ ثم يسلمها إلى من يكتب الجواب عنها ممن يعرف
أبسطلاع ذلك ؛ ثم يقابل الجواب بالتخريج وما وقع به تحت : فإن وجد فيها خلا
سده ، أو مهملا ذكره ، أو سهوا أصلحه . وإن رآها قد كتبت على أفضل الوجوه
وأسدّها ، لم يفوت فيها معنى ولم يزد إلا لفظا يمتق به كتابه ويؤكد به قوله ، عرضها
على الملك حينئذ ليعلّم ؛ ثم استدعى من يتولّى الإصاق فألصقها بحضرته ، وجعل
على كلّ منها بطاقةً يُشير فيها إلى مضمونها : لئلا يُسأل عن ذلك بعد إصاقها
فلا يعلم ماهو ؛ ثم يسلمها إلى من يتولّى تنفيذها إلى حيث أهلت له ؛ وتسلم النسخ
المخصصة إلى من يؤهّله لحفظها وترتيبها .

قلت : قد تبين بما تقدّم من كلام أبى الفضل الصورى [ما كان عليه الحال
في زمنه] والذى عليه حال الديوان في زماننا فيما يتعلق بذلك أن الكتب الواردة
إلى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها من سائر الممالك يتلقّاها أكبر
الدوادرية : وهو مقدّم ألف على ما تقدّم ذكره في الكلام على ترتيب الدّيار المصرية ؛
ويحضر القاصد المحضّر للكتاب من برىدى أو غيره ، ثم يناوله للسلطان فيفرض ختامه ،
وكتب السرّ جالس بين يديه ، فيدفعه السلطان إليه ، فيقرؤه عليه ويستصحبه معه
إلى الديوان : فإن كان الكتاب عربيا دفعه كاتب السرّ إلى نائبه أو من يخصّه
بذلك ليخصّ معناه : فينعم النظر فيه ، ويستوفى فصوله ، وليخصّ مقاصدها ،

(١) في الاصول ثم عرضها ولكن زيادة ثم في الكلام تنقصه والظاهر أنها زيادة من قلم الناسخ تأمل .

ويكتب لكل ديوان من الدواوين التي يرفع إليها متعلق ذلك الكتاب ملخصاً بالفصول المتعلقة به في ورقة مفردة، ليجاوب عليها متولى ذلك الديوان بما رُسم له من الجواب عنها .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تُكْتَبُ لَهُ الْمَلَخَّصَاتُ فِي زَمَانِنَا مِنَ الدَّوَاوِينِ السُّلْطَانِيَّةِ خَمْسَةٌ دَوَاوِينَ . وهى : ديوانُ الإنشاء ، وديوانُ الوزارة ، وديوانُ الجيش ، وديوانُ الخاص ، وديوانُ الإستدَارِيَّةِ : وهو الديوان المفرد .

والطريق إلى كتابة الملخصات أن يُحذف ما في صدر الكتاب من الحشو على ما تقدم في كلام أبى الفضل الصورى ، ثم يعمد إلى مقاصد الكتاب فيستوفي فصوله ويتصورها بذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ، ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في فصل واحد أو أكثر ، بحسب ما تقتضيه قلة الكلام وكثرته .

وكيفية كتابته أن يترك من رأس الوصل قدر ثلاثة أصابع بياضاً ، ثم قدر إصبعين بياضاً عن يمينه ، وقدر إصبعين بياضاً عن يساره ، ويكتب في صدره ما مثاله : « ذكر فلان في مكاتبه الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا » يمد لفظ « ذكر » بين جانبي الوصل ، ويكتب باقى الكلام تحتها من أول الوصل إلى آخره فى العَرَض من غير خلل بياض « أنه آتفق من الأمر ما هو كذا وكذا » أو « أنه سأل فى كذا وكذا » . ثم يخل بياضاً قدر أربعة أصابع مثلاً ويكتب فى وَسَط الدَّرَج بخلو بياض من الجانبين ، « وذكر » على نحو ما تقدم ، ثم يكتب باقى الكلام من أول الوصل إلى آخره ، ويفعل ذلك بكل فصل فى الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص ، ويكتب فى آخر كل فصل « وقد عُرض على المَسَامع الشريفة » و« مهما برزت به المراسيم الشريفة كان العمل بمقتضاها » ونحو ذلك .

ثم إن كان الملخص لديوان الإنشاء، كَتَبَ بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه مأمثاله «ديوان الإنشاء». وإن كان لديوان الجيش كتب هناك مأمثاله «ديوان الجيش». وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر. فإذا كتبت الملخصات، وقف عليها كاتب السر: فما كان منها متعلقا بديوان الإنشاء عرضه على السلطان وأستمر جوابه عنه، فيكتب مقابله في الملخص «يُكْتَبَ بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» أو «رسم بذلك» أو «رسم بكذا وكذا». وما كان منها متعلقا بديوان الوزارة بعث به إلى الوزير؛ وما كان منها متعلقا بديوان الجيش بعث به إلى ناظر الجيش؛ وما كان منها متعلقا بديوان الخاص بعث به إلى ناظر الخاص: ليقرا كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان كَتَبَ به بجانب الفصل الذي كُتِبَ به في الملخص «أُمِضَ ذلك» أو «لم يمض» أو «رسم بكذا وكذا» ونحو ذلك: وسائر الدواوين على هذا النمط.

وإن كان الكتاب غير عربي: فإن كان بالتركية المغلية ونحوها كالكتب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق، فإنه يتولى ترجمتها من يؤثق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو الخاصكية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان؛ ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به. وإن كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة، تُرجم على نحو ما تقدم، وتكتب ملخصه وقرئ على السلطان وأُلِّسَ جوابه، وكتب كاتب السر على الملخص بما رُسم فيه.

الباب الرابع

من المقالة الثالثة

(في الفَوَاتِحِ وَالْحَوَاتِمِ وَاللَّوَا حِقِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الفَوَاتِحِ ، وفيه ستة أطراف)

الطَّرَفُ الْأَوَّلُ

(في البسملة ، وفيه ثلاث جُمَل)

الجملة الأولى

(في أصل الافتتاح بها)

كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » والسبب في كتابتهم ذلك ما ذكره المسعودي في « مروج الذهب » عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف : كابن دأب ، والهيثم بن عدي ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي : أن أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيَّ خرج إلى الشام في نفر من ثقيف وقريش في غيرهم ، فلما قفلوا راجعين [نزلوا منزلاً واجتمعوا لعشاءهم ، إذ] أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فخصبها بعضهم بحجر في وجهها فرجعت ، فشدوا سفرتهم ، ثم قاموا فشدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا من المنزل ، أشرفت

(١) في الاصول وغيرهم ، وهو تصحيح والتصحيح عن المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ .

(٢) الزيادة عن مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ ليتضح الكلام .

(١) عليهم عجوزٌ من كَثِيبٍ رملٍ متوَكِّئَةٌ على عَصَا، فقالت : مامنَكم أن تُطعمُوا رَحِيمةَ اليتيمة الصغيرة التي باتتَ لُطعامكم عَليَّةً؟ قالوا : وما أنتِ؟ قالت أمُّ العوام، أَرَمَلْتُ منذُ أعوام ؛ أما وربَّ العباد ، لَتُفَرَّقَنَّ في البِلاد ! ثم ضربت بعصاها الأرض وأثارت بها الرملَ، وقالت : أَطِيلِي لِإِيَابِهِمْ ، وَفَرِّقِي رِكَابَهُمْ ! فوثبت الإبلُ كأنَّ على ذِرْوَةِ كُلِّ منها شيطانًا ، ما يَمْلِكُونُ منها شيئًا حتَّى آفَرَقَتْ في الوادى ، فجمَعوها من آخر النهار إلى غُدْوَةٍ ، فلما أناخُوا الرِّوَّاحِلَ طَلَعَتْ عليهم العجوزُ وفعلت كما فعلتْ أوَّلًا وعادتْ لِمَقَالِهَا الأوَّل ، فخرجتِ الإبلُ كما خرجت في اليوم الأوَّل ، فجمَعوها من غَدٍ . فلما أناخوها لِيَرَحُلُوهَا ، فعلتِ العجوزُ مثلَ فعلِها في اليوم الأوَّل والثاني فَفَرَّتِ الإبلُ ، وأمسوا في ليلة مُقَمَّرَةٍ وَيَسُّوا من ظُهورِهِمْ ؛ فقالوا لِأُمِّيَّةَ ابنِ أَبِي الصَّلْتِ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا بِهِ عَن نَفْسِكَ وَعِلمِكَ ؟ [نقال : أذهبوا أتم في طلبِ الإبلِ ودَعُونِي] . فتوجَّه إلى الكَثِيبِ الذى كانت تَأْتِي منه العجوزُ حتَّى هَبَطَ من نَبِيئَتِهِ الأُخْرَى ، ثم صَعِدَ كَثِيبًا آخَرَ حتَّى هَبَطَ منه ؛ ثم رَفَعَتْ له كَنِيسَةً فيها قَنَادِيلُ وَرَجُلٌ مُعْتَرِضٌ مُضْطَجِعٌ على بَهِمَاءٍ ، وإذا رَجُلٌ جالسٌ أبيضُ الرأسِ واللحية ؛ قال أُمِّيَّةُ : فلَمَّا وَقَفْتُ قال لى : [إِنَّكَ لَمَتَّبِوعٌ ، قُلْتُ أَجَلٌ ، قال فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ صَاحِبُكَ ؟ قلت : من أَدْنَى الْيُسْرِى . قال : فبأى الثَّيَابِ يَأْمُرُكَ ؟ قلت : بالسَّوَاد . قال : هَذَا خَطِيبُ الْحَنِّ ، كِدْتَ والله أن تُكُونَهُ ولم تَفْعَلْ . إن صَاحِبَ النُّبُوَّةِ يَأْتِيهِ صَاحِبُهُ مِنْ قَبْلِ أَذُنِهِ الْيَمْنَى ، فَيَأْمُرُهُ بِلِبَاسِ الْبَيَاضِ ، فإِ] حاجتُكَ ؟ فحدَّثتهُ حَدِيثَ الْعَجُوزِ . فقال : هى أَمْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ هَلَكَ زَوْجُهَا منذُ أعوام ، وإِنا لن تَرَالِ

(١) في المسعودى ج ١ ص ٣٣ "رحمة الجارية اليتيمة" وفي الاغانى "رحمة" بالجيم .

(٢) الزيادة عن الاغانى .

(٣) الزيادة عن المسعودى ج ١ ص ٣٤ ، وهو على هذا النحو فى الاغانى .

تَفْعَلْ بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى تُهْلِكَكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعَتْ - قَالَ أُمِيَّةُ : قُلْتُ فَمَا الْحِيلَةُ ؟ - قَالَ :
 أَجْمَعُوا ظَهْرَكُمْ فَإِذَا جَاءَتْكُمْ وَفَعَلْتُمْ مَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، فَقُولُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقُ وَسَبْعًا مِنْ
 أَسْفَلُ ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “ فَإِنَّا لَنْ تَضُرَّكُمْ . فَرَجَعَ أُمِيَّةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قِيلَ لَهُ
 وَجَاءَتْهُمْ الْعَجُوزُ فَفَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ فَقَالُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقُ وَسَبْعًا مِنْ أَسْفَلُ بِاسْمِكَ
 اللَّهُمَّ فَلَمْ تَضُرَّهُمْ . فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلَ لَا تُتَحَرَّكُ ، قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُمْ صَاحِبُكُمْ ،
 لِيُبَيِّضَنَّ اللَّهُ أَعْلَاهُ وَلِيَسْوَدَّ أَسْفَلَهُ . وَسَارُوا فَلَمَّا أَدْرَكَهُم الصَّبْحُ ، نَظَرُوا إِلَى أُمِيَّةَ
 قَدْ بَرِصَ فِي غُرَّتِهِ وَرَقَبَتِهِ وَصَدْرُهُ وَأَسْوَدَّ أَسْفَلَهُ . فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا هَذَا
 الْحَدِيثَ ، فَكَتَبَتْ قُرَيْشٌ فِي أَوَّلِ كُتُبِهَا ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “ فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَتَبَهَا أَهْلُ
 مَكَّةَ وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : ولم تزل الكتب تُفْتَحُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَاسْتَفْتَحَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَتْ سُنَّةً بَعْدَهُ . وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ ،
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتُبُ كَمَا تَكْتُبُ قُرَيْشٌ ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “
 حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ . فَكَتَبَ بِاسْمِ اللَّهِ ،
 حَتَّى نَزَلَ ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ . فَكَتَبَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ » حَتَّى نَزَلَ
 ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَكَتَبَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .
 وَذَكَرَ فِي ” مَوَادِّ الْبَيَانِ ” نَحْوَهُ .

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْتُبَ شَيْئًا حَتَّى يَكْتُبَ
 « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَكْتُبَ

كُتِبَ أَوْ غَيْرِهِ حَتَّى يَبْدَأَ بِ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ كِتَابٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

وهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة في استحباب الابتداء بالبسملة فيما يُكْتَبُ به من أصناف المكاتبات والولايات وغيرها ، وعلى ذلك مصطلح كُتِبَ الإنشاء في القديم والحديث ، إلا أنهم قد اصطَلَحُوا على حذفها من أوائل التواقيع والمراسيم الصغار، كالتي على ظهور القصاص ونحوها ، وكأنهم أخذوا ذلك من مفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سُنَنِهما وأبو عَوَانَةَ الأَسْفَرَايِينِي في مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ» يَعْنِي نَاقِصَ الْبَرَكَةِ ، وَمَا يُكْتَبُ فِي التَّوَاقِيْعِ وَالْمَرَّاسِمِ الصَّغَارِ لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهْمَّةِ فَنَاسِبَ تَرْكُ الْبِسْمِلَةِ فِي أَوَّلِهَا . لَكِنْ قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ «الْقَلَمِ وَالِدَوَاءِ» أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ كَرِهُوا حَذْفَ الْبِسْمِلَةِ مِنَ التَّوَاقِيْعِ وَالسَّرَاحَاتِ وَذَمُّوه . وَقَدْ كَانَ الْقَاضِي علاء الدِّينِ الْكَرْكِي كَاتِبُ السَّرِّ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقُ» فِي أَوَّلِ سُلْطَنَةِ الثَّانِيَةِ أَمْرًا أَنْ يُكْتَبَ فِي أَوَّلِهَا بِسْمِلَةٌ بِقَلَمٍ دَقِيقٍ ، ثُمَّ بَطَلَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَبَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا . ثُمَّ قَدْ اخْتَلَفَ فِي كِتَابَتِهَا أَمَامَ الشَّعْرِ : فَذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالزُّهْرِيُّ إِلَى مَنْعِ ذَلِكَ ، وَذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ إِلَى جَوَازِهِ . وَيُرْوَى مِثْلُهُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ فِي «صِنَاعَةِ الْكُتَابِ» : وَرَأَيْتُ عَلَى بَنِ سُلَيْمَانَ يَمِيلُ إِلَيْهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيِّ : وَلَا بَأْسَ إِنْ يَكُنْ بَيْنَ الشَّعْرِ وَبَيْنَهَا كَلَامٌ ، مِثْلُ أَنْشَدَنِي فَلَانُ الْفُلَانِيَّ وَشَبَّهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا أَنْ يَصْلَهُ بِهَا فَلَا يَجُوزُ .

(١) في الاصول أن يكون ولكن يأباه المعنى وبقية الكلام تأمل .

الجملة الثانية

(في الحث على تحسينها في الكتابة وما يجب من ترتيبها في الوضع)

أما الحث على تحسينها في الكتابة، فينبغي للكاتب أن يُبالغ في تحسينها في الكتابة ما استطاع تعظيماً لله تعالى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَحَسَنَهُ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ » . وعن واصل مولى أبي عيينة قال : سمعت حمادا يقول : كانوا يُجَبُّونَ أن يُحَسِّنَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .



وأما ما يجب من ترتيبها ، فأقول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتدل على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال ، ثم إثبات السين بأسانها الثلاث ، غير مُرسِل لها إرسالاً كما يفعله بعضُ الكُتَّاب فقد كره ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت والحسن وابن سيرين ، حتى يروى أن عمر رضي الله عنه ضرب كتاباً على حذف السين منها - فقليل له : فيم ضربك عمر ؟ - فقال : في سين ، بغيري مثلاً . ويروى أن غلاماً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه من مصر كتاباً ولم يجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا ، فكتب إليه عمر يأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قال : أجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا وأنصرف إلى مصر . وكذلك لا يمد الباء قبل السين ثم يكتب السين بعد المدة ، كما يفعله بعضُ كُتَّاب المغاربة فقد روى محمد ابن عمر المدائني من حديث شعيب بن [أبي] الأشعث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَا يَمُدُّهَا قَبْلَ السَّيْنِ . يَعْنِي الْبَاءَ » وعن ليث عن مجاهد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . ويروى مثله عن ابن عمر ، وابن سيرين . وعن عبد العزيز بن عبد الله وعبد الله بن دينار وغيرهما

أن العلماء كانوا يَكْرَهُونَ ذلك وَيَهْوُونَ عنه أَشَدَّ النَّهْيِ حَتَّى رُويَ عن الضَّحَّاكِ
 ابنِ مزاحمٍ أَنه قال : وَدِدْتُ أَنِّي لو رأيتُ الأَيْدِيَّ تُقَطَّعُ فيه . نعم يَسْتَحَبُّ المَدِينِ
 السَّيْنِ والمِمْ كما هو عَادَةُ كُتَّابِ المِصْرِيِّينَ وأهلِ المَشْرِقِ . وكذلك آسْتَحْسَنُوا مَدَّ الحاءِ
 مِنَ الرَّحْمَنِ قَبْلَ المِمْ وقالوا : إِنَّه من حُسْنِ البَيَانِ ، حَتَّى يروى أَنَّ عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ
 كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلْيَمُدِّ الرَّحْمَنَ . وهذا مما
 يَتَعَاطَاهُ كُتَّابُ المَغْرِبِ دُونَ كُتَّابِ مِصْرَ وَأَهْلِ المَشْرِقِ . أَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وَجْوهِ
 التَّحْسِينِ فَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الكَلَامِ عَلَى الخَطِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الجملة الثالثة

(فِي بَيَانِ مَوْضِعِهَا مِنَ المَكْتُوبِ ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ أَمْرَانِ)

الأمر الأول

(تَقَدُّمُهَا فِي الكِتَابَةِ)

فَيَجِبُ تَقْدِيمُهَا فِي أَوَّلِ الكَلَامِ المَقْصُودِ : مِنْ مَكَاتِبَةٍ أَوْ وِلَايَةٍ أَوْ مَنَشُورٍ إِقْطَاعِ
 أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، تَبَرُّكًا بِالْإِبْتِدَاءِ بِهَا وَتَيَمُّنًا بِذِكْرِهَا ، عَمَلًا بِالأَخْبَارِ وَالْأَنَارِ المَتَقَدِّمَةِ فِي الجُمْلَةِ
 الأَوَّلَى . عَلَى أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ بَلْقَيْسَ حِينَ أُلْقِيَ إِلَيْهَا
 كِتَابُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ((إِنِّي أُلْقِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ)) : فَذَهَبَ بَعْضُ المَفْسِرِينَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ
 ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ)) مِنْ كَلَامِ بَلْقَيْسَ ، وَإِنَّمَا حَكَتِ الكِتَابَ بِقَوْلِهَا : وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

(١) قَدْ مَضَى الكَلَامُ عَلَى الخَطِّ فِي أَوَائِلِ الجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ وَبَيْنَ هُنَاكَ أَوْضَاعِ البَسْمَلَةِ وَكَيْفِيَةِ

كِتَابَتِهَا أَرْضَحَ بَيَانِ فَعَلَلِ مَا هُنَا سَهْوًا عَمَّا فَاتَ .

الرحمن الرحيم إلى آخر الآية، فيكون ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، ويكون ذلك احتجاجاً على وجوب تقديمها. وذهب آخرون إلى أن قوله ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ)) بداية كتاب سليمان، فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ في كتابه باسمه. فإن قيل كيف ساع على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى في الذِّكْر مع أن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس أدباً مع الله تعالى؟ فالجواب ما قيل: إنه كان عادة ملوك الكُفْر أنه إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون ربما مزقوا أعلاه أو تفلوا فيه، بجعل سليمان عليه السلام اسمه تَقِيَّةً لِاسْمِ الله تعالى فذكره أولاً. ومن هنا اصطلاح الكُتَّاب في الكُتُب الصادرة عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكُفْر بكتابة القاب الملك المكتوب عنه في وصل فوق البسملة، تأسياً بسليمان عليه السلام.

أما ما يُكْتَب في طُرَّة الولايات من العهود والتقاليد وغيرها، فإنه في الحقيقة جزء من المكتوب، فلا يُوصَف بأنه شيء مُقَدَّم على البسملة. وأما الطغرة التي كانت تُوضَع في مناشير الإقطاعات في وَصْل بين وصل الطُّرَّة والبسملة فيها القابُ السلطان على ما سيأتى في الكلام على كتابة المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى، فإنها كتابة أجنبية مكتوبة بخط غير الكاتب فلم تُنسَب في الحقيقة إلى التقديم. على أن ذلك قد بطل في زماننا. وهاتان المسئلتان المتعلقتان بالطغرة المكتوبة في المناشير ومكاتبات أهل الكفر مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى كُتَّاب ديوان الإنشاء بالشام، في مباشرة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، حين بلغه أن بعضهم وقع فيه.

الأمر الثاني

(إفرادها في الكتابة)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" : ينبغي للكاتب أن يُفرد البسملة في سطر وحدها، تبيلاً لأسم الله تعالى وإعظاماً وتوقيراً له ؛ ثم ساق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهى أن يُكتب في سطرٍ بسم الله الرحمن الرحيم غيرها". وعلى هذه الطريقة جرى كُتاب الإنشاء في مكاتبتهم وسائر ما يصدر عنهم . أما النسخ وكُتاب الوثائق فربما كتبوا بعدها في سطرها « الحمد لله » أو « الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم » ونحو ذلك . وكذلك يكتبُ القضاة « الحمد لله » في علامات الثبوت في المكاتيب الشرعية .

الطرف الثاني

(في الحمد لله)

لما كان الحمد مطلوباً في أوائل الأمور طلباً للتيمن والتبرك ، عملاً بما رواه الراؤون لحديث البسملة المتقدم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيه بحمد الله فهو أجْدَمُ » اصطلاح الكُتاب على الابتداء به في الكثير مما يكتبونه من المكاتبات والولايات وغيرها مما له شأنٌ وبال : كمكاتبات أكثر الملوك من قانات الشرق ، وكل ما تضمن نعمة من المكاتبات ونحو ذلك ، وكالبيعات والعهود والتقاليد على رأي من يرى افتتاحها بالخطب ، وغير ذلك مما يأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى . بل ربما كُتروا الحمد المرات المتعددة إلى السبع في الخطبة الواحدة ، على ما سيأتي ذكره في موضعه

إن شاء الله تعالى . وأتوا بالحمد لله بعد البسملة تأسيساً بكتاب الله تعالى ، من حيث إن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، أو فاتحة لها - وإن لم تكن منها - كما هو مذهب غيره . أما سائر المكتبات والولايات المفتحة بغير الحمد ، فإنما حذف منها الحمد استصغاراً لشأنها ، إذ كان الابتداء بالحمد إنمّا يكون في أمرٍ له بال دل عليه الحديث المتقدم ، وسيأتي الكلام على كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . قال في "الصناعتين" : وإنما أفتّح الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوّف للثناء على الله تعالى ، والافتتاح بما تتشوّف النفوس إليه مطلوب . وربما أتى الكتاب بالحمد بعد البعديّة : « فكتبوا » أما بعد حمد الله ، أو « أما بعد فالحمد لله » فأما الصيغة الأولى فالحمد مقدّم فيها معنى وإن لم يذكر لفظاً لأن قوله أما بعد حمد الله يقتضى تقدّم حمد الله ، وأما الصيغة الثانية فإنما تقتضى تقدّم شيء على الحمد ، ولا شك أن المقدّم هنا هو البسملة على ما سيأتي في الكلام على أما بعد فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكتبات : إناي أحمد إليك الله . وقد اختلف في أيّ الصيغتين أبلغ : صيغة الحمد لله ، أو صيغة أحمد الله : فذهب المحققون إلى أن صيغة الحمد لله أبلغ : لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرّر في علم المعاني . وذهب ذاهبون إلى أن صيغة أحمد الله أبلغ : لأن القائل الحمد لله حاكٍ لكون الحمد لله ، بخلاف القائل أحمد الله فإنه حامدٌ بنفسه ، ولذلك يُرتى بالتحميد ثانياً في الخطب بصيغة الفعل .

وله في الاستعمال ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى — «يُحْمَدُهُ أمير المؤمنين» فيما إذا كان ذلك صادراً عن الخليفة في مكتبة أو غيرها .

الصيغة الثانية — «نُحْمَدُهُ» إما بنون الجمع الحقيقية كما إذا كان ذلك صادراً عن (١) ... مثل أن يُقَى بذلك في بيعة خليفة أو نحوها، أو بنون الجمع للتعظيم كما إذا كان ذلك صادراً عن السلطان نحو ما يقع في خطب التقاليد والتواقيع في زماننا .

الصيغة الثالثة — «أَحْمَدُهُ» بلفظ الإفراد، كما إذا كان ذلك صادراً عن واحد فقط حيث لا تعظيم له .

الطرف الثالث

(في التشهد في الخطب)

قد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التمجيد في الخطب ويكون تابعا لصيغة التمجيد : فإن كان قد قيل يَحْمَدُهُ أمير المؤمنين ، قيل بعده : وَيَشْهَدُ ؛ وإن كان قد قيل نَحْمَدُهُ ، قيل بعده : وَنَشْهَدُ ؛ وإن كان بعد حمد الله ، قيل والشهادة له بالجزء عطفًا على حمد . على أن الخطب الموجودة في مكاتبات المتقدمين لا تشهد فيها . ومستند المتأخرين في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي وصححه البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدُ فِيهِ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ» .

(١) بياض في الأصول ولعله «عن متعددين» .

الطرف الرابع

(في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه في أوائل الكتب)

لا نزاع في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك
في ذلك قوله تعالى في مُحْكَم التَّزِيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من
أن تُحْصَرَ ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب ، تيمنا وتبركا . وقد جاء في تفسير
قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أن المعنى ما ذُكِرْتُ إِلَّا وَذُكِرْتَ معي . فإذا أتى
بالحمد في أول كتاب ، ناسب أن يُؤْتَى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ،
إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى . وقد روى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الصَّلَاةُ جَارِيَةً لَهُ
مَادَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ” . قال الشيخ عماد الدين في تفسيره : إلا أنه ضعيف ،
ضعفه المحدثون . قال محمد بن عمر المدائني في ” كِتَابُ الْقَلَمِ وَالِدَوَاةِ ” : وقد رأينا
بعض الكتب لا يرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب ، فباءوا بأعظم
الوزر مع ما فاتهم من الثواب .

وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد التصلية ، فقد قال الشيخ محي الدين
النووي في كتابه ” الْأَذْكَار ” : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليَجْمَعْ
بين الصلاة والتسليم ولا يَقْتَصِرْ على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ، ولا عليه

السلام فقط . قال الشيخ عماد الدين بن كثير : وهذا منتزع من قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وأما الصلاة على الآل والصحب بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد
 نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء
 عليهم السلام بطريق التبعية ، مثل أن يقال : اللهم صل على سيدنا محمداً وعلى آله
 وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك . ثم قال : وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من قولهم :
 وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه فلا نزاع فيه ، وإنما الخلاف في جواز إفراد
 غير الأنبياء عليهم السلام بالصلاة : فأجازه قوم محتجين بنحو قوله تعالى :
 ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : ” اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى “ . ومنعه
 آخرون احتجاجاً بأن الصلاة صارت شعاراً للأنبياء عليهم السلام فلا يلحق بهم
 غيرهم ، فلا يقال : أبو بكر صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحاً ، كما لا يقال :
 محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلاً .

ثم الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه أن ذلك لا يجوز في غير التبعية .
 وحكي النووي في ” الأذكار “ فيه قولاً بأنه كراهة تحريم ، وقولاً بأنه كراهة تنزيه ،
 وقولاً بأنه خلاف الأولى ، ورجح كونه كراهة تنزيه ، لأنه شعار أهل البدع .

وأما السلام على غير الأنبياء ، فحكي النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب
 من حى وميت وأنه لا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : على عليه السلام ، بخلاف
 الحاضر فإنه يُخاطب به .

إذا علمت ذلك فالصلاة وتوابعها في أوائل الكتب قد تكون بعد التحميد في الخطبة
 كما في الولايات [والمكاتبات] المفتحة بالخطب من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض

والتواقيع والمراسيم وغيرها، وكما في الكتب المفتحة بالخطب. وقد تكون في صدور المكاتبات المفتحة بغير الخطب، كما كان يكتب في القديم في صدور المكاتبات « وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله » وهو مما أحدثه الرشيد في المكاتبات . قال في « ذخيرة الحجاب » : وكان ذلك من أجل مناقبه . وكان الخلفاء الفاطميون بمصر يقولون عن لسان الخليفة : ويسأله أن يصلي على جدّه محمد، ويخصون الصلاة بعده بأمير المؤمنين على رضي الله عنه على طريقة الشيعة .

الطرف الخامس

(في السلام في أول الكتب)

إنما جعل السلام في ابتداء الكتب وصدورها لأنه تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب ، فكما أنه يفتتح به الكلام طلباً للتأليف كذلك تفتتح به المكاتبات وتصدر طلباً للتأليف ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ! أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . قال في « الصناعتين » : وتقول في أول كتابك : « سلام عليك » وفي آخره « والسلام عليك » والمعنى فيه أن الأول نكرة إذ لم يتقدم له ذكر والثاني معرفة يشار به إلى السلام الأول على حدّ قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ فأتى في الأول بتذكير الرسول وفي الثاني بتعريفه . وكذلك قال تعالى في سورة مريم في قصة يحيى عليه السلام : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ لعدم تقدم ذكر السلام ؛ ثم قال بعد ذلك في قصة عيسى عليه السلام : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ يَوْمَ وُلِدَتْ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وإلى ذلك يشير أحمد بن يوسف بقوله : اكتب في أول كتابك

سلام عليك وأجعلهُ تَحِيَّةً ، وفي آخره « والسلام عليك » وأجعلهُ ودَاعاً . وذلك أن سلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكزةً ، وسلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفةً لرجوعه إلى الأول . وقد كره بعض العلماء أن يقال في الابتداء : عليك السلام ، احتجاجاً بما روى عن أبي مُكَيْمٍ الأَسَدِيِّ أنه قال « أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته :

يَقُولُ أَبُو مُكَيْمٍ صَادِقًا : * عَلَيْكَ السَّلَامُ أبا القَاسِمِ !

فقال : يا أبا مُكَيْمٍ عليك السلامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى . وجعل ابن حَاجِبٍ النِّعَمَانُ من ذلك قول عُبْدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

قال ابن حَاجِبٍ النِّعَمَانُ : ويكتبُ السَّلَامُ بِاسْقَاطِ الْأَلْفِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ وَتَحْزِهِ . قال أبو جعفر النحاس : وقولهم في أول الكتاب سلامٌ عليك ، بالرفع ويجوز فيه النصب والاختيارُ الرفع وإن كان النُّجَاة قد قالوا : إِنَّ مَا كَانَ مُشْتَقًّا مِنْ فِعْلِ فَالْإِخْتِيَارُ فِيهِ النَّصْبُ نَحْوُ قَوْلِكَ سَقِيًّا لَكَ : لِأَنَّ مَعْنَى السَّلَامِ فِي الِرْفَعِ أَعْمٌ ، إِذْ لَيْسَ يَرِيدُ أَنْفَعْلَ فِعْلًا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى تَحِيَّةً عَلَيْكَ بِنَصْبِ تَحِيَّةٍ . وَقِيلَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ بِمَعْنَى سَلَامٌ لَكَ . وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى إِتْبَاعِ السَّلَامِ الرَّحْمَةَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَوَاتِمِ فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في أما بعد)

اعلم أن « أما بعد » تُستعمل في صُذور المكاتبات والولايات وربما استُعملت في ابتدائها . وهي مركبة من لفظين أحدهما أما والثاني بعد . فأما « أما » خرف شرط و « بعد » ظرف زمان إذا أُفرد نبي على الضم ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ وأجاز الفراء أما بعداً بالنصب والتنوين ، وأما بعد بالرفع والتنوين . وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ومنعه النحاس وقال : إنه غير معروف .

ثم أما تقع في كلام العرب لتوكيد الخبر ، والفاء لازمة لها : لتصل ما بعدها بالحرف الملاصق لما قبلها ، فتقول أما بعد أطل الله بقاءك ! فإنني قد نظرت في الأمر الذي ذكرته . ويجوز أما بعد فاطال الله بقاءك إني نظرت في ذلك ، فتثبت الفاء في أطل وإن كان معترضا لقربه من أما ، ويجوز أما بعد فاطال الله بقاءك فإنني نظرت ، ويجوز أما بعد ثم أطل الله بقاءك فإنني نظرت حكى ذلك كله النحاس ، ثم قال : وأجودها الأول وهو اختيار النحويين . قال : وأجود منه أما بعد فإنني نظرت أطل الله بقاءك . فإن أضيفت بعد إلى ما بعدها فتحت فتقول أما بعد حمد الله ونحو ذلك . قال في « ذخيرة الكتاب » وإذا كانت بعد البسملة فعناه أما بعد قولنا « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد كان كذا وكذا .

وقد اختلف في أول من قال أما بعد : فقيل داود عليه السلام ، وبه فُسر فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ على أحد الأقوال ، وقيل أول من قالها كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل أول من قالها قس بن ساعدة الإيادي . قال سيويه : ومعناها مهما يكن من شيء .

الفصل الثاني

(في الخَوَاتِمِ وَاللَّوَاخِيقِ ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في الاستثناء بالمشيئة : بأن يَكْتُبُ إن شاء الله تعالى ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الْحَثِّ عَلَى كِتَابَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)

اعلم أنه يُسْتَحَبُّ للكتاب عند آتِهاء ما يَكْتُبُهُ : من مَكَاتِبٍ أَوْ وِلَايَةٍ أَوْ غَيْرِهَا
 أَنْ يَكْتُبَ " إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى " تَبَرُّكًا وَرَغْبَةً فِي نَجَاحِ مَقْصِدِ الْكِتَابِ ، فَقَدْ وَرَدَ
 الْحَثُّ عَلَى التَّعْلِيقِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّدْبِ إِلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ
 إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . وَذَمَّ قَوْمًا [عَلَى تَرْكِ الْإِسْتِثْنَاءِ] فَقَالَ :
 ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ
 فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .
 قَالَ أَصْحَابُ السَّيْرِ : كَانَ بِالْيَمَنِ رَجُلٌ لَهُ جَنَّةٌ يَأْخُذُ مِنْهَا قُوَّتَ سَنَتِهِ وَيَتَصَدَّقُ بِالْبَاقِي ،
 وَكَانَ يَتْرُكُ لِلْسَّاكِينِ مَا أَخْطَأَ الْمِنْجَلُ مِنَ الزَّرْعِ أَوْ الْقَطَافِ مِنَ الْعِنَبِ وَالنَّخْلِ
 وَمَا بَقِيَ عَلَى الْبَسَاطِ الَّذِي يُسَاطُ تَحْتَ النَّخْلَةِ ، فَلَمَّا مَاتَ شَخَّ بَنُوهُ عَلَى الْمَسَاكِينِ
 بِمَا كَانَ يَتْرُكُهُ آبَاؤُهُمْ وَحَلَفُوا عَلَى قَطْعِهَا فِي الْغَلَسِ كَيْلًا يُدْرِكُهُمُ الْفُقَرَاءُ ، فَاصْبَتْهَا
 نَارٌ فِي اللَّيْلِ فَاحْتَرَقَتْ وَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ يَعْنِي الدَّيْلُ الْمُظْلِمُ . قَالَ الْمَفْسُورُونَ : وَالْمُرَادُ
 بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ الرَّغُشَرِيُّ :

وسمى استثناء وإن كان بمعنى الشرط لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد .


وَأَعْلَمُ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ لَا يَدْخُلُ عَلَى مَاضٍ فَلَا يَقَالُ مَا فَعَلْتَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ فَتَقُولُ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

أَمَا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ بِلَفْظِ الْمُخَيِّ مِثْلَ قَوْلِ أَقَائِلٍ لِرُؤُوسِهِ أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَقْبَلًا لَفْظًا ، فَإِنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ مَعْنَى ، إِذْ مَعْنَاهُ الْإِنْشَاءُ وَالْإِمَّا وَقَعَ بِهِ الطَّلَاقُ . إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ ، فَلَفْظُ ”إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى“ فِي آخِرِ الْمَكَاتِبَةِ أَوِ الْوَلَايَةِ وَنَحْوِهِمَا يَكُونُ مَعْلَقًا بِآخِرِ الْمَكْتُوبِ مِمَّا يَنَاسِبُ ذَلِكَ ، كَتَعْلُقِهَا بِالتَّأْيِيدِ مِنْ قَوْلِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(في محل كتابتها وصورة وضعها في الدرج)

لَا نِزَاعَ فِي أَنَّهَا أَوَّلُ خَاتَمَةٍ تُكْتَبُ مِنْ خَوَاتِمِ الْمَكْتُوبِ ، فَحَالُهَا مِنَ الدَّرَجِ أَسْفَلُ الْمَكْتُوبِ ، فِي وَسْطِ الْوَصْلِ ، مَكْتَنَفَةٌ بِيَاضٍ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّطْرِ الْآخِرِ مِنَ الْمَكْتُوبِ كَمَا بَيْنَ سَطْرَيْنِ أَوْ دُونَهُ .

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْكُتَّابِ فِي كِتَابَتِهَا بِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ كَمَا فِي الْقِطْعِ الصَّغِيرِ ، كَتَبَتْ مَعْلَقَةً مُسَلَّسَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ  أَوْ مَا قَارِبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ

جليل كالثلث ونحوه ، كُتِبَتْ واضحة مبينة ، والغالب فيها أن تكونَ على هذه الصورة ان شاء الله تعالى قال جمال الدين بن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُضَيَّف الكاتبُ إليها شيئاً في سطرها ، بل تكون مفردةً في سطرٍ واحدٍ .

الطَّرْفُ الثَّانِي

(في التاريخ ، وفيه ثمانُ جمل)

الجملة الأولى

(في معناه)

وقد اختلف في أصل لفظه : فذهب قومٌ إلى أنه عربيٌّ ، وأن معناه نهايةُ الشيء وآخره ، يقال فلانٌ تاريخُ قومه إذا انتهى إليه شرفُهم ، وعليه يدلُّ كلامُ صاحب "موادِّ البيان" وابنِ حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" ونقل الشيخ علاء الدين بن الشاطر في "زيجيه" عن بعض أهل اللغة أن معناه التأخير فيكون مقلوباً منه . وذهب آخرون إلى أنه فارسيٌّ ، وأن أصله «ماه زور» فعزَّب مورخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ، وإليه يرجع كلام السلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله في تاريخه ، ويقال منه أرخت وورخت بالهمزة والواو لغتان ، ولذلك قالوا في مصدره تاريخ وتاريخ ، كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في "ذخيرة الكتاب" : أرخت لغة قيس ، وورخت لغة تميم . قال أبو هلال العسكري في كتاب "الأوائل" : ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم ، وكأَنَّ الكتاب كانوا قد رفضوا هذه اللغة في زمانه وإلا فهي لغة مستعملة إلى الآن ، إلا أنها لما غلبت في السنة العوام

ابْتَدَلْتُ . قال الشيخ « أثير الدين أبو حيان » في شرح التسهيل : والتاريخ هو عدد الليالي والأيام بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما تبقى منهما ، قال في ”مواد البيان“ : وهو محقق للخبير ، دالٌّ على قُرب عهد الكتاب وبعده .

الجملة الثانية

(في وجه الاحتياج إليه)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب ” القلم والدواة “ : أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والكتّاب والحساب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب ”نهاية الأرب“ : ولا غنية عنه ، لأن التاريخ يُستدلُّ به على بُعد مسافة الكتاب وقُرْبها ، وتحقيق الأخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث : لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ . وقد اصطلح الكتّاب على أنهم يؤرخون المكتبات والولايات ونحوها مما يصدر عن الملوك والثواب والأمراء والوزراء وقضاة القضاة ومن ضاهاهم ، بخلاف المكتبات الصادرة عن آحاد الناس ، فإنه لم تجرِ العادة فيها بكتابة تاريخ .

الجملة الثالثة

(في بيان أصول التواريخ)

قال القضاة في ”عيون المعارف في تاريخ الخلائف“ : كانت الأئمة السالفة تُؤرخ بالحوادث العظام ويملك الملوك : فكان التاريخ يهبوط آدم عليه السلام ، ثم بمبعث نوح ، ثم بالطوفان ، ثم بنار إبراهيم عليه السلام .

ثم تفرق بنو إبراهيم : فأرخ بنو إسحاق بنار إبراهيم إلى يوسف ؛ ومن يوسف إلى مبعث موسى عليه السلام ؛ ومن موسى إلى ملك سليمان عليه السلام . ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من أرخ ب وفاة يعقوب عليه السلام ، ثم بخروج موسى من مصر بنى إسرائيل ، ثم بحراب بيت المقدس .

وأما بنو إسماعيل ، فأرخوا ببناء الكعبة ، ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت بنو معد ، وكان كلأا خرج قوم من تهامة أرخوا بخروجهم . ثم أرخوا بيوم الفجار ، ثم بعام الفيل .

وكان بنو معد بن عدنان يؤرخون بغلبة جرهم العالقي وإخراجهم إياهم من الحرم . ثم أرخوا بأيام الحروب : كحرب بني وائل ، وحرب البسوس ، وحرب داحس .

وكانت خمير وكهلان يؤرخون بملوكهم التبابعة ، وبنار ضرار : وهى نار ظهرت ببعض حراب اليمن ؛ وبسبل العرم ؛ ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن .

وأما اليونان والرؤم ، فكانوا يؤرخون بملك بختنصر ؛ ثم أرخوا بملك دقلطيانوس القبطى .

وأما الفرس فكانوا يؤرخون بآدم عليه السلام ؛ ثم أرخوا بقتل دارا وظهر الإسكندر عليه ، ثم بملك زدرج . والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حاة فى تاريخه فى دائرة اتصال التواريخ القديمة بالهجرة عشرون تاريخا ، ذكر ما بينها وبين الهجرة من السنين ، إلا أنه لم يراع الترتيب فى بعضها ، وأهمل منها تاريخ زدرج لوقوعه بعد الهجرة .

وبالجملة فالتواريخ على قسمين :

القسم الأول

(ما قبل الهجرة ، وقد أوردت منه تسعة عشر تاريخاً)

الأول — من هبوط آدم عليه السلام . وقد اختلف فيما بينه وبين الهجرة اختلافًا فاحشًا : فمقتضى ما في التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما ستة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة ، وعلى اختيار المنجمين أن بينهما خمسة آلاف وسبعمائة وتسعا وستين سنة .

ومقتضى ما في التوراة السامرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك .

ومقتضى ما في التوراة العبرانية ، على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص مائتين وتسعا وأربعين سنة .

الثاني — من الطوفان . وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون سنة وثلاثمائة وستة أيام .

الثالث — من تبلل الأرض . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربع وستون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين وتسعا وأربعين سنة .

(١) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وتسعمائة .

(٢) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وأربع سنين .

الرابع — من مولد إبراهيم عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثماني مائة وثلاث وتسعون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين وتسعا وأربعين سنة .

الخامس — من بناء إبراهيم الكعبة . وبينه وبين الهجرة ألفان وسبع مائة وثلاث^(١) وسبعون سنة .

السادس — من وفاة موسى عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلاث مائة وثمان وأربعون سنة .

السابع — من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلاث مائة وستون سنة .^(٢)

الثامن — من ابتداء ملك بختنصر . وبينه وبين الهجرة ألف وثلاث مائة وتسع وستون سنة . قال صاحب حماة : بلا خلاف .

التاسع — من تخريب بختنصر بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلاث مائة وخمسون سنة .

العاشر — من ملك فيليبس أبي الإسكندر . وبينه وبين الهجرة تسعمائة وخمسة وأربعون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً .

الحادى عشر — من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دأرا ملك الفرس .^(٣) وبينه وبين الهجرة تسعمائة وأثنان وثلاثون سنة ومائتان وتسعون يوماً .

(١) في المختصر وتسعون .

(٢) في المختصر وقريب سنتين والظاهر أنه تصحيف .

(٣) في المختصر وأربع وثلاثون .

الثاني عشر — من مولد المسيح عليه السلام . وبينه وبين الهجرة ستمائة وإحدى وثلاثون سنة .

الثالث عشر — من ملك أرديالنوص ^(١) . وبينه وبين الهجرة خمسمائة وتسع وستون سنة .

الرابع عشر — من ملك أردشير أول ملوك الأكاسرة من الفرس . وبينه وبين الهجرة أربعمائة وأثنتان وعشرون سنة .

الخامس عشر — من نحراب بيت المقدس المرة الثانية . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وست وأربعون سنة ^(٢) .

السادس عشر — من ملك دقلطيانوس : آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وأحد وعشرون يوما .

السابع عشر — من غلبة أغسطس ملك الروم على قلوبطرا ملكة اليونان ومصر . وبينه وبين الهجرة مائتان وخمسون سنة ومائتان وستة وأربعون يوما ^(٣) .

الثامن عشر — من عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام .

(١) في المختصر أدريانس وبالجملة في المختصر المطبوع لابن الفداء ج ١ ص ١٢٥ مخالفة لما في أصولنا المخطوطة فتنبه .

(٢) في مختصر أبي الفداء ج ١ ص ١٢٥ خمسمائة وثمانية وخمسون وكانت لمضى أربعين سنة من رفع المسيح .

(٣) في المختصر ستمائة واثنان وخمسون سنة وهو أشبه بالضراب لان غلبة أغسطس على قلوبطرا قبل مولد المسيح بأحدى وعشرين سنة .

التاسع عشر - من مَبِيتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وبينه وبين الهجرة ثلاث عشرة سنة^(١) وشهران وثمانية أيام .

القسم الثاني

(ما بعد الهجرة)

وفيه تاريخ واحد، وهو من هلاك يَزْدَجَرْدِ آخرِ ملوك الفُرس . وكان بعد الهجرة بعشر سنين وثمانية وسبعين يوما .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع التاريخ الإسلامي وبنائه على الهجرة دون غيرها)

وقد اختلف في أصل ذلك : فحكى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" عن محمد بن جرير : أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قَدِمَ المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمرَ بالتاريخ . وعلى هذا فيكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة . قال النحاس : والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عُمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم اختلف في السبب الموجب لذلك : فذكر النحاس أن السبب فيه أن عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باليمن قَدِمَ عليه فقال : أما تُورِخُون كُتُبَكُمْ؟ فاتَّخَذُوا التاريخ . ووافقه على ذلك صاحب "موادّ البيان" . وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعريّ كَتَبَ إلى عمر بن الخطاب

(١) في الأصل ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية أيام وهو تحريف والتصحيح من مختصر أبي الفداء .

رضى الله عنه : إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كُتِبَ لاندري على أيها نعمل قد قرأنا
[كتابا منها ^(١)] محله شعبان ، فما ندري في أي الشَّعبَيْنِ الماضى أو الآتى ، فأحدث
عمر التاريخ . وتبعه على ذلك ابن حَاجِب النعمان في " ذخيرة الكُتَّاب " . وذكر
صاحبُ حماة في تاريخه : أنه رُفِعَ إلى عمر رضى الله عنه صلَّ محله شعبان فقال :
أي شعبان ، لاندري الذى نحن فيه أم الذى هو آتٍ ، ثم جمع وجوه الصحابة وقال :
إن الأموال قد كثرت ، وما قسَمناه منها غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به
ذلك ؟ - فقالوا : يجب أن نعرف ذلك من أمور الفُرس ، فاستحضر الهُرْمُزَان
وسأله - فقال : إن لنا حساباً نُسمِّيه (مَاهُ زُور) ومعناه حساب الشهور والأيام
فعمل عمر التاريخ .

الجملة الخامسة

(فى بيان صورة ابتدائهم وضع التاريخ من الهجرة)

قال فى " ذخيرة الكُتَّاب " : لما أراد عمر التاريخ ، جمع الناس للمَشُورَة ، فقال
بعضهم : تُورِّخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم : بل بوفاته - وقال
بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة : لأنها أول ظهور الإسلام وقوته . فصوبه
عمر واجتمع رأيهم عليه ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ فى عام الفيل المقدم
ذكره فى التواريخ القديمة . قال فى " ذخيرة الكُتَّاب " : وكان وقوع ذلك فى اليوم
الثانى عشر من شُباط سنة ثمانمائة وأثنين وثمانين لذى القرنين . وبُعِثَ النبي صلى الله
عليه وسلم على رأس أربعين سنة من ولادته ، وأقام بمكة بعد النبوة عشر سنين ؛ ^(٢)

(١) بياض بالاصول والصحيح من الضوء للؤلؤ

(٢) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول بعد عَشْرٍ^(١) من النبوة، وقَدِمَ المدينة لَأَمْتَي عَشْرَةٍ ليلةً منه .

ثم بعد آتفاقهم على التأريخ من الهجرة اختلفوا في الشهر الذي تقع البَدْءُ به : فأشار بعضهم بالبَدْءِ بِرَمَضَانَ لِشَرَفِهِ وَعِظَمِهِ - فقال عمر بن الخطاب بالحُرْمِ : لأنه مُنْصَرَفُ الناس من حَجِّهِمْ ، فرجعوا الْقَهْقَرَى ثمانية وستين يوماً ، وهي القدر الذي مضى من أول الْحُرْمِ [إلى ذلك الوقت]^(٢) وأستقر تأريخ الإسلام من الهجرة .

قال القضاة في "عيون المعارف" : وكان ذلك في سنة تسع عشرة أو ثمانين عشرة من الهجرة .

قلت : وأستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ، آبتداء بعضها مقدّم على آبتداء بعض .

أولها - غلبة الإسكندر على الفرس . وعليه تاريخ السريان والروم إلى زماننا .
والثاني - ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط . وعليه تاريخ القبط إلى زماننا .

والثالث - الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعليها مدار التاريخ الإسلامي .

والرابع - هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس . وبه تؤرخ الفرس إلى زماننا ، وقد تقدم بيانُ بعد ما بين تاريخ كلٍّ من غلبة الإسكندر وملك دقلطيانوس وبين الهجرة في القبيلة ، وبعد ما بين تاريخ يزدجرد وبين الهجرة في البعديّة في الكلام

(١) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

(٢) الزيادة من الضوء .

على أصول التواريخ، مع ما سبق في المقالة الأولى في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من ذكر مقدار سنة كل منها وعددها من الأيام، وسيأتي الكلام على استخراج بعضها من بعض فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في كيفية تقيد التاريخ في الكتابة بزمن معين، وهو ضربان)

الضرب الأول

(التاريخ العربي)

ومدَّاره الليالي دون الأيام: لأن سني العرب قمرية، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابقةً لأيام، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار، وهو إما من طلوع الفجر على ماورده الشرع في الصوم ونحوه، وإما من طلوع الشمس على رأى المتجمين . قال أبو إسحاق الزجاجي في كتابه "المجل": وإنما حُل على الليالي دون الأيام لأن أول الشهر ليلة، فلو حُل على الأيام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أنير الدين أبو حيان في "شرح التسهيل": واستغنى بالليالي عن الأيام للعلم أن مع كل ليلة يوماً، فإذا مضى عدد من الليالي مضى مثله من الأيام، فيجوز أن يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم ابن شيت في كتابه "معالم الكتابة": أن كتب السلطان والأعيان تؤرخ بالليالي، والكتب من الأدنى إلى الأعلى تؤرخ بالأيام . ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا مامستنده فيه .

إذا علم ذلك فلكتابه التاريخ ثلاثة اعتبارات :

الاعتبار الأول

(أن يُورَخ ببعض ليالى الشهر، وله ست حالات)

الحالة الأولى

(أن تقع الكتابة في الليلة الأولى من الشهر، أو في اليوم الأول منه)

فإن كانت الكتابة في الليلة الأولى منه فقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أنه يُكتب «كُتِبَ غُرَّة شهر كذا، أو [أول] ليلة^(١) من كذا، أو مُسْتَهْل شهر كذا، أو مُهَلَّ شهر كذا». وحكى الشيخ أمير الدين أبو حيان مثل ذلك عن بعضهم، وزاد أنه يُكتب أيضا «كُتِبَ أول شهر كذا».

قال النحاس : ولا يجوز حينئذ ليلة خلت ولا مضت لأنهم في الليلة بعد^(٢) . قال في "ذخيرة الكتاب" : وربما كتب بعض الكتاب ليلة الاستهلال «ليلة [تخلو]» .

وإن كانت الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذى يلي الليلة الأولى من الشهر، كُتِبَ «ليلة خلت أو مضت من شهر كذا» . قال النحاس : ويجوز كُتِبَ «لغُرَّة الشهر أو لأول يوم من الشهر» ومنع أن يقال حينئذ : أول ليلة من شهر كذا، أو مُسْتَهْل شهر كذا، أو مُهَلَّ شهر كذا، موجهًا لذلك بأن الاستهلال إنما يقع في الليل . وتبعه على ذلك ابن حبيب النعمان في "ذخيرة الكتاب" وصاحب "مواد البيان" وبه جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في ورقاته في الوراق . وكلام ابن مالك في التسهيل يؤهم جواز ذلك فإنه قد قال : فيقال أول الشهر، كُتِبَ لأول

(١) الزيادة من الضوء .

(٢) بياض بالاصول، والتصحيح عن الضوء للؤلؤف .

ليلة منه، أو لغزته أو مهلة أو مستهله . وأول الشهر أعم من اليوم والليلة بل هو إلى الليلة أقرب، لأن الليلة سابقة بالأولية .

قال الشيخ أمير الدين : ومفتتح الشهر أول يوم منه . ومقتضى كلامه أنه يؤرخ بالمفتتح في اليوم الأول من الشهر دون الليلة وفيه نظر، بل الظاهر جواز استعماله فيهما، بل الليلة بالمفتتح أولى لسبقها اليوم كما تقدم، اللهم إلا أن يراعى فيه موافقة المفتتح لليوم في التذكير دون الليلة لتأنيها . قال في "مواد البيان" : والعرب تسمى أول ليلة من الشهر النجيرة، ولكن لا تستعمله الكُتّاب في التواريخ .

الحالة الثانية

(أن تقع الكتابة فيما بعد مضيّ اليوم الأول من الشهر إلى آخر العشر)

فإن كان قد مضى منه ليلتان ، كتبت « لليلتين خلتا من شهر كذا » أو لليلتين مَضَتْ منه » قال في "ذخيرة الكُتّاب" : ولا يُكتب ليوم خلا ولا ليومين خلا : لأن ذكر الليالي في باب التاريخ أغلب، كما تقول ليلة السبت وليلة الأحد، فتُضيف الليلة إلى اليوم لأنها أسبق، ولا تُضيف اليوم إلى الليلة .

وحكى الشيخ أمير الدين أبوحيان أنه إذا مضى من الشهر يومٌ كتبت «ليوم مضى» وإذا مضى يومان «كتب ليومين مضياً» . والتحقيق في ذلك أنه يختلف الحال فيه باختلاف الكتابة في الليل والنهار : فإن كتبت في الليلة الثانية، ناسب أن يكتب «ليوم خلا من شهر كذا» لأنه إن كتبت لليلتين خلتا فهو في الليلة الثانية بعد، وإن كتبت لليلة خلت لم يظهر الفرق بينه وبين الكتابة في اليوم الأول من الشهر . وإن كتبت في اليوم الثاني من الشهر، ناسب أن يكتب لليلتين خلتا أو مَضَتْ . وإن كان

قد مضى من الشهر ثلاث ليال، كَتَبَ لثلاثِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ من شهر كذا، أو لثلاثِ ليالٍ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ . ويجوز فيه ثلاثِ خَلَتْ أو لثلاثِ ليالٍ خَلَتْ على قَلَّةٍ . وكذا في الباقي إلى العشر فتقول : لعشرِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ليالٍ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ، أو لعشرِ ليالٍ خَلَتْ أو مَضَتْ على اللغة القليلة .

الحالة الثالثة

(ان تقع الكتابة فيما بعد العشر إلى النصف)

فَيَكْتُبُ لإحدى عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ من شهر كذا . أو لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ أو مَضَتْ ، ويجوز فيه لإحدى عشرة خَلَوْنَ أو لإحدى عشرة ليلة خَلَوْنَ على قلة . وكذا في الباقي إلى النصف من الشهر . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : فإن صَرَّحَ بالميز وكان مَدَّكراً ، أُعيد الضميرُ عليه فيقال : لاحدَ عَشْرَ يوماً خلاً أو مضى ونحو ذلك .

الحالة الرابعة

(أن تقع الكتابة في الخامس عشر من الشهر)

فَيَكْتُبُ « كَتَبَ لِنِصْفِ شهر كذا » . قال النحاس : وأجازوا لخمس عشرة ليلة خَلَتْ أو مَضَتْ . وكلام ابن مالك في "التسهيل" يُشير إلى جواز لخمس عشرة ليلة خَلَتْ أو مَضَتْ [أو بَقِيَتْ^(١)] على رأى من يُجَوِّز التاريخَ بالباقي . ولو حَذَفَ ذَكَرَ الليلة فقال : لخمس عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ أو بَقِيَتْ صَحَّ . قال في "التسهيل" والتاريخ بالنصف أجود .

(١) الزيادة لازمة ليصح الكلام .

الحالة الخامسة

(أن تقع الكُتَابُ فيما بعد النصف من الشهر إلى الليلة الأخيرة منه)

وفيه لاهل الصنّاعة مذهبان :

المذهب الأول — أن يؤرّخ بالماضي من الشهر كما في قبل النصف ، فيقال : لِسِتَّ عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ ، أو لِسِتَّ عشرة لَيْلَةٌ خَلَتْ أو مَضَتْ . وكذا إلى العشرين فيقال : لِعِشْرِينَ خَلَتْ أو مَضَتْ ، أو لِعِشْرِينَ لَيْلَةٌ خَلَتْ أو مَضَتْ ، وكذا في البواقي إلى آخر التاسع والعشرين ، فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله إلى آخره بالماضي دُونَ الباقي فراراً من المجهول إلى المحقق ، وهو مذهب الفقهاء لأنه لا يُعرَفُ هل الشهر تَامٌ أو نَاقِصٌ . قال النحاس : ورأيتُ على بَنِ سُلَيْمَانَ يَخْتَارُهُ . قال في ” ذَخِيرَةِ الْكُتَّابِ “ : وهو أَثْبَتٌ وَجَدُّهُ أَقْوَى . ثم لاشكَّ أَنَّ من يرى التاريخ باليوم يجوز لِسِتَّةَ عَشْرَ يَوْماً خَلاً أو مَضَى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده .

المذهب الثاني — أن يؤرّخ بما بَقِيَ من الشهر . وللمؤرخين فيه طريقتان :

الطريق الأول — أن يَحْزِمَ بالتاريخ بالباقي فيكتب لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر كذا ، ثم ثلاث عشرة ليلة بَقِيَتْ ، وهكذا إلى الليلة الأخيرة من الشهر ، فيكتب لليلة بَقِيَتْ ، وهو مذهب الكُتَّاب . قال النحاس : ورأيت بعض العلماء وأهل النظر يَصَوِّبُونَهُ ، لأنهم إنما يَكْتُبُونَ ذلك على أن الشهر تَامٌ ، وقد عُرِفَ معناه وأن كاتبه وقارئه إنما يُريدُ إذا كان الشهر تَاماً فلا يحتاج إلى التلَفُّظِ بِهِ . قال مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيِّ : وَاحْتِجُّوا لذلك بأن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حين كَتَبَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَبْنِ الْحَضْرَمِيِّ كَتَبَ في آخر الكُتَّابِ :

« وَكَتَبَ معاويةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ لثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ سَنَةً ثَمَانٍ » ثُمَّ قَرَأَهُ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ . قَالَ النُّحَاسُ : وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ النَّبُوءَةِ . فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ : « أَلْتَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ لِسَابِعَةِ تَبَقٍ أَوْ خَامِسَةِ تَبَقٍ » . وَهَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ النَّحَاسُ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ فَلَا نِزَاعَ فِي الْعَمَلِ بِهِ .

الطريق الثاني — أَنَّ يُعَلَّقَ التَّارِيخُ بِالْبَاقِي عَلَى شَرْطٍ . فَيَكْتُبُ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ إِنْ بَقِيَتْ ، أَوْ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ إِنْ بَقِيَتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ فِي الْبَاقِي ، فِرَارًا مِنْ إِطْلَاقِ التَّارِيخِ بِمَا لَا يُعْلَمُ تَمَامُهُ أَوْ تَقْصُّهُ وَتَعْلِيلًا لَهُ عَلَى حُكْمِ التَّمَامِ ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ : لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنَ الشَّهْرِ إِنْ كَانَ تَمَامًا . وَمَنْ يَرَى التَّارِيخَ بِالْأَيَّامِ يَحْوِزُ لِأَرْبَعَةِ عَشْرِ يَوْمًا تَبَقٍ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، وَكَذَا فِي الْجَمِيعِ .

الحالة السادسة

(أَنَّ تَقَعَ الْكَتَابَةُ فِي اللَّيْلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الشَّهْرِ أَوْ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ مِنْهُ)

فَإِنْ كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْهُ كُتِبَ « لِأَخْرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، أَوْ فِي سَلَخِ شَهْرِ كَذَا ، أَوْ فِي أَنْسِلَاخِهِ » . وَإِنْ كَانَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْهُ كُتِبَ « لِأَخْرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ كَذَا ، أَوْ فِي سَلَخِهِ أَوْ أَنْسِلَاخِهِ أَيْضًا » . وَلَمْ يَخْتَلَفُوا هُنَا فِي جَوَازِ التَّارِيخِ بِالْيَوْمِ ؛ قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ النُّعْمَانُ : وَذَلِكَ أَنَّ الشَّهْرَ يَبْتَدِئُ بِإِبْتِدَاءِ اللَّيَالِي وَيُنْقَضُ بِانْقِضَاءِ النَّهَارِ ؛ وَذَكَرَ صَاحِبُ « مَوَادِّ الْبَيَانِ » أَنَّ الَّذِي كَانَ كُتِّبَ مَصْرِيسَتِمْلُونَهُ بِالْأَيَّامِ الْمِصْرِيَّةِ أَنْ يُجْعَلَ شَهْرٌ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَشَهْرٌ تِسْعَةً وَعَشْرِينَ ، وَهَذَا جُنُوحٌ مِنْهُمْ إِلَى الْإِعْتِبَارِ النُّجُومِيِّ ، وَلَا مُعَوَّلَ عَلَى ذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ .

قلت : وَكُنَّا زَمَانًا قَدْ أَهْمَلُوا النَّظَرَ فِي ذَلِكَ بُحْلَةً وَعَوَّلُوا عَلَى التَّارِيخِ بِالْأَيَّامِ ،
وَاقِفِينَ عِنْدَ حَدِّ الْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْعَدَدُ مِنَ الشَّهْرِ عِنْدَ الْكَتَابَةِ فَيَكْتُبُونَ فِي الْيَوْمِ
الْأَوَّلِ : كُتِبَ فِي مَسْتَهَلِّ شَهْرٍ كَذَا ، ثُمَّ فِي ثَانِي شَهْرٍ كَذَا أَوْ ثَالِثِهِ إِلَى الْعَشْرِ ؛
ثُمَّ فِي حَادِي عَشْرِهِ وَثَانِي عَشْرِهِ إِلَى الْعَشْرِينَ ، ثُمَّ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ،
أَوْ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ ، وَالثَّانِي وَالْعَشْرِينَ إِلَى التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ . وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ
مِنَ الشَّهْرِ يَكْتُبُونَ فِي سَلَخِ شَهْرٍ كَذَا لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ ذَلِكَ .

ثُمَّ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتِ الْكَتَابَةُ فِي يَوْمٍ مَشْهُورٍ - كَأَيَّامِ
الْمَوَاسِمِ - أُرِّخَ بِهِ ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ عَدَدِ مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ . فَيَكْتُبُ
فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ « كُتِبَ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ » وَفِي تَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ
« كُتِبَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ » وَفِي عَاشِرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ ، أَوْ فِي يَوْمِ
عِيدِ الْأَضْحَى » وَفِي حَادِي عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ الْقَرِّ » - بَفَتْحِ الْقَافِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ
لَأَنَّ النَّاسَ يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ بِمَنَى ، وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ النَّقْرِ الْأَوَّلِ » لِأَنَّ
الْحَجَّاجِينَ يَنْقَرُونَ فِيهِ مِنْ مَنَى ، وَفِي ثَالِثِ عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ النَّقْرِ الثَّانِي » .

الاعتبار الثاني

(أن يؤرّخ بحملة من أيام الشهر)

فإن أُرِّخَ بِعَشْرِ مِنَ الشَّهْرِ ، بَنَاهُ عَلَى الثَّانِيَةِ : فَيَكْتُبُ « كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ » ،
أَوْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ - بَضْمِ الهمزة وفتح الواو جمع أول^(١)ة . أَوْ كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى
أَوْ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى - بَضْمِ الواو وفتح السين جمع وُسْطَى ، أَوْ كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَى

(١) لعل الصواب " جمع أول " .

أوفي العشر الآخر - بضم الهمزة وفتح الخاء جمع آخره . قال الشيخ أبو حيان :
 « ولا يُكْتَبُ العَشرُ الأوَّلُ ولا الأوسطُ ولا الآخرُ . وقال بعض النحويين يُكْتَبُ
 « وكتب في العَشرِ الآخِرَةِ أو الأَوَاخِرِ » ولا يُكْتَبُ الأُخْرَى ولا الأُخَرُ : لئلا يلبس بالآخر
 بمعنى الثاني أو الآخر بمعنى الثواني . وقد تقدّم في الكلام على أيام الشهر أن العرب
 تسمي ليالي الشهر كُلَّ ثلاث منها باسمٍ ، وقد تقدّم ذكر أسمائها هناك . فإذا وقعت
 الكتابة في ثلاثٍ منها ، كالغُرر : وهي الثلاث الأولى من الشهر ، والدَّادِي : وهي الثلاث
 الأخيرة منه ، كان للكاتب أن يُورِّخَ بها كما يُورِّخُ بعشر من الاِعتِشارِ الثلاث ، بل
 الثلاث أقرب لمعرفة التاريخ من العشر . وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو حيان
 في «شرح التسهيل» فقال : وإن أرخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كَتَبَ الدَّادِي .
 وإذا كان في السَّنة أيام مشهورة ، أرخ بها كالأيام المعلومات : وهي العَشرُ الأوَّلُ
 من ذى الحِجَّة ، والأيام المعدودات : وهي أيام التشريق على ما تقدّم ذكره في موضعه ،
 كان للكاتب أن يُورِّخَ بها .

الاعتبار الثالث

(أن يُورِّخَ بأجزاء اليوم أو الليلة)

وأكثر ما يحتاج الكاتب إلى ذلك في تاريخ بطائق الحمام ، وقد سبق في الكلام
 على الأيام أن كل واحد من الليل والنهار اثنتا عشرة ساعة زمانية ، تطول بطول
 أحدهما وتقصّر بقصره ، ولكل ساعة منها اسم يُخصّصها ، كالشروق : وهو أوّل ساعات
 النهار ، والغروب : وهو آخر ساعاته ، والشفق : وهو أوّل ساعات الليل ، والصباح
 وهو آخر ساعاته . فينبغي للكاتب إذا كتب بطاقة من بطائق الحمام أن يكتب

(١) عبارة الضو ص ٤٠١ « ولا نزاع في أنه يجوز التاريخ بالأيام المشهورة في السنة كالأيام المعلومات الخ »

وهي أوضح .

الساعة التي كُتِبَتْ فيها من ساعات النهار ، أما ساعات الليل فلا يتأتى فيها ذلك ، لأن الحمام لا يُسَرَّحُ في الليل ، اللهم إلا أن تدعوَ الضرورة إلى التاريخ بساعةٍ من ساعات الليل في بعض المكاتبات فيؤرخ بها .

قلت : وهذا الترتيب قد تركه كُتَّابُ زماننا ، وصاروا يؤرِّخون بالساعات المشهورة عندهم ، كالأولى من النهار ، أو الثانية ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ، ونحو ذلك .

الضرب الثاني

(التاريخ العجمي)

ومداره الأيام دون الليالي ، لأن سنتهم مع اختلافها في الشهور ومبادئها ومقاطعها شمسية ، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل ، فذلك أرخوا بالأيام . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : قال أحمد بن يحيى البلاذري : حضرت مجلس المتوكل ، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النوروز ، والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني نفاسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ ! فأعادوا النظر ، وقالوا : ما نراه فما هو ؟ - قلت : أرخ السنة الفارسية بالليالي ، والعجم يؤرخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءا من الشهر ؛ والعرب يؤرخ بالليالي ، لأن سنينهم وشهورهم قمرية ، وأبداء الأهل بالليل - قال : فشهدوا بصحة ماقلته ، وأعترف به إبراهيم . وقال : ليس هذا من علمي .

قلت : وأكثر ما يُحتاج إلى ذلك في تحويل السنين وتقل التبروز عند دوران السنين ، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المقدم ذكره ، وكذلك في كتابة الهدن فسيأتى أنه يجمع فيها بين التاريخ العربى والعجمى جميعاً ، ويجب فيه تقديم العربى على العجمى ، مثل أن يكتب « كُتِبَ لعشر خلون من المحرم سنة ثمانمائة » موافقاً للعاشر من ثوب من شهور القبط أو العاشر من تشرين الأول من شهور السريان ، أو العاشر من ينير من شهور الروم ، أو العاشر من أفرودين ماه ، من شهور الفرس ونحو ذلك .

الجملة السابعة

(فى تقييد التاريخ بالسنة)

قد علمت أن فائدة التاريخ إنما تتحقق بذكر السنة بعد اليوم والشهر ، وإلا فلا يُعلم من أى السنين . فإذا كتب يوم كذا من شهر كذا كتب بعد ذلك ، سنة كذا ، سواء كان التاريخ عربياً أو عجمياً ، أو مرّجاً منهما ، مثل أن يكتب سنة كذا من الهجرة الموافق لكذا من سنن الروم أو سنن الفرس .

ثم للكاتب فى كتابة تاريخ السنة مصطلحان .

المصطلح الأول — أن يكتب « سنة كذا » فيحتاج إلى حذف الهاء من العدد ، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث ، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائة ونحو ذلك ، وعلى هذا اصطلاح كتاب الديار المصرية وبلاد المشرق .

المصطلح الثانى — أن يكتب « عام كذا » فيحتاج إلى إثبات الهاء فى العدد على قاعدة إثباتها فى عدد المذكر ، مثل أن يكتب « عام ستّة وثمانمائة » وعلى نحو ذلك

يَجْرَى كُتَّابُ الْغَرْبِ غالبا ، لما يقال : إن العام يَحْتَصُّ بِالْحِصْبِ والسنة تختص بالمحل على ما تقدم ذكره في الكلام على السنين فيما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى .

الجملة الثامنة

(في معرفة بعض التواريخ من بعض)

قد ذكر في " مواد البيان " أن من جملة أدب الكاتب العِلم بتواريخ سِنِي الْعَالَمِ واستخراج بعضها من بعض في كل وقتٍ من أوقات اليوم الذي هو فيه من كل شهر وسنة من سِنِي الْأُمَمِ . وقد تقدم أيضا أن المستعمل من التواريخ في زماننا بين الأمم أربعة تَوَارِيخَ ، بعضها أقدم من بعض .

أولها — تاريخُ غَلْبَةِ الْإِسْكَندَرِ . وهو التاريخ الذي تُؤَرِّخُ به السُّرَيَانُ وَالرُّومُ وَالْفَرَنْجَةُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ إِلَى الْآنَ ، وهو بعد الطوفان فيما حرَّره الشيخ علاء الدين ابن الشاطر في " زيجهِ " بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثين سنةً وثلثمائة وعشرين يوما .

الثاني — التاريخ من مَلِكِ دَقْلَطِيَانُوسِ . وهو الذي يُؤَرِّخُ به القبط إلى الآن ، وربما عبَّروا عنه بتاريخ الشهداء ، إشارة إلى تسميتهم الذين قتلهم دقلطيانوس من القبط شهداء ، وهو بعد غَلْبَةِ الْإِسْكَندَرِ بِمِائَةِ وَأَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً وثلثمائة واثنين وثلاثين يوما .

الثالث — التاريخ من الهجرة ، وعليه تاريخ الإسلام . وهي بعد مَلِكِ دَقْلَطِيَانُوسِ بثلثمائة وستٍ وثلاثين سنةً وثلثمائة وأحدٍ وعشرين يوما .

الرابع — التاريخ من هلاك يَزْدَجَرْد آخر ملوك الفُرس . وقد تقدّم أنه بعد الهجرة بعشر سنين وثمانية وسبعين يوماً .

فأما التاريخ السُرياني والرومي وهو الذي مبدؤه من غلبة الإسكندر فقد تقدّم أن شهور السُريانيين اثنا عشر شهراً ، وهي : تشرين الأول — تشرين الثاني — كانون الأول — كانون الثاني — شُباط — آذار — نيسان — أيار — حزيران — تمّوز — آب — أيلول . منها سبعة أشهر كل شهر منها أحدٌ وثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الأول ، وكانون الأول ، وكانون الثاني ، وأذار ، وأيار ، وتمّوز ، وآب ، وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الثاني ، ونيسان ، وحزيران ، وأيلول . ومنها واحدٌ ثمانية وعشرون يوماً : وهو شُباط ، فتكون أيام سنيه ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، ويضاف إليها ربع يوم مراعاةً للسنة الشمسية ، فتصير ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ينقص جزءاً يسيراً . ومن أجل ذلك يعدّون ثلاث سنين بسائط ^(١) يكون شُباط فيها تسعة وعشرين يوماً : لإضافة ربع اليوم في السنين الأربع إليه ، وتكون السنة فيها ثلثمائة وستة وستين يوماً .

وقد تقدّم أيضاً أن شهور السنة الرومية تُضاهي شهور السنة السُريانية في عدد الأيام ، بل هي هي ، إلا أن الروم يُسمّون أشهرهم بأسماء غير أسماء شهور السُريان ، ويكون أول شهورهم موافقاً لكانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السُريان ، ويكون آخر شهورهم موافقاً لكانون الأول .

(١) كذا في الاصول ويظهر أن فيه سقطاً من النسخ والاصل "يعدون ثلاث سنين بسائط" وسنة كيسة يكون الخ كما يؤخذ من نظيره في التاريخ القبطي تأمل .

وأسماء شهورهم : نَيْر، فَبْرَار، مارس، ابريل، مايه، يونيه، يوليه، أغشت، شتنبر، أكتوبر، نوفمبر، دجنبر . ولا فرق في شئ منها سوى اختلاف الأسماء وأبتداء رأس السنة، وحينئذ فيكون الكل فيها في التاريخ واحدا .



وأما التاريخ القبطي : وهو الذى مبدؤه من ملك دقلطيانوس ، فقد تقدم أن شهور السنة القبطية اثنا عشر شهراً . وهى : توت، باب، هتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهاث، برمودة، بشنس، بشونه، أبيب، مسرى . وكل شهر منها ثلاثون يوماً من غير اختلاف ، ثم بعد مسرى خمسة أيام يسمونها أيام النسيء، فتكون أيام سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وتزيد بعد ذلك ربع يوم في كل سنة كما في التاريخ الرومى ، وقد اصطالحوا على أن يعدّوا منها ثلاث سنين بسائط، كل سنة منها ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً لا زيادة فيها، والرابعة كبيسة تكون أيام النسيء فيها ستة أيام وزيادة ربع يوم، وتصير أيام تلك السنة ثلاثمائة وستة وستين يوماً، على نحو ما تقدم في السريانى والرومى .



وأما التاريخ العربى : وهو الذى مبدؤه الهجرة، فقد تقدم في الكلام على الشهور في المقالة الأولى أن شهور سنة العرب اثنا عشر شهراً . وهى : المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة . وأنها قمرية مدّارها رؤية الهلال ، إلا أن المنجمين اعتمدوا فيها على الحساب دون الرؤية لتصحيح حساب التواريخ ونحوها، وجعلوا فيها شهراً تاماً عدده ثلاثون يوماً، وشهراً ناقصاً عدده تسعة وعشرون يوماً، على ترتيب شهور السنة ، فالمحرم عندهم تام، وصفر ناقص، وربيع الأول تام،

وربيع الآخر ناقص، وجمادى الأولى تام، وجمادى الآخرة ناقص، ورجب تام،
 وشعبان ناقص، ورمضان تام، وشوال ناقص، وذو القعدة تام، وذو الحجة ناقص .
 فيكون من السنة ستة أشهر تامة وستة أشهر ناقصة، وتكون السنة حينئذ ثلثمائة يوم
 وأربعة وخمسين يوما، ويلحقها بعد ذلك كسر في كل سنة، وهو خمس يوم وسدس
 يوم، فتصير السنة ثلثمائة يوم وأربعة وخمسين يوما وخمس يوم وسدس يوم مفترقة^(١)
 في ثلاثين سنة، ويجعلون الكبيسة سنة بعد سنة ثم سنة بعد سنتين، ثم سنة بعد
 سنة، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الثلاثين، فتكون الكائنات هي: الثانية، والخامسة،
 والسابعة، والعاشر، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والثامنة عشرة، والحادية
 والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والتاسعة والعشرين . فتكون
 كل سنة منها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما، ويجعل الزائد فيها في ذى الحجة، فيكون
 فيها ثلاثين يوما وباقي سني الثلاثين بسائط، كل سنة منها ثلثمائة وأربعة وخمسون
 يوما، وذو الحجة فيها تسعة وعشرون يوما، بناء على الأصل في أن يكون شهر تاما
 وشهر ناقصا .



وأما التاريخ الفارسي: وهو الذي مبدؤه من هلاك يزيد جرد، فقد تقدم في الكلام
 على الشهور أن سني الفرس اثنا عشر شهرا، كل شهر منها ثلاثون يوما . وهي:
 افرودين ماه، أرديهشماه، حرداماه، تيرماه، ترمماه، شهريرماه، مهرماه، أبان ماه،

(١) كذا في الأصول وعبارة الضوء ص ١٥٦ "ويجتمع من هذا الخمس والسادس يوم في كل ثلاث
 سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء فيجتمع منه ومن
 خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد وكذلك إلى أن يبقى الكسر أحد عشر يوما عند تمام ثلاثين
 سنة وتسمى تلك السنين بكائنات العرب" وهي أوضح .

أدرماه، ذى ماه، بهمن ماه، اسفندارماه . وبين ابان ماه وأدرماه خمسة أيام تسمى المسترقّة بمثابة أيام النسيء في آخر سنة القبط ، وبمقتضى ذلك تكون سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، وليس فيها زيادة ولا نقص . فلا بد من معرفة هذه الأصول لاستخراج تواريخ بعض السنين المذكورة من بعض .

ثم مما يجب تعرّفه بعد ذلك أن تعلم أن التاريخ السريانى والرومى سنونه سريانية أو رومية على ما تقدم ، فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين السريانية والرومية من عدد الأيام والكجائس ، والتاريخ القبطى سنونه قبطية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين القبطية من الأيام والكجائس ، والتاريخ العربى سنونه عربية فيكون على ما تقدم في السنين العربية من عدد الأيام والكجائس ، والتاريخ الفارسى سنونه فارسية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين الفارسية من عدد الأيام ، ولا كيسة فيها .

إذا علمت ذلك فإذا أردت استخراج بعض هذه التواريخ من بعض ، فانظر التاريخ المعلوم عندها عندك ، كالتاريخ العربى مثلاً عند الإسلاميين فاجعل السنين التسامة من التاريخ المعلوم أياماً ، وزد عليها ماضى من السنة المكسورة من الشهور والأيام إلى اليوم الذى تريد أن تعلم واقفته لمثله من التاريخ المجهول ، ثم أنظر : فإن كان التاريخ المعلوم أقدم من التاريخ المجهول ، فانقص من أيام التاريخ المعلوم ما بين التاريخين من الأيام فما بقى فهو أيام التاريخ المجهول . وإن كان التاريخ المجهول أقدم ، فزد ما بين التاريخين من الأيام فما بقى فهو أيام التاريخ المعلوم ، فما بلغ فهو أيام التاريخ المجهول . فإذا علمت أيام التاريخ المجهول بزيادة ما بين التاريخين على أيام التاريخ المعلوم أو نقصانها منه على ما تقدم ، فاجعل ما حصل معك من أيام التاريخ المجهول الذى تريد استخراجه ، فما كان فهو السنون التسامة

للتاريخ الذى تريد أستخرجه ، فإن بَقِيَ شَيْءٌ من الأيام بعد السنين التامة ، نخذ منها لكل شهر عددَ أيامه ، ومابقى من الأيام دُونَ شهر فهو الماضى من أيام الشهر الذى يلي ذلك .

مثال ذلك إذا أردت ان تستخرج التاريخ السُريانى أو الرومى الموافق لآخر سنة ثمانمائة من الهجرة ، فقد تقدم لك أن التاريخ السريانى والرومى مبدؤه من غلبة الإسكندر على الفُرس ، وهو قبل الهجرة بتسعمائة سنةٍ وأثنتين وثلاثين سنة ومائتين وسبعة^(١) وثمانين يوما ، وذلك ثلثمائة ألف يوم وأربعون ألف يوم وسبعائة يوم ، فاحفظ ذلك ، ثم أبسط الماضى من سِنى الهجرة وهو ثمانمائة سنة أياما ، بأن تضرب الثمانمائة فى عشرة آلاف وستمائة وأحد وثلاثين يوما ، وهى بسط السنة العربية من حين كسرها الزائد على أيامها ، وهو خمس يوم وسدس يوم ، يكون ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف وأربعة آلاف وثمانمائة ؛ فاقسمه على ثلاثين وهى مخرج الكسر الذى هو الخمس والسدس ، يخرج بالقسمة مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، وهو عدد أيام الثمانمائة سنة ؛ فاضفه على ما بين غلبة الإسكندر والهجرة من الأيام ، وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعائة يوم ، يكون الجميع ستمائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ومائة وثلاثة وتسعين ، فاجعل تلك الأيام سنين سُريانية ، بأن تضرب تلك الأيام فى أربعة ، يحصل منها ألفا ألف وأربعمائة ألف وستة وتسعون ألفا وسبعائة وأثنان وسبعون يوما ؛ فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف وسبعائة وثمانية ، وهى سنون تامة ؛ ويفضل بعد ذلك ألف وثلثمائة وأربعة وثمانون ، فاقسمها على أربعة ،

(١) الذى تقدم له " ومائتين وتسعين يوما " .

يخرج ثلثمائة وستة وأربعون يوما ، يكون ذلك أحد عشر شهرا ، من أول تشرين الأول وأحد عشر يوما من الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية وهو أيلول ؛ فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة هجرية موافقا لليوم الحادى عشر من أيلول سنة ألف وسبعمائة وتسع من السريانية .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ القبطى لآخر سنة ثمانمائة ، فقد تقدم أن التاريخ القبطى ابتدأه من ملك دقلطيانوس على القبط ، وهو قبل الهجرة بثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وثلثمائة وعشرين يوما ، وجملة أيامه مائة ألف يوم وثلاثة وعشرون ألف يوم وأربعمائة يوم وتسعة أيام ، فأضيف أيام الماضى من سنى الهجرة : وهو مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون على ما تقدم فى التاريخ السريانى [على ما قبل الهجرة^(١)] وهو مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وأربعمائة وتسعة أيام ، يكون المجموع أربعمائة ألف وستة آلاف وتسعمائة يوم ويومين ؛ فاجعله سنين قبطية ، بأن تضرب ذلك فى أربعة عدد يخرج كسر السنة القبطية ، وهو الربع الزائد على الخمسة وستين ، يكون ألف ألف وستمائة ألف وسبعة وعشرين ألفا وستمائة وثمانية ؛ فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف ومائة وأربعة عشر ، وهو عدد السنين القبطية التامة ، ويبقى بعد ذلك أربعة وخمسون ؛ فاقسمه على الأربعة المذكورة يخرج بالقسمة أربعة عشر ، وهى أيام من الشهر الأول من السنة القبطية الناقصة ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة للهجرة موافقا لرابع عشر شهر توت سنة ألف ومائة وخمس عشرة من السنين القبطية .

(١) الزيادة لازمة لتوضيح المتام وهى مرادة للألف .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ الفارسي لآخر سنة الثمانمائة المذكورة ، فقد تقدم أن ابتداء التاريخ الفارسي بعد الهجرة بعشر سنين وثمانين يوما ، وجملة أيامه ثلاثة آلاف يوم وستمائة يوم وأربعة وعشرون يوما ، فأسقطها من الحاصل من أيام النسيء الماضي من الهجرة إلى آخر الثمانمائة ، يكون الباقي بعد ذلك مائتي ألف وتسعة وسبعين ألفا وثمانمائة وتسعة وستين يوما ، فأقسمها على ثلثمائة وخمسة وستين ، يخرج لك سبعمائة وستة وستون سنة ، وهو عدد السنين الفارسية التامة ، ويفضل بعد ذلك مائتان وتسعة وسبعون يوما ، نخذ لكل شهر عدد أيامه : وهو ثلاثون يوما ويبقى تسعة أيام ، منها خمسة أيام في نظير الخمسة الأيام الزائدة في آخر أبان ماه المعروفة بالمسترفة ، يبقى أربعة أيام من شهر ذي ماه : وهو الشهر العاشر من شهورهم ، فيكون آخر يوم من ثمانمائة من الهجرة موافقا لليوم الرابع من ذي ماه من شهور الفرس سنة سبعمائة وسبع وستين .

فلو فرض أنه مضى من سنة إحدى وثمانمائة سنة أشهر مثلا ، فأجعل الأشهر شهرا تاما وشهرا ناقصا على ما تقدم ، تكون أيامها مائة وسبعة وسبعين يوما فأضفها على أيام الثمانمائة ، وأفعل فيها ما تقدم ذكره ، لا يتغير العمل في شيء من ذلك .

مثال ذلك : إذا أردت استخراج التاريخ السرياني في آخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة ، فأضف مائة وسبعة وسبعين : وهي أيام ستة أشهر على أيام الثمانمائة ، وهي مائتا ألف وثلثمائة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلثمائة وتسعون ، يكون المجموع مائتي ألف وثلثمائة وثمانين ألفا وستمائة وستين يوما ، فأضف إليه ما بين الهجرة والتاريخ السرياني : وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة ، يحصل

من ذلك ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة وسبعون ؛ فاضربه في أربعة يخرج لك ألف وستمائة وتسعة ، ويفضل من الأيام مائة وثمانية وخمسون يوماً ، تكون سابع أدار من شهور السريان ، فيكون آخر يوم من جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة موافقاً للسابع من شهر أدار سنة ألف وسبعائة وعشر من سني السريان .

قلت : وفي كُتب الزيجات وغيرها طرق مختلفة لاستخراج التواريخ ، وجدّأول موضوعاً لا يَحتملها هذا الكتاب فليراجعها من أحتاج إلى زيادة على ذلك .

الجملة الثامنة

(في موضع كتابة التاريخ من الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما موضعه من الكتاب ، فقال محمد بن عمر المدائني في كتاب ” القلم والدواة “ :
رسموا تاريخ الكتب في آخرها ، وجعلته المأمة في صدرها . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب ” مواد البيان “ وغيره أن الكُتب التي تؤرخ على ضربين :

الضرب الأول — الكتب السلطانية ، ولها حالان :

الحالة الأولى — أن يكون الكتاب في أمر نتشوف النفوس إلى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه : كالحوادث العظام ، والفتوحات والمواسم ونحوها ، فيؤرخ الكتاب في صدره ، مثل أن يكتب في صدر الكتاب « كتاب أمير المؤمنين إليك ، أو كتابنا إليك يوم كذا من سنة كذا » كما كان يكتب في الزمن المتقدم في مثل ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون الكتاب في أمر لا نتشوف النفوس إلى معرفة اليوم الذي يقع ذلك الأمر فيه ، فيؤرخ الكتاب في آخره .

الضرب الثاني — كُتب الأتباع إلى الرؤساء .

والرسم فيها أن تُؤرَّخ في صدورها . قال في "موادِّ البيان" : وذلك مثل أن يقال :
كتب العبدُ من مَقَرِّ خدمته يوم كذا .

قلت : والذي أَسْتَقَرَّ عليه حالُ كُتَابِ الزمان كُتَابُهُ التاريخ في آخر الكتاب بكل
حال ، سواءً كان المكتوبُ ولايةً أو مكتبةً أو غير ذلك ؛ ولعلَّ الولاياتِ
وما في معناها لم يقع الاختلافُ في كتابتها في آخر المكتوب في زمن من الأزمان .



وأما صورةُ وضع التاريخ في الكتابة ، فقد أصطلح الكُتَّاب على أن يجعلوا التاريخ
بعد كتابة إن شاء الله تعالى في سطرين : فيكتبون « كُتِبَ في كذا من شهر كذا »
في سطرٍ ، ثم يكتبون « سنة كذا » في سطر تحته ؛ وفي الكُتُب عن قُضاة القضاة
يجعل كُتَّابهم جميع التاريخ في سطر واحد .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في المستندات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في صورة ما يُكْتَب ، وهو على ضربين)

الضربُ الأوَّلُ

(أن يُضَافَ إلى مَرَسُومِ السلطان ، وله خمس حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بتلقِّي كاتب السرِّ ، إما بما يأمرُ به السلطانُ عند قراءته
القصةَ عليه ، أو بما يكتبه كاتب السروِيْمُضِيهِ من نفسه ، كما في خلاص الحقوق
ونحوها ؛ فيكتب فيه « حَسَبَ المرسومِ الشريفِ » في سطرٍ واحد لا غير .

الحالة الثانية — أن يكون بتلّى كاتب السرّ أو أحد من كتّاب الدّست بدار العدل ، عند جلوس السلطان فى المواكب بالإيوان وقراءة كاتب السرّ وكتّاب الدّست قصص المظالم ونحوها عليه . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من دار العدل الشريف » سطرين أحدهما تحت الآخر ، ويكون فى السطر الأوّل « حسب المرسوم الشريف » والباقي فى السطر الثانى .

الحالة الثالثة — أن يكون برسالة الدّوّادار . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » سطرًا واحدًا ، ثم يكتب تحته « برسالة الجناب العالى الأميرى الدّوّادار ، الفلانى » باللّقب المضاف إلى الملك كالتاميرى ونحوه « ضاعف الله تعالى نعمته » ويكون آخر السطر الأوّل « الأميرى الفلانى » .

الحالة الرابعة — أن يكون من ديوان الخاص . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من ديوان الخاص الشريف » ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرًا ، وباقي الكلام سطرًا .

الحالة الخامسة — أن يكون بخط السلطان بظاهر قصّة . فيكتب « حسب المرسوم الشريف بالخطّ الشريف » سطرين ، ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرًا على ما تقدّم ، وما بعده سطرًا .

قلت : ومما يجب التنبيه له أنّ لفظ حسب الواقع فى المستندات مقول اللغة فيه بفتح السين كما نقول : فعلت ذلك حسب أمرى ، ولا يجوز تسكينها بحال كما أطبق عليه علماء اللغة ، إلا ما حكاه الجوهرى فى « صحاحه » من جواز تسكينها فى ضرورة الشعر ، على أن جلّ كتّاب الزمان يغلطون فى ذلك فلا ينطقون بها إلا ساكنة السين ، وربما ضبطوه كذلك فى الكتابة .

الضرب الثاني

(أن يجعل مستند الإشارة، وله ثلاث حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بإشارة النائب الكافل . فيكتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الكافية ، كافل الممالك الشريفة الإسلامية ، أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الكافية الفلانية .

الحالة الثانية — أن يكون بإشارة الوزير . فيكتب « بالإشارة العالية الوزيرية الفلانية ، مدبر الممالك الشريفة أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الوزيرية الفلانية .

الحالة الثالثة — أن يكون بإشارة الإستدار . فيكتب « بالإشارة الأميرية الكبيرة الفلانية ، إستدار العالية ، أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الكبيرة الفلانية . وقد تقدم في الكلام على الألقاب ما جرى عليه الكتاب في لفظ إستدار من التحريف ، واستعملوه بلفظ إستادار ، أو استاد الدار ، وتجب موافقتهم عليه وإن كان خطأ جريا على المصطلح .

الجملة الثانية

(في موضع كتابة المستند)

وقد أصطلح الكتاب على أن يكتب المستند في الغالب بعد التاريخ ، ويكون الظرف أو الجاز والمجرور فيه متعلقا من التاريخ بلفظ كتب ، وكأنه يقول : كتب في تاريخ كذا ، حسب الأمر الشريف ، أو بالإشارة الفلانية . وربما كتب بحاشية المكتوب في المراسيم الصغار التي تكتب على ظهور القصاص ونحوها ، وكذلك

أوراق الطِّريق؛ وموضع كتابته يقابل بين السطرين الأولين آخذاً من جهة الأسفل إلى جهة الأعلى بحيث يكون آخرُ كتابة المستند مسامتاً للسطر الأول، فإن كان «حَسَب المرسوم الشريف» فقط، كتبه سطراً واحداً، وإن كان «من دار العدل» كتب «حَسَب المرسوم الشريف» سطراً، ومن «دار العدل الشريف» سطراً تحته، وكذلك إن كان «من ديوان الخصاص» كما يُكتب في أسفل الكتاب. وإن كان برسالة الدوادار، فقد جرت العادة أن يكتب «حَسَب المرسوم الشريف» في أسفل الكتاب تحت التاريخ سطراً واحداً، ويكتب «رسالة الجنب العالي، الأميرى، الكبيرى، الفلافى، الدوادار، الفلافى ضاعف الله تعالى نعمته!» بالهامش في المحل المتقدم سطرين كما كان يُكتب بآخر الكتاب. وإن كان المستند الإشارة كتب جميعه بحاشية الكتاب في المحل المقدم ذكره سطرين على ما تقدم بيانه.

الطرف الرابع

(في الحمدلة في آخر الكتاب، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الاصل في كتابتها)

والأصل في ذلك أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحاً للأمر تيمناً بالافتتاح به، جعله ختاماً لها تيمناً بالاختتام به قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال جلَّت قدرته: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَنزَلُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السفر قال: «آئِبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». قال السهيلي: ومن ثم سُمِّي النبي صلى الله عليه وسلم (أحمد) إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

ولما كان الأمر كذلك ، أصطلح الكُتّاب على آختام الكُتُب بالحمد تبرُّكا .
قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُخْتَم بالحمد لله في التواقيع في المَظالم ؛ وربما
خُتِم بها في تواقيع الإطلاقات . وقد أصطلح كُتّاب الزمان على حذفها من آخر
مالا تُكْتَب في أوله البسملة : كالتواقيع الصغار ونحوها ، على ما سياتى في موضعه
إن شاء الله تعالى . وكأنهم يُشيرون بذلك إلى أنَّ مثل ذلك لا يُهَيِّئُ بشأنه ، فكما حذفوا
البسملة من أولها حذفوا الحمدلة من آخرها إشارة إلى عدم الأهتمام بها كما حُذِفَتْ
من أول الكلام الذي لا يُهَيِّئُ به لأجل ذلك على ما تقدّم بيانه .

الجملة الثانية

(في بيان ما يُكْتَب بصورة وضعه في الكتابة)

أمّا ما يُكْتَب ، فقد أصطلحوا على أن يكتبوا في حمدلة آخر الكتاب « الحمد لله
وحده » وربما كتبوا : « الحمد لله رب العالمين » . على أنهم لو أطبقوا على كتابتها
لكان أولى . فقد ذكر النووى في كتابه "الأذكار" أنها أفضل صيغ الحمد ومن
أجل ذلك أفتتحت بها فاتحة الكتاب التي هي أمّ القرآن .



وأما وضعها في الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن جعلوها بعد كتابة المستند عن يمينه
الدَّرَج ، على بُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى والسطر الآخر من المكتوب . قال
في "معالم الكتابة" وقد تحتمل الخروج عن سَمَت السُّطور .

الطرف الخامس

(في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ،
وما يلتحق بذلك ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل إثباتها في آخر الكتب)

والأصل في ذلك مع ما تقدم في الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
في أول الكتب في الكلام على الفوائج أنه كما ذكرنا في أوائل الكتب تبرُّكا ،
كذلك ذكرنا في آخرها تبرُّكا . وقد قال تعالى في حقِّه صلى الله عليه وسلم :
(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) فإن معناه ما ذكرنا إلا ذكرنا معي ، ولما اختتمت
الكتب بالحمد لله ، ناسب أن يُقرن الحمد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
جمعاً بين ذكره وذكر الله تعالى . وقد ذكر ابن هشام في "سيرته" : أن النبي
صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن
« صلى الله على محمد » .

ثم الكلام في الجمع بين الصلاة والسلام ، والصلاة على الآل والصَّحْبِ بعده
صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب على ما مرَّ في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
في أول الكتب .

قلت : فلو كتبت كتاباً لسلطانٍ أو غيره من المسلمين إلى أحد من أهل الكفر ،
فهل يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يؤتى بها في الكتاب إلى المسلم

(١) في الأصول "آخر" وهو خطأ من النسخ ، وعبارة الضوء على ما مرَّ في الفوائج ، وهي أظهر .

إرغاماً للكافر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أولاً يؤتى بها صيانةً لاسمه صلى الله عليه وسلم عن حصوله في يد كافر ، كما يمنع من السفر بالمصحف إلى بلاد الكفر ؟ لم أر من تعرض له ، والظاهر أنه يؤتى بها إرغاماً للكافر ، ومواجهة له بما يذكروه .

وقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن عبد الملك بن مروان ، حين أحدث كتابة سورة الإخلاص وذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الدنانير والدرهم ، كتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم ، فأتروكه وإلا أتاكم في دنانيرنا ذكر ما تكرهون ؛ فعظم ذلك في صدر عبد الملك ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره في ذلك ، وكان أديباً عالمياً فقال له خالد : فرِّخ رَوْعَكَ^(١) يا أمير المؤمنين ، حرم دنانيرهم وأضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تغفهم مما يكرهون في الطوامير ، ففعل .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في التصلية في آخر الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما صورة ما يكتب ، فقد أصطلح الكتاب على أن يكتبوا في التصلية في آخر الكتاب بعد الحمد لله وحده ما صورته « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » . وهي صيغة مستحسنة للإتيان بالصلاة فيها بصيغة الجمع ، والجمع بين الصلاة والسلام ، وإتيان الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام على الآل والصَّحْب . وربما أتى بعض الكتاب بالصلاة بلفظ الأفراد ، فيكتب وصلاته .

(١) أي أذهب فرعك ورعبك ، ووقع في الأصول فرج بالجم وهو تصحيف .

وأعلم أن الصلاة يجوز كتابتها بالألف على هذه الصورة "الصلاة" ويجوز كتابتها بالواو على هذه الصورة "الصلوة" إلا أن محل ذلك ما إذا لم تُضَف إلى ضمير نحو صلاته وصلاتك . فإن أُضِيفَتْ إلى الضمير تَعَيَّنَتْ كتابتها بالألف دُونَ الواو، وربما غَلِطَ فيها بعضُ الكُتَّاب فكتبها بالواو .



وأما موضعها في الكتابة ، فقد أَصْطَلَحُوا على أن يَكْتُبُوا ذلك تِلْوَ الحمد لله وحده ، يفضل بياض بينهما لتكون الحمدلة في أول السطر ، والتصلية في آخره .

الطرف السادس

(في الحسبة في آخر الكتاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل كتابتها)

والأصل في ذلك ما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنِ اللَّهِ وَقُضِيَ ﴾ فجعل قولهم : حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل سبباً لحسن المنقلب والصون عن السوء . وقد قيل : مَنْ قَالَ حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل لم يَحْتَجْ في قَصْده .

الجملة الثانية

(في بيان ما يَكْتُبُ في ذلك ، وكيفية وضعه في الكتابة)

أما ما يَكْتُبُ ، فقد أَصْطَلَحَ الكُتَّاب على أن يَكْتُبُوا « حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل » بلفظ الجمع ، على أن المتكلم يتكلم بلسانه ولسان غيره من الأمة ، لا أَنَّ الجمع للتعظيم : لأنه

ليس بلائق بالمَنَام . وكان بعض الكُتَّاب يَسْتَحِبُّ أن يكتب «حَسْبِيَ الله» بلفظ الوحدة فرَارًا من اللَّبْس في لفظ الجمع بين التَّعْظِيم والجمع الحَقِيق . وقد أشار في «صناعة الكُتَّاب» إلى بعض ذلك . قال ابن شَيْث في «معالم الكِتَابَة» : «وقد يتأدَّب الأَدْنَى مع الأَعْلَى ، فَيَأْتِي بِالآيَةِ عَلَى نَصِّهَا فَيَقُولُ : ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فرَارًا مِنْ نُؤْنِ الْجَمْعِ الَّتِي هِيَ لِلْعَظَمَةِ . قَالَ : وَقَدْ يُقَالُ فِي مَكَانِهَا : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ثُمَّ قَالَ : فَأَمَّا الْأَعْلَى إِذَا كَتَبَ لِلأَدْنَى فَلَا يَخْرُجُ عَنْ «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» . ثُمَّ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَدْ يَكْتُبُ مَعَ الْحَسْبِيلةِ وَأَوَا بَانَ يَكْتُبُ : وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا مَعْنَى لِلأَوَا هُنَا ، إِذْ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَ الْحَسْبِيلةِ وَمَا قَبْلَهَا حَتَّى يَسُوِّغَ الْعَطْفَ عَلَيْهِ ، فَالْوَاجِبُ حَذْفُهَا كَمَا نَبِهَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ فِي «وَرَقَاتِهِ فِي الْوَرَاةِ» .



وَأَمَّا مَوْضِعُ وَضْعِهَا فِي الْكِتَابَةِ ، فَقَدْ أَصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوهَا سَطْرًا وَاحِدًا بَعْدَ سَطْرِ الْحَمْدِيلةِ وَالتَّصَانِيَةِ ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا فِي الْبُعْدِ قَدْرُ مَا يَبِينُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبَيْنَ السَّطْرِ الْآخَرِ مِنَ الْبَيَاضِ . قَالَ ابْنُ شَيْث : وَمَوْضِعُهَا ثَلَاثُ السَّطْرِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُتَّابَ قَدْ أَصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا تَحْتَ الْحَسْبِيلةِ صُورَةَ حَاءٍ لَطِيفَةٍ مُنَكَّبَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ «حَرْ» وَلَا مَعْنَى لَهَا ، إِذْ هِيَ فِي الْأَصْلِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَسْبِيلةِ نَفْسِهَا ، وَكَأَنَّ بَعْضَ الْكُتَّابِ كَانَ يَكْتَفِي بِهَا عَنْ الْحَسْبِيلةِ ، ثُمَّ أَلْبَسَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْكُتَّابِ فَانْتَبَهَا مَعَ الْحَسْبِيلةِ عَلَى ظَنِّ أَنْ فِيهَا قَدْرًا زَائِدًا عَلَيْهَا ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا إِنَّمَا وُضِعَتْ فِي الْأَصْلِ لِسَدِّ الْبَيَاضِ كَمَا يُكْتُبُ بَعْضُ التَّوَاتُرِ لِسَدِّ الْبَيَاضِ أَوْ الْفَضْلِ بَيْنَ الْكَلَامِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

الطرف السابع
(في اللواحق ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى
(في الترتيب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول
(في النَّزْب إلى الترتيب)

لا نزاع في أن ترتيب الكتاب بعد الفراغ منه بإلقاء الرَّمْل ونحوه عليه مطلوبٌ ،
وفيه معنيان :

المعنى الأول - التبرُّك طلباً لِنَجْح القصد ؛ فقد روى محمد بن عمر المدائني
في كتاب " القلم والدواة " بسنده عن إسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد
وهو أبو مَرْوان الأزدي ، عن يَقيَّة بن الوليد ، عن عطاء ، عن ابن جريح ، عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تَرَبُّوا الحَتَابَ ونَحْوَهُ من أسفله فإنه أعظمُ
للبركة وأنجحُ للحاجة " . وفي حديث " إذا كتب أحدكم كتاباً فليترِّبه فإنه مباركٌ
وهو أنجحُ لحاجته " .

ومن كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ^(١) تَرَبُّوا الكتابَ تَنَجَّحُوا .
ويؤيد ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابين إلى أهل قريتين
فترَّب أحدهما ولم يترَّب الآخر ، فأسلمت القرية التي ترَّب كتابها . وهذا المعنى
موجود في المكاتبات والولايات وغيرهما لطلب البركة والتَّجَاح في جميع ذلك .

(١) رواية كتب اللغة " أترَّبوا الكتاب " .

وقد حكي ان أبادُهمان مريض مَرَضًا أَشْفَى فِيهِ ، فَأَوْصَى وَأَمْلَى وَصِيَّتَهُ عَلَى ابْنِهِ ، فَكَتَبَهَا وَأَتَرَبَهَا فَقَالَ : نَعَمْ تَرَبُّهَا فَإِنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ . وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَكْتُوبُ قَدْ جَفَّ أَمْ لَا : لِأَنَّ الْقَصْدَ إِنَّمَا هُوَ النُّجْحُ وَالْبَرَكَةُ .

المعنى الثاني - التجفيف لما كتبه بطرّخ التراب عليه كي لا يَمْحَى بِمَا يُصِيبُهُ قَبْلَ الْجَفَافِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَوْعَفُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَمَقْتَضَاهُ أَنَّهُ إِذَا جَفَّ الْكِتَابُ لَا يُتَرَّبُ ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ كُتَّابِ الزَّمَانِ . وَمِنْ هُنَا يَضَعُونَ التَّرَابَ عَلَى آخِرِ الْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَقْرَبُ عَهْدًا بِالْكِتَابَةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّجْفِيفِ ، بِخِلَافِ أَوَّلِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ جَفَّ عِنْدَ نِهَايَةِ الْكِتَابِ غَالِبًا ، لِأَسْمَا فِي الزَّمَنِ الْحَازِرِ ، أَوْ مَعَ طَوْلِ الْكِتَابِ وَأَمْتِدَادِ زَمَنِ كِتَابَتِهِ . عَلَى أَنَّ صَاحِبَ "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَغَيْرَهُ مِنْ قُدَمَاءِ الْكُتَّابِ قَدْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ يَسْتَحَبُّ وَضْعُ التَّرَابِ أَوَّلًا عَلَى الْبَسْمَلَةِ ، ثُمَّ يَمْرُ الْكَاتِبُ مِنْهَا عَلَى سَائِرِ الْمَكْتُوبِ لِيُعَمَّ الْكِتَابَ بَرَكَةُ الْبَسْمَلَةِ . وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ التَّرِيبَ مِنْ آخِرِ الْكِتَابِ إِلَى أَعْلَاهُ لَا يَخْلُو أَيْضًا مِنْ بَرَكَةِ ، لُمْلَاسَةِ التَّرَابِ أَوَّلًا الْحَمْدَةَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَسْبَةَ . وَرَبْمَا يَلْتَمِسُ بِالتَّرَابِ مِنْ أَسْفَلِ الْكِتَابِ إِلَى الْبَسْمَلَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ فَيَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ الْبَرَكَتَيْنِ .

الأمر الثاني

(فِي مَا يُتَرَّبُ بِهِ الْكِتَابُ)

وقد اصطُحَّحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى التَّرِيبِ بِالرَّمْلِ الْأَحْمَرِ . أَمَا تَخْصِصُهُمُ التَّرِيبَ بِالرَّمْلِ فَلِأَنَّهُ لَا غُبَارَ فِيهِ يَعْلَقُ بِالْكِتَابِ فَيُذْهِبُ بِهِجَةُ الْوَرَقِ . وَأَمَا اخْتِيَارُهُمُ الْأَحْمَرَ دُونَ غَيْرِهِ فَلِأَنَّهُ أَهْيَجُ إِذَا لَصِقَ بِالْكِتَابِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : وَكَرِهُوا وَهَوُّوا

عن تراب الحيطان، ومأوا إلى النشارة والأشنان . قال : وبإغنا أن بعض الأئمة من أهل العلم كان يُتَرَّب الحديث بالصَّنْدَل ويقول : لا أُطرحُ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب . وكان حيوة بن شريح يخرج إلى الصحراء فيأخذ الطين الأسود فيدقه ويخله فيترَّب به . وقد صرح الرافعي وغيره من أصحابنا الشافعية أنه يحرم التريب من جدار الغير، ومعناه ظاهر لما فيه من الاغتصاب والاعتداء . وقد سبق في المقالة الأولى في الكلام على الخط ذكر أنواع الرمل، وأن من أحسنه رملاً يُؤْتَى به من صحراء ماريدين ، فيه سُدُورٌ صُفْرُ كُشْدُور الذهب ، يلقى في الرمل الأحمر فيترَّب به الأمراء والوزراء ومن في معانهم .

الجملة الثانية

(في نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه)

قد نصوا على أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي له أن يتأمله من أوله إلى آخره ويتتبع ألفاظه ويتأمل معانيه ويصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أو سبق إليه القلم : ليسلم من قذح القادح وطعن الطاعن . وقد تقدم في مقدمة الكتاب أن صاحب الديوان لا يكتفي بنظر الكاتب في ذلك ، بل يَكْبُلُه إلى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ، ثم يتأمله هو بنفسه بعد ذلك ليتقح الكتاب ويتهدب .

المقالة الرابعة

في المكتبات ، وفيها بابان

الباب الأول

(في أمورٍ كُتِبَ في المكتبات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقدمات المكتبات ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في أصول يعتمدُها الكاتبُ في المكتبات)

(١) ويتعلَّقُ المقصود منها بعشرة أصول :

الأصل الأول

(أن يأتي الكاتبُ في أول المكتبة مُحسِّنُ الافتتاح المطلوبِ في سائر أنواع

الكلام : من تَرَوْنَهُم مما يوجب التحسين : ليكون داعيةً لأستماع

مابعده ، على ما تقدّم بيّنه في الكلام على علوم البلاغة في المقالة الأولى)

ويرجعُ حسنُ الافتتاح في المكتبات إلى معنيين .

المعنى الأول — أن يكون الحُسْن فيه راجعاً إلى المبتدئ به . إما بالافتتاح بالحمد لله

كما في بعض المكتبات : لأن النفوس تتشوّف إلى الثناء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي

جعله الشارع مفتَحَ الخطاب أو نحو ذلك . وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب

(١) المعداد اثنا عشر كما ستقف عليه .

إليه : من تقبيل الأرض أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك ، فإن أمر المكتبات مبنى على التملق واستجلاب الخواطر وتألف القلوب ، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتداآت .

المعنى الثانى — أن يكون الحُسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين : من سُمولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ؛ كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه ، إلى من عصى عليه ، مفتتحا كتابه بقوله : ” كَتَابِي إِلَيْكَ ، وَأَنَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ طَمَعٍ فِيكَ وَإِيَّاسٍ مِنْكَ ، وَإِقْبَالٍ عَلَيْكَ وَإِعْرَاضٍ عَنْكَ ؛ فَإِنَّكَ تُدِلُّ بِسَالِفِ خِدَمِ أَيْسَرُهَا يُوجِبُ رِعَايَهُ ، وَيَقْتَضِي مَحَافِظَةً وَعِنَايَهُ ؛ ثُمَّ تَسْفَعُهَا بِحَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُبْعِيهَا بِأَلْفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ، أَدْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيُسْقِطُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ “ .

وكما كتب أبو حفص بن برد الأندلسى عن ملكه إلى من عصى عليه ثم عاد إلى الطاعة كتاباً أفتتحه بقوله : ” أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَاكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ يَمْنَعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ ؛ وَلِكِنَّمَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنْ الْإِشْرَافِ عَلَى سَرَائِرِ الرِّيَاسَةِ ، وَالْحِفْظِ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ؛ تَأَمَّلْنَا مِنْ سَنَاسِ جِهَتِكَ قَبْلَنَا ، فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ نَحْرَقَاءَ ، وَعَيْنَ خِدَامَتِهِ عَوْرَاءَ ، وَقَدَمَ مُدَارَاتِهِ شَلَاءَ : لِأَنَّهُ مَالَ عَنْ تَرْغِيكَ فَلَمْ تَرْجُهُ ، وَعَنْ تَرْهِيكَ فَلَمْ تَحْشَهِ ؛ فَأَدَّتْكَ حَاجَتُكَ إِلَى طَلَابِ الْمَطَاعِمِ الدِّنِّيَّةِ ، وَقَلَّةُ مَهَابَتِكَ إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الْوَبِيَّةِ “ ونحو ذلك من الافتتاحات البهجة ، والابتداآت الرائقة ، مما ستقف على الكثير منه فى خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الأصل الثاني

(أن يأتي في ابتداء المكتبة براءة الاستهلاك المطلوبة)

في كل فن من فنون الكلام)

بان يأتي في صدر المكتبة بما يدل على عجزها . فإن كان الكتاب بفتح ، أتى في أوله بما يدل على التهته . أو بتعزية ، أتى في أوله بما يدل على التعزية . أو في غير ذلك من المعاني ، أتى في أوله بما يدل عليه : ليعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه . كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان ، فكتب : "أما بعد حمد الله خالق الأنعام ، في بطون الأنعام " . وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ، ويرون تركه إخلالا بالصنعة ، ونقصا في الكتابة ، حتى إن الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر قد عاب أبا إسحاق الصابى على جلالة قدره في الكتابة ، وأعترافه له بالتقدم في الصناعة ، بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال في أوله :

"الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلي المجيد ، الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُنعت إلا برفع النعوت ، الأزلى بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ أميد محدود ، الدائم لا إلى أجل معدود ، الفاعل لا من مادة امتدتها ، الصانع لا بآلة استعملها ، الذى لا تدركه الأعين بالخطاها ، ولا تحده الألسن بالفاظها ، ولا تخافه العصور بمرورها ، ولا تهزمه الدهور بمرورها ، ولا تُجاريه أقدام النظراء والأشكال ، ولا تراجمه مناكب اقرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذى لا كُفء له ، والفرْد الذى لا توأم معه ، والحي الذى لا تحترمه المنون ، والقيوم الذى لا تسغله الشؤون ، والقدير الذى لا تُؤدّه المضلات ، والخبير الذى

لا يُعَيِّيه المُشْكَلَات“ ثم قال : إن هذه التَّحْمِيدَةَ لَا تُنَاسِبُ الْكِتَابَ الَّذِي أَفْتَحْتَهُ بِهَا، وَلَكِنِّهَا تَصْلُحُ أَنْ تُوَضَّعَ فِي صَدْرِ مُصَنَّفٍ مِنْ مَصَنَّفَاتِ أَصُولِ الدِّينِ : ككِتَابِ ”الشَّامِلِ“ لِلْجُؤَيْنِيِّ، أَوْ ككِتَابِ ”الْاِقْتِصَادِ“ لِلْفَزَارِيِّ، وَمَا جَرَى تَجَرُّهُمَا . فَأَمَّا أَنْ تُوَضَّعَ فِي أَوَّلِ كِتَابٍ فَتَحَ فَلَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَرَاعَةَ الْأَسْتِمَالِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ قَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالتَّحْمِيدِ ، كَمَا فِي كِتَابِ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ ، وَكَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الطَّائِعِ إِلَى بَعْضِ وُلَاةِ الْأَطْرَافِ ، عِنْدَ زَوَالِ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ ، وَوُقُوعِ الصُّلْحِ وَالْإِتِّفَاقِ : ”أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ نَازِمُ الشَّمْلِ ، بَعْدَ شَتَاتِهِ ، وَوَاوِلُ الْحَبْلِ ، بَعْدَ بَنَاتِهِ ؛ وَجَائِرِ الْوَهْنِ إِذَا انْتَلَمَ ، وَكَاشَفِ الْخُطْبِ إِذَا أَظْلَمَ“ .

وَقَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالتَّقْيِيلِ : كَمَا كَتَبَتْ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ بَشَّرَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ ، مُلَوِّحًا إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِالنَّغْرِ ، وَعَنِ الرِّيحِ الَّتِي تَهْبُ دَلِيهِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ بِالْمَائِمِ ، وَعَنِ مُسْتَنْزِهِ مِنْ مُسْتَنْزَهَاتِهِ بِالرَّمْلِ ، وَعَنِ الْمَسَاكِنِ الَّتِي بِهِ بِالْقُصُورِ مَعَ قُرْبِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، وَمُنَاسِبَةَ ذِكْرِ النَّسِيمِ بِالنَّغْرِ بِمَا صُورَتْهُ : ”يُقْبَلُ أَرْضَ نَغْرٍ قَدَرَقَ مَائِمُهُ ، وَرَاقَ مَيْسَمُهُ ؛ بَانَا لَشُكْرٍ يَعْتَرِفُ الرَّمْلُ بِالْقُصُورِ عَنْ حَدِّهِ ، وَتَقِفُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ دُونَ عَدِّهِ“ .

وَقَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالدُّعَاءِ ، وَتَكُونُ بَرَاعَةُ الْأَسْتِمَالِ فِي الدُّعَاءِ الْمَعْطُوفِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ بِهِ : بِأَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ مُنَاسِبًا لِلْحَالَةِ الْمَكْتُوبِ فِيهَا ، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ صَاحِبُ ”الْمَثَلِ السَّائِرِ“ وَغَيْرُهُ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى أَمْثَلِهِ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) عبارة الضوء ”و يُلَوِّحُ بِذِكْرِ مُسْتَنْزِهِ لِمَنْ عَلَى الْبَحْرِ يَسْمَى بِالرَّمْلِ وَمَسَاكِنُ لَمْ فِي ذَلِكَ الْمُسْتَنْزَهُ تَسْمَى الْقُصُورِ“ وَهِيَ أَوْضَحُ .

(١)
ثم من المكاتبات ما عُسِرَ معه الإتيانُ ببراعة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام
في مقدمة المكتابة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة . على أن الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه "حسن التوسل" أنه إن عُسِرَ
عليه براعة الاستهلال، أتى بما يقاربُ المعنى . وبكل حال فإذا أتى ببراعة استهلال
في أول مكاتبة أستصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحاً بخطبة ،
وإلا أستصحبها إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيانها .

الأصل الثالث

(أن يأتي في المكتابة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يُصدّر بها
تأسيساً لما يأتي به في مكاتبتها)

مثل أن يأتي في صدور كُتُب الحثِّ على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة ،
وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه، وخِذلان أعدائه، وإعزاز الموحدين، وقمع
المُلاحدين . وفي صدور كُتُب الفتح بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من
النصر والظفر، وإظهار دينه على الدين كله . وفي صدور كُتُب جباية الخراج ،
يُصدّر بحاجة قيام الملك وأُس السلطنة إلى الاستعانة بما يُستخرج من حقوق السلطان
في عمارة الثغور، وتحصين الأعمال، وتقوية الرجال، ونحو ذلك مما يجري على هذا
النظم مما سيأتي بيانه في مقاصد المكاتبات في الكلام على الابتدآت والجوابات
فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فقد قيل : إنه لا يحسن بالكاتب أن يُخْلِ كلامه - وإن كان وجيزاً - من مقدمة
يفتحها بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ، ليوَقِّ التاليف حقه . قال

(١) لعله الاستهلال في البداءة فيأتي بها فيما يلي ذلك ... الخ كما هو ظاهر من بقية الكلام .

في "مواد البيان" : وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب : كالفتوح ، والتهاني ، والتعازي ، والتهادي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإحساد ، والإذمام ، وغيرها : ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه ، وحجة يستظهر بها السلطان ؛ لأن كل كلام لأبد له من فرش يُقرش قبله : ليكون منه بمنزلة الأساس من البنيان .

قال : ويرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تشاكلها . ثم قال : والطريق إلى إصابة المرعى في هذه المقدمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض ، وأن يوضع للأمر الخاص مقدمة خاصة ، وللأمر العام مقدمة عامة ، ولا يطول في موضع الاختصار ، ولا يقصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المأخذ ، مُعتاصة على المتصفح . وذلك أن الكاتب ربما قصد إظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق ، فخرج إلى الإملال والإضجار الذي نتبم منه النفوس ، ولا سيما نفوس الملوك وذوي الأخطار الحليّة .

أما الأمور التي لا تشتمل على المقاصد الحليّة : كرقاع التحف والهدايا ونحوهما . فقد ذكر في "مواد البيان" أنه لا يجعل لها مقدمة تكون أمامها فإن ذلك غير جائز ولا واقع موقعه . قال : ألا ترى أنهم استحسّنوا قول بعضهم في صدر رُقعة مقترنة بـحُفّة في يوم مَهْرَجَان أو نحوه : «هذا يوم جرت فيه العادة ، بأن تهدي فيه العبيد إلى السادة» واستظرفوا الكاتب لإيجازه وتقريب المأخذ .

الأصل الرابع

(أن يَعْرِفَ الفرقَ بين الألفاظ المستعملة في المكاتبات

فِيضَعُهَا فِي مواضعها)

قال في "ذخيرة الخُطَّاب" : يجب على الكاتب الرئيس أن يَعْرِفَ مرتبة الألفاظ ومواقعها : لِيَرْتَبِهَا ويفرق بينها فِرْقًا يَقْفُهُ على الواجب وَيُنْهِيَ به إلى الصواب ، فيخاطب كلاً في مكاتبته بما يَسْتَحِقُّه من الخطاب ؛ فإنه قَبِيحٌ به أن يكونَ خطابُهُ أولاً خطابَ الرئيس للمرءوس ، وَيُذَيِّعَ ذلك بخطاب المرءوس للرئيس ، أو يَبْدَأَ بخطاب المرءوس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرءوس .

قال : ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الألفاظ والمناقضة ، تَقَصَّصَتِ المعاني ، ورذلت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أَخْلَّ من الصَّناعة بِمُعْظَمِهَا ، وترك من البلاغة غاية مُحْكَمِهَا . بل يجب أن يبدَأَ بخطاب رئيس أو نظير أو مرءوس ، ويكون ما يَتَخَلَّلُ مكاتبته من الألفاظ على اتِّساقٍ إلى آخرها وأَطْرَادٍ من غير مخالفة بينها ولا مُضَادَّةٍ ولا مناقضة .

فمن ذلك الفرق بين أصدرنا هذه المكاتبه أو أصدرناها ، وبين أصدرت ، وبين صَدَرَتْ . فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس التي صَدَرَتْ المكاتبه عنه ، إذ الشئ يُشْرِفُ بِشَرَفٍ متعلِّقه . وبلى ذلك في الرتبة أصدرت ، لاقتضاءها إصداراً في الجملة ، والإصدار لا بُدَّ له من مُصَدِّرٍ ، وذلك المُصَدِّرُ هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة . وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا . ودون ذلك في الرتبة صَدَرَتْ : لاقتضاء الحال صدورَها بنفسها دون دلالة على المُصَدِّرِ أصلاً .

ومن ذلك الفرق بين «ونبدى لعلمه» وبين «ووضَّح لعلمه» : فنبدى لعلمه أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيء خفى ، والإيضاح يرجع إلى بيان مُشْكِل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دلَّ على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفى فإنه لا يتَّهى إلى هذا الحد .

ومن ذلك الفرق بين «عليه الكريم» وبين «عليه المبارك» فالكريم أعلى من المبارك ، لأن في الكريم عراقة أصل وشرف قد تُوجد في المبارك وقد تختلف عنه .

ومن ذلك الفرق بين «ومرسؤمنا لفلان بكذا» وبين «والمرسؤم له بكذا» : فرسؤمنا أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك آخضت بالملوك دون ذيرهم ؛ بخلاف والمرسؤم له بكذا فإنه حار عن ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «والمسؤول» وبين «والمستمد» : فإن المسؤول أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ^(١) ، فإن المسؤول يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد فإنه لا يستلزم ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «بلغنا» وبين «أنهى إلى علمنا» وبين «اتصل بنا» : فاتصل بنا أعلى من أنهى إلى علمنا ، لما في معنى الاتصال من الاصق ، بخلاف الإنهاء ؛ وأنهى إلى علمنا أعلى من بلغنا : لأن البلوغ قد يكون على لسان آحاد الناس .

ومن ذلك الفرق بين «أنهى فلان كذا» وبين «عزفنا كذا» : فعزفنا أعلى بالنسبة إلى رافع الخبر، لأن في التعريف مزية قُرب من الرئيس، بخلاف الإنهاء فإنه لا يقتضى ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «وردت مكاتبتك» وبين «وردت علينا مكاتبتك» : فوردت علينا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه الواردة : لتخصيصها بالورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق .

ومن ذلك الفرق بين «عُرِضَتْ علينا مكاتبتك» وبين «وَقَفْنَا على مكاتبتك» فوقفنا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه : لأن الوقوف عليها يكون بنفسه، والعرض يكون من غيره .

ومن ذلك الفرق بين «وشكرتُ الله تعالى على سلامته» وبين «وتوالتُ شكري لله تعالى» : فتوالتُ شكري أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المعْدوق بالاحتفال .

ومن ذلك الفرق بين «ورَغِبْتُ إلى الله تعالى» وبين «وَضَرَعْتُ إلى الله تعالى» : فَضَرَعْتُ أعلى من رَغِبْتُ : لما في الضراعة من مزيد التأكيد في الطلب، بخلاف الرَغْبَة فإنها لا تبلغ هذا المبلغ .

ومن ذلك الفرق بين «وقابلتُ أمره بالطاعة» وبين «وَأَمْتَمَلْتُ أمره بالطاعة» : فَأَمْتَمَلْتُ أمره أعلى من قابلتُ أمره، لما في الأمثال من معنى الإذعان والالتقياد، بخلاف المُقابَلَة .

ومن ذلك الفرق بين «وَشَفَعْتُ لَهُ» وبين «وَسَأَلْتُ فِيهِ» : فالسؤال أعلى في حق المسئول من الشفاعة : ^(١) لما في الشفاعة من رفعة المقام المؤدى إلى قبول الشفاعة .
ومن ذلك الفرق بين «وخاطبْتُ فلانا في أمره» وبين «وتحدّثْتُ في أمره» : فتحدّثت أشد في تواضع المتكلم من خاطبت ، لأن الخطاب من الألفاظ الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدّث .

ومن ذلك الفرق بين «تَشْرِيفِي بكذا» وبين «إِسْعَافِي بكذا» [وبين «إِتْحَافِي بكذا»] ^(٢) فالإسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة إلى المطلوب ، بخلاف التشريف ؛ وإتْحَافِي دون تشْرِيفِي لأن الإتحاف قد لا يقتضى تشريفا .

ومن ذلك الفرق بين قوله : «نَزَلَ عِنْدَهُ» وبين قوله : «نَزَلَ بِسَاحَتِهِ» : فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفُسْحَةِ والِاتِّسَاعِ .

ومن ذلك الفرق بين «فِيْحِيطَ عِلْمُهُ بذلك وبين فَعَلِمَ ذلك» : فَيُحِيطَ عِلْمُهُ أعلى من يَعْلَمُ ذلك : لأن في قوله فَيُحِيطَ عِلْمُهُ بذلك نسبته إلى سَعَةِ العلم : لما فيه من معنى الإحاطة بخلاف فَعَلِمَ ذلك .

(١) عبارة الضوء "لما في السؤال من معنى الذلة وما في الشفاعة من معنى الشرف" وهي أوضح .

(٢) الزيادة من الضوء وهي ساقطة من قلم الناصح بدليل بقية الكلام .

الأصل الخامس

(أن يعرف مواقع الدعاء في المكاتبات ، فيدعو بكل دعاء في موضعه)

ويتعلق النظر فيه بسنة أوجه

الأول — أن يعرف مراتب الدعاء ليوقيها في مواقعها ، ويوردها في مواردِها ، ويتأتى ذلك في عدة أدعية .

(منها) الدعاء بإطالة البقاء ، والدعاء بإطالة العمر : فالدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر . وذلك أن البقاء لا يدل على مدة تنقضي لأنه ضد الفناء ، والعمر يدل على مدة تنقضي ؛ ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . قال في "مواد البيان" : ومن هنا جعل الدعاء بإطالة البقاء أول مراتب الدعاء وخص بالخلفاء ، وجعل ما يليه لمن دُونهم . ويتلوه الدعاء بالمد في العمر ، فيكون دون الدعاء بالإطالة ، لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه من حيث إن المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ؛ ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المد .

(ومنها) الدعاء بدوام النعمة ، والدعاء بمضاعفتها : فالدعاء بالمضاعفة أعلى : لأن الدوام غايته استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

(ومنها) الدعاء بعز الأنصار ، وعز النصر ، وعز النصرة . وقد اصطلاح كتاب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدعاء بعز الأنصار ، لأن عز أنصاره عز له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفع الشأن ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا للملك عظيم أو أمير كبير . والدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز النصرة : لما في الأول من

معنى التذكير وهو أرفع رتبةً من التأنيث . على أنه لو جعل الدعاء بعز النصر على من الدعاء بعز الأنصار، لكان له وجه : لما في عز النصر من الغناء عن عز الأنصار .

(ومنها) الدعاء بعز الأحكام ، والدعاء بتأييد الأحكام : فالدعاء بعز الأحكام على : لأن المراد بالتأييد التقوية ، فقد توجّد القوة ولا عزّ معها .

وينبغي للكاتب أن يحتزّز في تنزيل كلّ أحد من المكتوب إليهم منزله في الدعاء ، فلا ينقص أحدا عن حقّه ، ولا يزيده فوق حقّه ، فقد قال في ”موادّ البيان“ :
إن الملوك تسمّح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كلّ واحد من أرباب المناصب الجليسة من الدعاء فيخصّه به .

فيأتي بالدعاء في المكتبة للولك بإطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ، وما أشبه ذلك .

ويأتي في المكتبة إلى الأمراء بالدعاء بعز الأنصار ، وعزّ النصر ، ومضاعفة النعمة ، ومدّاومتها وما شاكل ذلك . على أن ابن شيث قد ذكر في ”معالم الكتابة“ :
أن الدعاء بعزّ النصر ومضاعفة الاقتدار كان في الدولة الأيوبية مما يختصّ بالسلطان دون غيره .

ويأتي في المكتبات للوزراء من أرباب الأقلام ومن في معانهم بالدعاء بسبوغ النعماء ، وتخليد السعادة ، ودوام المجد ، وما يضاهي ذلك .

ويأتي في المكتبات للقضاة والحكام بالدعاء بعزّ الأحكام ، وتأيد الأحكام وما يطابق ذلك .

ويأتى فى المكتبة إلى التَّجَار بالدعاء بمزيد الإقبال، وخُلُود السعادة وشبه ذلك .
ويأتى فى المكتبة فى الإخوانيَّات ومكتبات النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال
بينهم من الودِّ والإدلال ، بحسب ما يراه الكاتب ويؤدِّى إليه آجتهاده . قال
فى "موادَّ البيان" : وقد كانوا يختارون فى الدعاء للأدباء أبقاك الله ، وأكرمك الله .
وفى الدعاء للابن والحُرمة أبقاك الله وأمتع بك .



أما أهل الكُفْرِ فقد أصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما فى معناه . أمَّا جواز
اصل الدعاء لهم فلمَّا روى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آسَسَقُ فِسَقَاهُ يَهُودِيٍّ ،
فقال له : بَحَلِّكَ اللهُ ، فما رَوَى الشَّيْبُ فى وَجْهِهِ حَتَّى مَاتَ ، فدلَّ على جواز الدعاء
للكافر بما لا ضَرَرَ فيه على المسلمين ما لم تنضم إليه قُوَّة ونحو ذلك ، بل ربما كان
فى طُول بَقَائِهِ حَمْلٌ حَزِيَّةٌ أَوْ غَنِيْمَةٌ أَوْ ثَوَابٌ جِهَادٍ ونحو ذلك . وقد حكى أبو جعفر
النجاشى فى "صناعة الكُتَّاب" : أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِنَصْرَانِيٍّ : أَعَزَّكَ
الله ! فَعُوَّتِبَ فى ذلك ، فقال
... ..

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ مَرْتَبَةَ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الدَّعَاءِ ، فَيَدْعُو بِعِزِّ
الْأَنْصَارِ لِوَاحِدٍ ، وَيَدْعُو بِعِزِّ النَّصْرِ لِمَنْ دُونَهُ : لِأَنَّ عِزَّ الْأَنْصَارِ مُسْتَلْزَمٌ لِعِزِّ النَّصْرِ .
على أَنَّهُ لَوْ قِيلَ : إِنْ عِزَّ النَّصْرِ أَعْلَى لَكُنْهُ دَعَاءٌ لِنَفْسِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ الدَّعَاءِ بِعِزِّ
الْأَنْصَارِ فَإِنَّهُ دَعَاءٌ لَشَيْءٍ خَارِجٍ لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ . وَيَدْعُو بِعِزِّ النَّصْرِ لِمَنْ دُونَ مَنْ
يُدْعَى لَهُ بِعِزِّ النَّصْرِ ، لِأَنَّ النَّصْرَ مَذْكُورُ رَتْبَةٍ التَّذْكِيرِ أَعْلَى مِنْ رَتْبَةِ التَّأْنِيثِ .

(١) بياض فى الاصول بقدر كلمتين ولم يورده فى الضوء ولعل الشافعى آستدل بالحديث السابق .

ويدعو بدوام النعمة لواحد ويدعو بمضاعفة النعمة لمن دونه ^(١) ، لأن الصيغة تقتضى مزيداً على القدر الحاصل ، بخلاف الدوام فإنه يقتضى استصحاب القدر الحاصل فقط ، وعلى هذا النهج . قال فى "معالم الكتابة" : ولا يُكتب عن السلطان إلى أحد ممن فى ممالكه بلا زال ، ولا برح ، بل يختص ذلك بملك مثله . قال : ولا حرج فى الكتابة بذلك عن السلطان إلى ولده إذا كان نائباً عنه فى الملك . قال : وكذلك لا يدعو الأعلى للأذننى بلا زال ، ولا برح .

قلت : والذى استقر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لأكابر النواب ، ويكتب به أكابر الدولة بعضهم إلى بعض .

الثالث — أن يعرف مايناسب كل حالة من حالات المكاتبات ، فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدعاء . قال فى "مواد البيان" : ينبغى أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب : فإن كان فى الهناء كان بما راجت معرفته ، وإن كان فى العزاء كانت مشتقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكاتبات ، فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود ، خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد . كما حكى أبو هلال العسكى فى "الصناعتين" أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عصمنا الله وإياك مما يؤركه . فكتبت إليه : يا غليظ الطبع ! إن استجيب لك لم نلتق أبداً .

ويختلف الحال فى ذلك باختلاف حال المكاتبات : فتارة تكون باعتبار الشيء المكتوب بسببه . كما يكتب فى معنى البشارة بجلوس الملك على تحت الملك : لا زال أمره ! وأتمته من البشائر بما يتوهم على جبين الصباح بشره ، وما يترجح على ميزان الكواكب قدره ، وما يفسح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده وعمره .

(١) صوابه "لمن فوقه" كما هو مقتضى التعليق بعد وكما يؤخذ من عبارة الضوء ص ٤٢٣ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي الْبَشَرِ بِفَتْحٍ : وَلَا زَالَتْ آيَاتُ النُّصْرِ تُشْلِي عَلَيْهِ مِنْ مُحْضٍ
الْبَشَائِرَ ، وَنَفَاسُ الظَّفَرِ يُجْلِي عَلَى سِرِّهِ فِي أَسْعَدِ طَائِرٍ ، وَنَوَاطِحُ الْفَتْحِ تُزْهِي بِهِ الْأَسْرَةَ
وَتَزْهَوُ بِنُورِهِ الْمَنَارِ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي التَّمَنُّةِ بِعَافِيَةٍ ، وَلَا بَرِّحٍ فِي بُرْدِ الصَّحَّةِ رَافِلًا ... بَعَزْمِهِ وَخَزْنِهِ^(١)
كَافِلًا ، وَالْإِنْبَالُ لِحَنَابِهِ الْعَالِي بِالْمَنَاءِ بِعَافِيَتِهِ وَأَصْلًا .

وتارة تكون باعتبار حال المكتوب إليه التي هو بصدددها .

كَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ إِلَى الْغَزْوِ : وَحَقَّهُ بُلُغُهُ فَلَا يَجِبُ ، وَهِيَآلُهُ النُّصْرَ وَالْفَتْحَ
الْقَرِيبَ ، وَجَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ دَمَارَ الْكُفَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ بَشِيدَةٌ بِأَسِهِ مِنَ السَّلَامَةِ
نَصِيبٌ .

وَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ : وَأَمْتَعَهُ بِصُيُودِهِ ، وَجَعَلَ الْأَقْدَارَ مِنْ
جُنُودِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ أَعْدَائِهِ بِسُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ صَيْدِهِ بِبُرَايَةِ
وَفُهْودِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ : وَقَضَى بِقُرْبِ رَجْعَتِهِ ، وَجَعَلَهُ كَالْهَلَالِ فِي مَسِيرِهِ
سَبَبٌ رِفْعَتِهِ ، وَسَكَنَ بِقُدُومِهِ أَشْوَاقَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ مَحَبَّتِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ لِتَخْضِيرِ الْبِلَادِ : وَأَلْبَسَ الْبِلَادَ بِقُدُومِهِ أَخْضَرَ الْأَنْوَابِ ،
وَأَحْلَاهُ أَشْرَفَ مَحَلٍّ وَأَخْصَبَ جَنَابٍ .

وتارة تكون باعتبار وظيفة المكتوب إليه التي هو قائم بها

كَمَا يُكْتَبُ إِلَى كَافِلِ الْمَلِكَةِ : وَلَا زَالَتْ كِفَايَةُ كَفَالَتِهِ تَزِيدُ عَلَى الْأَمَالِ ، وَتَتَقَرَّبُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتَكْفُلُ مَا يَمِينُ أَقْصَى الْجَنُوبِ وَأَقْصَى الشَّامَلِ .

(١) . يياض في الأصول بقدر كلمة ولعله ولا زال الزمان .

وكما يكتب إلى قاض : وفصل بين الخصوم بأحكامه المسدده، وأفضيته التي بها قواعد الإسلام ممهده، وأبنية الشرع المطهر وأركانه مشيده .

وكما يكتب إلى متصوف : وأعاد من بركات تهجداته ، وأثار اللبالي بصالح دعواته .

وتارة تكون باعتبار بلد المكتوب إليه وناحيته .

كما يكتب إلى نائب الشام : ولا زال النصر حلية أيامه وشامة شامه ، وعمامة مايجلق على بلده المخلص من غممه .

وكما يكتب إلى نائب حلب في زمن الحروب : ولا زال يعدّ ليوم تشيب فيه الولدان، ويصدّ دونه كل محارب بين الشهباء والميدان ، ويعمّ حلب من حلى أيامه مالا يفقد معه إلا أسم ابن حمدان ، ونحو ذلك مما يخطر في هذا السلك .

وتارة تكون باعتبار أسم المكتوب إليه أو لقبه .

كما يكتب إلى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في رقاب أعدائه مغمداً ، وحده يذر كل ملحد ملحداً .

وكما يكتب إلى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائماً ، والزمان في خدمته قائماً ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائماً .

وكما يكتب إلى من لقبه شمس الدين : ولا زالت شمس سعادته مشرقة ، وأغصان فضله بالعوارف مورقة ، وعيون طوارق الغير عنه في كل زمن مطرقة .

وكما يكتب إلى من لقبه ناصر الدين : ونصر عزائمه ، وشكر مكارمه ، ووفر من الحسنات مفاعله . إلى غير ذلك من الأمور التي ستقف على الكثير منها في الكلام على مقاصد المكاتبات إن شاء الله تعالى .

الرابع — أن يعرف مواضع الدعاء على المكتوب إليه ، ومن الذي يُصرَّح بذلك في المكتبة إليه . قد ذكر ابن شيث في ” معالم الكتّابة “ أن الدعاء على الأعداء في صدور الكتب كان من عوائد مكتبة الأذنى إلى الأعلى . مثل : وقصم ، وأذل ، وقهر ، وخضد . وكذلك المائل والمقارب ، فأما من الأعلى إلى الأذنى فلم يكن ذلك معروفاً عند المتقدمين ، لاسيما إذا كان الكتاب عن السلطان . ثم قال : ولكن قد أفلت الحبلى في ذلك الآن [إلى أن] قال : ولا يقال للأذنى غير كبت عدوه ، أو ضده ، أو حسوده خاصة .

(١) ومنها — أن يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه . وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما كرهه في المكتبة إلى كل احد)

قال في ” مواد البيان “ : كانت عادتهم جارية أن يتجنبوا من الأدعية ما لا يفضّل له ، كقولهم : جعلني الله فداك ، وقدمني إلى سوء دونك : لما في ذلك من التصنع والمآلق الذي لا يرضاه السلطان ، لأن نفس الداعي لا تسمح باستجابته . ويؤيد ما ذكره ما كتب به ابن عبد كان إلى بعض أصدقائه : جعلت فداك على الصحة والحقيقة ، لا على تجرئ المكتبة ومذهب العادة . قال في ” مواد البيان “ : وإنما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون أن بقاءهم معدوق ببقاء رؤسائهم ، وثبات نعمهم مقرون بثبات أيام سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل الأنفس دونهم . وما ذهب إليه من كراهة ذلك قد نقل في ” صناعة الكتاب “ مثله عن مالك بن أنس ، واحتج له بما روى عن الزبير رضى الله عنه أنه قال

(١) عدّها في الضوء مرتبة خامسة وهو أنسب .

للنبي صلى الله عليه وسلم: «جُعِلْتُ فِدَاكَ - فقال له أما تَرَكَتَ أَعْرَافَتَكَ بَعْدُ !»
على أن بعضهم قد أجاز ذلك احتجاجاً بقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك يوم
أُحُدٍ : «إِزِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» وبما رُوِيَ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له : «أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ قال نعم
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ !» ولم يُنْكِرْ عليه ، ونحو ذلك ؛ وفي معنى ذلك كل ما يجري هذا
الجرى ونحوه .

الضرب الثاني

(ما تختص كراهته بالبعض دون البعض، وهو نوعان)

النوع الأول - ما يختص بالرجال، فمن ذلك ما ذكره في "مواد البيان" : أنهم
كانوا لَا يَسْتَحْسِنُونَ الدِّعَاءَ بِالْإِمْتَاعِ نَحْوَ أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ وَأَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ ، في حق
الإخوان . ومما يُحْكِي في ذلك أن محمد بن عبد الملك الزيات، كتب إلى عبد الله
ابن طاهر في كتاب : وَأَمْتَعَ بِكَ ؛ فكتب إليه عبد الله بن طاهر :

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ ؟ * أَمْ نِلْتَ مُلْكًا قَهْتَ فِي كِتَابِكَ ؟
أَتَعَبْتَ كَفَيْكَ فِي مَكَاتِبِي * حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ !
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقْيَةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ ، "وَأَمْتَعَ بِكَ" .

فأجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذرا بقوله :

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي ؟ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ !

إِنَّ يَكُ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي ، * فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مِنْ أَدَبِكَ .

على أن في كراهة الدعاء للإخوان بذلك نظرا فسيأتي في الكلام على ترتيب المكتاتبات على سبيل الإجمال أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم [قالت] : اللهم أمتني بزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية - في حديث طويل يأتي ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

أما الدعاء بالإمتاع للاتباع ، فقد أجازته جماعة من محققى الكتاب ، محتجين على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لأبي اليسر : كعب بن عبيد الله بقوله « اللَّهُمَّ أمتعنا به » . قال ابن عفير : فكان آخر أهل بدر وفاة ، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة .

النوع الثانى - ما يختص بالنساء . فقد ذكر « أبو جعفر النحاس » أنه لا يقال في مكاتبتهم « وأدام كرامتك » ولا « وأتم نعمته عليك » ولكن لديك ، ولا « فضله عندك » ولا « وأدام سعادتك » . أما منع الدعاء لهم بالكرامة ، فلما حكى محمد بن عمر المدائنى أن بعض عمال زبيدة كتب إليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت له على ظهر كتابه : أردت أن تدعولنا فدعوت علينا ، فأصلح خطاك في كتابك وإلا صرناك عن جميع أعمالك ! . فادركه القلق ، وجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكتاب فلا يجد فيه شيئا ، إلى أن عرض له على بعض أهل المعرفة فقال : إنما كرهت دعائك في صدر كتابك بقولك : وأدام كرامتك : لأن كرامة النساء دفنن - قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « دفن البنات من المكرمات » فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادها إليها فوقعت له على ظهره - أحسنت ولا تعد - . وأما كراهة وأتم نعمته عليك وإبدال ذلك بلفظ وأتم نعمته لديك ، فكأنه لما يلمح فيه من ذكر العلو على النساء . وأما منع وأتم فضله عندك ، أو وأتم سعادتك فيحتاج إلى تأمل .

(١) الذى فى « خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » للزرجى (كتب بن عمرو بن عباد بن عمرو) ونحوه فى تاج العروس مادة سى من ر .

الخامس — أن يتجنب الخلاف في الدعاء في فصول الكتاب، ولا يؤلى بين دَعَوَتَيْنِ منه [متفتحين]. فأما الخلاف في الدعاء، فقال أبو جعفر النحاس : هو مثل أن يقول أطل الله بقاء سيدي — بلفظ الغيبة ، ثم يقول بعد ذلك : وبلغك أملك — بلفظ الخطاب . وأما الموالاة بين دَعَوَتَيْنِ ولا يأتى بهما متفتحين ، فقال في ”مواد البيان“ : هو مثل حرس الله الأمير أعزّه الله ؛ ثم يقول في الفصل الذى بعده : أعزّه الله تعالى ، وما اشبه ذلك .

السادس — أن يتجنب وقوع اللبس في الدعاء . فإذا ذكر الرئيس مع عدوه مثلاً ، لم يدع للرئيس حينئذ ، فإنه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدي — أبقاه الله — كذا ، لاحتمل عود الدعاء إلى الرئيس وإلى عدوه فيقع اللبس . أما إذا ذكر الرئيس وحده كما إذا قال : وقد كنت عرفت سيدي — أبقاه الله — كذا ، فإنه لا آلتباس .

الأصل السادس

(أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها)
ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور .

أحدها — أن يعرف ما يناسب من الألقاب الأصول — المتقدمة الذكر في المقالة الثالثة عند الكلام على الألقاب المصطلح عليها بحسب ذلك الزمان : كالمقام ، والمقر ، والحناب ، والمجلس — في زماننا ؛ فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك ؛ فيجعل المقام لأكابر الملوك . والمقر لمن دونهم من الملوك ، وللرتبة العليا

(١) عبارة الضو. ص ٤٢٦ هكذا ”وأما موالاة دعوتين متفتحين فقل أن يقول أعزّه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذى بعده أعزّه الله تعالى“ وهى أوضح .

من أهل المملكة . والجناب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من أهل الدولة .
والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من أهل الدولة . ومجلس الأمير لمن
دُونَ ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب
والنعوت التابعة لذلك ؛ فيُتبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من الفروع .

الثالث — أن يعرف مقدار المكتوب إليه ، فَيُوفِّيه قِسْطَهُ من الألقاب في الكثرة
والقلة بحسب ما يجري عليه الاصطلاح . فقد ذكر في ”معالم الكتابة“ أن السلطان
لا يُكْثَرُ في المكتبة إليه من نَعُوته ، بل يُقْتَصَرُ على الأشياء التي تكون فيه : مثل العالم
العادل . أما غير ذلك فيقع باللقبين المشهورين : وهما نَعْتُهُ المفرد ، ونَعْتُهُ المضاف
إلى الدين . وأنه في الكتابة عن السلطان كُتِبَ زَيْدٌ في النعوت كان أَمِيرٌ : لأنها على
سبيل التشريف من السلطان ، ويجعل المضاف إلى الدين متوسطاً بين الألقاب
لا في أولها .

الأصل السابع

(أن يُراعى مقاصد المكتبات ، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه)

ومدار ذلك على أمرين :

الأمر الأول — أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويختار لكل لفظة
ما يشاء كلها . قال ابن عبد ربّه : وليكن ما تَحْتَمُّ به فُصُولُكَ في موضع ذكر البلوى
بمثل : نَسَأُ اللهَ رَفَعَ المَحْدُورَ ، وَصَرَفَ المَكْرُوهَ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ . وفي موضع ذكر
المصيبة : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وفي موضع ذكر النعمة ، الحمد لله خالصاً ،

والشُّكْرُ لله واجباً ، وما شاكل ذلك . قال في ” موادِّ البيان “ : وإذا ذَكَرَ الْبَلَوُ شَفَعَهَا بِالْأَسْتِعَانَةِ بالله تعالى والرجوع إليه فيها ، وردَّ الأمر إلى حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ . قال ابن عبد ربه : فإن هذه المواضع مما يتعيَّن على الكاتب أن يتفَقَّدها ويتَحَفَّظ فيها ، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يَضَع كلَّ معنى في موضعه ، ويُعَلِّق كلَّ لفظ على طَبَقِهِ في المعنى .

ومما يلحق بذلك أيضاً أنه إذا ذَكَرَ الرئيس في أثناء المِكاتَبَةِ ، دعا له ، مثل أن يقول عند ذكر السلطان : خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ . وعند ذكر الأمير الكبير : عَزَّ نَصْرُهُ ، أو : أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ . وعند ذكر الحاكم : أَيْدَى اللهُ أَحْكَامَهُ ، وما أشبه ذلك مما يجري هذا المجرى .

الأمر الثاني — أن يتَخَطَّى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا أَلْجَأَتْهُ الْحَالُ إلى المِكاتَبَةِ بما لا يجوز كَشْفُهُ وإظهارُهُ على صَرَاحَتِهِ ، مما في ذِكْرِهِ على نَصِّهِ هَتَكَ سِتْرَهُ ، أو في حكايته أَطْرَاحُ مَهَابَةِ السُّلْطَانِ ، وإِسْمَاعُهُ ما يلزم منه إخلالُ الأدب في حقِّه ؛ كما لو أطلق عُدُوَّهُ لِسَانَهُ فِيهِ بلفظٍ قبيحٍ يُسَوِّءُ سَمَاعَهُ . قال في ” موادِّ البيان “ : فيحتاج المُنشئ إلى أَسْتِعْمَالِ التَّوْرِيَةِ في هذه المواضع ، والتَّلَطُّفِ في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صورةٍ تَقْتَضِي تَوْفِيَةً حَقَّ السُّلْطَانِ في التوقير والإجلال والإعظام ، والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز إِمْرَارَهُ على سَمْعِهِ ، وإِيصَالِ المعنى إليه من غير خِيَانَةٍ في طَيِّ ما لا غِنَى بِهِ عن علمِهِ . قال : وهذا مما لا يَسْتَقِلُّ بِهِ إلا المَبْرُزُ في الصَّنَاعَةِ ، الْمُتَصَرِّفُ في تَأْلِيفِ الْكَلَامِ .

الأصل الثامن

(أن يَعْرِفَ مقدارَ فهم كل طبقة من المخاطبين في المكتابات من اللسان
 فيخاطب كلَّ أحد بما يناسبه من اللفظ ، وما يَصِلُ إليه فهمه من الخطاب) .
 قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : "أَوَّلُ ما يَنْبَغِي أن تستعملَ في كتابك
 مكتوبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق . قال : والشاهد
 على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب
 إليهم بما يُمكنهم ترجمته فكتب إليهم : "مِنْ مَجْدِ رَسولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى أَبرويزَ
 عَظيمِ فارسَ ، سلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهدى وَأَمَنَ باللهِ وَرَسُولَهُ ، وأدْعوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ
 فَإِنِّي أَنَا رَسولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كافَّةً (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ القَوْلَ عَلَى الكافرينَ)
 فَأَسْلِمَ تَسْلَمَ ، وَإِن أَيْتَ فَأَنْتُمْ الْمَجُوسُ عَلَيْكَ " فسهل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 الألفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على مَنْ له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب ، نفخ اللفظ لما عَرَفَ من قوتهم على
 فهمه ، وعادتهم بسماع مثله ؛ فكتب لوائل بن مُجَرِّ الحَضْرَمِي : "مِنْ مَجْدِ رَسولِ اللَّهِ
 إِلَى الْأَقْبَالِ الْعَبَاهِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ : عَلَى التَّبِيعَةِ
 الشَّاءُ ، وَالتَّيْمَةُ لِصَاحِبِهَا ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ ، لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ وَلَا شِئْنَاقَ
 وَلَا شِغَارَ ، وَمَنْ أَجَبِي فَقَدْ أَرَبِي ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ " .

وقد ذكر العسكري أيضا في باب الإطناب ما يحسن أن يكون شاهداً لذلك
 من القرءان الكريم - فقال : قد رأينا أنَّ الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب ،
 أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي كما في قوله تعالى خطاباً لأهل مكة

((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلَقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)) وقوله : ((إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) وقوله : ((أَوَلَيْسَ السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ)) في أشباه كثيرة لذلك . وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم ، جعل الكلام مبسوطا ، كما في سورة طه وأشباهها ، حتى إنه قلما تجد قصة لبنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة ، لبعد فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

قال في "مواد البيان" : فيجب على الكاتب أن يتنقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين ، وتوجيه الأحوال المتغيرة ، والأوقات المختلفة : ليكون كلامه مشاكلا لكل منها ، فإن أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين .

قال : ولتحرى الصدر الأوفى من الكتاب إيقاع المناسبة بين كتبهم وبين الأشياء المتقدمة الذكر أستعمل كتاب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفحلة ، والمتينة الجزلة ، بما لم تستعمل مثله الدولة العباسية : لأن كتاب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذى استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى عدت في جملة الفضائل التى يُثابر على آقتنائها ، والأمكنة التى نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم ؛ وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر .

أما زمان بنى العباس ، فإن الهمم تقاصرت عما كانت مقيمة على تطبه فيما تقدم من العلوم المقدم ذكرها ، وشئت بغيرها من علوم الدين ؛ ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستيفاضتها في أرض الحجاز والشام . ومن المعلوم أن القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة

في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام؛ فانتقل كتابها من اللفظ المتين الجزل، إلى اللفظ الرقيق السهل؛ وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن ألفاظ المتقدمين إلى ما هو أعذب منها وأخف، للعين المتقدم ذكره.

قال : وحينئذ ينبغي للكتاب أن يراعى هذه الأحوال، ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها، فإذا احتاج إلى إصدار كتاب إلى ناحية من النواحي، فليُنظر في أحوال قاطعتها : فإن كانوا من الأدباء البلقاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه، فليودع كتابه الألفاظ الجزلة، التي إذا حُلَّت بها المعاني زادت نغمة في القلوب، وجلالة في الصدور. وإن كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه، فليضمن كتابه الألفاظ التي يتساوى سامعوها في إدراك معانيها، فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه، ولم يصل معنى ما كتب فيه إلى من كتبه : لأن الكلام البليغ إنما هو موضوع بإزاء أفهام البلقاء والفصحاء. فاما العوام والحشوة : فإنما يصل إلى أفهامهم الكلام العاطل من حلي النظم، العاري من كسوة التأليف، فيجب على الكاتب أن يستعمل في مخاطبة من هذه صورته أدنى رتب البلاغة وأقربها من أفهام العامة والأمم الأعجمية إذا كتب إليهم.

ثم قال : فأما الكتب المعتدة عن السلطان، فإن منها كتب الفتوحات والسلامات ونحوها، وهي محتملة للألفاظ الفصيحة الجزلة، والإطالة القاضية بإشباع المعنى، ووصوله إلى أفهام كافة سامعيه من الخاص والعام. ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب، وهي لا تحتمل اللفظ الفصيح، ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه، وإفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلا بالبيان الشافي

في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تختمل من تابع في حق متبوع : لما فيه من تعاطي التفاضح على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ؛ وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبتذلة الدائرة بين السوقة ، لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابته إياه بما لا يشبه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهنائي والتعازي ، فإنها تختمل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بمجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس : لأنها مبنية على تحسين اللفظ ، وتزيين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه .

قلت : والذي تراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب : كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجري هذا المنجرى ، ممن تشتمل بلاده على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة . ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية . بخلاف من لا عناية له بذلك : كحكام أصغر البلدان وأصحاب اللغات العجمية : من الروم والفرنج والسودان ومن في معنائهم ؛ فإنه يجب خطابهم بالألفاظ الواضحة ، إلا أن يكون في بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على نهجها فإنه ينبغي مكاتبتهم على سنن البلغاء .

الاصـل التاسع

(أن يُراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،

فيعبر عن كل واحد منهما في كل مكتبة بما يليق به ،

ويُخاطب المكتوب إليه بما يقتضيه مقامه)

فاما المكتوب عنه ، فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته .

فإن كان المكتوب عنه خليفة ، فقد جرت عادة من تقدم من الكُتّاب بالتعبير عنه في الكُتب الصادرة عن أبواب الخلافة بأمير المؤمنين ، مثل أن يقال : فَجَرَى أَمْرُ أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وأَوْعَزَ أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وأَقْتَضَى رَأْيُ أمير المؤمنين كذا ، ونَحَرَجَ أَمْرُ أمير المؤمنين بكذا ، وتَقَدَّمَ أَمْرُ أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وما شاكل ذلك . وربما عُبر عنه بالسلطان ، مثل أن يقال في حقّ المخالفين : وَحَارَبُوا عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ ، أَوْ وَمَنَعُوا خَرَاجَ السُّلْطَانِ وما أشبه ذلك ، يريدون الخليفة ، على ما استقيف عليه في الكُتب التي نُوردها في المكاتب عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقال ابن شيث في ” معالم الكتابة “ : وَيُخاطَبُ بِالْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعَتَبَاتِ الْعَالِيَةِ ، وَمَقَرِّ الرَّحْمَةِ ، وَمَحَلِّ الشَّرَفِ . وذكر المَقَرَّ الشَّهَابِيَّ بن فضل الله في ” التعريف “ نحوه . فقال : وَيُخاطَبُ بِالِدِيَّوَانِ الْعَزِيزِ ، وَالْمَقَامِ الْأَشْرَفِ ، وَالْجَانِبِ الْأَعْلَى أَوْ الشَّرِيفِ ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَجْدُودَةً عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَمَرَّةً غَيْرَ مَجْدُودَةٍ ، مَعَ مِرَاعَاةِ الْمُنَاسَبَةِ ، وَالتَّسْيِيدِ وَالْمُقَارَبَةِ . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخُضْعَانُ عن مخاطبة الخليفة نفسه ، وتزِيلُ الخطاب منزلة مَنْ يُخاطَبُ

نفس الديوان ، والمعنى به ديوان الإنشاء ، إذ الكتب وأنواع المخاطبات إليه واردة عنه صادرة .

وقد سبق في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة نقلاً عن ابن حاجب النعمان في " ذخيرة الكتاب " إنكار هذه الاستعارات والمختبرات ^(١) ، وسيأتي في المكتبة إلى الخلفاء ذكر ترتيبها إن شاء الله تعالى .

وإن كان المكتوب عنه ملكاً ، فقد جرت العادة أن يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، وأمرنا بكذا ، وأقضت آراؤنا الشريفة كذا ، وبرزت مراسيمنا بكذا ، ومرسومنا إلى فلان أن يتقدم بكذا ، أو يتقدم أمره بكذا ، وما أشبه ذلك . وذلك أن ملوك الغرب كانوا يحرون على ذلك في مخاطبتهم ، فجرت الملوك على سلتهم في ذلك . وفي معنى الملوك في ذلك سائر الرؤساء : من الأمراء ، والوزراء ، والعلماء ، والكتّاب ، ونحوهم من ذوى الأقدار العلية ، والأخطار الحليسة ، والمراتب السنية في الدين والدنيا ، ممن يصلح أن يكون أمراً وناهياً ، إذا كتبوا إلى أتباعهم ومأموريهم ، إذ كانت هذه النون مما يختص بذوى التعظيم دون غيرهم . وشاهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة مودة الاختصاص له كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ وغير ذلك من الآيات . قال في " معالم الكتّابة " : وقد أخذ كتّاب المغرب بهذا مع ولادة أمورهم في الجمع بالميم فخطبوا الواحد مخاطبة الجمع مثل : أتم ، وفعلتم ، وأمرتم ، وما أشبه ذلك .

قلت : والأمر في ذلك عندهم مستمر إلى الآن . قال ابن شيث : وهو غير مأمور به عند غيرهم .

وإن كان المكتوب عنه مرءوسا بالنسبة إلى المكتوب إليه كالتابع ومن في معناه ، فقال في "موادّ البيان" : ينبغي أن يتحفظ في الكتب النافذة عنه من الإتيان بنون العظمة وغيرها من الألفاظ التي فيها تعظيم شأن المكتوب عنه مثل أن يقول : أمرت بكذا ، أو نهيت عن كذا ، أو أعزّت بكذا ، أو تقدّم أمرى إلى فلان بكذا ، أو أنهى إلى كذا ، أو خرج أمرى بكذا ، وما في معنى ذلك مما لا يخاطب به الأتباع رؤساءهم ، بل يعدل عن مثل هذه الألفاظ إلى ما يؤدى إلى معناها مما لا عظمة فيه ، مثل أن يقول : وجدت صواب الرأي كذا ففعلته ، ورأيت السياسة تقتضى كذا فأمضيته ، وما أشبه ذلك ، إن كان عرّف الكتاب على الخطاب بالتاء ، وإلا قال : وجد المملوك صواب الرأي كذا ففعله ، ورأى السياسة تقتضى كذا فأمضاه ، وما يجرى هذا المجرى .



وأما المكتوب إليه ، فقال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : ينبغي أن يعرف قدر المكتوب إليه من الرؤساء ، والنظرء ، والعلماء ، والوكلاء : ليفرق بين من يكتب إليه «أنا أفعل كذا» ومن يكتب إليه «نحن نفعل كذا» (فأنا) من كلام الأشباه والإخوان ، (ونحن) من كلام المملوك ، ويفرق بين من يكتب إليه «فإن رأيت أن تفعل كذا» وبين من يكتب إليه : (فرائك) . قال في "موادّ البيان" : وذلك أن قولهم فإن رأيت أن تفعل كذا لفظ النظرء والمساوين ، بخلاف فرائك ، فإنه لا يكتبه إلا جليلاً معظماً : لتضمنها معنى الأمر والتقدير فرائك ، بخلاف فإن رأيت ، فإنه لا أمر فيه ، إذ يقال : فإن رأيت أن تفعل كذا فافعله . على أن الأخفش

قد أنكر هذا على الكُتَّاب ، لأن أقل الناس يقول للسلطان : أنظر في أمري ، ولفظه لفظ الأمر ومعناه السؤال . وذكر مثله في " صناعة الكُتَّاب " عن النحويين . قال في " مواد البيان " : و حجة الكُتَّاب أن المشافهة تحتمل ما لا تحتمله المكتبة ، لأن المشافهة حاضرة يحضر الإنسان لا يمكنه تقييده وترتيبه ، والمكتبة بخلاف ذلك ، فلا عذر لصاحبها في الإخلال بالأدب . قال ابن شيث : وقد أصطلحوا على أن يُكْتَبَ في أواخر الكتب : « وللاراء العالية فضلُ السُّمُو والقُدرة إن شاء الله تعالى » . ودون ذلك : « ولترأى السامى حكمه » ودونه : « والرأى أعلى » . ودونه : « والرأى مُوفَّق » وموفقا بالرفع والنصب . ودونه : « ورأيه » للجلس : « ورأيتها » للخصرة . قال : وربما قالوا : « فإن رأى مولانا أن يكون كذا وكذا أمر به أو فعل » إلا أنها لا تقوم مقام قوله : والرأى أعلى . فأما لمن دونه فمحتمل . وذكر أنه كان مصطلحهم أن يقال في آخر كُتُب السلطان : « فاعلم ذلك وأعمل به إن شاء الله تعالى » . وأن أعيان أصحاب الأقلام كانوا يكتبونه إلى من دونهم .

قلت : والذي استقر عليه الحال أن يُكْتَبَ في مثل ذلك : « وللاراء العالية مزيدُ العلو » وأن تختم الكتابة للأكابر بمثل : « فَنُحِيطَ عِلْمُهُ بِذَلِكَ » ولن دونهم : « فَنُحِيطَ بِذَلِكَ عِلْمًا » وللا صاغر : « فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ وَيَعْتَمِذَهُ » ونحو ذلك . قال محمد بن إبراهيم الشيباني : إن احتجت إلى مخاطبة الملوكة والوزراء والعلماء والكُتَّاب والأدباء والخطباء وأوساط الناس وسوقهم ، فخاطب كلًا منهم على قدر أهليته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كُتُبك ، وتزين كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعْطِيَه قِسْمَتَهُ ، وتُوقِّيَهُ نصيبه ، فإنه متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ،

وَتَجَرِي شُعَاعُ بَلَغَتِكَ فِي غَيْرِ تَجَرَاهُ ، وَتَنْظِمُ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، فَلَا تَعْتَدُ بِالْمَعْنَى الْجَزَلَ مَا لَمْ تَنْكُسْهُ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدَرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ؛ فَإِنْ إِبَاسَكَ الْمَعْنَى - وَإِنْ صَحَّ إِذَا أَشْرَبَ^(١) - لَفْظًا لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَهْنِئَةً لِلْمَعْنَى ، وَإِخْلَالٌ بِقَدَرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَظُلْمٌ يَلْحَقُهُ ، وَنَقْصٌ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ؛ كَمَا أَنَّ فِي آتِبَاعِ مُتَعَارِفِهِمْ ، وَمَا أَنْتَشَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُمْ ، قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ ، وَخُرُوجًا عَنْ حَقِّهِمْ ، وَبُلُوعًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِحُجَّةِ آدَبِهِمْ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : فَاثْمِيلُ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ وَأَجْرِ عَلَيْهَا الْقَوْمَ .

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهَا جِنْسًا بَعِينَةً : كَالْتَهْنِئَةِ وَالتَّعْزِيَةِ وَالْإِعْتِذَارِ وَالْعِتَابِ وَالْإِسْتِظْهَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَعْنَى لِكُلِّ مُخَاطَبٍ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ اللَّفْظِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُخْرِجَ فِي الصِّيغَةِ الْمَشَاكِلَةَ لِلْمُخَاطَبِ ، الَّلَاثِقَةَ بِقَدَرِهِ وَرُبَّتُهُ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ سُلْطَانًا أَوْ وَزِيرًا بِالتَّعْزِيَةِ عَنْ مُصِيبَةٍ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا ، لَمَا جَازَ أَنْ تَبْنِيَ الْكَلَامَ عَلَى وَعْظِهِ وَتَبْصِيرِهِ وَإِرْشَادِهِ وَتَذَكِيرِهِ وَحَضُّهُ عَلَى الْأَخْذِ بِحِظٍّ مِنَ الصَّبْرِ ، وَمُجَانِبَةِ الْجَزَعِ ، وَتَلَقُّ الْحَادِثَاتِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ؛ وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنْ تَبْنِيَ الْخُطَابَ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى شَانًا ، وَأَرْفَعُ مَكَانًا ، وَأَصَحُّ حَرْمًا ، وَأَرْجَحُ حِلْمًا ، مِنْ أَنْ يُعْزَى ؛ بِخِلَافِ الْمُتَأَخَّرِ فِي الرِّبَةِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى تَنْبِيْهَا وَتَذَكِيرًا ، وَهَدَايَةً وَتَبْصِيرًا ، وَيَعْرِفُ الْوَاجِبَ فِي تَلَقُّ السَّرَّاءِ بِالشُّكْرِ ، وَالضَّرَّاءِ بِالصَّبْرِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ إِذَا كَاتَبْتَ رَئِيسًا فِي مَعْنَى الْإِسْتِرَادَةِ وَالشُّكْرِ ، لَا يَجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَاهُمَا فِي أَلْفَاظِهِمَا الْخَاصَّةِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَبْدِلَ عَنْ [أَلْفَاظِ] الشُّكْرِ إِلَى أَلْفَاظِ الشُّكْرِ ،

(١) هَذَا الشَّرْطُ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الضُّوْءِ .

(٢) لَمْ يَذْكُرْ فِي الضُّوْءِ لَفْظَ الْقَوْمِ .

وعن ألفاظ الاستِزادة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر، لتُكون قد رُبَّتْ
كلامك في رُتبته، وانحرجت معنالك مخرج من يستدعي الزيادة لا من يسكو التقصير.
قال ابن شيث في "معالم الكتابة": ولا يخاطبُ السلطانُ في خلال الكتابة إليه
بسيِّدنا مكان مولانا، فإن سيدنا كانها خُصِّصت بأرباب المراتب الدينية والديوانية،
ومولانا تُخَصُّ السلطان وحده، وإن كان من نُعوت السلطان السيِّد الأجل.

قال: على أن ذلك مخالف لمذهب المغاربة: فإنهم يعبرون عن ولاة أمورهم
بالسادة، ويعبرون عن صاحب الأمر بسيِّدنا، وكأن هذا كان في زمانه،
وإلا فالمعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان بالمولى، يقول
أحدهم مولانا فلان. وأهل مصر الآن يُطلقون السادة على أولاد الملوك.

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحه لم يحز أب توريد ذلك مورد التنبيه على
ما أغفله، والإيقاظ لما أهمله، والتعريف من الصواب لما جهله: لأن ذلك
من القبيح الذي لا يحتمله الرؤساء من الأتباع، ولكن تبني الخطاب على أن السلطان
أعلى وأجل رأيا، وأصح فكرا، وأكثر إحاطة بضدور الأمور وأعجازها، وأن آراء
خديمه جزء من رأيه، وأنهم إنما يتفرسون تخاليل الإصابة بما وقفوا عليه من سلوك
مذهبه، والتأديب بأدبه، والارتياض بسياسته، والتثقل في خدمته، وإن مما يقرضونه
في حكم الإشفاق والاهتمام، وما ينبغ عليهم من الإنعام، المطالعة بما يجري في أوهامهم،
ويحدث في أفكارهم، من الأمور التي يتخيلون أن في العمل بها مصلحة للدولة،
وعِمارة للملكة، ليتصفحه بأصالة رأيه التي هي أوفر وأثبت. فإن استصوابه
أمضاه، وإن رأى خلافه ألغاه، وكان الرأي الأعلى ما يراه، إلى غير ذلك مما يجري
هذا المجرى.

قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يقارن الكاتب السلطان في تكرار المواضع التي يقع الالتباس فيها بين الكاتب والمكتوب إليه ، لأن هاء الضمير تعود عليهما معا لما تقدم من ذكرهما ، وإن كان في القرينة ما يدل على ذلك بعد الفكرة وإذا ابتدأ معهم بالملوك لا يقال بعد ذلك العبد ولا الخادم ، وإن كان ذلك جائزا مع غير السلطان .

قال : ولا بأس بتكرار الإشارة إلى السلطان في المواضع التي يجهل فيها الاشتراك بينه وبين المكتوب إليه ، مثل أن يقال : وكان قد ذكر كذا وكذا ، والضمير في كان يصلح لهما معا ، فلا بد هنا من ذكر الملوك ، إن كان الالتباس من جهة الكاتب ، أو مولانا إن كانت الإشارة إلى السلطان .

الأصل العاشر

(أن يُراعى مواقع آيات القرآن والسجع في الكتب ،
وذكر أبيات الشعر في المكتبات)

أما آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر ابن شيث في "معالم الكتابة" أنها في صدر الكتب قد يذكرها الأذننى للأعلى في معنى ما يكتب به ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات المناسبة للوقائع وإن كانت في أثناء الكتب ، فقد آستشهد بها جماعة من الكُتَّاب في خلال كتبهم مما رأيته .



وأما السجع ، فقد ذكر ابن شيث : أنه لا يُفَرَّق فيه بين كتابِ الأعلى للأدنى وبالعكس ، وأنه بما يُكْتَب عن السلطان أليق ؛ لكن قد ذكر بعض المتأخرين أن الكتابة بالسَّجْع نقص في حق المكتوب إليه ، وقضيته أنه لا يُكْتَب به إلا من الأعلى للأدنى ، إلا أن الذي جرى عليه مصطلح كُتِّب الزمان تخصيصه ببعض الكتب دون بعض من الجاهلين .



وأما الشعرُ فيُورِدُه حيثُ يحسنُ إيرادُه ، ويمتنعُ حيثُ يحسنُ منعه ، فليس كلُّ مكاتبة يحسنُ فيها إيرادُ الشعر ، بل يختلفُ الحالُ في ذلك بحسبِ المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه . فأما المكاتباتُ الصادرةُ عن الملوك والصادرةُ إليهم ، فقد ذكر في "موادِّ البيان" : أنه لا يُتمَثَّل فيها بشيءٍ من الشعر ، إجلالاً لهم عن شوبِ العبارة عن عزائم أو أميرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة إليهم ، بما يُخالف تَمَطُّها ووضعها ، ولأن الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعة التَّرسُّل ، وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن .

قلت : الذي ذكره عبدُ الرحيم بنُ شيث في كتابه "معالم الكتابة ومَوَاضِع الإصَابَة" أنه [يُتمَثَّل] بالشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك دون غيرهم ، وهو معارضٌ لما ذكره في "موادِّ البيان" . وكأنه في موادِّ البيان يريد الكُتْب النافذة عن الملوك إلى مَنْ دُونهم ، أو مَنْ دُونهم إليهم . أما الملوك والخُفَاء إذا كتَبوا إلى مَنْ ضاهاهم في أبهة المُلْك وقاربهم في علو الرتبة ، فإنه لا يمتنع التمثُّل بأبيات الشعر فيها ، تطريزاً للنثر بالنظم ، وجمعاً بين جنسَي الكلام اللَّدِينِ هما خلاصة مقاصده .

وما زالت الخلفاء والملوك السالفة يخللون كتبهم الصادرة عنهم إلى نظرائهم في علو الرتبة بالأبيات الرقيقة الألفاظ ، البديعة المعاني ، للاستشهاد على الوقائع المكتوب سببها : كما كتب أمير المؤمنين "عثمان بن عفان" رضى الله عنه حين تملاً عليه القوم واجتمعوا على قتله إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه !

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤَلَا، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلِمَّا أَمْرِي !

وكما كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! إلى معاوية بن أبي سفيان ، في جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع في الخلافة ، فقال في أثناء كتابه : وَزَعَمْتُ أَنِّي لَكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فيكون العذر إليك :

* وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا *

وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية : كما حكى العسكري في "الأوائل" أن أهل حص وثبوا بعاملها فأخرجوه ، ثم وثبوا بعده بعامل آخر ، فأمر المتوكل إبراهيم بن العباس أن يكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه ويختصر ، فكتب .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما قوم به من أود أو عدل به من زيف ، أو لم به من شعث ، ثلاثاً يقدم بعضهن أمام بعض : فأولاهن ما يستظهر به من عظة وجمحة ، ثم ما يشفع به من تحذير وتنبيه ، ثم التي لا ينفع حسم الداء غيرها :

أَنَانَةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدٌ فَإِنْ لَمْ يُجِدْ أَجْدَتْ عَزَائِمُهُ !

(١) أى الصول .

(٢) فى الاصول فى من يقوم به الخ . والتصحيح من "أدب اللغة" للشيخ أحمد السكندري .

ومن كان يُكثِّرُ التَّمَثُّلَ بالشعر في المكاتبات من خُلفاء بني العباس وتَصُدِّرُ إليه المكاتبات كذلك «الناصر لدين الله» حتى يُحْكِي أن الملك الأفضل، عليّ ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب دِمَشْق حين تعصّب عليه أخوه الملك العزيز عثمان وعُثم الملك العادل أبو بكر، كتب إلى الناصر لدين الله يستجيبه عليهما كتاباً يُشير فيه إلى ما تَعَنَّدَهُ الشَّيعة من أن الحقّ في الخلافة كان لعلّي، وأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما تقدّما عليه، إذ كان الناصر يُميل إلى التشيع، وكتب فيه :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أبا بَكْرٍ وصاحِبَه * عُثْمَانُ قَدْ غَضِبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْإِسْمِ كَيْفَ لِيَ * مِنَ الْوَاخِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ !
فكتب إليه الناصر الجواب عن ذلك، وكتب فيه :

وَأَفَى كِتَابِكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ نَاطِقًا * بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ !
غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ يَثْرِبَ نَاصِرُ !
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَلَى الْإِلَهِ حِسَابَهُمْ * وَأَنْبَشِرُ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

وعلى ذلك جرى الملوك القائمون على خُلفاء بني العباس في مكاتباتهم أيضا .
كما كتب أبو إسحاق الصابى عن مُعِزِّ الدولة بن بُوَيّه، إلى عُدّة الدولة أَبِي تَغْلِبَ كِتَابَا يَذْكُرُ لَهُ فِيهِ خِلافَ قَرِيبَيْنِ لَهُ ، لَمْ يُمَكِّنْهُ مَسَاعِدَةُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ، وَاسْتَشْهَدَ فِيهِ بِقَوْلِ الْمُتَلَمِّسِ :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِنْ شَلِّ قَاطِعِ كَفِّهِ * بَكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَاصْبَحَ أَجْدَمَا !
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ ، لَمْ يَجِدْ * لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَيْنَا فَأَحْجَمَا .

وعلى هذا التهج جرى الحال في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . كما كتب القاضي
الفاضل عن السلطان صلاح الدين "يوسف بن أيوب" إلى ديوان الخلافة ببغداد ،
عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتابا ليسلّي الخليفة عنه ، وكان ممن
اساء السيرة وأكثر الفتك ، متمثلا باليتين المقولين في أبي حفص الخلال : وزير
أبي العباس السفاح ، وكان يُعرف بوزير آل محمد .

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تَسَّرَ ، وَرُبَّمَا * كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرًا !

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ * أَوْدَى ، فَمَنْ يَشْنَأَكَ كَانَ وَزِيرًا .

وكما كتب القاضي « محي الدين بن عبد الظاهر » عن « المنصور قلاوون » إلى
صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه
في أمره بأن الحروب مما يشغل عن المصائب في الأولاد ، مستشهدا فيه بقوله :
إذا اعتاد الفتى خَوْضَ الْمَنَآيَا ، * فَأَهْوَنُ مَا تَمُزُّ بِهِ الْوُحُولُ !

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين اليربوري رحمه الله عن "الظاهر برقوق" صاحب
الديار المصرية ، جوابا لصاحب تونس من بلاد المغرب ، وأستشهد فيه بلغة
الكتاب الوارد عنه بقوله :

وَكَلَامٍ كَدَمَعَ صَبَّ غَرِيبٍ * رَقَّ حَتَّى الْهَوَاءُ يَكْنُفُ عِنْدَهُ !

رَأَقَ لَفْظًا ، وَرَقَّ مَعْنَى ، فَأَضْحَى * كُلُّ سِحْرِ مِنَ الْبَلَاةِ عِبْدَهُ !

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم . كما كتب بعض كتاب
السلطان أبي "الحسن المريني" عنه إلى السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون"
صاحب الديار المصرية كتابا يُخَبِّره في خلاله أن صاحب بجاية خرج عن طاعته
ففرّاه ، وأوقع به ويحوشه مائعه ، مستشهدا فيه بقوله :

إِنْ عَادَتِ الْعَقْرُبُ ، عُدْنَا لَهَا * وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ !

إلى غير ذلك من المكاتبات الملوكة التي لا تحصى كثرة . بل ربما وقع التمثل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك إلى من دونهم وبالعكس . كما حكى العسكري في "الأوائل" أن رافعا رفع كتابا إلى الرشيد ، وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَارَا أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ ، * فَفَقِسْ عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوُنُ !
فكتب إليه الرشيد كتابا وكتب في أسفله :

وَرَفَعْتُ نَفْسًا طَالِبًا فَوْقَ قَدْرِهَا * يَسُوقُ لَكَ الْحَتَفَ الْمُعْجَلَّ وَالذَّلَا

وبالجملة فذهاب الناس في التمثل بالشعر في المكاتبات الملوكة مختلفة ، ومقاصدهم متباينة بحسب الأغراض ؛ ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن نباتة هذه المسئلة في جملة أسئلته ، التي سأل عنها كتاب الإنشاء بدمشق ، مخاطبا بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء بها فقال : وَمَنْ كَرِهَ الْأَسْتِشْهَادَ فِي مَكْتَبَةِ الْمُلُوكِ بِالْأَشْعَارِ؟ وَكَيْفَ تَرَكَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ؟ أما المكاتبات الإخوانيات الواقعة بالتماني ، والتعازي ، والتراور ، والتهادي ، والمداعبة ، وسائر أنواع الرقاع في فنون المكاتبات ، فقد قال في "مواد البيان" إنه يجوز أن تُودع أبيات الشعر على سبيل التمثل وعلى سبيل الاختراع ، محتجا بأن الصدر الأول كانوا يستعملون ذلك في هذه المواضع . وهذا الذي ذكره لاحقا فيه ، وكتب الرسائل المدونة من كلام المتقدمين والمتأخرين من كتاب المشرق والمغرب شاهدة بذلك ، ناطقة باستعمال الشعر في المكاتبات ، وأمثالها ونهاياتها ، ما بين البيت والبيتين فاكثر ، حتى القصائد الطوال . وأكثر ما يقع من ذلك البيت المفرد والبيتان فاحول ذلك . كما استشهد القاضي الفاضل في بعض مكاتباته في الشوق بقوله :

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ ، * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي !
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيَسْتَأْذِنُونَنِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْغَعِي !

وكما كتب أيضا لبعض إخوانه في جواب كتاب :

وَكَمْ قُلْتُ حَقًّا : لَيْتَنِي كُنْتُ عِنْدَهُ ! * وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ : لَيْتَهُ عِنْدِي !

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله :

وَحَسِبْتُهُ - وَالْطَّرْفُ مَعْقُودٌ بِهِ - * وَجَهَ الْحَيِّبَ بَدَأَ لَوَجْهِ مُجِبِّهِ !

وكما كتب في كتاب تعزية بصديقي مستشهدا فيه بقوله :

وَذَلِكَ الَّذِي لَا يَبْرَحُ الدَّشَرُ رُزُوءَهُ ، * وَلَا ذِكْرُهُ مَا أَرْزَمَتْ أُمَّ حَائِلٍ .

إلى غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حد ، مما ستقف على الكثير منه في الكلام على مقاصد المكاتبات ، إن شاء الله تعالى .

الأصل الحادى عشر

(أن يأتى فى مكاتبتة بحسن الاختتام)

ويرجع إلى معنيين ، كما فى حُسن الافتتاح المقدم ذكره .

المعنى الأول - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المعنى المختتم به : إما بمعاطاة الأدب من المرئوس إلى الرئيس ونحو ذلك ، وإما بما يقتضى التعزير والتوقير من الرئيس إلى المرئوس ، كالاختتام بالدعاء ونحو ذلك ، مما يقع فى مصطلح كل زمن .

المعنى الثانى - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين من سهولة اللفظ ، وحسن السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات

التحسين ؛ كما كتب الصاحب بن عباد في آخر رسالة له : ” لئن حثت فيما حلفت ، فلا خطوت لتحصيل مجد ، ولا نهضت لاقتناء حمد ، ولا سعت إلى مقام نحر ، ولا حرصت على علو ذكر “ . قال أبو هلال العسكري : فهذه اليمين ، لو سمعها عامر بن الظرب ، لقال هي اليمين الغموس لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

قلت : وأعتبر هذه الأصول [الأحد عشر]^(١) بعد ما تقدم اعتباره في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى ، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آيات القرآن الكريم : من الاختصار ، والحذف ، ومخاطبة الخاص بمخاطبة العام ، ومخاطبة العام بمخاطبة الخاص ، ولا ما يختص بالشعر : من صرف ما لا ينصرف ، وحذف ما لا يحذف ، وقصر الممدود ، ومد المقصور ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وتصغير الاسم في موضع التعظيم ، مثل دُويبية ، وما شاكل ذلك مما تقدم التنبيه عليه في موضعه ، فلا بد من اعتباره هنا .

الأصل الثاني عشر

(أن يعرف مقادير قطع الورق ، وسعة الطرة والهامش ، وسعة بيت العلامة ومقدار ما بين السطور وما يترك في آخر الكتاب)

أما مقدار قطع الورق ، فقد تقدم في المقالة الثالثة أنه يختلف باختلاف المکتوب إليهم عن السلطان ، فكلمها عظم قدر المکتوب إليه ، عظم مقدار قطع الورق ؛ وربما روعي في ذلك قدر المکتوب عنه والمكتوب إليه جميعا .

(١) في الاصل ” العشرة “ .



وأما طول الطَّرة في أعلى الكتاب ، فقد ذكر في ” معالم الكتابة “ أنها تُطَوَّل فيما إذا كان الكتاب من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الأتباع ، وسيأتي أن المصطلح عليه في زماننا أن المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن التَّوَاب ومن في معنهم تكون وصلا واحدا .



وأما مقدار سَعَةِ الهامش فقد سَمِعْتُ بعض فضلاء الكتاب يذكر أن الضابط فيه أن يكون ثلث عرض الدَّرَج المكتوب فيه .



وأما بيتُ العَلامَة فقد تقدَّم أنه يكون مقدارَ نحو شبرٍ في كُتُب السلطان ، أما في غيره - حيث كانت العَلامَة تحت البسملة - فكونُ نحو ثلاثة أصابع أو أربعة .



وأما سَعَة ما بين السطور فقد تقدَّم أنها تكون بمقدار نصف بيتِ العَلامَة . وذكر ابن شيث : أنها ثلاثة أصابع أو أربعة .



وأما [ما يترك في] آخر الكتاب فقد ذكر ابن شيث أنه لا يترك في آخر المكتوبة شيئا .



وأما الخطُّ فإنه كلما غُلِظَ القلم واتسعت السطور كان أنقصَ في رتبة المكتوب إليه وقد ذكر في ” معالم الكتابة “ أن الكتب الصادرة إلى السلطان لا يكونُ بين سُطورها أكثر من إصبعين .

الطَّرْفُ الثَّانِ

(في بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البَسْط والإيجاز،
وما يلائمُ كلَّ مكتبة منها من المعاني)

ولتَعْلَمَ أن المكاتبات على ثلاثة أقسام :

القسم الأول

(ما يُكْتَبُ عن السلطان أو مَنْ في معناه من الرؤساء
إلى الأتباع . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُثْمَلُ فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد آستحسنوا الإيجاز في خمسة مواضع :

أحدها — أن يكون المكتوبُ عن السلطان في أوقات الحُرُوب إلى نُوابِ
الملك . قال في "حُسن التوسل" : فيجب أن يتوخى الإيجاز والألفاظ البليغة
الدالة على القصد ، من غير تطويل ولا بَسْط يُضِيعُ المقصدَ ويفُضِلُ الكلامَ بعضه
من بعض . ولا يعمد في ذلك إلى تهويل لأمر العدو يُضعِفُ القلوبَ ، ولا تهوين
لأمره بحيث يحصل به الاعتذار .

الثاني — أن يكون ما يُكْتَبُ به عن السلطان خبراً يريد التورية به عنه وسرّ
حقائقه ، كإعلامهم بالحوادث الحادثة على الملوك ، والنواب الملمّة بالدولة : من
هزيمة جيش ، أو تغيير رَسْم ، أو إحداثه ، أو تكليف الرعية ما لا يَسْمَلُ عليها تكليفه

وما أشبه ذلك . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يقصد في ذلك إلى الاختصار والإيجاز، ويعدّل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى إلى غيرها مما يحتمل التأويل، ولا تنفّر الأسماع عنه، ولا تُراعِ القلوب به، من غير أن يحتمل كذباً صراحاً، فإنه لاشيء أقبح بالسلطان، ولا أغصّ لشأنه وقدره من أن يضمّن كتابه ما ينكشف للعامة بطلانه . قال وينبئ للكتاب أن يتخلّص من هذا الباب التخلّص الجيّد الذي يُزيّن به الأثر، من غير تصريح بكذب، وأن يخرج الباطل في صورة الحق، ويعرّض سلطانه في ذلك للإجماع والتقريظ من حيث يستحقّ التأييد والإذمام فإن هذه سبيلُ البلاغة، وطريقة فضلاء الصّناعة، لأن الأمر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه إلى كد الخاطر، وإتاعاب الفكر، إذ الألتكن لا يعجز عن التعبير عنه فضلاً عن اللّسن، وإنما الفضل في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضروب من التّويه والتخييل، وإقامة المعاذير، والعَلَل المعقّية على الإساءة والتقصير، من حيث لا يلحق كذبٌ صريحٌ ولا زور مطلق . وليضيق هذا المقام وصعوبة مُرتقاه، أوردته الشيخ جمال الدين بن نُبانة في جملة مسائله التي سأل عنها كُتّاب الإنشاء بدمشق - فقال : وما الذي يُكتَب عن المهزوم إلى مَنْ هزَمه ؟ .

الثالث - أن يكون المكتوب به عن السلطان أمراً أو نهياً . قال في "مواد البيان" : فحكمها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للعاني، الجازمة بالأمر أو النهي . اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهي مما يحتاج إلى رسوم ومثّل يُعمل عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير، بحسب ما يؤمّر به وينهى عنه دون الحذف والإيجاز.

الرابع — أن تكون الكتب المكتوبة عن السلطان باستخراج الخراج وجباية الأموال وتدير الاعمال . قال في "مواد البيان" : فسيهلها أن ينص فيها على ما رآه السلطان ودبره ، ثم يحتتم بفصل مقصور على التوكيد في أمثال أمره وإنفاذه ، ولا يقتصر على ما تقدم ، إيجاباً للحجة ، وتضييقاً للعذر ، وحسباً لأسباب الاعتذار .

الخامس — أن يكون ما يكتب به عن السلطان إحماداً أو إذماً ، أو وعداً أو وعيداً أو استقصاراً أو عدلاً أو توبيخاً . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يشبع الكلام ويمد القول ، بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب إليه : في الإساءة والإحسان ، والاجتهاد والتقصير ، لينشرح صدر المشمر المحسن ، وينبسط أمله ورجاؤه ، ويرتدع المقصر المفسى ، ويرتجع عما يذم منه ، ويتلافى ما قوط فيه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحسنا البسط في موضعين :

أحدهما — أن يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يريد تقرير صورته في نفوس العامة ، كالإخبار بالفتوحات المتجددة في إعلاء الدين والسلطان . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يشبع القول فيها ، ويتنى على الإسهاب والإطناب وتكثير الألفاظ المترادفة ، ليعرفوا قدر النعمة الحادثة ، وتريد بصائرهم في الطاعة ، ويعلموا موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به ، فتقوى قلوب أوليائه ، وتضعف قلوب أعدائه ؛ لأنه لو كتب كتاباً في فتح جليل لقرأ في المحافل والمشاهد العامة على رؤوس

الأشهاد بين العامة ومن يراد تفخيم السلطان في نفسه على صورة الاختصار، لأوقع كلامه في غير رتبته، ودل ذلك على جهله. وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله هذا المقام في كتابه "حسن التوسل" فقال: وإذا كتب في التهاني بالفتوح فليس إلا بسط الكلام والإطناب في شكر نعمة الله تعالى، والتبري من الحول والقوة إلا به، ووصف ما أعطى من النصر. وذكر ما منحه من الثبات، وتعظيم ما يسر من الفتح؛ ثم وصف ما بعد ذلك: من عزم، وإقدام، وصبر، وجلد، عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره، وراق التوسع فيه، وعذب بسط الكلام معه. قال: ثم كُتب آتسع مجال الكلام في ذكر الواقعة ووصفها، كان احسن وأدل على السلامة، وأدعى لسرور المكتوب إليه، وأحسن لتوقع المنّة عنده، واشهى إلى سمعه، واشفى لقليل شوقه إلى معرفة الحال. قال: ولا بأس بتحويل أمر العدو، ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به.

قال في "مواد البيان": ولا يحتاج للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزارقة، على ارتفاع خطره، وطول زمانه، وعظم صيته، من سألوه فيه مسلك الاختصار؛ حيث كتب فيه:

«الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه، وجعل الحمد متصلاً ب نعمه؛ وقضى ان لا ينقطع المزيد من فضله، حتى ينقطع الشكر من خلقه. ثم إنّا كنّا وعدونا على حالين مختلفين، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا، ويرون منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم؛ فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم: ينصرون الله ويخذلهم، ويمحصنا ويمحقهم؛ حتى بلغ الكتاب يناديهم أجله ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ والحمد لله رب العالمين».

فإنه إنما حَسُنَ في موضعه لمخاطبة السُّلطان به، ولغرض كانت المكتبة فيه . قال : فإن كَتَبَ مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو ما يقاربه ، ليُورَدَ على العامة ، ويُقرَّرَ في نفوسهم به قدر النعمة ، لم يحسن موقعه ، وخرج عن شرط البلاغة بوضعه لِيَأْه في غير موضعه ، وذكر العسكري "نحو ذلك في" "الصناعين" .

ثم قال في "حسن التوسل" : وإن كان المكتوبُ إليه مَلِكًا صاحبَ مملكة بمقرَّده ، تعيَّن أن يكون البَسْطُ أكثرَ ، والإطنابُ والتهويلُ أبلغَ ، والشرحُ أتمَّ . ثم قال : وإن اضْطُرَّ أن يكتُبَ مثلَ ذلك إلى ملكٍ غير مسلم لكنه غيرُ محارِبٍ ، فالحكم في ذلك أن يذكُرَ من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المَسَارَ ، وأنَّ أمرَ هذا العدوِّ مع كثرتِه أخذَ بأطراف الأنامل ، وآل أمرُه إلى ما آل . ويُعْظَمُ ذكرُ ما جرى عليه من القتل والأُسْر . ويقول : إن تلك عوائدُ نصرِ الله تعالى لنا ، وأنَّ نِقَامَه مِنَّ عادانا ،

وإن كان المكتوبُ إليه مَتَمًّا بمِلااة العدوِّ ، كتب إليه بما يدل على التَّقرِيع والتَّهْكُم والتَّهْدِيد في مَعْرِضِ الإخْبار .

الثاني — أن يكون ما يكتُب به عن السلطان في أوقات حركات العدوِّ إلى أهل الثُّغُور ، يُعلمهم بالحركة للقاء عدوِّهم . قال في "حسن التوسل" : فيجب أن يُبَسِّط القولُ في وصف العزائم ، وقوَّة الهمم ، وشِدَّة الحِمِيَّة للدين ، وكثرة العساكر والجُيُوش وسُرعة الحركة ، وطَيِّ المراحل ، ومعالجة العدوِّ ، وتخيل أسباب النَّصر ، والوُثُوق بعوائد الله تعالى في الظُّفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبَسْط آمالهم ، وحَثِّهم على التَّيقُّظ ، وحفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك . ويُبرِزُ ذلك في أمثل كلام وأجلَّ وأمكنه ، وأقربِه من القوَّة والبَسالة ، وأبعده من اللين والرقَّة . ويُبالغ في وصف الإنابة إلى الله تعالى واستنزال نصره وتأنييده ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والاعتصام به

في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم وزلزلة اقدامهم وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح ببطلان حركتهم، ورجاء تأخيرهم، وانتظار العرضيات في ضعفهم، لما في ذلك من إيهام الضعف عن لقائهم، واستشعار الوهم والخوف منهم .

القسم الثاني

(ما يكتب به عن الأتباع إلى السلطان والطبقة العليا من الرؤساء، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعمل فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحبوا الإيجاز في ثلاثة مواضع :

احدها — أن يكون ما يكتب به من باب الشكر على نعمة يُسبغها سلطانه عليه، وعارفة يُسديها إليه . قال في "مواد البيان" : فسيبيله أن لا يبينها على الإسهاب وتجاوز الحد، بل يبينها على اللفظ الوجيز، الجامع لمعانى الشكر، المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد، فإن إطناب الأصاغر في شكر الرؤساء داخل في باب الإجحار والإبرام، ولا سيما إذا رجعوا إلى خصوصية وتقديم خدمة . وكذلك لا يكثر من الثناء عليه ، لأن ذلك من باب الملق الذي لا يليق إلا بالأبعاد الذين لم يتقدم لهم من الموات والحرم ما يدل على حجة عقائدهم، ولم يُضف عليهم من النعم ما يوجب خلوص نياتهم . أما إذا كان المثنى أجنبيا متكسبا بالتقريظ والثناء، فإنه لا يقبح به الإيغال والإغراق فيها . قال : وكذلك لا ينبغي للخاصة الإكثار من الدعاء، وتكرره في صدور الكتب

عند ما يحرى ذكر الرئيس ، فإن في ذلك مشقة وكلفة يستقلها الملوك . والحكم فيما يستعمل من ذلك في الكتب شبيه بما يستعمل شفاهاً منه . ويقبح من خادم السلطان أن يشغل سمعه في مخاطبته إياه بكثرة الدعاء وتكريره .

الثاني — أن يكون ما يكتب به التابع إلى السلطان ونحوه في سؤال حُسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال : في ”موادّ البيان“ : فينبى القول على الإيجاز ويمزج الشكوى بالشكر والاعتداد بالآلاء ، والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البر ، والإلحاق بالطبقة الرابعة في إيلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس ، وأدعى إلى بلوغ الغرض ، ولا يكثر شكوى الحال وراثتها ، وأستلاء الخصاصة والفقر عليه ، فإن ذلك يجمع إلى الإخبار والإبرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه ، وقلة ظهور نعمته عليه ، وذلك مما يكرهه الرؤساء ويذمونه .

الثالث — أن يكون ما يكتب به التابع إلى المتبوع من باب التنصل والاعتذار عن شيء قُرف به عند رئيسه . قال في ”موادّ البيان“ : فسيله أن يبنى كلامه على الاختصار ، ويعيدل عن الإسهاب والإطناب ، ويقصد إلى التكت التي تُزيل ما عرض عنده من الشبهة في أمره ، وتمحو الوجدة السابقة إلى ضمير رئيسه ، ولا يصرح ببراءة الساحة عن الإساءة والتقصير ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم ، لأن عادتهم جاريةً بآثار أعراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط ، والإقرار بالمقروف به ليكون لهم في العفو عند الإقرار موضع منة مستأنفة تستدعي شكرًا ، وعافية مستجدّة تقتضى نشرًا . أما إذا أقام التابع الحجة على براءته مما قُرف به ، فلا موضع للإحسان إليه في إقراره على منزلته والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدرًا واجبا له ، إن منعه إياه ظلمه وتعدى عليه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحبوا البسط هنا في موضع واحد : وهو ما إذا كان ما يكتب به التابع إلى السلطان واقعاً في باب الإخبار بأحوال ما ينظر فيه من الأعمال ، وما يجري على يديه من المهمات . قال في "موادّ البيان" فسيبيله أن يوفّق حقّه في الشرح والبيان ، ويسلك فيه طريقةً يجمع فيها بين إيضاح الأغراض من غير هدّر يضجر ويملّ ، ولا اختصار يقصر ويخلّ ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلة التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير كلفة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوغير أو إيهام ، إلا أن يعرض له في المكاتب ما يحتاج إلى التورية والكناية كما تقدّم فيما إذا أطلق عدو لسانه في السلطان فإنه يحتاج إلى الكناية عنه على ما مرّ .

القسم الثالث

(ما يكتب به إلى الأكفاء والنظراء ، والطبقة الثانية من الرؤساء)

قال في "موادّ البيان" : وسيل مكاتبتهم أن يؤتى فيها باللفظ المساوي للعنى من غير إيجاز ولا إطناب : لأنها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمين . ولا يخفى أن ما ذكره إنما هو عند الوقوف مع حقائق المكاتبات . أما الإخوانيات المطلقة ، فإنها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب ، وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر ، وما توجه دأله عليه .

وسياتى في مقاصد المكاتبات من أمثلة الأقسام الثلاثة ما يوضح مقاصدها ويقرب مأخذها إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أمور تختص بالأجوبة ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيانِ أىّ الأمرين من الابتداء والجواب أعلى رتبةً وأبلغُ في صناعة الكتابة)
وقد اختلف الكتاب في ذلك : فذهب أكثرُ البلغاء إلى أن الكتب الجوابية
أثعبُ مطلباً وأصعبُ مُرتقى من الكتب الابتدائية ، وأن فيها تظهرُ مهارةُ الكاتب
وحِذْقه ، لا سيما إذا كان الخطاب محتملاً للاعتذار^(١) والاعتلال عن امتثال الأوامر
والنواهي ، والتورية عن نصوص الأحوال ، والإعراض عن ظواهرها ، قائداً إلى
استعمال المغالطة ، موجِّهاً للانفصال عن الاحتجاج والإلزام ، ونحو ذلك مما يؤدي إلى
الخلاص من المكاره .

واحتجوا لترجيح ذلك بوجوه .

منها — أن المبتدئ مُحَكَّم في كتابه ، يتبدى بالفاظه كيف شاء ، ويقطعها حيث
يشاء ، ويتصرف في التقديم والتأخير ، والحذف والإثبات ، والإيجاز والإسهاب ،
ويبنى على أساس يؤسسه لنفسه ، والمحجب ليس له تقديم ولا تأخير ، وإنما هو
تابع لغرض المبتدئ ، وبان على أساسه .

ومنها — أن المحجب — إذا كان جوابه محتملاً للإشباع والتوسع — مضطراً إلى
اقتصاص ألفاظ المبتدئ وأتباعها للإجابة عنها ، وذلك يؤدي إلى تصفح كلام
المبتدئ والمحجب ويصل ما بين الكلامين : لأن الكلامين يتقابلان فلا تخفى رتبتهما
والفاضل منهما من الرُّدْل ، وهذا مرفوعٌ عن المبتدئ .

(١) أى حاملاً ومشتبلاً .

ومنها - أن تأليف الكلام وانتظامه وأتساقه وألثامه يُقدَّر منها المبتدئ على ما لا
يقدَّر عليه المحيَّب : لأنَّ الجواب يُفَصِّل أجزاء الكلام ويُبدِّد نظامه ويُقسِّمه
أقسامًا ، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول
وأما كذا وأما كذا ، فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها
في المنفصل .

أما إذا كان الجواب مقتضبا مبنيًا على أمثال مأمور ، أو انتهاء عن منهي عنه ،
فإنه سهل المرام ، قريب المتناول : لأنه إنما يشتمل على ذكر وُصول الكتاب والعمل
بما فيه .

وذهب صاحب "موادِّ البيان" إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على حدٍّ
واحد ، وإن كان الكاتب قد يُجيد في الابتداء ولا يجيد في الجواب وبالعكس ، محتجًا
لذلك بأن كلاً من المبتدئ والمحيَّب ممتاح من جودَّة الغريزة ، محتاج من البلاغة
والصناعة إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأنَّ الكاتب يكون تارة مبتدئًا وتارة محيَّبًا ،
وليست الإجابة بصناعة على حيالها ، ولا البداية بصناعة على حيالها ، بل هما كالنوعين
للجنس ، ولا منع من أن يكون الكاتب ماهرًا في نوع دون نوع .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأعم كاتبًا عن نفسه وإنما يكون كاتبًا عن أمرٍ
يأمره بالكتابة في أغراضه ويسألها إليه منشورة ، فيحتاج إلى نظمها وصنّها وإبرازها
في صورةٍ محيطيةٍ بجميع تلك الأغراض من غير إخلال بشيء منها ؛ فعلى المبتدئ
من المشقة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها

(١) الظاهر أن كان زائدة والاصل وأن الكاتب قد يجيد آخ كما يفيد المعنى وآخر العبارة .

في سلك البلاغة مثل ما على المحيب من المشقة في توفية فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بل كلفة المحيب قريبة ، لأنه يستنيط من نفس معاني كتاب المبتدئ للعاني التي يُحِبُّ بها : لأن الجواب لا يخلو من أن يكون يوافق الأبتداء أو يناقضه : فإن وافقه فالأمر سهل ، وإن ناقضه فإن كل نقيض قائم في الوهم على مقابلة نقيضه ، إلا أنه أتعب على كل حال من الموافق ، ولا شك أن الجواب بتجزئته قد خفف تحمله : إذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج عن جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله . ثم قال : وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ، ولكن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه .

الجملة الثانية

(في بيان ترتيب الأجوبة)

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْجَوَابِ حَالَتَيْنِ :

الحالة الأولى — أن يكون الجواب من الرئيس إلى المرءوس عما كتب به الرئيس إليه ، فالذي ذكره في ”مواد البيان“ أن للرئيس أن يبنى حكاية كتاب مرءوسه إليه في جوابه على الاختصار ، ويجمع معانيه في ألفاظ وجيزة ، محيط بها وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وفهمناه .

الحالة الثانية — أن يكون الجواب من المرءوس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس إليه ، قال في ”مواد البيان“ : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب

رئيسه على نصّها ويُقصّها على وجهها من غير إخلال بشيء منها ، إعظاماً لقدّر الرئيس وإجلالاً لخطابه . قال : وليس للجيب إن مرّ في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موضعها أن يُبدّلها بغيرها : لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصحّ من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه . قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتابُ الوارد على الجيب في معنى الشكر والتّقرّيز من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نصه : لأنه يصير ذلك مادحاً نفسه ، ومدح الإنسان نفسه غير سائغ ؛ ولا يجوز أن يُهمّل ذكره جملةً لأنه يكون قد أخلّ بما يجب من شكره له على تشرّيف رتبته بإحاده له والثناء عليه ، بل الواجب أن يُوقع تلك الصفة على جملة تجعل نفسه بعضاً منها ، مثل أن يقول : « فاما ما وصفه من اعتداده بخادِمه في جملة من نهض بحقوق خدمته ، وقام بفرض طاعته ، فأهله لما يرفع الأقدار من إحاده وثنائه ، ويُعلي الأخطار من شكره ودُعائه » وما يضاهي هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ رئيسه ، فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التّفخيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصّة دون إيقاع المدح عليها فقط .

قلت : هذا هو الترتيب الذي يجب اعتداه في الأجوبة ، فلا يجوز الخروج عنه إلى غيره ؛ على أن تُكتب زماننا قد اطّرحوا النظر في ذلك جملةً ، وصاروا يكتبون الأجوبة بحسب التشبّه : فمنهم من يحكي الكتاب الذي يقع الجواب عنه بنصه مطلقاً ، سواء كان من رئيس أومرءوس وبالعكس ، مع قطع النظر عما وراء ذلك . فتنبه لهذه الجملة فإنها دقيقةٌ جليّةٌ .

الفضل الثاني

من الباب الأول من المقالة الرابعة

(في ذكر أصول المكاتبات وترتيبها، وبيان لواحقها
ولوازمها . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في ذكر أصولها وترتيبها . وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات إلى أهل الإسلام)

وأعلم أن المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زماننا لا يأخذها
حد، ولا تدخل تحت حصر .

والمشهور استعماله منها في دواوين الإنشاء على اختلاف الأزمان خمسة عشر أسلوباً .

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ الكتبُ بلفظ «من فلان إلى فلان»)

قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وأول من كتب بذلك قس بن
ساعدة الإيادي ؛ وعلى ذلك كانت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من
الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب :
"من محمد رسول الله إلى فلان" . ثم كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته :
"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم" . ثم كتب عمر بعده : "من عمر

أَبْنِ الْخَطَّابِ خَلِيفَةَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فُلَانٍ . فَلَمَّا لُقِّبَ
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَادَ فِي ذَلِكَ لَفْظَ «عَبْدِ اللَّهِ» قَبْلَ عُمَرَ، وَلَقَّبَ «أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» بَعْدَهُ ؛
فَكَانَ يَكْتُبُ : «مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانٍ» . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ
إِلَى خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُزَادَ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ بَعْدَ «فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ» . وَبِحَرِيِّ الْأَمْرِ
عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَنِهِ وَمَا بَعْدَهُ . قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي «الْأَوَائِلِ» : وَكَانَ ذَلِكَ
مِنْ أَجْلِ مَنَاقِبِهِ . قَالَ صَاحِبُ «ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ» : وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ قَالَ لِيَحْيَى
أَبْنِ خَالِدٍ : إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي كُتُبِي : «مَنْ عَبْدُ اللَّهِ هَارُونَ الْإِمَامُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» - فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : قَدْ عَرَفَ اللَّهُ
نِيَّتَكَ فِي هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! [وَأُجْزِلَ] لَكَ الْأَجْرُ ، وَالتَّعَبُدُ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا لغيرِهِ - قَالَ : فَأَكْتُبُ «مَنْ هَارُونَ مَوْلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» - فَقَالَ : إِنْ الْمَوْلَى
رَبَّمَا كَانَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَبْنُ الْعَمِّ ، وَجَزَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا عَنْ هَذِهِ النِّيَّةِ
وَهَذَا الْفِكْرِ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُقْتَضَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ «لِفُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ» أَوْ «إِلَى فُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ»)

وَبَقِيَّةُ الصَّدْرِ ، وَالتَّخْلُصُ بِ«أَمَّا بَعْدُ» أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْإِحْتِمَامُ بِالسَّلَامِ

وغيره على ما تقدم في الأسلوب الأول

وقد اختلف العلماء في جواز الابتداء في المكاتبة باسم المكتوب إليه : فذهب
جماعة من العلماء إلى جواز ذلك ، محتجين بأن الصحابة رضي الله عنهم وبعض الملوك

(١) لعله جدي وسقط لفظ جده من عبارة الضوء . وهي أوضح وأصرح .

كانوا يكتبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . كما كتب إليه خالد بن الوليد والنجاشي والمقوقس في إحدى الروايات ، على ما سيأتي ذكره في المكاتبات إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ فليبدأ بنفسه ، إلّا إلى والدٍ أو والدَةٍ أو إمامٍ يخافُ عِقوبَتَه “ وعن نافع قال : كانت لابن عمر إلى معاوية حاجةٌ ، فقال له ولده : أبدأُ به في الكتاب ، فلم يزالوا به حتى كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى معاوية من عبد الله بن عمر » . وعن الأوزاعي أنه كان يكتب إلى عمر بن عبد العزيز فيبدأ به فلا يُنكر ذلك . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كتب عمر (يعني ابن عبد العزيز) إلى الحجاج ، فبدأ بالحجاج قبل نفسه - فقبل له في ذلك - فقال : بدأتُ به لأحقنَ دمَ رجلٍ من المسلمين . قال سعيد : فحقن له دمه . وعن بكر بن عبد الله أنه كتب إلى عاملٍ في حاجة ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى فلانٍ من بكر » - فقبل له أتبدأ باسمه فقال : وما على أن أَرْضَى صاحبي وتُقضى حاجةُ أخي المسلم ؟ قال في ” صناعة الكتاب “ : وعلى ذلك جرى التعارف في المكاتبة إلى الإمام .

وذهب قوم إلى كراهة ذلك ، لأنه مأخوذٌ عن ملوك العجم . قال ميمون ابن مهران : كان العجم يبدؤون بملوكهم إذا كتبوا إليهم . وقد روى عن العلاء ابن الحضرمي أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه . وعن الربيع ابن أنيس قال : ما كان أحدٌ أعظمَ حرمةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون إليه يبدؤون بأنفسهم . وعلى ذلك جرى في ” نهاية الأرب “ فقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرأءُ جيوشه يكتبون إليه

كما يكتب إليهم : يبدؤون بأنفسهم . وعن ميمون بن مهران أنه قال : كان ابن عمر إذا كتب إلى أبيه كتب « من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب » . وعن يحيى بن سعيد القطان قال : قلت لسفيان الثوري : اكتب إلى أمير المؤمنين يعني المهدي ، قال : إن كتبت إليه بدأت بنفسى - قلت : فلا تكتب إليه إذن . وهذه الأقوال كلها جانحة إلى ترجيح بدء المكتوب عنه بنفسه . قال أبو جعفر النحاس : وهذا عند أكثر الناس هو الإجماع الصحيح ؛ لأنه هو إجماع الصحابة رضى الله عنهم .

ولتعلم أن الداهيين إلى جواز الابتداء باسم المكتوب إليه اختلفوا : فذهب قوم إلى أنه إنما يكتب « إلى فلان من فلان » كما تقدم في كتاب ابن عمر إلى معاوية ، ولا يكتب « لفلان من فلان » . وأستشهد لذلك بما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : يكتب الرجل « من فلان إلى فلان » ولا يكتب لفلان ؛ وبما روى عن هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه قال : كانوا يكرهون أن يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » لكن قد روى أن رجلا كتب عند ابن عمر « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » فقال ابن عمر : مه ! فإن أسم الله هوله إذن . ومقتضى ذلك أن الكراهة إنما هي لإيهام أن البسملة للمكتوب إليه ، لا للابتداء باسم المكتوب إليه .

وذهب طائفة إلى جواز أن يكتب « لفلان من فلان » واحتج لذلك بما روى عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن ابن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر » وهو ظاهر ، فقد كانت مكاتبة خالد بن الوليد والنجاشي والمقوقس

« لمحمد رسول الله » على ما سياتى ذكره . وعلى ذلك كانت المكتبة للخلفاء : فكان يُكتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من عماله وغيرهم « لعبد الله عمر امير المؤمنين » وعلى ذلك جرى الحال فى المكتبة الى سائر الخلفاء بعده على ما ستقف عليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ان يفتح الكتاب بلفظ أما بعد)

وعليه ورد بعض المكاتبات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء من الصحابة فمن بعدهم فى صدر الإسلام على ما سياتى ذكره إن شاء الله تعالى . وكانوا بعد حدوث الدعاء فى المكاتبات يُتبعونها بالدعاء بطول البقاء غالبا ، فيقال : « أما بعد أطال الله بقاءك » ونحو ذلك ؛ ثم أُضرب عنها بعض الكتب بعد ذلك . قال أبو هلال العسكري : فى كتابه « الصناعتين » : وكان الناس فيما مضى يستعملون فى أوائل فصول الرسائل « أما بعد » وقد تركها جماعة من الكتب فلا يكادون يستعملونها . قال : وأظنهم أَلَمُوا بقول ابن القريّة - وقد سأله المجاج عما يُنكره من خطابه - فقال : إنك تُكثر الرّد ، وتشير باليد ، وتستعين بأما بعد . فتحاموها لهذه الجهة . ثم قال : فإن استعملتها أتباعا للسلف ورغبة فيما جاء فيها من التأويل أنها فصل الخطاب ، فهو حسن ؛ وإن تركتها توخيا لمطابقة أهل عصرك ، وكرهية للخروج عما أصلوه لم تكن ضائرا . أما الآن فقد ترك الابتداء فى الكتب بأما بعد

(١) فى الاصل وعلى كل حال وهو سبق قلم كما هو ظاهر .

حتى لا يكاد يُعَوَّل عليها في الابتداء كاتبٌ من كتّاب الزمان ، ولا يَفْتَحُ بها مكاتبة .
نعم يؤتى بها في أثناء بعض المكاتبات على ماسياتي ذكره إن شاء الله تعالى .
وقد تقدّم الكلام على معناها وأوّل مَنْ قالها في الكلام على الفواتح في المقالة
الثالثة ، وكتّاب المغاربة ربما أفتَحُوا مكاتباتهم بلفظ وبعد .

الأسلوب الرابع

(أن تفتتح المكاتبة بِحُطْبَةٍ مَفْتَحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ)

وأصل هذه المكاتبة مختلّس من الأسلوب الأوّل من قولهم : فإني أحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو . ثم جاء عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد : آخر
خلفاء بني أميّة ، وأطال التّحميدات في صدور الكتب مع الإتيان بأما بعد ،
وتبعه الكتّاب على ذلك ؛ ثم توسّعوا فيه حتى كرّروا الحمد المرّات في الكتاب
الواحد ، لاسيّما في أما كن النعم الحادثة ، كالفتوحات ونحوها ؛ ثم توسّع بعض
الكتّاب في ذلك حتى جعل الحمد لله أفتاحا ، واستمرّ ذلك إلى الآن . وعلى ذلك
بعض المكاتبات السلطانية في زماننا ، على ما ستقف على ذلك جميعه في مواضعه
إن شاء الله تعالى .

ولا خفاء في أن الحمد أفضل الافتتاحات ، وأعلى مراتب الابتداءات ، وإن لم
يقع الابتداء به في صدر الإسلام ، فهو من المبتدعات المستحسنّة . وحيث أفتحت
المكاتبة بالحمد لله كان التخلّص منها إلى المقصود بأما بعد ؛ وربما وقع التخلّص
بغير ذلك ، ويكون الاختتام فيها تارةً بالسّلام ، وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . قال
أبن شيث في " معالم الكتّابة " : والتّحميد في أوّل الكتب لا يكون إلا في الكتب

المكتوبة عن السلطان . قال : وغاية عظمة الكاتب أن يكرّر التحيمة ثانية وثالثة في الكتاب ، ثم يذكر الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : والتكرار في الحمد يكون بحسب مقدار النعمة المكتوب بسببها من فتح ونحوه .

الأسلوب الخامس

(أن تفتح الكتاب بلفظ « كتابي إليك » أو « كتابنا إليك من موضع كذا ، أو في وقت كذا والأمر على كذا » وتشرح القضية ؛ وتختتم المكتبة « بكتابنا إليك » بنحو قولك : « فإن رأيت أن تفعل كذا فعلت » والمكتبة « بكتابي إليك » بنحو قولك : « فرأيك في كذا » وما يجري هذا المجرى)

والأصل في هذه المكتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في بعض المكتبات الصادرة عنه : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان ، أو إلى الجماعة الفلانية » . فلما كان أيام بني بويه في أثناء الدولة العباسية ، استخرج كتابها من هذا المعنى الابتداء « بكتابي إليك » إذا كانت المكتبة إلى النظر ومن في معناه ، والابتداء « بكتابنا إليك » إذا كانت المكتبة عمن له رتبة نون العظمة من الملوك ونحوهم ؛ وكانوا يتبعون ذلك بالدعاء بطول البقاء نحو « كتابي إليك أطال الله بقاءك » أو « كتابنا إليك أطال الله بقاءك » . وربما عبر « بهذه الخدمة »^(١) وما أشبه ذلك ، ويكون التخلص فيه إلى المقصد بواو الحال ، مثل أن يقال : « كتابي إليك والأمر على كذا وكذا » ونحو ذلك ؛ وربما وقع التخلص بخلاف ذلك . ويكون الاختتام فيه

(١) أي عبر بديل كتابي إليك مثله بقوله . « هذه الخدمة إليك » كما يؤخذ مما يأتي في الأسلوب الحادي عشر

تارةً بالسلام وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . وَكُتِبَ الْمَغْرِبَ عَدَلُوا عَنْ لَفْظِ الْأَسْمِ فِي كِتَابِي إِلَى لَفْظِ الْفِعْلِ . مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : « كَتَبْنَا إِلَيْكَ » أَوْ « كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا ، أَوْ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا » .

الاسلوب السادس

(أن تقع المكتبة بلفظ «كَتَبَ» بصيغة الفعل)

وهذه المكتبة كان يُكْتَبَ بها عن الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ إِلَى الْخُلَفَاءِ . فَيَكْتُبُ الْوَزِيرُ وَنَحْوُهُ : « كَتَبَ عَبْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » أَوْ « كَتَبَ الْعَبْدُ مِنْ مَحَلِّ خِدْمَتِهِ بِمَكَانِ كَذَا ، وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا » . وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ يَجْرِي كُتَابُ الْمَغَارِبَةِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ كُتُبِهِمْ ، مِثْلُ « إِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ مَحَلِّ كَذَا » أَوْ « كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَحَلِّ كَذَا » وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَهَذِهِ فِي الْأَصْلِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْأُسْلُوبِ الَّذِي قَبْلُ .

الاسلوب السابع

(أن يقع الافتتاح بالدعاء)

وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ : أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ جَرَيَانِ الْخِلَافِ وَوُقُوعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمَا : « أَمَا بَعْدُ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ السُّوءِ » . ثُمَّ زَادَ النَّاسُ فِي الدُّعَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي جَوَازِ الْمَكْتُبَةِ بِالْدُّعَاءِ فِي الْجُمْلَةِ : فَذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ كَمَا يَجُوزُ الدُّعَاءُ فِي غَيْرِ الْمَكْتُبَةِ ، سِوَاهُ تَضَمُّنِ الدُّعَاءِ مَعْنَى الدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ أَمْ لَا . وَهُوَ

الذى ربحه محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" وإليه يميل كلام غيره أيضا، وحكاها النحاس عن أبي جعفر أحمد بن سلامة، وكلامه يميل إلى ترجيحه .
أما ما يتضمن معنى الدوام والبقاء ، فلما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي اليسر كعب ابن عتبة^(١) : «اللهم أمتعنا به» قال النحاس : وذلك دليل الجواز، بل حكي عن بعضهم أن الداء بطول البقاء أكل الداء وأنقذه ، لأن كل نعمة لا يُنتفع بها إلا مع طول البقاء . ثم قال : والمعنى في الداء في المكتبات التردد والتجرب ؛ وقد أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يكونوا إخوانا ، ومن أخوتهم ود بعضهم بعضا . وكذلك القول بما يؤكد الأخوة بينهم والمودة من بعضهم لبعض ، وإذا قال له ذلك ، كان قد بلغ من قلبه نهاية مبلغ مثله منه ؛ ويكون من قال ذلك قد علم من قلبه في شأنه ما يكون من قلب مثله . وقد قال الشيخ محي الدين النووي : من قال لصاحبه - حفظا لمودة - : «أدام الله لك النعم» ونحو ذلك فلا بأس به .



وأما ما لم يتضمن معنى الدوام والبقاء : كالعزيز والكرامة ، فقد روى عن كعب ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكُم مَقْتَلَ حمزة ؟ فقلت : أعزك الله ! أنا رأيته » . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم ، فضن الناس بمجالسهم فلم يوسع له أحدا ، فرمى له رسول الله صلى الله عليه وسلم يردته وقال اجلس عليها يا جرير ، فتلقاها بوجهه ونحوه فقبلها ثم ردها على ظهره ، وقال : أكرمك الله

(١) سبق في صفحة ٢٩٢ من هذا الجزء كعب بن عبيد الله والذي في "خلاصة تذهيب تذهيب الكمال"

للخزرجي ص ٣٢١ أنه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غزية بن سنواد بن غم بن كعب بن سسلبة الانصارى السلمي بالفتح أبو اليسر بفتح التحتانية عقي بدرى جليل . فلعل عليه اسم أمه .

يارسول الله كما أكرمته» فقد دعا له صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك بالعز، وجرير ابن عبد الله بالكرامة ولم يُنكر ذلك على واحد منهما .

وذهب آخرون إلى أنه لا تجوز المكتبة بالدعاء، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء أم لا : لأنه خلاف ماوردت به السنة وجرى عليه اصطلاح السلف .

وفصل بعضهم فقال : إن كان الدعاء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو « أكرمك الله بطاعته » و « تولاك بحفظه » و « أسعدك بمعرفته » و « أعزك بنصره » جاز، لحديث كعب بن مالك وجرير بن عبد الله المتقدمين . وإن كان مما يتضمن معنى الدوام والبقاء، نحو « أطال الله بقاءك » و « نساأجلك » و « أمتع بك » وما أشبه ذلك ، لم تجز المكتبة به .

وأحتج لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه " أن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : اللهم أمتني بزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية - فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دعوت الله لآجال مضرورية ، وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ! ولو سألت الله أن يقيك عذاب النار لكان خيرا لك " وبما روى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه ! قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « جعلني الله فداك » . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما تركت أعرايتك بعد؟ » فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة والزبير الدعاء بما فيه طول البقاء ، وإذا امتنع ذلك في مطلق الدعاء ، امتنع في المكتبة من باب أولى : لخالفه طرقها التي وردت بها السنة . قال حماد بن سلمة : كانت مكتبة المسلمين « من فلان إلى فلان » أما بعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله

أن يصلى على محمد عبده وآل محمد « حتى أحدث الزنادقة - لعنهم الله - هذه المكاتبه التي أولها « أطال الله بقاءك » .

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أول من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة . وقد قال الإمام الرافعي وغيره من أئمة أصحابنا الشافعية : إن الدعاء بالطلبة - وهي أطال الله بقاءك - لأصل له في الشرع . قال الشيخ محي الدين النووي : وقد نص السلف على كراهته . ونقل النحاس عن بعضهم : أنه استحب تقييده بالإضافة إلى شيء آخر، مثل أن يكتب « أطال الله بقاءك في طاعته وكرامته » أو « أطال الله بقاءك في أسر عيش وأتم بال » وما أشبه ذلك .

وأعلم أن الناس قد آخلفوا في صورة الابتداء بالدعاء : فالأولون - لابتداع الدعاء في المكاتبات - كانوا يفتتحون بطول البقاء للخلفاء وغيرهم ؛ ثم توسعت الطبقة الثانية من الكتاب في المكاتبه فافتتحوا بالدعاء للخلفاء والملوك بخلود الملك ، ودوام الأيام ، ودوام السلطان وخلوده ، وما في معنى ذلك ؛ ولمن دونهم بعد النصر والنصرة والأنصار بدوام النعمة وخلود السعادة ومد الظل وإسباغ الظلال ، وغير ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على مصطلح كل طبقة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم للكتاب ^(١) في الخطاب بالدعاء مذهبان :

أحدهما - أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب ، نحو « أطال الله بقاءك ، وأعزك الله ، وأكرمك الله ، وأدام كرامتك وسعادتك » وما أشبه ذلك .

والثاني - أن يقع بلفظ الدعاء للغائب مثل : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين » و« أطال الله بقاء سيدي » و« أطال الله بقاء مولانا » أو « أعز الله أنصار المقام أو المقر »

(١) كذا في الأصول ولعله في الاثنيان بالدعاء الخ .

أو « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب » أو « أدام الله نعمة الجَنَاب أو المجلس » وما أشبه ذلك .

قال في "صناعة الكتاب" : وهو أجل الدعاء فيما أصطلحوا عليه . قال : ورأيتُ عليَّ بن سليان يُنكر ذلك ويقول : الدعاء للغائب جهلٌ باللغة ، ونحن ندعو الله عز وجل بالمخاطبة .

الأسلوب الثامن

(أن يُفْتَحَ الكُتَابُ بِالسَّلامِ)

ويقع التخلُّص إلى المقصود بلفظ « وَبُئِى لَعَلْمِهِ » أو نحو ذلك ، ويقع الاختتام فيه بالسَّلام أيضا ؛ وهو منترَع من قولهم في صدر المكتبة في الأسلوب الأول : سَلامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّى أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ ؛ تصرف الكُتَّاب فيه بفعلوا السَّلام في ابتداء المكتبة ، وصاروا يتدثرونها بنحو سَلامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ . وقد كانوا يتدثرون المكتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسَّلام في بعض الأحيان ، وعلى ذلك استقرَّت المكتبة عن الخليفة الآن . وبه يُفْتَحُ بعض المكتبات إلى مشايخ الصُّوفِيَّة ، على ما سيأتى في الكلام عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال في "صناعة الكُتَّاب" : وإنما قدَّموا السَّلام على الرحمة لتصرُّفه : لأنه من أسماء الله تعالى أوجعُ سلامة . قال في "مواد البيان" : أو أَسْمٌ لِلجَنَّةِ كما في قوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم عَقَّب ذلك بأن قال : والسَّلام في هذا الموضع من السَّلامَة ، وتقديمُ السَّلامَة التي تكونُ في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة .

الأسلوب التاسع (أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِقَبْلِ الْأَرْضِ)

ويتخلص إلى المقصود بلفظ « وينهى » ويقع الاختتام بـ « طالع » أو « أنهى » وهذه المكتبة مما هو موجود في بعض مكاتبات القاضى الفاضل ، ولم أرها فيما قبله ؛ وكأنهم لما استعملوا في صدور المكاتبات إلى الخلفاء المكتبة بقبلي الأرض والعتبات ونحو ذلك ، استنبطوا منه ابتداء مكتبة وجعلوها لمكتبة الرؤساء من السلطان ومن في معناه بالنسبة إلى الرؤوس . والأصل في ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر في الأمم الخالية كانت بالسجود ، كما يحیی المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ : كانت تحية الناس يومئذ سجدوا بعضهم لبعض ، وعليه حمل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ على أحد التفاسير ، وهو المرجح عند الإمام نحر الدين وغيره من المفسرين . قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله في تفسيره : وكان ذلك مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسيخ في ملتنا . قال معاذ « يارسول الله ! إني قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لآسافقتهم وعلماهم فانت يارسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : [لا] لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لا أمرت المرأة أن تسجد لبعلها من عظم حقه عليها » . وعن ضبيب : « أن معاذ [لما] قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ [ماهذا ؟] قال [إن اليهود تسجد لِعُظْمَائِهَا وَعُلَمَائِهَا ، ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقها ، قلت ماهذا ؟ قالوا تحية الأنبياء - فقال عليه السلام : كذبوا على أنبيائهم » .

(١) الزيادة عن تفسير ابن كثير .

(٢) الزيادة عن مفاتيح الغيب للفتح الرازي .

وعن سفيان الثوري عن سَمَّكِ بْنِ هَانِي قَالَ : دَخَلَ الْجَائِلِيُّ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَسْجُدْ لِلَّهِ وَلَا تَسْجُدْ لِي .

فلما وردت شريعة الإسلام بنسخ التحية بالسجود وغلب ملوك العجم على الأقطار، استصحبوا ما كان عليه الأمر في الأمم الخالية، وعبروا عنه بتقيل الأرض فراراً من اسم السجود ولورود الشريعة بالنهي عنه ؛ واستمر ذلك تحية الملوك إلى الآن، فاستعار الكتاب ذلك ونقلوه من الفعل إلى اللفظ ، فاستعملوه في مكاتبتهم إلى الخلفاء والملوك ؛ ثم توسعوا في ذلك فكتبوا به كل من له عظمة بالنسبة إلى المكتوب عنه، ورثوه مراتب على ماسياتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ولا خفاء فيما في هذه المكتبة من الكراهة .

الأسلوب العاشر

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِقَبْلِ الْيَدِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْبَاسِطِ وَالْبَاسِطَةِ)

ويقع التخلص منه إلى المقصود بما يقع به التخلص في الأسلوب الذي قبله من الإنهاء ؛ ويُحْتَمُّ بالدعاء ونحوه .

والأصل في هذه المكتبة أن يُقْبَلَ الْيَدُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِمَّا يُؤْذَنُ بِالْعَظِيمِ ، وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ وَزِيَادَةُ الرَّفْعَةِ ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَمْنُوعٍ فِي الشَّرِيعَةِ . فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ : « أَنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَأْيَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا أَبُو هَارٍ : قُومِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبِّلِي يَدَهُ » . وَلَمْ يَكُنِ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَأْمُرَهَا بِمَا هُوَ مَمْنُوعٌ فِي الشَّرِيعَةِ . وَقَدْ نَصَّ الْفُقَهَاءُ

رحمهم الله على أنه يجوز تَقْيِيلُ يَدِ العالم والرجُلِ الصالح ونحوهما ، فاستعار الكُتَّاب ذلك ونقلوه من الفعل إلى الكتابة أيضا ، كما فعلوا في تَقْيِيلِ الأرض ، ورَتَّبوه مراتب على ما سياتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . على أن بعض الكُتَّاب قد جعل يُقْبَلُ القَدَم رتبةً بين يُقْبَلُ الأرضَ ويُقْبَلُ اليد وما في معناها ، وهو ظاهر لكنه لم يشتهر في عُرف الكُتَّاب .

الأسلوب الحادى عشر

(أن يُفْتَحَ الكُتَّابُ بلفظ « صدرتِ المكتبة »)

ويتخلص فيها إلى المقصود بلفظ « وتوضَّع لعلمه » أو « موضحة لعلمه » . وما أشبه ذلك . ويقع الاختتامُ فيها بمثل « والله الموفق » ونحو ذلك . وربما قيل فيها : « أُصْدِرَتْ هذه المكتبة » أو « أُصْدِرَناها » .

وأصل هذه المكتبة أنه كان يُكْتَبُ في الدَّولة السَّلْجُوقِيَّة ببغداد ، والدولة الأيوبيَّة بالديار المصرية « صدرت هذه الخدمة » أو « أُصْدِرَتْ هذه الخدمة » . وربما كتب « صدرت هذه الجملة » فعدل عنه كُتَّاب الزمان بالديار المصرية ومن قاربهم إلى التعبير بقولهم : « صدرت هذه المكتبة » . على أن كُتَّاب الزمان بالديار المصرية إنما أخذوها من صُدُور المكاتبات المفتحة بالدعاء : مثل أعزَّ الله أنصار المقرِّ ، حيث يقال في تصديرها « أُصْدِرَناها » ومثل « ضاعف الله نعمة الجَنَاب » و « أدام الله نعمة الجَنَاب أو المجلس » وما أشبه ذلك ، حيث يقال في تصديرها : « صدرت هذه المكتبة » فجعلوا الصُّدُور ابتداء .

الأسلوب الثاني عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذه المكتبة »)

ويتخلص منها إلى المقصود بنحو ما وقع التخلص به في الأسلوب الذي قبله ،
ويقع الاختتام بمثل ما وقع به اختتامه .

وهذه المكتبة مأخوذة في الأصل من ابتدائهم في الأسلوب الخامس بلفظ :
« كتابي إليك » وما في معناه ، على أن تُكَّاب الزمان إنما أخذوا ذلك من المكتبة التي
قبلها ، فجعلوا بعض الصِّدر فيها ابتداءً ، كما جعلوا جميع الصِّدر ابتداءً في الأسلوب
الذي قبلها .

الأسلوب الثالث عشر

(أن يفتح الكتاب بالإعلام)

كما يكتب كُتَّاب الزمان : « يعلمُ فلانٌ أنَّ الأمر كذا وكذا » والاختتام فيها بمثل
الأسلوبين اللذين قبلها ولا تخلص فيها ، لأن الافتتاح فيها موصول إلى المقصود . على
أن الصواب إثبات اللام في أولها ، بأن يقال : « ليعلمُ فلان » لأن لام الأمر لا يجوز
حذفها على ما تقرَّر في آخر المقالة الثالثة . وعلى ذلك كتب غازانُ أحد ملوك بني
جنك خان ببغداد وما معها إلى الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار
المصرية ، وكُتِبَ الجوابُ عن الملك الناصر إليه كذلك ، على ما سيأتي ذكره في موضعه
إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الرابع عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « يخدم »)

مثل « يخدم الجنب » أو « يخدم المجلس » وما أشبه ذلك . ويكون التخلّص منها بمثل : « ويُنهى » أو « ويُنْدى » ونحو ذلك ؛ ويقع الاختتام فيها بالدعاء . وهذه المكتبة كانت مستعملة في مكاتبات الفاضل بقلّة ، وتداولها الكتاب بعد ذلك إلى أن صارت مستعملة بين الكتاب في المكاتبات الدائرة بين أهل الدولة في زماننا ؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك وتركَتْ حتّى لم يستعملها منهم إلا القليل النادر .

الاسلوب الخامس عشر

(أن يُفتح الكتاب بلفظ الخِلافة أو المَقام الذى شأنه كذا ،

أو الإمارة التى شأنها كذا)

مثل : « خلافة فلان » أو « مقام فلان » أو « إمارة فلان » وما أشبه ذلك . ثم يقع التخلّص فى ذلك بمثل : « معظّم مقامها يُخصّها بسلامٍ صِفْتُهُ كذا ويبدى لعلمها كذا » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بالسلام ؛ وهذا الأسلوب مما آخِضَ به كُتّاب المغرب لآسيا المتأخرون منهم ، على ما سياتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قلت : ووراء هذه الأساليب أساليب أخرى لكتاب أهل الشرق والغرب بالديار المصرية فى الأزمنة المتقدمة ، لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حدّ ، وأكثر ما تكون فى الإخوانيات ، وسيأتى ذكر الكثير من أنواعها فى مواضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

المجلة الثانية

(في المكاتبات إلى أهل الكُفر؛ وللكُتاب فيه أُسلوبان)

الأُسلوب الأول

(أن تُفتَح المكاتبة بلفظ «من فلانٍ إلى فلان»)

وعلى ذلك كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفر، وكان يكتب في مكاتباته صلى الله عليه وسلم : «السلام على من أتبع الهدى» بدل «والسلام» ويتخلص فيها بأما بعد تارة، وبغيرها أخرى؛ وعلى ذلك جرى الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم، وخلفاء بنى أمية، وخلفاء بنى العباس ببغداد، ومن شاركهم في الأمر من ملوك بنى بويه وبنى سنجوق ومن في معانهم . وتُختَم هذه المكاتبة تارة بلفظ «والسلام على من أتبع الهدى» إن لم يذكر السلام في الأول، وتارة بغير ذلك .

الاسلوب الثاني

(أن تُفتَح المكاتبة بالدعاء)

كما يكتبُ كُتاب الزمان «أطال الله بقاء الحضرة الفلانية : حضرة المليك الفلانى» أو «أطال الله بقاء المليك الفلانى» وما أشبه ذلك . وقد تقدّم الخلاف في أصل جواز المكاتبة بالدعاء ، وما قيل في الدعاء بطول البقاء وما في معناه : من الكراهة ، وأن جماعة من العلماء والكُتاب أجازوه .

فإن قيل : على تقدير جواز ذلك في حقّ المسلم ، فكيف يجوز في حقّ الكافر . فالجواب أنه قد ورد «أنت النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى»

فقال له : جَمَلَك اللهُ ، فما رُؤى الشَّيْبُ في وَجْهِهِ حَتَّى مات » فقد دعا صَلَّى اللهُ عليه وسلم ليهودىٍّ بالجمال ، وقد لا يكون في طول بقائه على الإسلام ضررٌ ، بل قد يكون فيه نفعٌ ، كحملِ حِزْبِيَّة ونحوه ، وإنما يُمنَعُ الدَّعاءُ له بالعِزِّ والنَّصر وما في معنى ذلك .

تنبيه — اعلم أن الأجوبة قد تُفتَحَ بما تُفتَحُ به الابتداءات من الأساليب المتقدمة ، ثم يُؤتى بالأجوبة في أثناءها مثل أن يقال : « وقد وصل كتابُ المجلس أو الجَنَاب » أو « وردتْ مكاتبته » أو « عُرِضَتْ مكاتبته على أمير المؤمنين ، أو على المَسَامع الشريفة » وما أشبه ذلك . وقد يُجملُ الجوابُ ابتداءً ، فيُفتَحَ الكتابُ بنحو : « عُرِضَتْ مكاتبك على أمير المؤمنين » مثلاً كما كان يكتب في الزمن المتقدم ، أو « عُرِضَتْ المكاتبَةُ الواصلةُ من جهة المجلس أو الجَنَاب الفلاني على المَسَامع الشريفة » أو « وردتْ مكاتبته » أو « وصلتْ مكاتبته » ونحو ذلك ، ويُؤتى على ما تَضَمَّنَتْهُ المكاتبَةُ وما اقتضاه الجوابُ عنه ؛ ثم يُؤتى في الاختتام بنظير ما يُؤتى به في المكاتبَةِ المبتدأة .

الطرف الثاني

(في ذكر لواحق المكاتبات ولوازمها ، وفيه ستُّ جملٍ)

الجملة الأولى

(في التَّرجمة عن المكتوب عنه)

أما التَّرجمة عن السلطان ، فقد ذكر ابنُ شيث أنَّ مصطَلَح الدولة الأيوبيَّة أن يُكْتَبَ لأربابِ خِدْمَتِهِ العلامة فإنها أليقُ به معهم . فإن أراد تمييزَ أحدٍ منهم ، كتب له بخطه شيئاً مكانَ العلامة ؛ وأن ترجمته للفقهاء والقضاة وذوى التَّنَسُّك « أخوه »

و «ولده» . وذكر أن الأحسن أن يقال في «ولده» «محل ولده» لقوله تعالى :
 (أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ) أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه : لقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)
 وقوله : (فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) وذكر أنه يترجم لهؤلاء من ولي الأمر أيضا :
 «المعترف ببركته» و «المُتبرك بدعائه» و «المرتبن بمودته» . وذكر أن الفقهاء
 والقضاة وذوي التنسك يترجمون عن أنفسهم بـ «الخادم» ودون ذلك «خادمه» .

قال : وربما ترفعوا عن الترجمة بهذه اللفظة مطلقا فقالوا : «الخادم بالدعاء
 الصالح» أو «الخادم بدعائه» . قال : وأهل الورع خاصة يترجمون بـ «الفقير إلى
 رحمة الله» . وربما راعوا المترجم له مثل أن يكون ولي الأمر ، فيقول : «العبد
 الفقير إلى رحمة الله» ويعنى أنه عبد الله ، ويحصل بذلك المقصود من الأدب مع
 السلطان . ومنهم من يكتب : «الداعي لدولته» و «المبتل بدعائه الصالح لأيامه»
 و «المواظب على خدمته بالدعاء» وأمثال ذلك . قال : وأكثر الناس يرى الترجمة
 لولده ، فإن ترجم له لم يسم اسمه لأنه ليس له والدان ، ولا أقل من أن يكون بينه
 وبين من يكتب بوالده غير الأب هذا الفرق ؛ فأما أن يقول : «والده فلان بن
 فلان» بحيث يذكر اسم أبيه فقيح . ثم قد كانوا في الزمن الأول يكتفون بذكر اسم
 المكتوب عنه في صدر الكتاب وعنوانه ، نحو : «من فلان إلى فلان» ثم أحدث
 الكتاب في أيام بني بويه وما بعدها تراجم ربوها ، بعضها أرفع من بعض .

وقد ذكر في «ذخيرة الكتاب» لذلك مراتب في الصدور والعنوان بعضها أعلى
 من بعض ، فجعل أعلاها بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ، ودونه
 «صديقه» ودونه «محبه» ودونه «شاكوه» ودونه «المعتد به» ودونه «أخوه»
 ودونه «وليّه» ودونه «عبدّه» ودونه «خادمه» ودونه «عبدّه وخادمه» ودونه

«العبد» ودونه «العبد الخادم» ودونه «الصنيعة» ودونه «مملوك» ودونه «المملوك» ودونه «المملوك الصنيعة». وهو الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . ثم قال : ويتفرع من هذه الأصول فروع كثيرة لا تحصر مما يختاره الكتاب ويقترحونه ويتكرونها ، ويكتبون به أصدقاؤهم وأوداءهم حسب ما تقتضيه موداتهم وتوجيه مصافاتهم : كصفي مودته ، والمفتخر بمحبته ، والمعتمد على أخوته ؛ وعبد مودته ، وخادم مجده ، وشاكر أيديه ، وحامد تفضله ، والمعتمد بتطوله وما يجري هذا المجرى مما هو أوسع من أن يجمع وأكثر من أن يمحصر ؛ ولكنه أكثر ما يكون بين النظراء والأقران .

ورتب عبد الرحيم بن شيث في "معالم الكتابة" ترتيباً آخر : فذكر أن الترجمة إلى ديوان الخلافة من ذوى الولايات كلهم «العبد» ومن الملوك كلهم «الخادم» وأن الترجمة إلى الملوك من الأجناد كلهم «المملوك» مع النسبة إلى أشهر ألقاب الملك : كالناصرى للناصر ، والعالى للعاقل ، وما جرى مجرى ذلك . ودون المملوك في الخضوع : «عبد» ، وخادمه «ودونه» «العبد» مفردة . ودونه «مملوك» ودونه «العبد الخادم» لأن الثانى كأنه ناسخ للأول ؛ ودونه «الخادم» ودونه «عبد» ودونه «خادم» ودونه «عبد وأخوه» ودونه «أخوه» ودونه «شاكر تفضله» ودونه «شاكر إحسانه» ودونه «شاكر مودته» ودونه «وليّه وصفيّه» ودونه «محبّه وواده وشاكره» . ودونه الأسم ، ودونه العلامة .

ثم قال : أما «أصغر الممالك» وما يجري مجراها ، فلا يليق من الأجانب . ورأيت في دستور صغير فى المكاتبات يعزى للمقر الشهابى بن فضل الله ، أن أكبر الآداب فى أسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرق» ثم «المملوك الأصغر» ثم «المملوك المحب» ثم «المملوك الداعى» ثم «مملوكه ومحبه» ثم «الخادم»

ثم «خادمه» ثم «أخوه» ثم «مُحبُّه» ثم «شاكِره» ثم «الفقيرُ إلى الله تعالى» .
ولا يخفى ما في بعض هذه التراجم من التخالف بين ما ذكره وما تقدّم ذكره عن
«ذخيرة الكُتّاب» .

والذي استقرّ عليه الحال في زماننا في ترجمة العلامة بالقلم الشريف السلطاني
«أخوه» ثم «والده» ثم الأسمُ ؛ وفي حق غيره «المملوك» ثم الأسم . وربما كتب
بعضهم «العبد» بدل الأسم تواضعا . على أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد
والمملوك : فذهب بعضهم إلى منع ذلك ، محتجا بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أَمَتِي ، كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ
وَلَكِنْ غُلَامِي وَجَارِيتِي » . والذي عليه العمل جواز ذلك احتجاجا بقوله تعالى :
(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) والاستدلال به لا يخلو من نزاع ؛
وقضاة القضاة يكتبون «الدّاعي» .

الجملة الثانية

(في العُنوان ، وفيه سبع لغات)

حكّاها صاحبُ «ذخيرة الكُتّاب» . واقتصر في «صناعة الكُتّاب» على ذكر
بعضها : إحداها عُنوان - بضم العين وواو بعد النون . والثانية عُنوان - بضم العين
وياء تحتيّة بعد الثّون . والثالثة عُنوان - بكسر العين . والرابعة علّوان - بضم العين
ولام بدل النون . والخامسة علّوان - بفتحها . والسادسة علّوان - بكسرها .
والسابعة علّيان بالكسر مع إبدال الواو ياء ؛ ويجمع عُنوان على عَنَوينَ ، وعُنوان
على علاوينَ . ويقال : عَنَوْتُ الكُتّابَ عَنَوْنَةً وعلّوْنَتُهُ علّونة ، وعَنَنْتُه بنونين الأولى

منهما مشددة تَعْنِينَا، وَعَيْنَتِه بنون مشددة بعدها ياء تَعْنِيَّةٌ، وَعَوْنَتُه أَعْنُوهُ عَنُوا بفتح العين وسكون النون، وَعُنُوا بضمهما وتشديد الواو .

وَأَخْتَلَفَ فِي أَشْتَقَاقِهِ : فَمَنْ قَالَ عُنْوَانٌ، جَعَلَهُ مَأْخُودًا مِنَ الْعُنْوَانِ بِمَعْنَى الْإِثْرِ، لِأَنَّ عُنْوَانَ الْكِتَابِ [أَثَرِيَّانٌ] ^(١) مِمَّنْ هُوَ إِلَى مَنْ هُوَ . قَالَ النَّحَّاسُ : وَأَكْثَرُ الْكُتَّابِ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا ؛ وَأَحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ يَذْكُرُ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « عُمَانَ بْنِ عُمَانَ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

صَحُّوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ * يَقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقُرْءَانًا

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعُنْوَانَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : عَنَتِ الْأَرْضُ تَعْنُو إِذَا أَخْرَجَتِ النَّبَاتَ، وَأَعْنَاهَا الْمَطَرُ إِذَا أَظْهَرَ نَبَاتَهَا . قَالَ النَّحَّاسُ : فَيَكُونُ عُنْوَانٌ عَلَى هَذَا فُعْلَانًا يَنْصَرِفُ فِي النَّكِرَةِ وَلَا يَنْصَرِفُ فِي الْمَعْرِفَةِ . وَقِيلَ هُوَ مَأْخُودٌ مِنْ عَنَ يَعْنُ، إِذَا عَرَضَ وَبَدَأ . قَالَ النَّحَّاسُ : فَعِلٌ هَذَا يَنْصَرِفُ فِي النَّكِرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ فُعْلَالٌ .

وَمَنْ قَالَ : عُنوانٌ ، أَبْدَلَ مِنَ النَّونِ لَامًا ، كَمَا فِي صَيْدَلَانِي وَصَيْدَنَانِي ؛ فَيَكُونُ الْأَشْتِقَاقُ وَاحِدًا . وَقِيلَ عُنوانٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَانِيَةِ، لِأَنَّهُ خُطُّ ظَاهِرٌ عَلَى الْكِتَابِ .

وَمَنْ قَالَ : عُنْيَانٌ وَعَيْنِيَانٌ، جَعَلَهُ مِنْ عَيْنَتِ فَلَانًا بِكَذَا إِذَا قَصَدْتَهُ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَالْعُنْوَانُ كَالْعَلَامَةِ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَرْتَبَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ . وَالْأَصْلُ ^(٢) فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَسْمِهِمَا حَتَّى لَا يَكُونَ الْكِتَابُ مَجْهُولًا، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِيهِ « مِنْ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ » أَوْ « لِفُلَانٍ مِنْ فَلَانٍ » قَالَ : وَلَمْ يَزَالُوا يَكْتَابُونَ بِأَسْمَائِهِمْ إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ وَلُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) الزيادة من الضوء للؤلؤ ص ٤٤١ .

(٢) عبارة الضوء والمعنى فيه وهو مراده بما هنا .

فكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . ثم وقع الاصطلاح على العنونة للرؤساء والنظرء والمرؤوسين والأتباع بالأسماء ؛ ثم تغير هذا الرسم أيضا .

وكان المأمون يكتب في أول عنوانات كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكانت تكتب قبل اسم المكتوب إليه والمكتوب عنه . وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن ذلك بقي إلى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة . قال في « مواد البيان » : ثم بطل بعد ذلك . قال : والأصل فيه أن يُبتدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب إليه وهو الترتيب الذي تشهد به العقول : لأن نفوذ الكتاب من المكتوب عنه إلى المكتوب إليه كمنشئ الشيء وخروجه من ابتداء إلى نهاية . فابتدأه من المكتوب عنه ، وأتمهاؤه إلى المكتوب إليه ؛ ولفظ « من » يتقدم لفظ « إلى » بالطبع : لأن حرف « من » ينبئ عن منشئ الشيء ، و « إلى » حرف يُخبر عن النهاية التي عندها قرار الشيء ؛ والابتداء آت في الأشياء قبل النهايات .

قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الأئمة الماضية ؛ ثم عرّض للناس رأي في تغيير هذا الرسم إلى غيره ، ففرّقوا بين مراتب المكاتيب من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم اسم المكتوب إليه إذا قصدوا إعظامه وإجلاله وتأخير اسم المكتوب عنه ، وراؤا أنه الصواب الصحيح . على أن كتاب زماننا يقتضون في أكثر عنواناتهم على ذكر المكتوب إليه دون المكتوب عنه ولا يذكرون المكتوب عنه إلا في مكاتبات خاصة قليلة . قال في « صناعة الكتاب » : ولا يتكنى المكتوب عنه على نظيره ، بل يتسمى له ولن فوقه ، ثم يقول : المعروف بأبي فلان . وإن كانت كنيته أشهر من اسمه واسم

(١) أبیه ، جاز أن یکتب کنته بغير ألف ویجرىها مجرى الأسم . قال النحاس : وإن کان الکتاب إلى اثنين أحدهما أكبر من الآخر ، فيقدم الأكبر ، وكذلك لو کان إلى ثلاثة . قال أبو جعفر النحاس : وقد استحسن جماعة أن یصغر أسم المكتوب عنه على عنوانات الكتب ، ورأوا أن ذلك تواضع . وما ذكره هو المستعمل في المكاتبات الجارية عليه حکم الدواوين إلى زماننا . والأصل في ذلك ما ذكره النحاس أن الحجاج ابن یوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو خليفة في طومار : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ثم كتب في طرته بقلم ضئيل : من الحجاج بن یوسف ، فجرى الكتاب على أسلوبه فيما بعد .

قال في " معالم الكتابة " : ولا یكثر النعوت ولا الدعاء على العنوان للسلطان ولا للكبراء ، أما من الأعلى إلى الأدنى فحسن . وقد تقدم في مقدمة الكتاب أن صاحب دیوان الإنشاء هو الذى یعنون الكتب السلطانية ، وأنها كانت لا تعنون قبل كتابة السلطان عليها علامته ؛ والذى استقر عليه الحال في كتب السلطان وما في معناها من المشتمة على الألقاب أن تكتب الألقاب في العنوان ، ويدعى فيها بدعوة واحدة وهى المفتتح بها المكاتبه .

(١) عبارة الضوء « جاز أن یکتب کنته ویجرىها ... الخ » وهى واضحة ولكن قد ورد في مسالك الأبصار في کتاب اقطاع النبی صلى الله علیه وسلم إلى تمیم الداری وذكره المؤلف فیا تقدم أن الکنیه فیه بغير ألف ونص على ذلك ، فلعل مراده أن الکنیه فی هذه الكتب تكتب بغير ألف فیقال فی أبی بکر یو بکر .

(٢) لأن ذلك يؤذن بشریف المكتوب إليه كما تقدم .

الجملة الثالثة

(في طي الكتاب وختمه)

أما طيه فمعروف ، وهو أن يُلفَّ بعضُه على بعض لَفًّا خاصًّا . والطّي في اللغة خلافُ النَّشرِ ؛ ويقال : طوى الكتاب يطويه طيًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ . والترتيب في ذلك أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب : لأن المقصودَ صَوْنُ المكتوبِ فيه .

ثم للناس في صورة الطّي طريقتان :

الطريقة الأولى - أن يكون لهُ مَدَوْرًا كُتُوبُهُ الرَّخْ ، وهى طريقة كُتُبِ الشرق من قديم الزمان وإلى الآن .

والطريقة الثانية - أن يكون طيه مبسوطا في قَدْرِ عَرْضِ أربعة أصابع مطبوقة ، وعلى ذلك كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . فقد ذكر عبد الرحيم ابن شيث من كُتّاب دولتهم : أن طي الكُتُبِ السلطانية يكون عَرْضُ أربعة أصابع ، وكذلك من العليّة إلى دُونِهِمْ ، أما الكُتُبُ من الأدنى إلى الأعلى فلا يُجَاوِزُ به عَرْضُ إصبعين ، وهذا ظاهر في أن الطّي يكون عَمْرِيًّا لَمُدَوْرًا ، وهى طريقة أهل المَغْرِبِ والرُّومِ والفرَنْجِ .



وأما ختمه ، فالتختم مصدر خَتمَ ، يقال : خَتمَ الكتابَ يَخْتِمُهُ خَتْمًا ، ومعناه الطَّبْعُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ والمراد شَدُّ رأسِ الكتابِ والطَّبْعُ عليه بالخاتَمِ ، حتّى لا يَطْلُعَ أَحَدٌ على ما في باطنه حتّى يَقْضَهُ المكتوبُ إليه ، على ما سياتى ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أمر مطلوبٌ مُرَغَّبٌ فيه ، فن كلام عمر

رضى الله عنه : « طِبْنَةُ خَيْرٌ مِنْ طِنَّةٍ » يعنى أَنَّ خَتَمَ الْكَتَابِ بِطِبْنَةٍ خَيْرٌ مِنْ طِنَّةٍ تَقَعُ فِي الْكَتَابِ بِالنَّظَرِ فِيهِ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ قُصَصٍ ، وَالطِّبْنَةُ التَّهْمَةُ . وَمِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ : « اخْتِمَ تَسْلِمٌ » . وَمِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ : « إِنْ طَيَّنْتَ وَإِلَّا وَقَعْتَ » يعنى إِنْ طَيَّنْتَ الْكَتَابَ وَإِلَّا وَقَعْتَ فِي الْمَحْذُورِ . وَيُقَالُ : إِنْ فِي خَتَمِ الْكَتَابِ تَعْظِيماً لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ . قَالَ بَزْرَجُمُ أَحَدِ مَلُوكِ الْفُرْسِ : مَنْ لَمْ يَخْتِمْ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِصَاحِبِهِ ، وَجُهْلٌ فِي رَأْيِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَوَّلَ مِنْ خَتَمِ الْكَتَابِ سَلِيَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ فُسرَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَلْقَيْسَ : « إِنِّي أُلْقِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ » بِأَنَّهُ مَخْتُومٌ . وَعَلَى نَهْجِهِ فِي ذَلِكَ جَرَتْ مَلُوكُ الْعَجَمِ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَلَمْ تَزَلْ كَتَبُ الْعَرَبُ مَذْشُورَةً حَتَّى كَتَبَ عُمَرُ بْنُ هِنْدٍ الصَّحِيفَةَ إِلَى الْمُتَمَلِّسِ ، فَقَرَأَهَا وَلَمْ يُوصِّلَهَا ، فَخَتَمَتِ الْعَرَبُ الْكُتُبَ مِنْ حِينَئِذٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ الْعَجَمِ فَقِيلَ لَهُ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا غَيْرَ مَخْتُومٍ ، فَأَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ حَدِيدٌ ، فَوَضَعَهُ فِي إصْبَعِهِ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ انْبِذْهُ مِنْ إصْبَعِكَ ، فَنَبَذَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ نُحَاسٌ فَوَضَعَهُ فِي إصْبَعِهِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ انْبِذْهُ مِنْ إصْبَعِكَ فَنَبَذَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ ، فَاتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ نَفَقَمَ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِنَ الْأَعَاجِمِ ، وَنُقِشَ عَلَيْهِ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ثَلَاثَةٌ أَسْطُرٌ ، وَكَانَ الْخَاتَمُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ تَخَتَّمَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُبِضَ ، ثُمَّ تَخَتَّمَّ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ تَخَتَّمَّ بِهِ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى بَيْتِ أَرَيْسَ مِنْ بَنَاتِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ عَبَثَ بِالْخَاتَمِ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَتَرَاحَ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ ^(١)

(١) قَالَ " فِي إِرْشَادِ السَّارِي " شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٨ ص ٣٦٢ لَا يَنْصَرَفُ عَلَى الْأَصْحِ . وَتَقُلُّ صَاحِبُ " تَاجِ الْعُرُوسِ " عَنْ أَبِي مَالِكٍ جَوَازَ صَرْفِهِ . وَقَالَ أَبُو فَرَّاسٍ الْهَمَزِيُّ وَالرَّاءُ وَالسِّينُ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً .

من الماء فلم يُوجد ، فلما يئس منه أمر أن يُصاغ له خاتم مثله وينقش عليه «مجد رسول الله» ففعل ذلك وتحم به . هكذا أورده صاحب «ذخيرة الكتاب» وبعضه في الصحيح . وقيل : إن نقش الخاتم الذي آتخذه كان «أمنت باللهي خالق قسوى» . وقيل : كان نقشه «لتصبرن أولتدمن» .

ثم كان لكل من الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه خاتم يختم به ، عليه نقش مخصوص : فكان نقش خاتم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه «المُلك لله الواحد القهار» ونقش خاتم ابنه الحسن «لا إله إلا الله الملك الحق المبين» ونقش خاتم معاوية بن أبى سفيان «لكل عمل ثواب» وقيل : «لا قوة إلا بالله» ونقش خاتم يزيد بن معاوية «ربنا الله» ونقش خاتم معاوية بن يزيد «الدنيا غرور» ونقش خاتم مروان بن الحكم «الله نقي ورجائي» ونقش خاتم عبد الملك بن مروان ، «أمنت بالله مخلصا» ونقش خاتم الوليد بن عبد الملك «يا وليد إنك ميت ومحاسب!» ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله» ونقش خاتم يزيد بن عبد الملك «فني السيئات يا عزيز» ونقش خاتم هشام بن عبد الملك «الحكم للحكم الحكيم» ونقش خاتم الوليد بن يزيد «يا وليد أحذر الموت» ونقش خاتم يزيد بن الوليد «يا يزيد قم بالحق» ونقش خاتم إبراهيم بن الوليد «توكلت على الحى القيوم» ونقش خاتم مروان بن محمد «أذكر الله يا غافل» .

وكان نقش خاتم السفاح : أول خلفاء بنى العباس «الله ثقة عبد الله» ونقش خاتم المهدي^(١) «حسنى الله» ونقش خاتم الرشيد «العظمة والقدر لله» . وقيل : «وكن من الله على حذر» ونقش خاتم الأمين «محمد واثق بالله» ونقش خاتم المأمون

(١) لم يذكر نقش خاتمي المنصور والمهادي .

”سَلِ اللَّهَ يُعْطِكَ“ ونقش خاتم المعتصم ”اللَّهُ ثَقَّةُ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ وَبِهِ يُؤْمِنُ“
ونقش خاتم الواثق ”اللَّهُ ثَقَّةُ الْوَائِقِ“ ونقش خاتم المتوكل ”عَلَى الْحَيِّ أَتَّكَلَى“
ونقش خاتم المنتصر ”يُؤْتَى الْحَذِرُ مِنْ مَأْمَنِهِ“ ونقش خاتم المستعين ”فِي الْإِعْتِبَارِ
غَنَاءٌ عَنِ الْإِخْتِبَارِ“ ونقش خاتم المعتر ”الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ“
ونقش خاتم المهتدى ”مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ“ ونقش خاتم المعتمد
”السَّعِيدُ مِنْ وَعِظَ بغيره“ ونقش خاتم المعتضد ”الْإِضْطِرَارُ يُزِيلُ الْإِخْتِيَارَ“ ونقش
خاتم المكتفى ”بِاللَّهِ عَلَى بْنِ أَحْمَدَ يَتَّقِ“ ونقش خاتم المقتدر بالله ”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ“ ونقش خاتم القاهرة ”مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ“ ونقش خاتم المتقي ”الْمُتَّقَى لِلَّهِ“ كلقبه للخلافة، ونقش خاتم المستكفي
”الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ يَتَّقِ“ ولم أقف على نقش خاتم أحد من الخلفاء غير هؤلاء .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِلْخَتَمِ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ دِيْوَانٌ مُفْرَدٌ يَعْبُرُ عَنْهُ بَدِيْوَانُ الْخَتَامِ .
وقد اختلف في أوّل من اتَّخَذَ دِيْوَانَ الْخَتَامِ : فروى محمد بن عمر المسدائي في كتاب
”القلم والدواة“ بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر
يلبسون خواتم ولا يطبعون كتاباً ، حتى كتب زياد بن أبي سفيان إلى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه : إنك تكتب إلينا بأشياء ليست لها طوابع ، فاتخذ عند
ذلك عمر طابعاً يطبع به ، ونحزم الكتاب ولم يكن قبل يُنحزم .

ومقتضى ذلك أن يكون أوّل من اتَّخَذَ الْخَتَمَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
ويكون لبسه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لغير الختم . وذكر الطبري في تاريخه :
أن أوّل من اتَّخَذَ ذَلِكَ معاوية بن أبي سفيان في خلافته ، وذلك أنه أمر لعمر بن

الزبير بمائة ألف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زيادُ حسابه أنكر ذلك معاوية؛ وطلب عمرًا فحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله ابن الزبير وأتخذ معاوية حينئذ ديوان الختم، ونَحَرَ الكتاب ولم يكن قبل يُحَرَّم. قال القاضي «ولي الدين بن خلدون» في تاريخه: وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائم على إنفاذ كُتُب السلطان. قال: وهذا الخاتم خاصٌ بديوان الرسائل، وكان ذلك للوزير في أيام الدولة العباسية. ويشهد لذلك قول الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرًا، ويستبدل به من الفضل أخيه: إني أحول الخاتم من يميني إلى شِمالي، فكُنْ بالخاتم عن الوزارة، لأنضمام ديوان الرسائل إلى الوزير إذ ذاك. ثم اختلف العُرف بعد ذلك، فصار ليس إليه الرسائل في الدولة.

ثم للختم ثلاثُ صُور:

الصورة الأولى — أن يُلصَق رأس الكتاب بنوع من أنواع اللصاق، كالكمثرى المدافاة بالماء، والنشأ المطبوع ونحو ذلك. وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق من قديم الزمان وهلمَّ جرًّا إلى زماننا؛ والمستعمل بالدواوين هو النشأ دون غيره، لنصاعة بياضه وشدة لصاقه. قال في "مواد البيان": ويجب أن يكون اللصاق خفيفًا كالدهن لئلا يتكرَّس ويكثف في جانب الورق. وقد كانت عاداتهم في بلاد المشرق أيام الخلفاء أن يُختم بخاتم الخليفة، بأن يُغمس في طين معد لذلك أحمر الصبغ، ويختم به على طرفي اللصاق، ليقوم مقام علامة الخليفة. وكان هذا الطين يجلب إليهم من سيراك من بلاد فارس، وكأنَّه مخصوصٌ بها؛ وعلى نهج الخلفاء جرى الملوك حينئذ. والذي استقرَّ عليه الحال الآن بالديار المصرية ونحوها من البلاد الشرقية الاقتصارُ على مجرّد اللصاق آكتفاء بما فيه من الضبط وظهور

فَضَّهُ إِنْ فُضَّ . وهذه المسئلة مما سأله الشيخ جمال الدين بن نباتة كُتَّاب ديوان الإنشاء بدمشق مخاطبا به للشيخ جمال الدين محمود الحلبي - فقال : ومن ختم الكتاب بالطين وربطه ؟ ومن غير الطين إلى النِّشَا وضَبَطَهُ ؟ . وقد سبق الكلام في النِّشَا وسائر أنواع اللَّصاق في الكلام على آلات الدواة في المقالة الأولى .

الصورة الثانية - أن يُخَزَمَ الكِتَابُ من وَسَطِهِ بالأشْفَار حَتَّى تَنْقُذَ في بعض طَيَّاتِ الكِتَابِ ثم تخرج من وجه الورق أيضا ، ويدخل فيه دَسْرَةٌ من الورق كالسِّير الصغير وَيُقَطُّ طَرَفُ الدَّسْرَةِ ؛ ثم يُلصَقُ على ذلك بِشَمْعٍ أَحْمَرٍ ؛ ثم يُخْتَمُ عليه بخاتم يَظْهَرُ نَفْسُهُ فِيهِ ، ويسمى هذا النوع من الختم الخَزْمَ - بالخاء والزاى المعجمتين - أخذًا من خَزَمَ البعير، وهو أن يُثَقَّبَ أَنْفُهُ وَيَجْعَلَ فِيهِ خِيطَ أَوْخُوهُ . ولعل هذه الطريقة من الختم هي التي كان عليها الحال حين أُحْدِثَ الختمُ في صَدْرِ الإسلام ، ويدل على ذلك قول ابن عُمر رضى الله عنه في رواية الطبري المتقدمة : وَخَزَمَ الكِتَابَ ولم يكن قَبْلَ يُخَزَمَ . وعلى هذا الآن أهل المغرب والروم والفرنج ومن في معناهم .

الصورة الثالثة - أن يَلْفَ على الكِتَابِ بعد طَيِّهِ قِصَاصَةٌ من الورق كالسِّير في عَرْضِ رَأْسِ الخِنِصْرِ ، وتلف على الكِتَابِ ثم يُلصَقُ رَأْسُهَا ؛ ويكون ذلك في الرِّقَاعِ الصغيرة المترددة بين الإخوان ، وتسمى القِصَاصَةُ التي يُلصَقُ بها سَحَاءَةٌ - بفتح السين وبالمدة ، وتقال بكسر السين أيضا ، وربما قيل سَحَايَةٌ ؛ ويقال فيه : سَحَوْتُ الكِتَابَ

(١) مراد المؤلف بالدرسة الدسار أى المسار أو الخيط من الليف وجارى العامة في تعبيرهم عنه بالدرسة .

(٢) الذى تقدم عن الطبري أن أول من اتخذ الختم والخزم معاوية وأما رواية ابن عمر التى تفيد أن أول من اتخذ الختم والخزم عمر فقد رواها محمد بن عمر المدائنى فى الكلام سهواً واشتباه .

أَسْحَوْهُ سَحْوًا ، وَسَحَّيْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ أَسْحَيْتُهُ تَسْحِيَةً فَهُوَ مَسْحُوٌّ وَمَسْحِيٌّ وَمُسْحَىٌّ ؛ وَالْأَمْرُ مِنْ سَحَوْتُ الْكَتَابِ أَسْحُ ، وَمِنْ سَحَّيْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ سَحَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّحْوِ وَهُوَ الْقَشْرُ .
يقال : سَحَوْتُ اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ إِذَا قَشَرْتَهُ .

الجملة الرابعة

(فِي حَمْلِ الْكَتَابِ وَتَأْدِيَتِهِ)

وهو من جملة الأمانات الداخلة في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ۖ وَقَدْ رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ أَدَاءُ الْكِتَابِ إِلَىٰ أَهْلِهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : حَمْلُ الْكِتَابِ أَمَانَةٌ ، وَتَرْكُ إِيْصَالِهِ خِيَانَةٌ . وَقَدْ رُوي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” مَنْ بَلَغَ كِتَابَ غَايِرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ أَوْ كِتَابَ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بَيْنِيهِ وَكَتَبَ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ “ . وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِتَأْدِيَةِ الْهُدُودِ كِتَابَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ يَلْقَيْسَ ، حَيْثُ قَالَ حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ۖ ﴾ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّْ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۖ ﴾ .

وقد وردت الأحاديث بأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ كُتُبَهُ مَعَ رُسُلِهِ إِلَى الْمُلُوكِ : فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ إِلَىٰ كِسْرَى أَبْرُويز ملكِ الْفَرَسِ ؛ وَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَىٰ قَيْصَرَ ملكِ الرُّومِ ؛ وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ صَاحِبِ مِصْرَ ؛ وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَىٰ الضَّحَّاكِ ملكِ الْحَبَشَةِ ؛ وَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبِ الْأَسَدِيِّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي ؛ وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرُو

إلى هُوَذَةَ بنِ عَلِيٍّ صاحب اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ؛ وبعث عمرو بن العاص إلى عبيد وجيفير ابني الجَلَنْدِيُّ ملكي عُمان .
قال ابن الجوزي : وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذى الكلاع الحميري .

وأعلم أنه يجب أن يكون حامل الكتاب المؤدى له عن الملك ونحوه وإفر العقل ، شديد الشكيمة في الجواب ، طلق اللسان في المحاوراة ، فإنه لسان ملكه ، وترجمان مُرسله ، وربما سألَه المكتوب إليه عن شيء أو أورد عليه اعتراضًا فيكون بصدد إجابته . وقد قيل : إنه يُستدلُّ على عقل الرجل بكتابه ورسوله . ومن غريب ما يُروى في ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث حاطب ابن أبي بلتعنة إلى المقوقس صاحب مصر ، وبلغه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له : مامنعه أن يدعوه على فيسلط عليّ ؟ - قال له حاطب : مامنع عيسى أن يدعوه على من أبي عليه أن يفعل ويقعل ؟ فوجم ساعة ثم استعادها ، فأعادها عليه حاطب ، فسكت . ويُروى : أنه حين سألَه عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم في حرب قومه ، وذكر له أن الحرب تكون بينهم سجالا : تارة له وتارة عليه ، قال له المقوقس : النبي يغلب ! فقال له حاطب : فالإله يُصلب ! - يشير بذلك إلى ما تزعمه النصراني من أن المسيح عليه السلام صلب مع دعواهم فيه أنه إله .

وذكر السهيلي أن دحية الكلبي حين دخل على قيصر بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له دحية : هل تعلم أكان المسيح يُصلي ؟ قال نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يُصلي له ، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه . فالزمه من صلاة المسيح أنه عبد لله تعالى ، وصنن ذلك بيتًا من أبيات له فقال :

فَقَرَّرْتُهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ ، * وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ !

وَيُحْكِي أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يَنَظُرُ عِلْمَاءَ النَّصْرَانِيَّةِ عِنْدَهُ فَإِنْ قَطَعَهُمْ أَسْلَمُوا؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الطَّيِّبِ الْمَالِكِيَّ، وَكَانَ مِنْ أُمَّةِ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ؛ فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ عِلْمَاءُ النَّصَارَى، قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَعْتَقِدَكُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ فِي الْفِرَاشِ ، وَقَدْ رُمِيَتْ عَائِشَةُ بِمَا رُمِيَتْ بِهِ : فَإِنْ كَانَ مَارُمِيَتْ بِهِ حَقًّا، كَانَ نَاقِضًا لِأَصْلِحِكُمُ الَّذِي أَصْلَحْتُمُوهُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفِرَاشِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقٍّ كَانَ مُؤْثَرًا فِي إِيْمَانِ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ . فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : أَمْرَانِ حَصِينَتَانِ رُمِيَتَا بِالْفِرْيَةِ ، أَحَدَاهُمَا لَهَا زَوْجٌ وَلَا وَلَدٌ لَهَا، وَالْآخَرَى لَهَا وَلَدٌ وَلَا زَوْجٌ لَهَا - يُشِيرُ بِالْأُولَى إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَبِالثَّانِيَةِ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَسَجَدُوا لَهُ عَلَى عَادَةِ تَحِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَتَمِّكًا مِنْ عَقْلِهِ ، عَالِمًا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ ، كَفَى مَلِكَهُ مَثُونَةً غَيْبَتِهِ ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ ؛ وَإِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَنْعَكَسَتْ الْقَضِيَّةُ ، وَرَجَعَ عَلَى مُرْسَلِهِ بِالْوَبَالِ . ثُمَّ إِنْ أَقْتَضَى رَأْيُ الْمَلِكِ زِيَادَةَ فِي الرِّسَالَةِ عَلَى الرَّسُولِ الْوَاحِدِ فَعَلَ : لِيَتَعَاوَنَا عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، وَيَتَشَاوَرَا فِيمَا يَفْعَلَانِ ، فَقَدْ ذَكَرَ السَّهْبِيُّ :
(١)
أَنَّ جَبْرًا مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ كَانَ رَسُولًا مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ . وَإِنْ أَقْتَضَى الْحَالُ إِرْسَالَ أَكْثَرَ مِنْ آثْنَيْنِ أَيْضًا فَعَلَ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ بَعَثَ إِلَى قَيْصَرَ ثَلَاثَةَ رُسُلَ ، وَهُمْ : هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ آخَرُ .

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ الدِّينِيَّةِ ج ٣ ص ٣٩٨ عَنْ السَّهْبِيِّ مَا نَصَّهُ "مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ وَهُوَ فَالَّذِي فِي الْأَسْتِعَابِ وَالْإِصَابَةِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ جَبْرًا كَانَ مِنَ الْقَبْطِ وَأَنَّهُ رَسُولُ الْمُقَوْقِسِ بِمَارِيَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" .

ومما يجب التنبيه عليه أنه يحرم على حامل الكتاب النظر فيه ، والأطلاع على ما تضمنه . قال محمد بن عمر المدائني : في فِضِّ الكتاب إثمٌ وسوءُ أدبٍ ، وساق بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”من أطلع في كتاب أخيه بغير إذنه ، أطلعه طلعة في النار“** .

الجملة الخامسة

(في فِضِّ الكتاب وقراءته)

أما فضُّه فالمراد فكُّ ختمه وفتحه ، والفِضُّ في أصل اللغة الكسر والتفريق ، ومن الأول ما ثبت في الصحيح من قول القائلة لابن عمِّها في قصَّة الثلاثة الذين دعوا الله بأحبِّ أعمالهم : **« اتَّقِ الله ولا تُفِضْ الخاتم إلا بحقه »** تريد إزالة بكارتها . ومن الثاني **(هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا)** . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الملكة في المقالة الثانية أن الرسول أو البريديّ الواصل إلى باب السلطان يقدّمه الدّوادار إلى السلطان ، ثم يتناول الكتاب منه ويمسح به وجهه من حضر على يده ، ثم يدفعه إلى السلطان فيفُضُّ ختامه ، ثم يتناوله الدّوادار من السلطان ويدفعه إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لَفِضَّ الْكِتَابِ حَالَتَيْنِ :

الحالة الأولى - أن يكون مخنومًا باللصاق بالنِّشَا على طريقة المشاركة وأهل الديار المصرية ، فيشق ظاهره على القُرب من محلِّ اللصاق بسكين ثم يفتح .

الحالة الثانية - أن يكون مخزومًا مسمرًا بدسرة من الورق على عادة المغاربة ومن جرى مجراهم ، فيرفع الختم المُلصق عليه من الشَّعَم ، وتُقْلَع الدَّسرة ويفتح الكتاب .



وأما قراءة الكتب فإنه يجب أن يكون من يقرأ الكتب على الملوك ومن في معانهم ماهراً في القراءة، فصيح اللسان في النطق، رقيق حاشية اللسان في حسن الإيراد، قوى الملكة في استخراج الخطوط المختلفة، سريع الفهم في إدراك المعاني الخفية؛ وأن تكون قراءته على رئيسه - من سلطان أو غيره - بحسب ما يؤثر ملكه أو أميره سماعه من السرعة والبطء؛ وأن يكون ذلك بصوت غير خفي بحيث يعسر سماعه، ولا مرتفع بحيث يعد صاحبه خارجاً عن أدب المخاطبة للأكابر؛ وأن يقرب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي اعتاصت عليه إذا سألها عنها، أو غلب على ظنه أنها لم تصل إلى فهمه، بحسن إيراد، وتلطيف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويجل وقعها في الأذهان.

الجملة السادسة

(في كراهة طرح الكتاب بعد تخزيقه : وهو فضه ،

وحفظه بعد ذلك في الإضارة)

أما كراهة طرحه فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة": كرهوا تخزيق الرسائل ورميها في الطرقات والمزابل، خوفاً على اسم الله تعالى أن يداس، أو تاحقه النجاسة والأذناس . قال : وفي رفع ما طرح من الكتاب أعظم الرغائب وأجل الثواب؛ وساق بسنده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من كتاب يلقي ببقعة من الأرض فيه

أَسْمُ من أسماءِ اللهِ إِلَّا بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْفَوْنَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُقَدِّسُونَهُ ،
 حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَيَرْفَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ . وَمَنْ رَفَعَ كِتَابًا مِنَ الْأَرْضِ
 فِيهِ أَسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، رَفَعَ اللهُ أَسْمَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَخَفَّفَ عَنْ وَالدَيْهِ الْعَذَابَ
 وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ “ . وَيُرْوَى : ” مَنْ رَفَعَ قِرْطَاسًا مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مَكْتُوبٌ
 « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » إِبْجَالًا لَهُ أَنْ يُدَاسَ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عِشْرِينَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَ لَهُ النَّارُ “ .



وَأَمَّا حِفْظُهُ فِي الْإِضْبَارَةِ فَهُوَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ ؛ وَالْإِضْبَارَةُ عِبَارَةٌ عَنْ وَرْقَةٍ تُلَفُّ عَلَى
 جُمْلَةٍ مِنَ الْكُتُبِ قَدْ جُمِعَتْ فِي دَاخِلِهَا وَيُلَصَّقُ طَرَفُهَا بِالنَّشَا . وَالْقَاعِدَةُ فِيهَا أَنْ
 تُلَوَّى الْكِسْرَةُ مِنْ أَسْفَلِهَا ، وَإِنْ طَالَ بَعْضُهَا فِي طَيِّهِ وَقَصُرَ بَعْضُ جَعَلَ التَّفَاوُتُ
 فِي الطُّوْلِ وَالْقِصَرِ مِنْ أَعْلَاهَا . قَالَ فِي ” صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ “ : وَمَعْنَاهَا الْجَمْعُ ، لِأَنَّهَا
 يُجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ . وَمِنْهُ قِيلَ : تَضَبَّرَ الْقَوْمُ إِذَا تَجَمَّعُوا ، وَرَجُلٌ مَضَبَّرَ الْخَلْقَ
 أَيْ جَمَعَهُمْ ، وَنَاقَةٌ مَضَبَّرَةٌ وَمَضْبُورَةٌ ، وَضَبَرَ الْفَرَسُ إِذَا جَمَعَ قَوَائِمَهُ وَوَثَبَ . وَيُقَالُ
 لِلْإِضْبَارَةِ أَيْضًا إِضْمَامَةٌ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ لِضْمِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْمَعْنَى
 فِيهَا صِيَانَةُ الْكُتُبِ وَحِفْظُهَا عَنِ الضَّيَاعِ . وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ كُتَّابِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ
 بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ شَهْرِ إِضْبَارَةٌ تُجْمَعُ فِيهَا الْكُتُبُ الْوَارِدَةُ عَلَى أَبْوَابِ
 السُّلْطَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَيُكْتَبُ عَلَيْهَا « شَهْرُ كَذَا » . وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ
 فِي مَقْدَمَةِ الْكُتَّابِ أَنَّ الدِّيْوَانَ كَانَ لَهُ فِي زَمَنِ الْفَاتِمِيِّينَ كَاتِبٌ يَكْتُبُ الْكُتُبَ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالضُّوءِ وَالَّذِي فِي أَمْهَاتِ اللُّغَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي مَادَّةِ ض م م « إِضْمَامَةٌ » أَيْ بِكَسْرِ
 الْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ بَيْنَهُمَا أَلْفَ قَنْبَةٍ .

الواصلة وَيُسْطَ عليها جرائد ، كما يكتُبُ الكتبُ الصادرة عن الأبواب السلطانية
وَيُسْطَ عليها جرائد ؛ وأن ذلك بطل في زماننا وصار الأمرُ قاصراً فيها على حفظ
الكتب في الإضبارات ؛ متى احتيجَ إلى الكَشْفِ عن كتاب منها ، أُخِذَ بالحدس
أنه ورد في السنة الفلانية ، وتُكشَفُ إضباراتها واحدةً بعد واحدة حتى يقع العُثورُ
عليه ، ولا خفاء فيما في ذلك من المشقة ، بخلاف ما إذا كان لها جرائد مبسوطه ،
فإنه يسهلُ الكَشْفُ منها ، ويستدلُّ بتاريخه على إضبارته فتُخرَجُ ويقع الكَشْفُ
منها ، ولكن أُهمل ذلك في جملة ما أُهمل .

الباب الثانى

من المقالة الرابعة

(فى مصطلحات المكاتبات الدائرة بين كُتَّاب أهل الشرق والغرب
والديار المصرية فى كل زمن من صدر الإسلام
وهلمَّ جرًّا إلى زماننا، وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

(فى الكُتُب الصادرة عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(فى ذكر ترتيب كُتُبهِ صلى الله عليه وسلم فى الرسائل على سبيل الإجمال)
كان صلى الله عليه وسلم يفتِّح أكثر كُتُبِهِ بلفظ « من محمد رسول الله إلى فلان »
وربما أفتتحها بلفظ « أما بعد » وربما أفتتحها بلفظ « هذا كتابٌ » وربما أفتتحها
بلفظ « سلم أنت » .

وكان يصرِّح فى الغالب بأسم المكتوب إليه فى أول المكاتبات، وربما اكتفى^(١)
بشهرته . فإن كان المكتوبُ إليه ملكًا كتب بعد ذكره اسمه « عَظِيم القوم الفلانيين »
وربما كتب « مَلِك القوم الفلانيين » وربما كتب « صاحب مملكة كذا » .

وكان يعبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم فى أثناء كُتُبِهِ بلفظ الإفراد . مثل : « أنا »
و « لى » و « جاءنى » و « وفد على » وما أشبه ذلك ، وربما أتى بلفظ الجمع مثل
« بلغتنا » و « جاءنا » ونحو ذلك .

(١) أى بما أشهر به كالقيصر ونحوه .

وكان يخاطبُ المكتوبَ إليه عند الأفراد بكاف الخطاب . مثل : « لك »
و « عليك » وتاء المخاطب . مثل : « أنتَ قلتَ كذا وفعلتَ كذا » . وعند الثانية
بلفظها مثل : « أنتمَا » و « لكما » و « عليكما » . وعند الجمع بلفظه . مثل : « أتم »
و « لكم » و « عليكم » وما أشبه ذلك .

وكان يأتي في صدور كُتُبِهِ بالسَّلام . فيقول في خطاب المسلم « سلامٌ عليك »
وربما قال : « السَّلامُ على مَنْ آمَنَ بالله ورسوله » وفي خطاب الكافر : « سلامٌ
على مَنْ اتَّبَعَ الهدى » وربما أسقط السَّلامَ من صدر الكتاب .

وكان يأتي في صدور الكتب بالتحميد بعد السَّلام . فيقول : « فإني أحمدُ إليك
الله الذي لا إلهَ إلا هو » وربما تركه ، وقد يأتي بعد التحميد بالتَّشهُد وقد لا يأتي به .
وكان يتخلَّص من صدر الكتاب إلى المقصود تارةً بأما بعد وتارةً بغيرها .

وكان يختمُ كُتُبَهُ بالسَّلام تارةً ، فيقول في خطاب المسلم : « والسَّلامُ عليك ورحمة
الله وبركاته » وربما اقتصر على السَّلام . ويقول في خطاب الكافر : « والسَّلامُ على
مَنْ اتَّبَعَ الهدى » وربما أسقط السَّلامَ من آخر كُتُبِهِ .



أما عنوانه كُتُبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم أَقِفْ فيها على نصٍّ صريح ، والذي يظهر
أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَنِّونُ كُتُبَهُ بلفظ : « من محمد رسول الله إلى فلان »
على نحو ما في الصَّدر ، وتكون كتابته « من محمد رسول الله » عن يمين الكتاب ،
و « إلى فلان » عن يساره ، وعليه يدلُّ ما تقدَّم من كلام صاحب ” موادَّ البيان “
في الأصل الثاني عشر من أصول المكاتبات حيث ذكر في الكلام على العُنوان أن
الأصل أن يُبتدأَ باسم المكتوب عنه ويُنْتَهَى باسم المكتوب إليه ، ثم قال : وعلى هذا
كانت كُتُبُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الطرف الثاني

(في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من محمد رسول الله إلى فلان »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ، في جواب كتابه إليه صلى
الله عليه وسلم بإسلام بني الحارث وهو على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته :

” من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك
جاءني مع رسولك ، يُخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تُقاتلهم ، وأجابوا
إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن نهدا عبده ورسوله ،
وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .“



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من جهة
الفرس ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم . ونسخته على ما ذكره الشهابي
في ” الروض الأنف “ :

”من محمد رسول الله إلى المُنذر بن سَوى .

سَلامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أذْكُرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحْ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِيعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي ، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَتَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا ، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ فَأَتْرُكَ لِلسَّالِسِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فاقْبَلْ لَهُمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى بُجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْجَزَايَةُ“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى فِرْوَةَ بن عمرو الجُدَامِيِّ . ونسخته على ماذكره ابن الجوزي في ”كتاب الوفاء“ .

”من محمد رسول الله إلى فِرْوَةَ بن عمرو .

أما بعدُ ، فقد قَدِمَ عَلَيْنَا رُسُوكُ ، وَبَلَغَ مَا أَرْسَلْتَ بِهِ ، وَخَبَرَ عَمَّا قَبَلَكُمْ خَيْرًا ، وَأَتَانَا بِإِسْلَامِكَ زُرَّاءُ اللَّهِ هَذَاكَ بَهْدَاهُ“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى طَهْفَةَ التَّهْدِي وقومه . ونسخته فيما حكاه ابن الأثير في ”المثل السائر“ :

”من محمد رسول الله إلى بَنِي نَهْدٍ .

السَّلامُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوِطَاقَةِ الْفَرِيضَةِ ، وَلَكُمْ الْفَارِضُ^(١) وَالْفَرِيشُ ، وَذُو الْعِنَانِ الرَّكُوبُ وَالْقَلْوُ الضَّبَّيْسُ ، لَا يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ ، وَلَا يُعْضَدُ

(١) يروى بالفاء وبالعين فأما بالفاء فيكون المراد بها المريضة وأما بالعين فهي التي أصابها آفة أو كسراه

طَلَحَكُمْ ، وَلَا يُجَبِّسُ دَرَكُمْ مَا لَمْ تَضْمِرُوا الْإِمَاقَ ، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ . مَنْ أَقْرَبَ
[بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ] فَهُوَ [مِنْ رَسُولِ اللَّهِ] الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ ، وَمَنْ أَبَى
فَعَلَيْهِ الرَّبُوءُ .

وهذا الكتاب مما يحتاج إلى شرح غريبه ليفهم . « فالوظيفة » النصاب في الزكاة وأصله
الشيء الراتب . « والفريضة » الحرمة المستنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة
بل تكون لهم . « والفريش » بالفاء والشين المعجمة ما أنبسط من النبات وفرش
على وجه الأرض . ولم يبق على ساق ، وقد يطلق على الفرس إذا حمل عليها بعد التاج
أيضا . « وذو العنان الركوب » الفرس الذلول ، « والفلق » المهر الصغير وقيل القطيم
من جميع أولاد الحافر . « والضئيس » بالضاد المعجمة والباء الموحدة والسين المهملة
العسر الصعب الذي لم يرض . « والسرّح » السارحة وهي المواشي ، والمعنى أنها لا تمنع
من المرعى . والعصيد القطع . والطلع شجر عظام من شجر العضاء . والدر اللبن ،
والمراد ذوات الدر من المواشي ، أراد أنها لا تنحسر إلى المصدق وتمنع المرعى إلى أن
تجتمع الماشية ثم تعد لما في ذلك من الإضرار . « الإمأق » مخفف ، من أماق الرجل
إذا صار ذامأقة وهي الحمية والأنفة ، وقيل مأخوذ من الموق وهو الحق ، والمراد
إضممار النكت والغدر أو إضممار الكفر . « الرّباق » بالراء المهملة والباء الموحدة
والقاف جمع ربيعة ، وهي في الأصل اسم لعروة تجعل في الحبل وتكون في عنق
البيمة أو يدها تمسكها ، والمراد هنا نقض العهد وأستعار الأكل لذلك ، لأن البيمة
إذا أكلت الرّبة خلصت من الشدة . « الرّبوة » بكسر الراء الزيادة ، والمراد هنا الزيادة
في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له .

(١) الزيادة من « المثل السائر » . ورواية « الشفا » كما في الأصل .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ فيما ذكره أبو عُبَيْدَةَ، وهو :
 ” من محمد رسول الله لَا أُكَيْدِرِ دُومَةَ حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ
 وَالْأَصْنَامَ ، مع خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللَّهِ فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَكَتَافِهَا : إِنَّ لَنَا الضَّاحِيَةَ
 مِنَ الضَّحْلِ وَالْبُورَ وَالْمَعَامِيَّ وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ وَالْحَلْقَةَ وَالسَّلَاحَ وَالْحَافِرَ وَالْحِصْنَ .
 وَلَكُمْ الضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ ، لَا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ ،
 وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ، تُقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا ، وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ
 عَهْدُ اللَّهِ وَالْمِيثَاقُ “ .

وهذا الكتاب أيضا مما يحتاج إلى معرفة غريبه : فالأنداد جمع نَدَّ بكسر النون
 وهو ضد الشيء الذي يخالفه في أموره، ويناديه أى يخالفه، والمراد ما كانوا يتخذونه
 آلهة من دُونِ اللَّهِ تعالى . والأصنام جمع صَنَمَ : وهو ما أُتخذ إلهًا من دُونِ اللَّهِ ، وقيل :
 ما كان له جسمٌ أو صورةٌ ، فإن لم يكن له جسمٌ ولا صورةٌ فهو وثَنٌ . والأكاف
 بالنون جمع كَنَفٍ بالتحريك وهو الجانبُ والناحية . والضاحية بالضاد المعجمة والحاء
 المهملة الناحية البارزة التي لاحائل دُونِهَا ، والمراد هنا أطراف الأرض ؛ والضَّحْلُ
 بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء ، وقيل الماء القريب
 من المكان ، وبالتحريك مكان الضَّحْل . والبور الأرض التي لم تُزْرَعْ ، وهو بالفتح
 مصدرٌ ووصف به ، وبالضم جمع بَوَارٍ : وهو الأرض الخراب التي لم تُزْرَعْ . والمعامي
 المجهولة من الأرض التي ليس فيها أثرٌ عمارة ، واحدها مَعَمَى . وأغفال الأرض
 بالغين المعجمة والفاء الأرض التي ليس فيها أثرٌ يعرف كأنها مغفول عنها . والحلقة
 بسكون اللام السِّلَاحَ عامًا ، وقيل الدروع خاصًا ، والسلاح ما أُعدَّ للحرب من آلة

الحديد مما يُقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . والضامنة من النخل بالضاد المعجمة والنون ما كان داخلا في العمارة من النخيل وتضمنته أمصارهم وقراهم ، وقيل سميت ضامنة لأن أربابها ضمّوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان كعيشة راضية بمعنى ذات رضا . والمعين من المعمور الماء الذي ينبع من العين في العاصم من الأرض . وقوله : لا تعدل سارحتكم بالذال المعجمة ، أى لا تصرف ما شيتكم وتمأل عن الرعى ولا تمنع . وقوله : ولا تعد فاردتكم أى لا تضم إلى غيرها وتخشى إلى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتحسب . والفاردة الزائدة على الفريضة . وقوله : ولا يحظر عليكم الثبات بالطاء المعجمة ، أى لا تمنعون من الزرع والمرعى حيث شتتم ، والحظر المنع .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت ، وهو :
”من عهد رسول الله إلى الأقبال العبايلة من أهل حضر موت ، بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . على التبعة الشاة ، والتبعة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ، ومن أجبي فقد أربى ، وكل مسكر حرام“ .

وذكر القاضي عياض في ”الشفاء“ أن كتابه لهم : « إلى الأقبال العبايلة ، والأرواع المشايب . وفي التبعة شاة ، لا مقورة الألباط ، ولا ضناك ، وأنطوا التبعة ، وفي السيوب الخمس ، ومن زنى مم بكر فاصقعه مائة وآستوفضوه علما ، ومن زنى مم ثيب فصرجوه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ، ولا عمة في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام ، ووائل بن حجر يترقل على الأقبال» .

(١) صوابه بالذال المهملة كما يفيدته المعنى وقد أورده صاحب اللسان ج ١٣ — في مادة ع دل بالذال المهملة فانظروه .

وهذا الكتاب في معنى ما تقدم من الاحتياج إلى شرح غريبه . الأفيال بالقاف والياء المشناة تحت جمع قيل : وهو الملك . والعبألة الذين أفرؤا على ملكهم لايزالون عنه ؛ وحضرموت بلدة في اليمن في أقصاها ، وقيل هي أحد تخاليفها . والتبعة بالمشناة من فوق ثم المشناة من تحت والعين المهملة اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان : كالتمس من الإبل والأربعين من الغنم . قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التي للسعاة عليها سبيل من تاع يتبع إذا ذهب إليه . والتبعة بالكسر الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها في منزله يحلبها وليست بسائمة ، وهي بمعنى الداجن . والسيوب الركاز أخذا من السيب وهو العطاء ، قاله أبو عبيدة ؛ وقيل هي عروق الذهب والفضة التي تسبب في المعدن بمعنى تتلون وتظهر . وقال الزمخشري : هي جمع سيب ، يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . والخلاط بالكسر مصدر خالط ، يقال : خالطه يخالطه خلاطا ومخالطة ، والمراد أن يخالط الرجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه لينع حق الله تعالى منها ، ويختص المصدق فيما يجب له . والوراط بالكسر أيضا أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى على المصدق ، مأخوذة [من الورطة] وهي الهوة من الأرض . والشناق بكسر الشين المشاركة في الشق بفتح النون : وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة ، وهو ما زاد من الإبل على الخمس إلى التسع ، وما زاد على العشر إلى أربع عشرة ، والمراد أن لا تؤخذ الزيادة على الفريضة . قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون معناه المشاركة في الشق والشقين ، وهو بمعنى الخلاط المتقدم ذكره ، لكن حمله على الأول أولى ، لتعدد المعنى . والشغار بكسر الشين وبالغين المعجمة نكاح معروف في الجاهلية ، وهو أن يزوج الرجل أخته أو أخته على أن يزوجه بنته أو أخته ، ويكون بضع كل

منهما صدقاً للآخرى . والأرواحُ جمع رائع : وهم الحسانُ الوجوه من الناس .
وقيل : الذين يروعون الناس أى يُفزعونهم بشدة الهيبة . قال ابن الأثير : والأوّل
أوجه . وقوله : ومن أجبى هو بالجيم والباء الموحدة : وهو بيع الزرع قبل بدو
صلاحه . وقيل هو أن يُغيب إبله عن المصدق أخذاً من أجباته إذا واريته .
وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعةً بثمن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد
بأقل من الثمن الذى باعها به ؛ ومعنى 'أربى' وقع فى الربا . والمشايبُ البادةُ الرعوسُ
الزهرُ الألوان الحسانُ المناظرُ واحداً مشبوب . والمقورة الألياط المسترخية
الجلود لَهْزَلُهَا والاقورار الاسترخاءُ فى الجلود . والألياط جمع ليط : وهو قشر العود ،
شبه به الجلدُ لالتزاقه باللحم . والضنك بالكسر الكثير اللحم ، ويقال الذكر والأنثى
فيه سواء ، والمراد أنه لا تؤخذ المفردة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . وقوله :
وأنظوا هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا ، خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم . والشبجة
بشاء مثناة بعدها باء موحدة ثم جيم هى الوسط من المال التى ليست من خياره
ولأردأته ، أخذاً من تيجة الناقة وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . وقوله ثم بكر جرى
فيه على لغة أهل اليمن حيث يُبدلون لام التعريف ميم . قال ابن الأثير : وعلى هذا
فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام
ميماً بقيت الحركةُ بحالها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأبكار . قال : والأشبه
أن تكون بكر متونة ، وقد أبدلت نون من ميم ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء
قلبت فى اللفظ ميماً نحو عتبر ومُتبر ، ويكون التقدير ومن زنى من بكر . وقوله
فأصقعه هو بالصاد المهملة والقاف أى أضربوه ، وأصل الصقع الضرب على الرأس ،
وقيل الضربُ ببطن الكف . وقوله : وأستوفضوه هو بالفاء والضاد المعجمة أى
أنفوه ، أخذاً من قولهم : استوفضت الإبل إذا تفرقت [فى رعيها] وقوله : فضرّجوه -

بالضاد المعجمة والحميم أى أدموه بالضرب، ويطلق الضرج على الشق أيضا .
والأضاميم بالضاد المعجمة الحجارة واحدها إضمأة، والمراد أَرْجُمُوهُ بالحجارة . والتوصيم
بالضاد المهملة الفثرة والتواني، أى لَاتَفْتَرُوا فى إقامة الحدود ولا تَتَوَانُوا فيها . وقوله :
ولأُعَمَّة فى فرائض الله - أصل العمة السَّتر، أى لا تُسْتَرَفرائضُ الله ولا تُخْفَى ،
بل تُظْهَر ويُجَهَر بها وتُعلن . وقوله : يَتَرَقَّل - أى يُسَوِّد وَيَتَرَأْس ، استعارة من
تَرْفِيل الثوب وهو إسباغُه وإرساله ؛ والأَقْيَال الملوكة وقد تقدم الكلامُ عليه .

الأسلوب الثانى

(أن تفتح المكتبة بلفظ « هذا كتاب » ويُذكر المقصد فيما بعد ،

وهو قليل الوقوع فى المكتبات)

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لَقِيلَة هَمْدَان من اليمن ، فيما ذكره ابن هشام
وهو : ” هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِخِلَافِ حَارِيفٍ وَأَهْلِ جَنَابِ الْمَضْبِ وَحِقَافِ
الرَّمْلِ ، مع وإفدها ذى المشعار ، لِمَالِكِ بْنِ تَمِطٍ وَلِبنِ أَسْلَمٍ من قومِه ، على أنَّهُ لهم
فِرَاعِهَا وَوِهَاطُهَا [وَعَزَاها] مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا ، وَيَرْعَوْنَ
عَافِيَهَا ، لَكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ رَسُولِهِ ، وشاهدكم المهاجرون والأنصار ” .

وذكر القاضى عياض فى ” الشفاء ” أن فى كتابه إليهم : ” إِنَّ لَكُمْ فِرَاعِهَا وَوِهَاطُهَا
وَعَزَاها ، تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَتَرْعَوْنَ عَفَاءَهَا ، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ

(١) كذا فى الامهات اللغوية أيضا وفى شرح الزرقانى على المواهب ج ٤ ص ٣٩ أنه ذوالمشغار

بالمعجمتين أو المهملتين .

(٢) فى المواهب مالك بدون لام الجر وأعربه الشارح بدلا مما قبله .

(٣) ضبطه صاحب اللسان بالقصر وضبطه الزرقانى وملا على قارى بالمد .

والأمانة، ولهم من الصَّدقة الثَّلب والنَّابُ والفِصِيلُ والفَارِضُ والدَّاجِنُ والكَبْشُ الحَوْرِي، وعليهم فيها الصَّالِغُ والقَارِجُ“ .

وهذا من نسبة ما تقدّم مما يحتاج إلى شرح غريبه : فالْفِرَاعُ بالكسر جمع فَرْعة^(١)، وهو ما ارتفع من الأرض . والوَهاط جمع وَهْطَة : وهى ما أطمأنَّ من الأرض ؛ والعِلافُ بالكسر - جمع عَلفَ بجَلَّ وجَبَّال، والمراد ما تغتلفه الدوابُّ من نبات الأرض ؛ والعَرَاز - ماصِّلُ من الأرض وأشدُّ وخَشُن، ويكون ذلك في أطرافها ؛ والعَقَاءُ العافى - وهو ما ليس لأحد فيه ملكٌ ، من قولهم : عَقَا الأثرُ إذا دَرَسَ، والدَّفء - نِتاج الإبل وما يُنْتَفَعُ به منها ، سَمِيَ دِفْعًا لأنه يُتَّخَذُ مِنْ أُوْبَارِها ما يُسْتَدْفَأُ به ، والمراد هنا الإبل والغنم . والصَّرام - النخل ، وأصله قَطْع الثمرة ؛ والثَّلب من ذكور الإبل - الذى هَرِمَ وتكسَّرت أسنانه . والنَّاب - المُسِنَّة من إناثها . والفِصِيل من أولاد الإبل - الذى فُصِلَ عن أمه من الرِّضَاع . والفَارِض - المسنُّ من الإبل ، والمراد أنه لا يُؤْخَذُ منهم فى الزكاة . والدَّاجِنُ - الشاة التى يعلِفُها الناس فى منازلهم ؛ والكَبْشُ الحَوْرِي منسوب إلى الحَوْر وهى جلود تُتَّخَذُ من جلود الضأن . وقيل : هو مادْبِغ من الجلود بغير القَرظ . والصَّالِغُ بالصاد المهملة والغين المعجمة : وهو من البقر والغنم الذى كُملَ وأتَمَّ، ويكون ذلك فى السنة السادسة ، ويقال : بالسَّين بدل الصَّاد . والقَارِجُ الفرس الذى دخل فى السنة الخامسة .

(١) فى الأصول بالفتح وهو سبق قلم .

الأسلوب الثالث

(أن تفتَح المَكاتِبُ بلفظ « سَلِّمْ أَنْتَ »)

فمن ذلك كتابه صَلَّى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى . وهو فيما ذكره أبو عبيد
في "كتاب الأموال" : « سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ
عَلَيْهِ الْحِزْيَةَ » .

الطرف الثالث

(في كُتُبِهِ صَلَّى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفْرِ للدَّعَايَةِ إلى الإسلام ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بلفظ « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ »)

كما في الأسلوب الأول من كُتُبِهِ إلى أهل الإسلام)

فمن ذلك كتابه صَلَّى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ : وهو قِصْرٌ ، وقيل
نائبه بالشام .

وهو على ما ثبت في الصحيحين . « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ آتَبَعَ الْهُدَى » .

أما بعد، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،
فإن تَوَلَّيْتَ فإنَّ عليكِ إثمُ الأَرِيسِيِّينَ، ويأهلُ الكُتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فإن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

وذكر أبو عبيد في "كتاب الأموال" : أنَّ كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ
كان فيه .

"من محمد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام: فإن أسلمت فلكَ
ما لل مسلمينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ، وإن لم تَدْخُلْ في الإسلام فأعطِ الحِزْيَةَ، فإنَّ الله تعالى
يقول : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
وإلا فلا تَحُلْ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" .

قال أبو عبيد : وأراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن العجم عند العرب كلهم
فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث .

وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليه : « من محمد رسول الله إلى
قَيْصَرِ صَاحِبِ الرُّومِ » .



(١) ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرَى أَبْرَوِيزَ : ملك الفرس فيما ذكره
أَبْنُ الْجَوْزِيِّ ، وهو :

(١) بفتح الواو وكسرهما ويقال له أبرواز ومعناه بالعربية المظفر - اه الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٨٩ .

”من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورَسُولِهِ ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ،
وأسلم تسلم فإن توليت فإن اثم الجؤس عليك .“



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر . وهو فيما ذكره
ابن عبد الحكم .

(١)

”من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك
مرتين ، فإن توليت فعليك اثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون“ .

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن فيه

”من محمد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولا وأنزل عليّ قرءانا ، وأمرني بالإعذار والإنذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا يديني ويدخل الناس في مليّ ، وقد دعوتك إلى الإقرار
بوحدينته ، فإن فعلت سعدت ، وإن أبيت شقيت ، والسلام“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي: مَلِكِ الْحَبَشَةِ . وهو فيما ذكره
أَبْنُ إِسْحَاقَ :

” من عهد رسول الله إلى النجاشي مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، إني أحمدُ إِلَيْكَ اللهُ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيِّمَ ، وأشهدُ أن عيسى ابنَ مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ،
حَمَلَتْهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ ، كما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريكَ لَهُ ،
وأن تَتَّبِعَنِي وتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ، فَإني رسولُ الله ، وإني أدعوك وجنودَكَ إلى الله
عزَّ وجلَّ ، وقد بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فاقبلُوا نَصِيحِي . وقد بعثْتُ إِلَيْكُمْ أَبْنَ عَمِّي جَعْفَرًا
ومعه نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ : صاحب اليمامة ، وكان
نصرانياً . وهو فيما ذكره السهيلي .

” من عهد رسول الله إلى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ .

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . وأعلمُ أنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُتَمَتِّي الْخُفِّ وَالْحَافِرِ ،
فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا ، وَأَجْعَلَ لَكَ مَاتَحَتَ يَدَيْكَ “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نَجْرَانَ . وهو فيما ذكره صاحب
” الْهُدَى الْمَحْمَدِي ” .

(١) هو بفتح الهاء كما في الصحاح وقتل الهمزي ضمها والواو ساكنة على كل حال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِن أَبَيْتُمْ فَالْحَزِيئَةُ ، فَإِن أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُمْكُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ أَبِي الْجُلَنْدِيِّ مَلِكِي عُثْمَانَ .
وَهُوَ : « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ أَبِي الْجُلَنْدِيِّ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمُوا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لَا يُنْذَرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنَّكُمْ إِن أَقْرَرْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتَكُمْ ، وَإِن أَبَيْتُمْ أَنْ تُقْرَأَ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ ، وَخِيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمْ ، وَتُظْهَرُ بُيُوتِي فِي مَالِكِكُمْ . وَكُتِبَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ » .

وَفِي رَوَايَةٍ ذَكَرَهَا أَبُو عُبَيْدٍ فِي " كِتَابِ الْأَمْوَالِ " أَنَّهُ كُتِبَ إِلَيْهِمَا .

" مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ أَسِيدِ بْنِ مُلُوكِ عُثْمَانَ ، وَأَسِيدِ عُثْمَانَ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ ، إِنْهُمْ إِنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَعْطَوْا حَقَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسَكَّوْا نُسُكَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْمَنُوا عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّ مَالَ بَيْتِ النَّارِ ثَمَنًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنَّ عُشُورَ الثَّمَرِ صَدَقَةٌ ، وَنِصْفَ عُشُورِ الْحَبِّ ، وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ ، وَإِنَّ لَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَاءَ يَطْحَنُونَ بِهَا " .

قال أبو عبيد : وبعضهم يرويه لِعِبَادِ اللَّهِ الْأَسْبِينِ اسْمًا اعجميا نسبهم إليه .
قال : وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم نُسِبُوا إِلَى عِبَادَةِ فَرَسٍ ، وهو بالفارسية أَسْب فَتُسَبَّوْا
إِلَيْهِ ، وهم قومٌ من الفُرس وفي رواية من العرب .



ومن ذلك كُتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُسَيِّمَةِ الْكَذَّابِ فِي جَوَابِ كُتَابِهِ إِلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ إِنْ جَعَلَ لَهُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ آمَنَ بِهِ .

وهو : « من مَحِدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيِّمَةِ الْكَذَّابِ : السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ « أَمَّا بَعْدُ » وَهُوَ أَقْلُ وَقُوعًا مِمَّا قَبْلَهُ)

فمن ذلك كُتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ تَجْرَانَ ، وَدِينُهُمُ النَّصْرَانِيَّةُ .
وهو فيما ذكره ابن الجوزي .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وَلَايَةِ اللَّهِ
مِنْ وَلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْحِزْيَةُ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ » .

(١) كذا في الأصول والمناسب لما تقدم له في اختتام الكتب ما في "مفتاح الأفكار" وهي "بحر

الأسلوب الثالث

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ « هَذَا كِتَابٌ »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم مع رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ . وهو فيما ذكره ابن إسحاق .

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ ، إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ عَامَّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَقِيَ حَرْبُ اللَّهِ وَحَرْبُ رَسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .

قلت : وقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى جماعة غير مَنْ تَقَدَّمَ ، لم أَقِفْ على صورة ما كَتَبَ إِلَيْهِمْ ، بِجَبَلَةَ بْنِ الْأَيْمَنِ الْغَسَّانِي ، وَذِي الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَتَاتِي كُتِبَتْ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْنَى الْوَلَايَاتِ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَالْهُدُنِ وَالْأَمَانَاتِ فِي مَوَاضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الرابعة

(فى الكُتُب الصادرة عن الخلفاء ، وهى على قسمين)

القسم الأول

(المكاتبات إلى أهل الإسلام ، وفيه تسعة أطراف)

الطرف الأول

(فى الكُتُب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى المكاتبات الصادرة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

وكانت تُفتح بلفظ : « من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان »
وباقى الكتاب من نسبة كُتِبَ النبى صلى الله عليه وسلم من التصدير بالسَّلام
والتَّحْمِيد ، والتَّخْلُصُ بأما بعد ، والاختتام بالسَّلام وما يجرى هذا المجرى ، مع لزوم
الخطاب بالكاف وتاء المخاطب للواحد ، وبالتثنية لل اثنين ، والجمع للجماعة . وعنوانها
« من أبى بكر خليفة رسول الله » فى الجانب الأيمن ثم « إلى فلان الفلانى »
فى الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المتقدم .

وهذه نسخة كتابه رضى الله عنه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد
وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

وهو على ما ذكره صاحب "نهاية الأرب"

"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام أو رجع عنه :

سلام على من أتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإني أحد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به [وأكفر من أبي وأجاهده] .

أما بعد ، فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا ؛ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، يهدي الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ؛ ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأئمة ، وقضى الذي عليه ؛ وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله ، فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد ، حتى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، مستقيم من عدوه بجزبه ، وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تعتصموا ببدين الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم ينصره محذول .

فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ولم يقبل منه في الدنيا عملٌ حتى يقرب به ، ولم يقبل له في الآخرة صرفٌ ولا عدل .

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقتر بالإسلام وعمل به ، أغتراراً بالله وجهالةً بأمره ، وإجابةً للشيطان ، وقال الله جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ . وقال جل ذكره : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وإني أنفقت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوهُ إلى داعية الله ، فإن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً ، قبل منه وأعانه عليه ؛ ومن أبى أمرته أن يقتله على ذلك ، ولا يُبقَى على أحدٍ منهم قدرٌ عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، ويسبي النساء والذراري ، ولا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام ؛ فمن آمن فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجتمع لكم ، والداعية الأذنان ، فإن أذن المسلمون فأذنوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا [عاجلوهم ، وإن أذنوا] سلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقرؤا قبل منهم وحملهم على ما يبغي لهم .

(١) في العبرية ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ "فمن اتبعه" .

(٢) الزيادة من رواية الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن بقيّة الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وهي على أسلوبيين :

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما صارت الخلافة إليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كتبه : « من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان » فلما تلقى أمير المؤمنين على ما تقدم في المقالة الثالثة ، أثبت هذا اللَّقْبَ في كتبه ، وزاد في ابتدائها لفظ « عبد الله » قبل اسمه ، ليكون اسمه نعمًا له ^(١) ، فكان يكتب : « من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان » وباقى الكتاب على ما مرَّ في كُتُبِ النبي صلى الله عليه وسلم والصدّيق بعده في التصدير والتعبير عن نفسه بلفظ الإفراد ، مثل أنا ولي وعلى ، وعن المكتوب له بكاف الخطاب : مثل لك وعليك ، وتاء المخاطب : مثل قلت وفعلت ؛ وتبعه الخلفاء على ذلك . وعنوئُها « من عبد الله فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر كما تقدم ترتيبه .

فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ أمير مصر ، وهو :

(١) لعله "تيماله" .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلامٌ عليك .
أما بعد ، فقد بلغني أنه فشّت لك فاشيةٌ من خيلٍ وإبلٍ وبقرٍ وعبيدٍ ، وعهدي
بك قبل ذلك ولا مالَ لك ، فاكتبْ إليّ من أين أصلُ هذا المالِ » .



ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد ، وقد
بلغه مفرقه اللذات ، وأنهما كهُ على الشهوات ، وهو :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية .

أما بعد ، فقد أدّت السنة التصريح إلى أذن العناية بك ما جَعَّ الأمل فيك ،
وباعد الرجاء منك إذ ملأت العيون بهجةً ، وألغى القلوب هبةً ، وترامت إليك آمالُ
الراغبين ، وهم المتنافسين ؛ وتحت بك فتیان قُرَيْشٍ وكُهولُ أهلك ، فما يسوغُ لهم
ذِكْرُكَ إلا على الحرة الموهّعة ، والكظّ الجشء . اقتحمت البوائق ، وانقدت للمعابر ،
واعتصمتها من سمو الفضل ، ورفع القدر ؛ فلينك يزيد إذ كنت لم تكن . سررت يافعاً
ناشئاً ! وأنكلت كهلاً ضالِعاً ، فواحناه عليك يزيد ! ويا حراً صدر المشكل بك !
ما أشتت فتیان بنى هاشم ! وأذلّ فتیان بنى عبد شمس ! عند تفاوض المفاحر ودراسة
المناقب ! فنّ لصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيئات تحمست الدربة وجه
التصبر بك ، وأبت الحناية إلا تحدرًا على الألسن ، وحلاوة على المناطق ، ما أزيح
فائدة نالوها ، وفرصة انتهزوها ! ؛ أنتبه يزيد للفظه ، وشاور الفكره ، ولا تكن إلى
سمعك أسرع من معناها إلى عقلك . وأعلم أنّ الذي وطأك وسوسة الشيطان ،
وزحرفة السلطان ، مما حبس عندك قُبْحُه ، وأحلّولى عندك مُرُه ، أمرٌ شركك فيه

السَّوَادَ وَنَافَسَكَ الْأَعْبُدَ، لِأَلَا تُثَرِّدَ نَدْعِيهَا أَوْ جَبَّتْهَا لَكَ الْإِمْرَةَ، وَأَضَعْتَ بَهَا مِنْ قَدْرِكَ، فَأَمَكَنْتَ بَهَا مِنْ نَفْسِكَ، فَكَأَنَّكَ شَانِي نَفْسِكَ، فَمِنْ لِهَذَا كُلِّهِ ؟ .

إِعلم يَا زَيْدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ الْمَصَانِعَ •
وَالْمَجَالِسَ لِلْمَلَاهِي وَالْمَزَامِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ وَأَجْهَرْتَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى اتَّخَذَتْ سَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا •

إِعلم يَا زَيْدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا سَلَبَكَ الشُّكْرَ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الْمُنَظَّاهِرَةِ ،
وَالْآيَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، وَهِيَ الْجُرْحَةُ الْعُظْمَى ، وَالْفَجْعَةُ الْكُبْرَى : تَرُكُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ
فِي أَوْقَاتِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَحْدُثُ مِنْ آفَاتِهَا ، ثُمَّ اسْتَحْسَانُ الْعُيُوبِ ، وَرُكُوبُ
الذُّنُوبِ ، وَإِظْهَارُ الْعَوْرَةِ ، وَإِبَاحَةُ السَّرِّ . فَلَا تَأْمُنْ نَفْسَكَ عَلَى سِرِّكَ ، وَلَا تُعْقِدْ
عَلَى فِعْلِكَ . فَمَا خَيْرُ لَذَةٍ تُعْقِبُ النَّدَمَ ، وَتُعْنِي الْكَرَمَ ؟ وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ
شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ ، لَمَّا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ غَلَبَةِ الْآفَةِ وَأَسْتِهْلَاكِ الشَّهْوَةِ . فَكُنِ الْحَاكِمَ
عَلَى نَفْسِكَ ، وَاجْعَلِ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ ذِهْنَكَ تَرَشُّدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلِيَبْلُغْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا يَرِدُ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ نُصَبَ الْأَعْتَرَالِ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ ، وَدُرَأُ^(١) الْأَلْسَنِ
الشَّامِتَةِ ، وَفَقَّكَ اللَّهُ فَأَحْسَنَ •

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَسَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ «أَمَّا بَعْدُ»)

وَهُوَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ خِلاَ الْإِبْتِدَاءِ وَالتَّصْدِيرِ بِالسَّلَامِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَيَكُونُ الْإِفْتِتَاحُ
فِيهِ بِالْمَقْصِدِ ، كَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ حِينَ خَرَجَ إِلَى الْيَنْبُغِ وَأَخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عُمَانِ •

(١) لعله دريئة وهي الحلقة التي يتعلم عليها الطعن •

أما بعدُ، فقد بلغ السيلُ الزَّبِيءُ^(١) [وجاوز] الحِزَامُ الطَّيِّينَ، وطَمِعَ في كُلِّ مَنْ
كان يضعف [عن الدِّفْعِ^(١)] عن نفسه، ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبٍ، فأَقْبِلْ إلى صديقاً
كُنْتَ أو عَدُوّاً :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُوِّلَا، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنِّي وَلِمَّا أُمَزَّقْ

الطرف الثاني

(في الكُتُبِ الصادرة عن خلفاء بني أُمَيَّة)

وهي على ما تقدّم من الكُتُبِ عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعيير، إلا
أنه يعبر عن الخليفة بأمر المؤمنين، وربما عبر عنه بلفظ الأفراد . مثل : فعلتُ
وأفعل وما أشبه ذلك ؛ أما الخطاب للكتوب له فيكاف الخطاب وتاء المخاطب ،
مثل : إناكَ أَنْتَ قَلْتَ كَذَا، وفعلتَ كَذَا، وما أشبه ذلك . وعنوانها : « من عبد الله
فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر .
ثم هي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يفتَحَ الكتابُ بلفظ « من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان »)

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف - وقد بلغه تعرّضه لأنس
ابن مالك رضي الله عنه - « من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج
ابن يوسف

أما بعد، فإنَّكَ عَبْدٌ عُلْتُ بِكَ الْأُمُورُ فُطِفْتِ، وعلوتَ فيها حتى جُرْتَ حَدَّ قَدْرِكَ، وعدوتَ طُورَكَ . وإيُّمُ الله لَا عَمَزَنَكَ كبعضِ عَمَزَاتِ اللَّيْثِ الثَّعَالِبِ ! وَلَا رَكُضَنَكَ رَكْضَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَعَاءِ أُمِّكَ ، اذْكُرْ مَكَايِبَ آبَائِكَ فِي الطَّائِفِ، إِذْ كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَيَحْفَرُونَ الْآبَارَ وَالْمَنَاهِرَ بِأَيْدِيهِمْ ! ، قد نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ . وقد بلغَ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْتَطَالَةَ مَنْكَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ جُرَاةَ مَنْكَ عَلَى أميرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغِرَّةَ بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنَقَاتِهِ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ مَحَجَّتِهِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ سُخْطِهِ ، وَأَظْنُكَ أَرَدْتَ أَنْ تُرَوِّزَهُ بِهَا فَعَلِمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيرِ فِيهَا ، فَإِنْ سُوِّغَتْهَا مَضِيَتْ قُدَمَا ، وَإِنْ غَصِصَتْ بِهَا وَلَيْتَ دُبْرًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَخْفَشُ الْعَيْنِينَ ، الْأَصْكُ الرَّجْلِينَ ، الْمَسُوحُ الْجَاعِرَتَيْنِ ، وَلَنْ يَخْفَى عَنْ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبُؤُكَ ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويقع الشروع منه في المقصد)

كما كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام - وقد بلغه خلافتهم عليه .

”أما بعد، فإنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . إِنِّي وَاللهِ قَدْ لَيْسْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ ! وَرَفَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى قَمِي ، ثُمَّ عَلَى بَطْنِي ؛ وَإِيَّاهُ اللهُ لَنْ وَضَعْتُكُمْ

(١) في مفتاح الأفكار ص ١٨١ ”طمت“ وهي أقرب إلى المعنى وفيه في آخر الكتاب زيادة فراجع .

(٢) في ”مفتاح الأفكار“ فليكن لعنة الله من عبد أخفش الخ .

تحت قَدَمِي لأطانتكم وطاةً أَقُلُّ بها عددكم ، وأترككم بها أحاديث تُنسخ منها أخباركم كأخبار عادٍ ومُودٍ .

وكما كتب عمرُ بنُ عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة ، وهو عامله على بعض النواحي .
 ”أما بعد ، فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق ، فاذا كر قدرة الخالق عليك ! وأعلم أن مَالَك عند الله مثل ما للرعية عندك“ .

وكما كتب يزيدُ بنُ الوليد المعروف بالناقص إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه تلكُ في بيعته - .

”أما بعد ، فإني أراك تُقدِّم رجلاً وتوتر أخرى ، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت والسلام“ .

قلت : ولم يزل الأمر في المكتابات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف ، إلى أن ولي الوليدُ بن عبد الملك ، بفؤد القراطيس ، وجلل الخطوط ، ونغم المكتابات ؛ وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، إلا عُمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد المقدم ذكره ، فإنهما جرياً في ذلك على طريقة السلف ؛ ثم جرى الأمر بعدهما على ماسنه الوليد بن عبد الملك ، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم ، وكتب له عبد الحميد بن يحيى - وكان من اللسن والبلاغة على ما أشتهر ذكره - فأطال الكتُب وأطنب فيها ، حيث أقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها ، حتى يقال : إنه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقرب جمل ، وأستمر ذلك فيما بعده .

الطرف الثالث

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد
وولاية العهد بالخلافة، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال)

كانوا يفتتحون أكثر كتبهم بلفظ « من فلان إلى فلان » وتارة بـ « أما بعد » وربما أفتتحوها بغير ذلك ؛ فأما أفتتحوها بلفظ من فلان إلى فلان فكان يكتب عنهم في أول دولتهم كما كان يكتب عن خلفاء بني أمية ، وهو « من عبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحد إليك الله الذي لا إله إلا هو » ثم يختص إلى المقصود بلفظ أما بعد . إلا أنهم زادوا بعد أسم الخليفة لفظ « الإمام الفلاني » بلقب الخلافة ، فكان يقال : « من عبد الله الإمام الفلاني أمير المؤمنين » فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التحميد « ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فلما ولي أبنه الأمين آكتنى في كتبه وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك .

وقد اختلف في تقديم الأسم والكنية واللقب ، والذي رتبّه أبو جعفر النحاس في « صناعة الكتاب » تقديم الأسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب . مثل أن يقال : « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » ثم قال : وهذه المكاتبه هي التي أصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تُنشأ بها الكتب من الدواوين ، إلا أن بعض العلماء قد خالفهم في هذا ، وقال : الأولى أن يبدأ

باللقب، مثل أن يقال «من الراضى» أو «المتوكل» وما أشبه ذلك، كما قال الله جل وعز : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك لأن اللقب لا يشاركه فيه غيره، فكان أولى أن يُبدَأَ به .

وترتيب المكتابة على ما ذكره في "صناعة الكتاب" أن يكتب : «من عبد الله فلان أبى فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين، سلامٌ عليك ؛ فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إلهَ إلا هو، ويسأله أن يصلّى على محمّده ورسوله» . ثم يفضّل ببياض يسير، ويكتب «أما بعد فإن كذا وكذا» ؛ ثم يأتى على المعنى ، فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر، فصل ببياض يسير، ثم يكتب : «وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب إليك بكذا» ، فيؤمر بامتثال ما أمر به والعمل بحسبه ؛ ثم يفصل ببياض ويكتب : فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين، وأعمل به، إن شاء الله تعالى . « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه ، يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا . وقد يكتب فى أواخر المكتابة بعد استيفاء المقصّد : « هذه مناجاة أمير المؤمنين لك » أو « هذه مفاوضة أمير المؤمنين لك » .

ويقال : فى السلام على أعلى الطبقات من المكتوب إليهم « والسلام عليك ورحمة الله » وربما قيل : « ورحمة الله وبركاته » .



وأما افتتاحها بلفظ أما بعد، فغالب ما يقع فى الكتب المطلقة : كالبشرى بالفتوح وغيرها . ثم تارة يعقب البعدية بالحمد لله، إما مرة أو أكثر، وغالب ما يكون ثلاث، وتارة يعقب بغير الحمد .



وأما الافتتاح بغير هذين الافتتاحين، فتارة يكون بالدعاء، وتارة يكون بغيره ، ويكون التعبير عن الخليفة في كتبه الصادرة عنه « بأمر المؤمنين » على ما تقدم في خلافة بني أمية .

ثم إن كان المكتوب إليه معيناً، فالذى كان عليه الحال في أول دولتهم أن يُكْتَب إليه باسمه ؛ ثم لما تغلب بنو بويه على الخلفاء وغلّبوا عليهم ، وعلت كلمتهم في الدولة وتلقّبوا بفلان الدولة وفلان الملة ، فكان يُكْتَب إليهم بذلك في الكتب إليهم ؛ ثم لما كانت الدولة السّلاجقية في أواخر الدولة العباسية ببغداد ، آستعملوا كثرة الألقاب للمكتوب إليه عن الخليفة في صدر المكتبة . قال في "موادّ البيان" : ولا يخاطب أحدٌ عن الخليفة إلا بالكاف . وقد يخاطب الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية ، ويتصرّف في ذلك ويزاد ويُنقص على حسب لطافة محل الوزير ومنزلته من الفضل والجلالة .

قال في " ذخيرة الكتاب " : ويكون الدعاء من الخليفة لمن يكتبه على قدر موضعه من خدمته ومحله عنده ؛ وقد تقدّم أن أعلى الدعاء كان عندهم بإطالة البقاء ؛ ولذلك كان يُدعى للملك بنو بويه فمن بعدهم بلفظ : «أطال الله بقاءك» وقد تقدّم في المقالة الثالثة في الكلام على مقادير قطع الورق وما يناسب كلّ قطع من الأقلام أنه إن كانت المكتبة عن الخليفة ترك الكاتب من رأس الدّرج قدر ذراع بياضاً ؛ ثم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيراً ، من عبد الله إلى آخر التصدير الذى يليه أما بعد ، وأن التصدير يكون في سطرين

بينهما فضاءً قدرَ شبر، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً بنصف ما بين الأولين فيما ذكره في "موادّ البيان" : وبقدرة فيما ذكره في "ذخيرة الكتاب" ثم يقول : أما بعد، ويأتى على المكتبة إلى آخرها على هذا النحو .

أما عُنُونُهُ كتبهم ، فكانت في أول دولتهم : « من عبد الله فلان الإمام الفلاني » أمير المؤمنين « في الجانب الأيمن ، وفي الجانب الأيسر « إلى فلان بن فلان » . ثم زاد المأمون في أول عُنُونَاتِهِ « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما تَكَثَّرَ الأئِمْنُ في كتبه بعد ذلك زيدت الكُتْبَةُ في العنوان ، فكان يكتب في الجانب الأيمن « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني » وفي الجانب الأيسر ، « إلى فلان ابن فلان » . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المكاتبات أن البسملة بقيت في العُنُونَةُ إلى زمن النحاس في خلافة الراضى ، وأن صاحب "موادّ البيان" ذكر أنها بطلت منه بعد ذلك .

قال النحاس : فإن كان المكتوبُ إليه من مَوَالِي بنى هاشم ، نُسِبَ إلى ذلك ، وإن لم يكن ينسب إليهم تُرِكَ .

الجملة الثانية

(في الكُتُبِ العامّة ، وهى على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

بأن يكتب « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » إلى آخر المكتبة على ما تقدّم ترتيبه .

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به أبو إسحاق الصابى عن الطائع لله إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه ، الخارج عن الطاعة ، وليس فيه تكتية للخليفة وهو .

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين » إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبى كاليجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .
سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطلّ الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بَوَّأَكَ المَزلَّةَ العُلْيَا ، وأَنَالَكَ من أَثرته الغَايَةَ القُصْوَى ؛ وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القَدْر والمَحَل ، والموضع الأَرْفَع الأَجَل ؛ فإنه يُوجِبُ لك عند بَذَلِكَ أَثَرًا يكون لك فى الخِدْمَةِ ، ومَقَامَ حمد تقومه فى حِمَاية البِيضَةِ ؛ إنْعَامًا يَظَاهِرُهُ ، وإِكْرَامًا يَتَابَعُهُ وَيُؤَاتِرُهُ . والله يُؤَيِّدُكَ من توفيقه وتسدِّدِهِ ، ويمدِّدُكَ بمعونته وتأييده ؛ ويَخِيَرُ لأمير المؤمنين فى رأيه مستمرّ عليه من مَزِيدِكَ وتمكينك ، والإبقاء بك وتعظيمك ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوَكَّلُ وإليه يُنِيبُ .

وقد عرفت - أدام الله عزَّكَ - ما كان من أمر كردويه كافرٍ نعمة أمير المؤمنين ونعمتك ، وجاحدٍ صَنِيعَتِهِ وصَنِيعَتِكَ ، فى الوَثْبَةِ التى وثبها ، والكِبَرَةِ التى أَرْتَكَبَهَا ؛ وتقديره أن يَتَهَيَّزَ الفُرْصَةَ التى لم يَمِكنْهُ الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعه وردّه عنها ؛ ومعاجلتُكَ إِيَّاهُ الحربَ التى أصْلَاهُ الله نَارَهَا ، وَقَنَعَهُ عَارَهَا وشَارَهَا ؛ حتّى أَنهزم والأوغاد الذين شَرَّكَوهُ فى إثارة الفِتْنَةِ على أَقْبَحِ أحوال الدُّلَّةِ والقِلَّةِ ، بعد القتل الذَّرِيعِ ، والإِثْنَانِ الوَجِيعِ ؛ فالحمد لله على هذه النعمة التى جَلَّ مَوْقِعُهَا ، وبأن على

الخاصة والعامة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها، والحديث بها، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَارِيكَ عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ؛ بخلع تامة ، ودابتين ومرَكبين ذهباً من مرَّاكبه ، وسَيْف وطَوْق وسوار مرصَّع ؛ فتلقَّ ذلك بالشكر عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ، وآلَبَسَ خَلَعَ أمير المؤمنين وتَكْرِمَتَهُ ، وسَرَّ من بابه على حملاته ، وأظْهِرَ مَاحِبَاكَ به لأهل حضرته ، لِيُعِزَّ الله بذلك وإيَّه ووليَّك ، وَيُذِلَّ عَدُوَّه وَعَدُوَّكَ ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .
(وكتب أحمد بن محمد لثمان إن يَقِينَ من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة) أطل الله بقاءك ، وأدام عِزَّكَ ، وأحسنَ حِفْظَكَ وحيَاطَتَكَ ، وأَمَتَّ أمير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيك وعِندك .



وهذه نسخة كتاب آخر من ذلك أيضاً ، كُتِبَ به عن المقتضى لأمر الله إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في تعزية بوليد مات له ؛ وفيه تكنية الخليفة وتقديم الكنية على الأسم وكثرة الألقاب للكتوب إليه وهو .

” من عبد الله أبى عبد الله محمد المقتضى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه المعظم مولى الأمم ، مالك رِقَاب العرب والعجم ؛ جلال دين الله ، ظهير عِبَاد الله ؛ حافظ بلاد الله ، مُعِين خليفة الله ؛ غِيَاث الدنيا والدِّين ، ناصر الإسلام والمسلمين ؛ محي الدولة القاهرة ، مُعِزَّ الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ، أبى الفتح « مسعود ابن محمد ملكشاه » قسيم أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّى على محمد عبده ورسوله ويسلم تسليماً .

أما بعد ، أطل الله بقاءك ! وأدام عزك وتأييدك وسعادتك ونعمتك ، وأحسن
حفظك وكلاءك ورعايتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمه الجليله والموهبه
الجزيلة والمِنحة النفيسه فيك وعندك ، ولا أخلاه منك ! ، فإن أولى من أدّرع للحوادث
جُبّة الأَصْطِبار ، ونظر أحوال الدنيا فى قلبها بعين الاعتبار ، ورجع إلى الله تعالى
فى قَدَره وقضائه ، وسَلَّم لأمره الذى لا رادّ له فى أمتحانه وأبتلائه ، وعرف أن له
سبحانه فى كلّ ما يُخْرِيه على عبادهِ حِكْمَةً باطنه ، ومصلحه كامنه ، من خير عاجل
ينشره ، وثواب آجل يُؤخّره لهم إلى يوم الجزاء ويُدّخره ، وفائدة هو أدري بها وأعلم ،
وفعله فيها أيقن وأحكم ، مَنْ خَصَّه بما خَصَّك الله به من الدين الراجح ، والخلق
الصالح ، والمعتقد الواضح ، والنعم التى جادك فى كلّ يوم مقام سحابها ، وآتست
بين يديك عند مضايق الأمور رحابها ، وأنست إذا استوحشت من العاجزين عن
ارتباطها بالشكر صحابها ، والمناقِب التى فرّعت بها صهوات المجد ، وتملكت رِقّ الشاء
والحمد ، وعلوت فيها عن المساجل والمطاول ، وبعد ما حضر لك منها عن أن تناله يدُ
القائم المحاول . وتأذى إلى حضرة أمير المؤمنين - أمتعته الله ببقائك ، ودافع له عن
حوائك - نبأ الحادثة بسيليك الذى اختار الله له كريم جواره ، فأحب له الانتقال^(١)
إلى محلّ الفوز ومداره ، فوجد لذلك وجوماً موقراً ، وهماً للسكون منفراً ، وتوزعاً
تقتضيه المشاركة لك فيما ساويته (؟) والمساهمة الحاصلة فى كل ما حلّ من الأمور وأمر ،
وأمر عند ورود هذا الخبر بالتصدى للعزاء ، وإعلان ما يُعلن عن مقاسمتك فى الضراء
- دفعها الله عنك - والسرّاء ، وتدبّ جمعاً من الخدم المطّيفين بشريف سُدّته ،

المختصين بعزير خدمته ؛ بتعزيتصونه لباس التعزیه ، ويستدنى بتقمصه عازب
التسليه ؛ إبانته عن أنصراف الهمم الإمامية إليك فيما خص وعم من حالك ، وأستجلايه
لك دواعي المسار في حلك وترجالك ؛ وكون الأفكار الشريفة موكلّة بكل ماحمى من
الروائع قلبك ، وأعذب شربك ؛ وأنت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك
ونيته ، ورأيه فيك وشفقته ، ورعاية مصلحتك منه بعين كاليه ، ورجوعه من المحافظة
في حقل إلى ألفة بالصفاء حاله ؛ وتلقى الرزية التي أرادها الله وقضاها ، وأنفذ مشيئته
فيها وأمضاها ؛ بالصبر المأمور به والاحتساب ، والتسليم الموعود عليه بجزيل الثواب ؛
علما أن الأقدار لا تغالب ، وغريمها لا يطالب ؛ وإن الله تعالى إذ قال لنبيه صلى الله
عليه وسلم - وهو سيد البشر - ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فلا سبيل لأحد من
خلقه إلى البقاء ، ولا وجه للخلود في دار الفناء ؛ ولا دافع لحكمه جلّت عظمته فيما
قدّره من الآجال ، وسبق في علمه من الروائع في دار الابتلاء والأحوال ؛ وما يزال
التطلع واقعا إلى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي الأليق بك ، والأدعى
إلى حصول بُغيتك من قضاء الله وأدبك ؛ لتخط الأتسّة مع وصوله في رحالها ،
وتؤذن لصرف الغموم الجارية لأجلك بارتحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أدام الله تأييدك ! وأمتع بك ! إن شاء الله تعالى ،
والسلام عليك ورحمة الله .

الأسلوب الثاني

(أن يكون الافتتاح بلفظ «أما بعد» وهو على نوعين)

النوع الأول

(أن يعقب البعديّة «الحمد لله» ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يتعدّد الحمد في أول الكتاب)

ويكون ذلك في الكتب المؤدّنة بمحصل نعمة ظاهرة : كالفتوح ونحوها . ويقع التعدّد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة ؛ وغالب ما يكون ثلاث مرات ، وربما وقع التعميد في أول الكتاب وآخره .

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كُتِبَ بها عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأتّشين على بابك ملك الروم ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه ، والعِصمة لأوليائه ، والعِز لمن نصره ، والفُلج لمن أطاعه ، والحق لمن عَرَفَ حقّه ؛ وجعل دائرة السوء على من عصاه وصَدَفَ عنه ، ورَغِبَ عن ربوبيته ، وأبتغى إلها غيره . لا إله إلا هو وحده لا شريك له . يحمّده أمير المؤمنين حمداً من لا يعبد غيره ، ولا يتوكّل إلا عليه ، ولا يفوّض أمره إلا إليه ؛ ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ؛ ولا يستعين في أحواله كلّها إلا به . ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، وصّفوته من عباده ، الذي آرتضاه لنبوته ، وأبتعته بوحيه وأختصّه بكرامته ؛ فأرسله بالحق شاهداً ومبشّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . والحمد لله الذي توجه

لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأمنح له طلبته ، وأنفذ له
 حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثارهم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن
 روعتهم ، ورحم فاقتهم ، وآتس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين
 في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ؛ بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع
 البلاء ؛ من آمن الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعاً له فيما وفقه لطلبه ،
 وكرامة زادها فيما أجرى على يده ؛ فالحمد لله كثيراً كما هو أهله ، ونزغب إلى الله
 في تمام نعيمه ودوام صنعه ، وسعة ماعنده بمنه ولطفه ؛ ولا يعلم أمير المؤمنين - مع
 كثرة أعداء المسلمين وتكفئهم إياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ،
 وما يترصدونه من العداوة ، ويضطرون عليه من المكايده ، إذ كان هو الظاهر عليهم ،
 والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بليّة ، ولا أجل خطباً ، ولا أشدّ كلباً ، ولا أبلغ
 مكايده ، ولا أرمى بمكره ، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسلمون ، فيستعلون
 عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحاً ، ولا يميلون معهم
 إلى موادعة ؛ وإن كان لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال
 يكون من فترات ولادة الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلس
 الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منغصاً لما تعجلوا من سروره ،
 وما يتوقعون من الدوائر بعد ، مكدرًا لما وصل إليهم من فرجة .

فأما اللعين بابك وكفرته ، فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يغزون ، وينالون أكثر
 مما ينال منهم ؛ ومنهم المتحرفون عن الموادعة ، المتوحشون عن المراسلة ؛ ومن
 أدبوا من تتابع الدول ، ولم يخافوا عاقبة تذكهم ، ولا دائرة تدور عليهم . وكان مما
 وطأ ذلك ومكثه لهم أنهم قوم آبتدوا أمرهم على حال تشاغل السلطان ، وتتابع من
 الفتن ، وأضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بعزة من أنفسهم ، وضعف

وَأَسْتَنَارَةَ مَنْ بَارَاهُمْ ، فَأَجَلَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ؛ ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِعِزِّ مُطْلَبِهِمْ ، وَتَشَدُّدِ الْمُؤْنَةِ وَتَعْظَمِ الْكُفَّةِ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ؛ فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُودَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ ضَرُورَاتُهُمْ وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَاعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَعِدُهُمُ الْكَافِرُ وَيُمْنِيهِمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ . وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبِدُونِ هَذَا مَا يَخْتَدِعُ الْأَرِيبَ وَيُسْتَزَلُّ الْعَاقِلُ وَيَعْتَقِلُ الْفَطِنُ ، فَكَيْفَ بِنِ لِفِكْرَةٍ لَهُ ، وَلَا رُويَّةٍ عِنْدَهُ ؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حَسَدِ أَهْلِ النِّعَمِ ، وَمُنَافَسَتِهِمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَطُّعِهِمْ حَسَرَاتٍ فِي إِثْرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَا يَكُونُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ مَاذَا عُنُقَهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُؤَلِّيَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةِ وَيَمْلِكَهُ حَرْبِهِمْ ، وَيَجْعَلَهُ الْمُقَارِعَ لَهُمْ عَنْ دِينِهِ ، وَالْمُنَاجِزَ لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلْبًا وَأَحْتِيَالًا ؛ فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا بَنِي ذَلِكَ لَضَمَّنَهُ بِهِ ، وَصِيَّانَتِهِ بِقَرْبِهِ ، مَعَ الْأَمْرِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ وَآثَرَهُ بِهِ ؛ وَرَأَى أَنْ شَيْئًا لَا يَفْقِي بِقِوَامِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْأَمْرِ .

فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي يَدِهِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَلَا آخَذَ بَقَلْبِهِ مِنَ الْمَعَاجِلَةِ لِلْكَافِرِ وَكَفَرَتِهِ ، فَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ اللَّهُ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَتَيْسَّرِهِ ، فَأَعَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِ أَخْطَرَهَا ، وَمِنْ قُودَادِ جَيْشِهِ أَعْلَمَهُمْ بِالْحَرْبِ وَأَنْهَضَهُمُ بِالْمُعْضَلَاتِ ، وَمِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ وَدَعْوَةِ آبَائِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ

عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكايّة ، وأكثرهم عدّة . ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرّجال بالرجال ، من خاصّة مواله وعدد غلمانّه ، وقبل ذلك ما أتكل عليه من صنّع الله جلّ وعزّ ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويشفّ صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك ، مادامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلّوا وقُتلوا وكرّها الموت ، صاروا لا يترءون إلا في رؤوس الجبال ومضايق الطرّوق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ، حصنا للطولة وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين ، وأستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم حين لهم ، وصنّع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، بجمعهم وحصرهم لكن لا تبقى منهم بقيّة ولا تُرجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التّعس والتّكس إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم ، سلّطهم الله عليهم كيّد واحدة ، يخطفونهم بسيفهم ، وينتظمونهم برماحهم ، فلا يجيدون ملجأ ولا مهرباً ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرّمهم وصيروا الدار دارهم والمحلة محلّتهم ، والأموال قسماً بينهم ، والأهل إماءً وعبيداً . وفوق ذلك كلّ ما فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أعدّ لأولئك من الخزي والعقاب ؛ وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسليم من ذلّ الغلبة ، ولا فيمن نجح فعاين في الحياة بعض العوض ، ولا فيمن أصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسدّ مذهبّه ، وتركه مُلدداً بين الدّل والخوف ، والغصّة والحسرة ، حتى إذا ذاق

طعم ذلك كله وفهمه ، وعرف موقع المصيبة ، وظنَّ مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة ، فأضرب الله وجهه ، وأعمى بصره ، وسدَّ سبيله ، وأخذ بسمعه وبصره ، وحازه إلى مَنْ لَا يَرِيقُ له ، وَلَا يَرِنِي لِمَصْرَعِهِ ؛ فَأَمْتَل ما أَمَرَ به الْأَفْشِين (حيدر بن طاوس) مولى أمير المؤمنين فى أمره ؛ فَبَثَّ له الجبال ، ووضع عليه الأرصاد ، ونَصَب له الأشرار حتى أظفره الله به أسيراً ذليلاً مُؤْتَقاً فى الحديد ، يراه فى تلك الحالة مَنْ كَانَ يراه رَبًّا ، ويرى الدائرة عليه مَنْ كَانَ يظُنُّ أنها ستكون له . فالحمد لله الذى أعزَّ دينه ، وأظهر حُجَّتَه ، ونَصَرَ أوليائه وأهلك أعداءه ، حمداً يُقْضَى به الحق ، وتَمِّم به النعمة ، وتتصل به الزيادة . والحمد لله الذى فتح على أمير المؤمنين وحقَّق ظنَّه ، وأنجح سعيه ، وحاز له أجر هذا الفتح ودُخْرَه وشرَّفه ، وجعله خالصاً لتمامه وكِماله بأكل الصنع وأحسن الكفاية ، ولم يربوساً فيه ما يُقْنِى عينه ، ولا خلا من سُرور يراه ، وبشارة تتجدد له عنه ، فما يدرى أمير المؤمنين ما مُتَّع فيه من الأمل ، أو ما خُتِم له من الظفر ؛ فالحمد لله أولاً ! والحمد لله آخرًا ! والحمد لله على عطاياه التى لا تُحصى ، ونعمه التى لا تُنسى ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب من هذا الضرب ، كتب به أبو سعيد العلاء بن موصلاً عن القائم بالله ، إلى عضد الدولة « ألب أرسلان » إلى مسعود بن محمود صاحب غزنة من أوائل بلاد الهند ، بالبيشارة بالنصر على البساسيري وهو .

أما بعد ، فالحمد لله مُنِيرِ الحق ومُبْدِيهِ ، ومُيِّرِ الباطل ومُرْدِيهِ ؛ الكافِل بِإِعْزَازِ حَرْبِهِ ، وَإِذْلالِ حَرْبِهِ ، المؤيِّد فى نُصْرَةِ دينه خِصْبَ الدَّهْرِ بعد إِحْمالِهِ وَجَدِيهِ ، الناظِم سَمَلِ الشَّرْعِ بعد شَتَاتِهِ وَتَفَرُّقِهِ ، الحاسِم دَاعِيَ الفَسَادِ بعد آسْتِيلائِهِ وَتَطَرُّقِهِ ، ذى المشيئة النافذة الماضيه ، والعزة الكاملة الوافرة والعظمة الظاهرة البادية ،

والبراهين الرائعة الرائقة، والدلائل الشاهدة بواحدانيته الناطقة ؛ حمدا لا انتهاء
لأمده، ولا إحصاء لعدده . والحمد لله الذى آخض محمد صلى الله عليه وسلم برسالته
وحبائه ، وأولاده من كرامته ما حاز له به الفضل وحواءه ؛ وبعثه على حين فترة
من الرسل ، وخلاء من واضح السبل ؛ بغاهد بمن أطاعه من غصاه، وبلغ في الإرشاد
أقصى غايته ومداه ؛ ولم يزل مبدياً أعلام الإعجاز، ومُليحاً الهوادي بالانعجاز ؛
إلى أن دخل الناس في الدين أفواجا ، وسلّكوا في نصرتة جدداً واضحاً ومنهاجا ؛
وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم ، وأثار الشرك واهية الدعائم ؛ ومناهل الهدى
عذبة صافية . فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المنتخبين وخلفائه
الأئمة الراشدين، وسلم تسليماً . والحمد لله الذى أصار إلى أمير المؤمنين من ثراث النبوة
ما استوجبه واستحقّه ، وأثار لدينه من مطالع الجلال ما تملك به الفخر وأسترقّه ؛
ومنحه من حُسن التمكن والإظفار ، وإجراء الأفضية على مراده والأقدار ؛ مارد
صرف الدهر عن حوزته مقلول الحدّ ، ومدّ باع مجده إلى أقصى الغاية والحدّ ؛
وحمل سرب إمامته من دواعي الخوف والحدّر ، ووقى مشرب خلافته من عوادي
الرتق والكدر ؛ وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضاح والمجول ، مفتحة النواجد
عن الكمال الضافي الأهداب والذبول ؛ مؤذنة باستقرار أمداد السعادة، واستمرار
الأحوال على أفضل الرسم والعادة ؛ وهو يستديمه من لطيف الصنع وجميله ،
ووافي الطول وجزيله ؛ ما يزيد آراءه سدادا ورشادا ، وأرومة عزه اتساعا وأمتدادا ؛
ومجاري الأمور لديه اتساقاً على المراد واطرادا ؛ وماتوفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
يتوكل وإليه يُنيب ! .

ومعلوم ما أعتمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق، في الجيوش التي يضيق
بها الفضاء، ويجرى على مرادها القضاء؛ قاصداً تلبية الدعوة، وخاضداً شوك كل

(١) مَنْ سَدَّ عَنِ الدِّينِ أَسْبَابَ الْمَضَرَّةِ وَالْمَعَرَّةِ ، وَمَعْتَمِدًا مَاحِي حَوْزَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الشُّوَابِّ الْمُعْتَرِضَةِ ، وَحَوَّى أَقْسَامَ الْفَخَّارِ فِي آتِبَاعِ شُرُوطِ الْخِدْمَةِ الْمُتَلَزِمَةِ الْمُفْتَرَضَةِ ، مِنْ الْمُبَادَرَةِ لِلْكَيْسِ الْعَيْنِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَلَفِيفِهِ الْمَخَازِيلِ ، مَدْرِعًا مِنَ الْإِعْتِضَادِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَقْوَى الْجُنْحَنِ وَأَسْبَغَ السَّرَابِيلَ ، لِيَطْهَرَ الْأَرْضَ مِنْ دَنَسِ كُفْرِهِمْ ، وَيُوقِرَ الْجَدَّ فِي فَصْمِ حُدُودِهِمْ وَحَسْمِ كَيْدِهِمْ ، فَأُطْلَّ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ مُتَطَلِّبًا مِنْ أُلْجَاءِ حِذْرِهِ إِلَى الْإِمْعَانِ فِي الْهَرَبِ ، وَقَطَعَ كُلَّ أَخِيَّةٍ وَسَبَبَ ، وَمَعْتَرَا الْإِنْتِمَاءَ إِلَى مِصْرَ لَا تَنْتَرِعُهَا وَبَقِيَةِ الْأَعْمَالِ ، مِنْ أَيْدِي أَحْلَافِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ ، وَقَرَّبَ الْأَمْرَ فِيمَا حَاطَهُ مِنْ ذَلِكَ وَرَامَهُ ، اعْتِمَادُهُ فِيهِ صُنُوفَ التَّجَدُّدِ وَأَقْسَامَهُ ، فَاعْتَرَضَهُ مِنْ عِصْيَانِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ آلِ وَعَقُوقِهِ ، وَخُرُوجِهِ عَنْ زُمْرَةِ أَبْنَاءِ الطَّاعَةِ وَمُرُوقِهِ ، بِإِفْسَادِ اللَّعِينِ لِيَأْهُ ، وَإِحَالَتِهِ بِمَكْرِهِ عَنْ مَنَاجِحِ هُدَاهُ ، مَا أَحْوَجُهُ إِلَى تَرْكِ مَا هُوَ بِصَدْدِهِ وَالْحَقَّ بِأَثَرِهِ حَذَارًا مِنْ آسْتَفْجَالِ خَطْبِهِ ، وَبِدَارًا إِلَى قَلِّ حُدُودِهِ وَغَرْبِهِ ، فَعَادَ ذَلِكَ بِتَجْمُعِ الْأَعْدَاءِ وَأَحْتِشَادِهِمْ ، وَسُلُوكِهِمْ الْمَحَبَّةَ الَّتِي خُصُّوا فِيهَا بَعْدَ تَوْفِيقِهِمْ وَرَشَادِهِمْ ، وَإِقْدَامِهِمْ عَلَى فَضْلِ الْإِمَامَةِ الْمَكْرَمَةِ بِالْمَحَارَبَةِ ، وَأَطْرَاحِهِمْ فِي مَنَابَذَتِهَا حُكْمَ الْأَحْتِشَامِ وَالْمِرَاقِبَةِ ، وَوُقُوعِ التَّظَاوُرِ عَلَى الْمَجَاهِرَةِ بِخِلَافِهَا ، وَالتَّظَاهُرِ بِشِعَارِ أَشْيَاعِ الْغَوَايَةِ وَأَحْلَافِهَا ، بِجَرَأَةٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِزْأَالٍ لِعِقَابِهِ ، وَأَطْرَاحًا لِمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْجَنَائِدُ الْعُظْمَى مِنْ تَوَقُّعِ الْعَذَابِ وَارْتِقَائِهِ ، وَأَدْرَاعًا لِمَلَابِسِ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاتِّبَاعًا لِدَاعِي الضَّلَالَةِ الْمَغْنَوِيَةِ فِي الْبَدءِ وَالْخَاتِمَةِ ، فَاقْتَضَى حُكْمُ الْأَسْتَظْهَارِ الْإِنْتِقَالَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ - بِمَدِينَةِ السَّلَامِ - إِلَى (حَدِيثَةِ عَائِشَةَ) لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ آمْتِنَاعِ الْجَانِبِ وَشِدَّةِ الْحَصَانَةِ ، إِلَى أَنْ أَسْفَرَ خَطْبُ شَاهِنْشَاهِ رُكْنِ الدِّينِ - أَمَعَ اللَّهُ بِهِ - عَنْ إِدْرَاكِ الْمَطَالِبِ ، وَتَيَسَّرَ الْمَصَاعِبُ ، فَعَادَ بِنُصْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقَائِمَةِ مُسْتَنْفِدًا فِي ذَلِكَ أَقْسَامَ الْوُسْعِ

(١) لعله وخاضدا شوك كل من صد عن الدين وأولاه أسباب الخ .

والاجتهاد ، ومستنجدا بمَعُونَةِ الله تعالى على إبادة الكُفْرِ بِصُنُوفِ القِرَاعِ والجِهَادِ ؛
ولم يزل ساعيا في إزالة العار ، وَاَتْرَاعِ المَقْتَصَبِ وَآرْتِجَاعِ المستعار ؛ إلى أن صدَّقَ
الله تعالى الأملَ وَحَقَّقَهُ ، وَأَصْفَى مَنَهْلَ العِزِّ مِنْ كُلِّ مَا شَابَهُ وَرَنَقَهُ ؛ وَأَطْلَعَ شمسَ
الحَقِّ بَعْدَ غُرُوبِهَا ، وَمَنْ بَخَضَ شَوْكَةَ الباطلِ وَقَلَّ غُرُوبُهَا .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار مُلْكِهِ وَمَقَرِّ مَجْدِهِ في يوم كذا ضافيةً على راياته
جَلَابِيبُ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، جاريةً على إرادته تصاريِفُ القِضَاءِ والقَدَرِ ، يُمْنُ نَقِيبَةٍ
شاهنشاه الذي أدى في الطاعة القِرْضَ الواجب ، وتمسك من المُشَايَعَةِ بأفضل ما تُضَمُّ
عليه الرُّوَابِجُ ؛ وَغَدَاَ لِلدَّوْلَةِ عَضُدًا مُوَفِّيًا على الأمثال ، في دَفْعِهِ عن الإسلام وَذَبَّهُ ،
ومتقَمِّصًا لِلجَلَالِ ، بِحُسْنِ إخلاصه في حَالَتِي بُعْدِهِ وَقُرْبِهِ ؛ وما زالت ثِقَّةُ أمير المؤمنين
مستحكمةً بالله تعالى عند ما أَلَمَّ به من تلك الحال ، وَدَهَمَ من الخَطْبِ المحتفِّ به
سَطْوَةُ الاِشْتِدَادِ والاستفحال ؛ في إجرائه على ما أَلْفَهُ من النَّصْرِ والإِعْزَازِ ، وإظهارِ
آلائِهِ في تأييده والإِعْجَازِ ؛ إذ لم يَكُنْ مَاعِرَاهُ آسَعَادَةً لِلْحَقِّ الْمُسَلِّمِ اليه ، وَالْمَوْهَبَةِ التي
ضَفَّتْ جَلَابِيبُهَا عليه ؛ بل جعل الله ذاك إلى آمْتِحَانِ صَبْرِهِ سَبِيلًا ، وعلى وَفُورِ أَجْرِهِ
دَلِيلًا ، وبإبادة كل ناعقٍ في الفتنَةِ كَفِيلًا ؛ لِتَرْدَادِ أنوارِ عُلَاهِ نَصْرَةِ وَحُسْنِ ، وَأَعْلَامِ
جَلَالِهِ سَعَادَةٍ وَيُمْنًا ، وَرِبَاعِ عِزِّهِ سُكُونًا وَأَمْنًا ؛ لُطْفًا مِنْهُ جَلَّتْ آلاؤُهُ في ذلك وَمَنَّا .
وتلا هذه النعمة التي جَدَّدَتْ عُهُودَ الشَّرْعِ وَافِيَةَ النَّصْرَةِ ، وَأَزَالَتْ عَنِ الدِّينِ
مَفَاسِدَهُ العَارِضَةَ وَمَضَارَهُ ، مَا سَمَّاهُ اللهُ وَهَنًا ، وَأَجْزَلَ بِهِ صَنِيعَهُ الجَزِيلَ وَأَسْنَاهُ ؛
مَنْ ظَفَرَ السَّرَايَا التي تَوَرَّدَهَا لِاصْطِلَامِ اللُّعْنَاءِ وَاجْتِيَا حِمِّهِمْ ، وَحَسَمَ فسادهم وَهَدَمَ
عِصَابَهُمْ ؛ وَإِخْلَادَ مَا أَضْرَمُوهُ مِنْ نَارِ الشَّرْكِ وَشَبَّوهُ ، وَإِبْطَالَ مَا أَحْدَثُوهُ مِنْ رِسمِ
الجَوْرِ وَسَنُوهُ ؛ وَأَفْضَى الحَالُ إلى النَّصْرِ على الأعداء مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَقَهَرَ كُلَّ مَنْحَرِفٍ
عَنِ الرِّشَادِ وَمُجَانِبٍ ، وَحَلُولِ التَّايِيدِ على الرِّايَاتِ المَنْصُورَةِ العَبَاسِيَّةِ التي لم تزل مَكْنُوفَةً

على صَرْفِ الدهرِ أَسْيَافُها وَأَنْصَارُها ؛ وإِجْلَاءِ الحَرْبِ عَن قَتْلِ اللَّعِينِ الْبَساسِيرِ
 وَأَخْذِ رَاسِهِ ، وَتَكْذِيبِ ظَنِّهِ فِي أَحْتِرَازِهِ مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ وَأَحْتِرَاسِهِ ، وَإِرَاحَةِ الْأَرْضِ
 وَأَهْلِهَا مِنْ دَنْسِهِ وَعُدْوَانِهِ ؛ وَكَوْنِ مِنْ ضَامَّةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ وَالْإِتْرَاقِ
 الْبَغْدَادِيِّينَ وَالْعَوَامِّ بَيْنَ قَتِيلٍ مُزْمَلٍ بِدَمِهِ ^(١) ، وَأَسِيرٍ تَلْقَى الْمَنُونُ بَغْصَةً أَسْفَهَ وَنَدَمَهُ ،
 وَصَرِيرٍ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ ذِمَّائِهِ ^(٢) ، وَهَارِبٍ وَالطَّلَبُ وَقَعُ مِنْ وَرَائِهِ . فَأَنْجِزَ اللَّهُ وَعْدَهُ فِي هَذَا
 الْمَارِقِ ، وَالْعَبْدِ الْآبِقِ ؛ الَّذِي غَزَاهُ إِمْهَالُ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ فَنَسِيَ عَوَاقِبَ الْإِمْهَالِ
 فِي الْغَوَايَةِ ، وَالْإِمْهَالِ فِي الطُّغْيَانِ إِلَى أَقْصَى الْحَدِّ وَالْغَايَةِ ؛ وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْبَابِ
 الْعَزِيزِ فَتَقَدَّمَ بِالطُّوَافِ بِهِ فِي جَانِبَيْ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَشَهْرِهِ ، لِإِبَانَتِهِ عَنْ حَالِهِ وَإِيضَاحِهَا
 لِحَالِيَّةِ أَمْرِهِ ؛ وَكُفِّيَ مَا يُوجِبُهُ إِقْدَامُهُ عَلَى الْعِظَائِمِ الَّتِي عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى سُوءَ مُصِيرِهَا
 وَمَالَهَا ، وَحُرِّمَ الرُّشْدُ فِي التَّمَسُّكِ وَالتَّشَبُّثِ بِأَذْيَالِهَا ؛ وَتِلْكَ عَاقِبَةُ مَنْ بَغَى ' وَأَعْتَدَى ،
 وَأُتْرِرَ بِالْغَدْرِ وَآرْتَدَى ، وَأَمَعْنَ فِي الضَّلَّةِ وَأَعْتَدَى . وَالْحَدُّ وَقَعَ مِنْ بَعْدُ فِي الْمَسِيرِ
 لِلْإِحْتِواءِ عَلَى بِلَادِ الْمُخَالَفِينَ الدَّانِيَةِ وَالْقَاصِيَةِ ، وَالْأَخْذِ مَعَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِنَوَاصِي
 كُلِّ فِتْنَةٍ طَاطِغِيَةٍ عَاصِيَةٍ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ الْمِنْحَةِ الَّتِي بَشَّرَتْ الْإِسْلَامَ بِمَجْبَرَكْتِهِ ، وَأَنْقَذَتْ الْهُدَى مِنْ
 ضَبِيقِ الْكُفْرِ وَأَسْرِهِ ؛ وَأَبْدَتْ نَجْمَ الْعَدْلِ بَعْدَ أَنْ أَفْلَتْ وَغَارَتْ ، وَأَرْدَتْ شِيعَةَ
 الْبَاطِلِ بَعْدَ أَنْ آعْتَدَتْ عَلَى الْحَقِّ وَأَغَارَتْ ؛ وَهُوَ الْمَسْئُولُ صَلَّاهَا بِأَمْدَادٍ لَهَا تَقْضِي
 إِذْ ذَاكَ سَائِرَ الْأَغْرَاضِ وَبَلُوغَهَا ، وَتَقْضِي بِكَمَالِ رَاقِيِ الْأَلَاءِ وَسُبُوحِهَا .

(١) أى بالراء المهملة بمعنى ملطخ قال الشاعر :

ان بئى رسولونى بالدم * شنتنة أعرفها من أنخم

(٢) الذمائم بالذال المعجمة والمذ بقية النفس .

أَقْتَضَى مَكَائِكَ - أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ - مَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي وَطَّأَ لَكَ مَعَاقِدَ الْعِزِّ وَهَضَابَهُ ، وَكَلَّ لَدَيْكَ دَوَاعِيَ الْفَخْرِ وَأَسْبَابَهُ ؛ وَنَحَلَكَ مِنْ إِيْجَابِهِ الَّذِي وَصَلَتْ بِهِ إِلَى ذِرْوَةِ الْعِلَاءِ ، وَصُلَّتْ عَلَى الْأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ ، إِشْعَارَكَ بِمَا جَدَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي غَدَّتِ السُّعُودُ بِهَا جَمَّةَ الْمَنَاهِلِ ، سَامِيَةَ الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ ؛ لِنَأْخُذَ مِنْ حِظِّهِ بِهَا ، وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ فِيهَا بِالْقِسْمِ الْأَوْفَى ؛ كِفَاءً مَا يُوجِبُهُ وَلَا يُؤْكَ الَّذِي أَمْتَطَيْتَ بِهِ كَاهِلَ الْمَجْدِ ، وَأَصْطَفَيْتَ بِهِ كَامِلَ السَّعْدِ ، وَكَوْنَكَ لِدَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَهَابًا مُمَشِّقًا فِي الْحَنَادِسِ ، وَصَفِيًّا الرَّافِلِ مِنْ إِخْلَاصِ مُشَايَعَتِهَا فِي أَنْفَرِ الْحُلَلِ وَالْمَلَابِسِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِيلُكَ ، مِنْ كُلِّ مَا تَسْتَدِرُّ بِهِ أَخْلَافَ مَعَالِيكَ ؛ وَلَا يَعْدُمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ السَّيْرُ ، الرَّشِيدُ الْعَقِيدَةُ وَالسَّيْرُ ، الشَّدِيدُ الشَّاكِلَةُ وَالْوَتِيرَةُ .

هَذِهِ مُنَاجَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ ، أَجْرَاكَ فِيهَا عَلَى مَا عَوَّدَكَ مِنَ التَّجَمُّلِ وَالْإِكْرَامِ ، وَحَبَاكَ فِيهَا بِمَا هُوَ مَبَشِّرُكَ بِالسَّعَادَةِ الْوَاقِيَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَقْسَامِ ؛ فَتَلَقَّهَا بِالْجَدَلِ وَالْإِسْتِبْشَارِ ، وَوَاصِلْ شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ حَسَنِ تَجَارِي الْأَقْصِيَةِ وَالْأَقْدَارِ ؛ وَطَالِعْ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْبَائِكَ ، وَتَابِعْ لِنَهَاءِ مَا يُتَشَوَّفُ نَحْوَهُ مِنْ تَلَقُّائِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَتَّخِذَ التَّحْمِيدَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ ، وَهُوَ أَقْلُ وَقُوعًا مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي قَبْلَهُ)
وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كتب به أبو إسحاق الصابى عن « المطيع لله » إلى بعض ولاة الأطراف ، عند طاعة عبد الملك بن نوح أحد ملوك بنى ساسان ، وهى :

أما بعد ، فالحمد لله الوليّ بالاستحجاد ، المستحقّ لِكُنْه الإعتباد ، القدير على تأليف الأجساد ، البصير بسبيل خفايا الأحقاد ؛ ذى الحكمة فى تبديل الضغن والسّخيمة ذمّه ، والمنابذة عِصمه ؛ والقطيعة وصله ، والشّحناء خلّه ؛ والحرّج فرجه ، والشّعث نضارة وبهجّه . الذى جعل الصّلح فتحاً هنيئاً ، والسّلم منجاً بهيئاً ، والمؤادعة منّا جريلاً ، والإرعاء أمناً جميلاً ؛ والإقالة حرماً لا يضلّ هداة ، ولا تُحسّل قواه ؛ ولا تخب عواقبه ، ولا تخفى مآثره ومناقبه ؛ رافّة منه بالخلق ، وصيانة لأهل الحقّ ؛ وإمهالاً فى العهد ، ورخصة فى الاختصار دون الحدّ ؛ يُقرب فيئة المتأمل ، ويسهل رجعة المتحصل ؛ وتُسرع رفاهية المستبصر ، ويخفّ اجتهد المزاويل المشمر ؛ وقد قال الله عزّ وجلّ ((والصّلح خير)) وهو المسؤول عمارة الإسلام بالسلامة ، والأثام بالاستقامة ؛ والسلطان بالطاعة ، والمُلْك يُخَوِّع^(١) الجماعه ؛ حتّى لا تزال الفتنة مهیضة الجناح ، مريشة الاجتياح ؛ فليلة الشّباة ، قليلة الأدوات ؛ فتكون النفوس واحده ، والأیدی مترافده ؛ والمودات صافیه ، والمآرب متكافیه متضاهیه ، فى الشكر الذى يذاد به عن النفوس ، ويمحى به حريم الدّین ؛ ويرجى معه التأييد ، ويبتغى بوسيلته المزيّد ، فقد قال الله - وقوله الحق - : ((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)) والله سميع مجيب . وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل !

وقد علمت مافرط من نوح بن نصر فى السّهو ، وتقم منه فى الهفو ؛ الذى ألهاه عن التقوى ، وأنساه شيمه الرّقى ، فعدل عن سنن القصد ، وزاغ عنه على عمد ؛ وحال عن آداب آبائه رحمهم الله وهم القدوة ، وسجايهم وبهم الأسوة ، وما كان ينتمى به من الولاء ، ويعتري إليه من الوفاء ؛ وصار أدنى معنى ممن يحسده على كرم الأصل ، وينافسه فى شرف المحل ؛ ويدخل على عقله مدخل النصيحة ، ويطلع

(١) أى انقيادها يقال يخضع لى بالحق يخوعا انقاد وبذله .

بظاهرها على آرائه الصريحة؛ وكل ذلك إلحاد في أمير المؤمنين وعهده، ومروق
عن أزمته، وعقوق بالبرية يشق به الباقي، ولن يشق به النازح الماضي. فإن
أمير المؤمنين مازال وإعياً وأواصر سلفه، عارفاً بآثر خلفه؛ متجافياً لأولئك عما
أبتدعه، متنوّياً لهذا التجاوز عما صنعه؛ فقد كان نُمى إلى أمير المؤمنين أن عبد الملك
أبن نوح مولى أمير المؤمنين سليم السريه، سديد البصيره؛ يرجع إلى رأيه وتدييره،
ولم يجحد وشمكير بن زنار، عاجله بالبوار؛ مساعاً إلى ختله، ولا احتيالا في ليه وقتله؛
وكان لعبد الملك ركن الدولة بن مالك مولى أمير المؤمنين ظهير صدق، إن وسن
أيقظه، وإن مادأيده؛ خلّة فضل فطره الله عليها، وغيرة تميز أحسن الله إليه فيها؛
فإنه لو قال أمير المؤمنين: إنه لا مثل له أستحق هذا الوصف. ولأمن أمير المؤمنين
فيه الخلف. ترك لباس أبيه فزعه، وأعتاض منه وخلعه؛ وتصل مما كان منه
منتكاً، فعاد عليه محتكاً؛ وأنى الأمر من طريقه، ولجأ فيه إلى فريقه؛ ركن الدولة
أبى على مولى أمير المؤمنين، أحسن الله ولايته، ومُعز الدولة أبى الحسين تولى الله
معاونته، وأستصلحهما، وكفى، وأستخلصهما، وغنى؛ وراسل في الإنابة وإن لم
يكن حائداً، والاستقالة وإن لم يكن جانبا؛ فما ترك ركن الدولة ومُعز الدولة -
كلاهما الله - إكبار قدره، وإجلال أمره؛ والقيام بخلاصه، والنطق عن أمير المؤمنين
بلسان مشاركته؛ وإذكار أمير المؤمنين بما لم ينس من تلك الوثائق، التي صدر بها
كتابه، والعلائق، التي وثّق بها خطابه؛ إلى أن أجلّ بأحمد نوحاً وترحم عليه، وقيل
عبد الملك وأحسن إليه؛ وواصل رُسله، وأستمع رسائله؛ وقلده خراسان ونواحيها،
وسائر الأعمال الجارية فيها، وعهد إليه في ذلك عهداً وميزه باللواء، والخلع والحباء؛
بعد أن كتّاه بلسانه، ووفاه حدود إحسانه؛ والحقه في ذلك بآبائه، ولم يقصر فيه
بشأوه. وكتب أمير المؤمنين هذا وقد أطردت الحال وأستوثقت، وأمتربت الأهواء

وَأَتَقَفْتُ ؛ وَخَلَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْأَضْطِرَابِ الَّذِي طَالَ أَمْدُهُ ، وَلَمْ يَكْدُ يُرَى أَمْرُهُ ؛ وَصَارَتِ الْعَسَاكِرُ الدَّانِيَةُ وَالنَّائِيَةُ قَوْضَى لَا تَمْتَّازُ ، وَلَا تَتَفَرَّدُ وَتَتَحَازُ ، وَذَلِكَ صَنَعَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمْعِ الشَّتَاتِ ، وَتَلَاْفِي الْهَنَاتِ ، وَلَمْ حَلَّ التَّخَاذُلِ ، وَمُدَاوَاةِ نَقْلِ الدَّخَائِلِ ؛ لِتَتِمَّ الْكَلِمَةُ فِي وِلَايَتِهِ ، وَتَعُمَّ النِّعَمُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلٌ عَلَى شِيعَتِهِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَكِيدَةِ أُنْبَاءِ دَعْوَتِهِ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فَاَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي تَطَوَّعَ بِهِ الْمِقْدَارُ ، وَالْخَبْرَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي لَمْ يُنْغِضْهُ تَعَبٌ ، وَلَمْ يَكْذُرْهُ عَنَاءٌ وَلَا نَصَبٌ ؛ فَإِنَّهُ تَأْتَى سَهْلًا ، وَآتَى رِسْلًا ؛ وَأَبْتَدَأَ عَفْوًا ، وَاتَّهَى خَالصًا صَفْوًا ؛ فَقَدْ قَعَّ اللَّهُ بِهِ الْعَنْدَةَ ، وَجَمَعَ بَتَيْتَهُ الْعَبْدَةَ ؛ وَأَذَنَ عُقْبَاهُ بِالسَّعَادَةِ ، وَبَشَّرَفِي سِيَاهُ بِاتِّصَالِ الْمَادَةِ ؛ وَأَنْزَلَ أَبَا الْفَوَارِسِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ نُوحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَتْرَلَةً مِنْ رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلًا لِلْوُدِيِّعِ ، وَأَمَنَهُ عَلَى الصَّنِيعَةِ ؛ وَرَتَّبَهُ مَرْتَبَةَ الْمُسَبِّحَةِ ، وَاسْتَحْفَظَ اللَّهُ حَسَنَ الْمَوْهَبَةِ بِهِ ، وَمَا قَدْ تَجَدَّدَ بَيْنَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّحَادِ ، الْمَتَوَلَّدِ عَنِ الْإِغْتِبَاطِ وَالْإِعْتِدَادِ ؛ فَقَلَّ مِنْ شَاقِّهِمَا فَلَمْ يَنْدَمْ ، وَتَمَزَّدَ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يُكَلِّمْ ؛ وَتَمَسَّكَ بِهِمَا فَلَمْ يَتَسَعَّدْ ، وَارْتَبَعَ أَكْفَاهُمَا فَلَمْ يُوْعَدْ ؛ وَأَجَبَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ بِوَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَمَوْقِعِ مَتَضَمَّنِهِ لَدَيْكَ ؛ وَمَا يُجِدُّهُ لَكَ مِنَ الْجَدَلِ ، وَأَنْفَسَاحِ الْأَمَلِ ؛ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(أَنْ لَا يَعْقُبَ الْبَعْدِيَّةَ تَحِيدٌ ، بَلْ يَقَعُ الشَّرْعُ عَقِبَهَا فِي الْمَقْصُودِ)

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الطَّائِعِ اللَّهِ إِلَى مِنْ بَصْحَارٍ وَسَوَادِيهَا ، وَجِبَالِ عُثْمَانَ وَأَعْمَالِهَا ، وَحَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، بِالْأَمْرِ بِالْإِجْتِمَاعِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين للذي حمَّله الله من أعباء الإمامة، وأهَّله له من شرف الخلافة، وأسَّودعه من الأمانة في حياطة المسلمين، والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين؛ يرى أن يُراعى مَنْ بعدَ منهم ونأى، كما يُراعى من قُرب ودنا؛ وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية، ويطلبهم بالعين الوافية؛ ويتصفَّح ظواهر أمورهم، وبواطن دواخلهم؛ فيحمد مَنْ سلك نهج السلامه، ويرشد من عدل عن الاستقامه؛ وينظِّم شمل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها وحضَّ عليها، ويزيلهم عن الفرقة التي ذمَّها ونهى عنها؛ إذ يقول جلَّ من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَعْفَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فلا يزال أمير المؤمنين يعترفهم ما أقترض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولى الأمر الذين لا عصمة لمخالفيهم، ولا ذمَّة لمُعائديهم؛ ولا عُذر لمُسلم ولا معاهد نأى بجانبه عنهم، وضلَّ بوجهه عن سبيلهم؛ إذ كان الإمام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه؛ وكانت الطاعة واجبة له ولبن قلده أئمة أموره، وأسَّتابه في حمل الأعباء عنه؛ فمن آتس منه الهداية أحمده، ومن أنكر منه الغواية أرشده بالوعظ ما اكتفى به، أو بالبسط إن أحوج إليه. وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوقِّفه للرأى السديد، ويمدَّه بالصنع والتأييد؛ ويتولَّاه بالمعونة على كلِّ ما لمَّ الشعث، وسدَّ الخلل، وقوم الأودَّ وعدل الميل؛ وأحسن العائدة على المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها، وسهِّلها وحرَّتها؛ إنه بذلك جدير، وعليه قدير؛ وماتوفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكَّل وإليه يُتَّيَّب.

وقد علمت أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان فوضه إلى عَصَد الدولة وتاج المِلَّة - رحمه الله عليه - من سياستهم باديا، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليله صمَّام الدولة وشمس المِلَّة ثانيًا؛ إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته، وحُسامه ومجته؛ والمُورِد المُصدِر عنه بالعهدين المستمترين: من أمير المؤمنين بالنص عليه، ومن

الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة ، والعهود المشددة ؛ موجبة على الكافة طاعة مَنْ حَصَلَتْ لَهُ ، أو اسْتَقَرَّتْ بوثائقها في يَدِهِ ؛ إذ لا يصحُّ من حاكم حُكْمٌ ، ولا من عاقِدٍ عَقْدٌ ، ولا من وإلٍ إقامةُ حدٍّ ، ولا من مسلمٍ تأديَةُ فَرِيضٍ حتَّى يكون ذلك مبنياً على هذا الأصل ، ومُداراً على هذا القطب ، وإن كان خارج عنهما وراض بخلافهما ، نخرج من دينه ، أثمَّ بربه ، برئى من عِصْمَتِهِ ؛ وأتم من بين الرعية فقد خصصتم سالفاً بحُسن النظر لكم ، وعُرفَت الطاعةُ الحسنةُ منكم ؛ فتقابلت النعمةُ والشكرُ ، تقابلاً طابَ به الذِّكرُ ، وانتظم به الأمرُ ؛ ثم حَدَثَتِ الهفوةُ المعترِضةُ قَبِيلُ ، فكان أمير المؤمنين مُوجِباً للعاقبةِ المُوجِبَةِ على الجاهل المُوضِعِ في الفِتْنَةِ ، والمُعَاتَبَةِ المُمِصَّةِ على الحكيم منكم القاعد عن النُّصْرَةِ ؛ إلى أن وردتْ كُتُبُ أستاذهم من بن الحسن ، حاجب صُمِّصام الدولة ، باستمراركم على كلمةٍ سواءٍ ، في نُصْرَةِ الأولياء ، والمحاماةِ دُونَهُمْ ؛ ومُدافعةِ الأعداءِ والمُراماةِ لهم ؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسنَ مواقِعِهِ ، ونَزَلَ لديه ألطفُ منازِلِهِ ؛ وأوجبَ لكم به رضاهُ المقتَرَنُ برضا الله سبحانه ، الموجِبُ للقربةِ والزُّلْفَى عنده ؛ وأمير المؤمنين يأمركم بالدوامِ على ما أتمم ، والثباتِ على ما آسأَنْفَقْتُمْ ؛ والمبادرةِ إلى كُلِّ ما يأمركم به فلان الوالى عليكم من صُمِّصام الدولة بالاستخلاف والتفويض ، ومن أمير المؤمنين ، بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه ، فاعلموا ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وآتَهِوا فيه إلى حدِّه ورَّسَمِهِ ؛ وَكُونُوا لفلان الوالى خيرَ رعيَّةٍ ، يَكُنْ لَكُمْ خَيْرَ راعٍ ؛ فقد أَمَرَ فيكم بحُسن السَّيْرِ ، وإِحْمالِ المعاملةِ ، وتخفيفِ الوطأةِ ، ورَفْعِ المِئُونَةِ ؛ وجعلَ إليه عقابُ المِسيءِ ، وثوابُ المحسنِ ، ومسالمةُ المسالمِ ، ومحاربةُ المُحَارِبِ ، وأمانُ المستأمنِ ، وإِقالةُ المستقيلِ ، وحملُ الجماعةِ على سواءِ السبيلِ ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراءهم)

قال في "صناعة الكتاب" : وَيُكَاتِبُ الْإِمَامُ الْوَزِيرَ أَوْ مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ «أُمتعني الله بك وبدوام النعمة عندى بك، وبقاء الموهبة لى فيك» وما جرى هذا المجرى .

وذكر في "ذخيرة الكتاب" : أن الدعاء للوزير «أُمتعنا الله بك وبدوام النعمة لنا فيك وتجديد الموهبة عندنا بك» . ثم قال : ودعا "المكتفى بالله" للقاسم بن عبد الله لما أمر بتكنيته ، وكان الكتاب بخطه «أُمتعني الله بك وبالنعمة فيك» ووقع المستنصر إلى وزيره أحمد بن الحَصِيب «مد الله في عُمرِكَ» . وهو قريب مما ذكره في "صناعة الكتاب" في ذلك كله . والذي رأيتُه في مكاتبات العلاء ابن موصلاً عن «القائم بأمر الله» التصدير بما فيه تعظيم الوزير وتقريطه ، من غير ضابط في الابتداء ، والدعاء في أثناء ذلك بالحياطة ثم التوصل إلى المقصد .

وهذه نسخة كتاب كتب به العلاء بن موصلاً عن القائم إلى وزيره :

لَمَّا خَصَّ اللهُ تَعَالَى الدَّوْلَةَ الْقَاهِرَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ بِأَمْتِدَادِ الرُّوْقِ ، فِي الْعِزِّ وَاتِّسَاعِ النِّطَاقِ ، وَأَجْرَى لَهَا الْأَقْدَارَ بِمَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْحَقِّ وَيَمْنَعُ مِنْ نَفَاقِ النَّفَاقِ ؛ وَأَفْرَدَ أَيَّامَهَا بِالْبَهَاءِ الْمُنِيرِ الْأَعْلَامَ ، وَالْإِتِّهَاءَ فِي قُوَّةِ الْأَمْرِ إِلَى مَا يُتَادَى فِي طَاعَتِهَا بَيْنَ الْيَقَظَاتِ وَالْأَحْلَامِ ، وَجَعَلَ الزَّمَانَ وَاقِفًا عِنْدَ حَدِّهَا فِي النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، وَمَتَصَرِّفًا عَلَى حَكْمِهَا فِي كُلِّ مَا حَاوَلَ مِنْ حَالٍ وَرَامَ ؛ وَمَكَّنَ لَهَا فِي الْأَرْضِ حَتَّى أَذَلَّتْ نَوَاصِيَ الْأَعْدَاءِ قَهْرًا

وقسراً، وحسرت عن قناع القدرة على رد الطامعين في إدراك مداها ظلماً حسرياً؛ فإن الله تعالى لم يُخلِها كل وقت من قائل في نصرتها فاعل، وقائم بإقامة حشمتها من كل حافٍ من الأنام وناعل؛ ورأغب في الذب عن حوزتها سراً وجهراً، وخاطب من خدمتها ما يرجى أن يكون رضا الله في المِقابلة عنه أغلى مهراً؛ وناهج جدد الرشد في المناضلة عنها بسيفه وقلمه، وفارح للكرب الحادثة فيها بنطق فيه وسعى قدمه .

وقد منح الله أيام أمير المؤمنين - من كونك الولي بمواصلة المقامات الغر فيها، والخلي من كل ما يبين صحة الموالاة ويُنافى فيها؛ والضمين لما عاد عليها باستقامة النظام، والضمين بما يوجد للغير الطريق إلى وصول الخنف إليها والأهتضام؛ والمتجرد في إمداد عزها بالإحصاف والإمرار، والمتفرد بإعداد أقسام المناضلة دونها في الإعلان والإسراء؛ والبازل وسعه فيما نعى إليها أعنة السعد ولواها، والخاذل كل مستنجد بها فيما يخالف محبتها وهوها؛ ما أوفى على المألوف في أمثالها من قبل، وصارك به على كل من سلفك من الأعضاء التقدم والفضل؛ فهى - بآثارك الحميدة فيها، وإجارك الحد في تشييد مبانيها؛ وكونك كافياً أمر المحاماة من ورائها، كافاً عنها ما يُخشى من حدوث أسباب الفساد وأعترائها - متبعة الجانب مريعة الختاب، سريعة فيها السعود إلى ما يلي نداءها بأحسن التلبية والجواب .

ثم إنه وإن كانت زُلفك إلى حضرة أمير المؤمنين بادية المجول والغرر، غير محتاجة إلى إقامة الدليل عليها بما اتضح من أمرها وأشهر، فإن فلانا يُعيد جلاءها دائماً في أبهى الملابس وأنضرها، ويُعيد الحد في الدلالة على تقابل تحببها في الجمال ومنظرها؛ ويكشف من صفاء السرائر فيها والبواطن، وما يطلع عليه منها في كل الحال والمواطن؛ ما يسهب في وصفه ويُعجب سماع ذكره ويُطرب .

(١) هذا هو المقول الثاني لمنح .

وفى هذه التوبة عاد، وقد زاد، على المعهود من شكره وجازته، وأبان عن صلته بالوعد فى ضمان التُّجَّح منك تجازيه؛ وأوجب على نفسه أن لا يقف عند حدٍّ فيما يؤدى إلى نشر محامدك فى الأرض، وطىَّ الجوانح لك على الإخلاص الصادق المحض .

ولما مثَّل بحضرة أمير المؤمنين على رَسْمه الذى وسم بالجمال جبينه، وأبتسم نغمه التوفيق فيه عما أصبح التُّجَّح أليف سَعِيهِ وقَرِينَهُ، وبحسب فوزِهِ من شَرَفِ الحُطْوَةِ برتبة لم ينلها أحد الأقران له فى الزمان، وفوته شأو أبناء جنسه يوم المضمار والرَّهان؛ كفاء ما يستوجه بَعْلَاءَ قيمته فى الكمال، والغناء به فى كل مقام أمين حدٍّ مضائه فيه الكلال؛ أشار بذِكر مقاصدك التى حُرِّتَ بها من غنائم الحمد الصِّقَايا، وشاد مباني محامدك بفضْلِ الإبانة عن السرائر والخفَايا؛ وتابع الشَّاء على كلِّ من أفعالك التى أمسى هلاكٌ فيها مُقْمِراً، ووضَّح فيها كُؤُنكَ بشروط الإخلاص مُجَبَّاً مُضْمِراً؛ وشرح من توفرك على كلِّ قُرْبَةٍ غرَاء تُغْرِى الألسنة بحمدك، وتنبئ عن حُسن مقصدك برفع عماد الحق وعمدك؛ ما قامت عليه الأدلة، وأستقامت به على سنن الرُّشد الأهواء المُضِلَّة؛ وبين من إمضاءك كلَّ عزم فى تهيئة القُرْبَات إلى حضرة أمير المؤمنين حالاً خالوا، وإبطائك خطا الحَدِّ فيما يُراد بُزْلُكَ البالغة أقصى الغايات لديه سابقاً واتِّصالاً، ما يُضاهى المظنون فى تلك العقيدة التى طالما أُلْفِيَتْ فى نُصرة الدولة القاهرة صافية المَورِد والمَنَهل، حالية من الحُسن بكلِّ حالٍ اتَّضح فيها ما ألهى عن غيرها من الوصف وأذهل؛ فقوبلت بما تستحقه من إحمادٍ أشيع وأذيع، وأتسع فيه الواجب وأطيع؛ وتضاعف الاعتدادُ بأفعالك التى أعنت بالعون منها فى الجمال والأبكار، وأعدت بها الأمور فى الصَّلاح إلى ما يؤمنُ بإيضاحه الحمد والإنكار .

ومن أحقَّ منك بكلِّ فعَالٍ تُضَيِّء مصابيحُ الخير فيه، ويتنشرُ جميلُ الذِّكر من مطاويه، وأنت للدولة الوليَّ الأمين!، وبحفظ نظام كلِّ أمرٍ يختصُّ بها الكفيلُ

الضَّمين؟ ومن أولى منك بكلِّ حِدٍ يَفِدُ إليك إمداده أرسالا، وتَجِدُ منه ضالَّةً تَسُدُّ مثلها آمالُ سِواكَ فابْتَ بِالنَّحْبَةِ عَجَلا؟ فَكَلَّكَ مِنَ الْحَقُوقِ مَا لَا يُنْسَى، وما يَلْزَمُ أَنْ يُرْعَى في كلِّ مُصْبَحٍ ومُئَمِّسٍ. فأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ كَوْنِكَ فِي دَوْلَتِهِ ذَابًّا عَنْ الْجَمْدِ حَامِيًا.

فأما ما تُحَدِّدُ فِي مَعْنَى الْأَعْمَالِ عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي قَبَضِي بِزَوَالِ الْخُلْفِ وَأَنْحُسَامِهِ، وَأَقْتَضِي رَأْيَكَ لِإِجْرَاءِ الْأَمْرِ عَلَى مَا اسْتُصْوبُ مِنْ اتِّسَاقِهِ وَأَنْتِظَامِهِ؛ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ، وَأَجِيزُ مَا أُشْرِتَ إِلَيْهِ؛ فَأَعْوِضُ الدُّنْيَا تَهْوَنُ وَتُسَهَّلُ فِي ضَمْنِ مَا يُلَحَظُ مِنْ أَعْتِنَاكَ أَحْكَامَ مَشَايِعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي قُمْتَ بِأَعْبَائِهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَغَدَتْ آثَارُكَ فِيهَا بَاقِيَةُ الذِّكْرِ وَالْأَجْرِ عَلَى تَقَضِّي الْأَزْمَانِ؛ فَأَنْتَ الْمَرْغُوبُ فِي النَّاءِ وَلايَةٍ وَإِنْ شَانَتْ الْأَحْوَالُ، وَالْمُخْلِصُ الَّذِي لَا عِوَضَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَمَقَالٍ؛ فَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ بِتَفْصِيلِ ذَلِكَ وَجُمْلَتِهِ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِ وَجَدَدَهُ؛ وَلِذَلِكَ أُجِيبُ فُلَانًا إِلَى الْحُضُورِ وَالْمُسْتَعْدَمُونَ مَعَهُ، وَأُذِنَ فِي الْمَقَابِلَةِ بِالْقَوَائِنِ الْقَدِيمَةِ وَالْبَاقِي وَالْجَرَائِدِ، وَالْمُوَافَقَةُ عَلَى مَا رَأَيْتَهُ فِي الْبَوَادِي وَالْعَوَائِدِ؛ وَالتَّنَزُّهُ عَنْ كُلِّ مَا شَدَّ عَنْ الْحِجَةِ الْمُؤَكَّدَةِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَوْفُّرِ الْمَوْجُودِ لِهَذِهِ السَّنَةِ فِيهِ عَلَيْهِ، وَحَسْمِ مَوَادِّ اسْتِرَادَتِهِ فِي كُلِّ مَا تَمَسَّكَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ؛ وَالثَّقَّةُ مِنْ بَعْدِ مُسْتَحْكَمَةٍ بِتَوْفُّرِكَ عَلَى مَا يُرَادَفُ إِلَيْكَ إِمْدَادَ الْجَمْدِ، وَتَجْدِيدِكَ كُلِّ قُرْبَةٍ تَنْضُمُ إِلَى سَوَابِقِهَا الْمُتَجَاوِزَةَ حَدَّ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ.

فأما ما تَضَمَّنَتْهُ إِشَارَتُكَ فِي حَقِّ السِّرِّ الرَّفِيعِ، فَهَلِ الصَّلَاحُ إِلَّا مِنْ نَتَائِجِ أَقْوَالِكَ؟، وَهَلِ مَسَاعِيكَ إِلَّا مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَيْرِ وَأَفْعَالِكَ؟، وَهَلِ الْمُوَافَقَةُ إِلَّا لَكَ فِي جَمِيعِ آرَائِكَ وَأَبْجَائِكَ، وَبِحَكْمِ آبَتِدَائِكَ لِاسْتِقَامَةِ النَّظَامِ فِيمَا قُرْبٍ وَبَعْدٍ، وَالسُّكُونِ إِلَى إِسْعَافِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْدُثُ وَيَتَجَدَّدُ، وَيَبْعَثُ عَلَى مَا يُعِيدُ رَوْنَقَ الْحِشْمَةِ مِنَ الْوَهْنِ، وَيَهْزِ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُحَقِّقُ التَّقْدِيرَ فِيهَا وَالظَّنَّ، فَإِذَا

تُصَفِّحَتْ حقوقُ الوكلاءِ المُجْتَبَاةِ وَجِدَتْ مَوْفَرَةً عَلَى أَقْتِنَاءِ الْأَجْرِ، مَصْرُوفَةً فِي وُجُوهِ
 الْبِرِّ الَّتِي هِيَ أَنْفَعُ الذُّخْرِ فِي عَدَدٍ . وَهَلِ الْأَعْوَاضُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَظُنُّ الدُّنْيَا بَعِيْنَهَا قِيَمَةً
 تَنَافَسَ ، وَهَلِ مَصِيْرُهَا إِلَّا إِلَى آتِقِضَاءٍ وَلَوْ أَسْعَفَتْ بِالرَّغَائِبِ وَالنَّفَائِسِ ، غَيْرَ أَنَّ
 الْأَحْوَالَ إِذَا كُشِفَ مَسْتَوْرُهَا أَثْبَتَ مَا يَقْتَضِي إِسْبَالَ سِتْرِ الْإِشْفَاقِ ، وَالْبُؤْسِ مَتَى
 أُعْرِبَ عَنْهَا أَثْمَتَ ذَلِكَ كُلِّ مُجَابِبٍ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ ؛ وَأَنْتَ الْمُعْتَمَدُ لِتُدِيرَ
 مَا يَصُونُ حِشْمَةَ الدَّوْلَةِ عَنِ الْبِدَلَةِ وَالْخَلَالِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْأَمْرِ فِيمَا وَقَعَ
 الْأَجْتِهَادُ فِيهِ حَتَّى تَسَّرَ قَدْرَهُ وَتَسَهَّلَ ؛ وَلِهَذَا تَفْصِيْلٌ قَدْ أُوعِزَ إِلَى فُلَانٍ بِاسْتِقْضَاءِ
 شَرْحِهِ ، وَإِطْلَاعِكَ عَلَى حَقِيْقَةِ الْأَمْرِ وَفَصِّهِ ؛ فَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ ، تَجِدُ زَنْدَ جَمَالِكَ
 بِذَلِكَ أَوْرَى ، وَتَجِبُ لَكَ بِهِ صُنُوفُ الشُّكْرِ طَوْرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراء الملوك)

وهي مما يؤتى في صدرها بحرف النداء غالباً . كما كتبت عن المسترشد إلى معز الدين
 الفضل بن محمود ، وزير معز الدين سنجر بن ملكشاه .

مَقَامُكَ يَا مَعِزَّ الدِّينِ - أَحْسَنَ اللَّهِ حَيَاتُكَ وَكُلَّ مَوْجِبَتِهِ عِنْدَكَ - فِي خِدْمَةِ الدَّارِ
 الْعَزِيْزَةِ الَّتِي مَازَلْتَ لِحُجْهِدِكَ فِيهَا بِإِذْلًا ، وَفِي جَلَابِيبِ الْمُنَاصِحَةِ رَافِلًا ؛ لَا يَقْبِضَنَّكَ
 أَنْ تُوَاصِلَ حَالًا فَخَالًا بِأَنْبَاءِكَ ، وَتَسْتَدِيمَ مَا خَصِّصْتَ بِهِ مِنْ شَرِيفِ الْأَدَابِ
 الْمُؤَوِّفَةِ بِكَ عَلَى أَكْفَائِكَ . وَعُرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى طَاعَتِكَ
 الْمُعْهُودَةِ ، وَمُؤَالَاتِكَ الرَّائِقَةِ الْمَشْهُودَةِ ؛ وَاسْتَمْرَارِكَ عَلَى الْجَدِّ وَالْمَهَجِ فِيمَا حَازَ الْمَرَاصِي

الشريفة الإمامية لك ، وحقق في الفوز بجميل الآراء أملاك . وناطقاً بحال فلان المارق عن الدين ، المجاهر بمعضية الله تعالى في مخالفة أمير المؤمنين ، وما اقتضاه الرأي المعزى بحسن سفارتك ، وسداد مقصودك في الطاعة وصفاء نيتك . وأحاط علماً بمضمونه الذي لا ريب أنه ثمرة مناصحتك ، ونتيجة سعيك المضاهي نصيحة عقيدتك ؛ ومن أولى منك بهذه الحال ؟ وأنت الحول القلب ، ذو الحنكة المحرب ؛ الذي تفرد في الأنام بكلامه ، وقصر أکفاؤه عن درك شأوه في الخير ومثاله ؛ وما زلت حديثاً وقديماً موسوماً ، بهذه العزيمية مرفوماً ؛ وبغير شك أنك تُراعى مابدأت به ، وتُعصّد مقالک في مواردہ بما تعمده في مصادره ، وتحرُس ما قدّمته من الاحتياط بتحريك في أواخره ؛ ومضى العزيمة لإتمام ما شرعت فيه ، كفاء ما يوجب دينك ويقتضيه ؛ بحرّياً على وتيرتك فيما قضى للأحوال بالانتظام والاتساق ، وأذن لشمس الصلاح بالإضاءة والإشراق .

وبعد فقد عرفت ما تكرر إليك في أمر هذه الطائفة الخبيثة ، المكاشفة بذهب الإلحاد ، المبارزة بسوء الاعتقاد ؛ بعثاً على جهادها ، وكف ضررها عن الإسلام وفسادها ؛ ورفع ستر المراقبة عنها ، والانتقام لله ولرسوله منها ؛ وما يُقنع من همة معز الدولة والدين - أمتع الله ببقائه - ومن وافر عقلك ودينك ، وصدق يقينك ؛ إلا بإرهاق العزيمة في مكاشفتها ، وخوض الغمار في محاربتها ؛ والقصد لمضايقة من اعتصم منها بالقلاع ، وقتل كل من يُظفر به في سائر البقاع ؛ حميةً وأمتعاضاً للدين ، وأفاناً مما استولى عليه بها من الضرر الممين ؛ فكن من وراء الحب لمعز الدنيا والدين على تيقنك هذا المثال ، والأدكار بما تفوز به مع الامتثال له في المال ، وأنهُض في تنفيذ ما يأمرُك به في هذا الباب نهضة من أترر رضا الله وأراده ، وبذل في صلاح معاده أجهاده ؛ فإن الله سبحانه لا يرضى منكماً للإلتصار لدينه بالتقصير ،

وأمر المؤمنين أمركا بالحد فيه والتشمير؛ وقد شرفك بتحفة أمر بجملها إليك من بين
يدى سبته، وأعرب بها عن مكانك من حضرته ؛ إنافة على الأمثال بقدرك ،
وإضفاءً لملايس نحر؛ فاعرف بمكان النعمة في ذلك ، وأسلك في القيام بشكرها
أوضح المسالك ؛ وأدم المواصله بمطالعك ، وقدم التوقع من إجابتك ، تفز من المراضى
الشريفة بالخط الأسنى ، ويجمع لك منها الاسم والمعنى ، إن شاء الله تعالى .

الطرف الرابع

(فى الكتب الصادرة عن خلفاء بنى العباس فى الديار المصرية)

بعد مصير الخلافة إليها)

وهى على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يفتتح الكتاب بلفظ «من فلان إلى فلان»)

والحكم فيها على ما كان الأمر عليه فى خلافتهم ببغداد ، إلا أنه زاد فيه لفظ
« ووليه » بعد لفظ « عبد الله » فى أول الكتاب فيقال فى افتتاحه : « من عبد الله
ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى » . ثم يقال : أما بعد حمد الله ، ويؤتى على آخر
الخطبة ، ثم يتخلص منها ويختم بالأمر بامتنال ما أمر به . ويقال بعد ذلك : موقفا
إن شاء الله تعالى . والخطاب فيه بالكاف ، وربما أفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم
مناسبة للمعنى .

وهذه نسخة كتاب كتبت به عن الإمام المستكفى بالله « أبى الربيع سليمان أبى
الحاكم بأمر الله أحمد » إلى الملك المؤيد هنزبر الدين داود أبى الملك المظفر صلاح

الدين يوسف بن رسول في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » في سنة سبع وسبعائة ، حين منع صاحبُ اليمن الهديةَ ، التي جرت العادةُ بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية ، مفتحة بآية من القرآن ، وهو :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

من عبد الله وولَّيه أبي الربيع سليمان .

أما بعد حمد الله مانحِ القلوب السليمة هُداها ، ومُرشدِ العقول إلى أمر معادها ومبدأها ، وموفقٍ من آخِاره إلى محجة صوابٍ لا يضلُّ سالِكها ، ولا تُظلمُ عند إخلافِ الأمور العظامِ مسالِكها ، ومُلهمٍ من أصطفاه لأقتفاء آثارِ السُنَنِ النبويَّةِ ، والعملِ بموجباتِ القواعد الشرعيَّةِ ، والانتظامِ في سلكٍ من طَوْقتهِ الخلافةُ عُقودها ، وأفاضتْ على سُدَّتِهِ الجليلةِ برودها ، وملَّكنه أقاليمَ البلاد ، وأناطتْ بأحكامه السديدةِ أمورَ العبادِ ، وسارتْ تحتَ خوافِقِ أعلامه أعلامُ الملوكِ الأكاسِرِ ، وشيَّدتْ بأحكامه مناجِحُ الدُّنيا ومَصالِحُ الآخِرِ ، وتبخترُ كلُّ منبَرٍ من ذِكْرِهِ في ثوبٍ من السيادةِ معلَّمٌ ، وتهلَّلَتْ من ألقابه الشريفةِ أسارى كلِّ دينارٍ ودرهمٍ .

يحمده أمير المؤمنين على أن جعلَ أمورَ الخلافةِ بنى العباسِ منوطه ، وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه إلى يوم القيامة بحُوطه ، ويصلى على ابن عمه محمَّد الذي أخذ الله بمبعثِهِ مآثارَ من الفتن ، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نارِ الإحنِ ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين حمَّوا حِمَى الخلافةِ وذادُوا عن موارِدِها ، وعمدُوا إلى تمهيدِ المعالمِ الدينيَّةِ فأقاموها على قواعِدِها ، صلاةً دائمةً الغدو والرواح ، متصلاً أولُها بطُرة الليلِ وآخرُها بجيِّين الصُّباحِ .

هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه ، وأطلع فيه شمس هداية تُشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه ؛ جعل الله حكمه بأمرنا منوطاً ، وفي سلك أحكامنا مخروطاً ؛ وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفاً طال نجادُه ، وكثر أعوانه وأنجاده ؛ وقوّض إلينا أمر الممالك الإسلامية وإلى حرمانا نُججى ثمراتها ، ويرفع إلى ديواننا العزيز نفياً وإثباتها ؛ يخلف الأسد إن مضى في غايه شبّهه ، ويُلقى في الخبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخلافه ، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافه ؛ وأقعدنا على سدة خلافة طالما أشرقت بالخلائف من آبائنا ، وأبتهجت بالسادة الغطاريف من أسلافنا ؛ وألبسنا خلعةً هي من سواد السؤدد مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصبوغة ؛ وأمضينا على سُدتنا الشريفة أمر الخاص والعام ، وقلدنا كل إقليم من عملنا من يُصلح سياستها على الدوام ؛ وأستكفينا بالكفاة من عُمالنا على أعمالنا ، واتخذنا مَصْرَ دار مقامنا وبها سدة مقامنا ، لِمَا كانت في هذا العَصْرُبة الإسلام ، وفيئة الإمام وثانية دار السلام ؛ تعين علينا أن نتصفّح جرائد عُمالنا ، ونتأمل نظام أعمالنا ؛ مكاناً فمكاناً ، وزماناً فزماناً ؛ فتصفّحنّاها فوجدنا قُطْرَ اليمن خالياً من ولايتنا في هذا الزمن ؛ عَرَفْنَا هذا الأمر من آتخذناه للملك الإسلامية عينا وقلبا ، وصدرنا ولبّا ؛ وقوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقاماً أقعد الأضداد ، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد ، وهو السلطان الأجل ، السيد الملك الناصر المبجل ؛ لازالت أسباب المصالح على يديه جارِية ، وسحابة الإحسان من أفق راحته سارية ؛ فلم يعد جوابا لما ذكرناه ، ولا عُدرا عما أبديناه ، إلا تجهيز شُرْذمة من بحافله المشهورة ، وتعيين أناس من فوارسه المذكورة ؛

يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ ، وَلَا يَعْجُونَ بِتَغْيِرَاتِ الْأَحْوَالِ ؛ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَعْنَاً ، إِنْ صَادَفُوهُ ،
وَشَبَّاهَ الْمُرْهَفِ مَكْسَبًا ، إِنْ صَافَحُوهُ ؛ لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الْمُدَّامِ ^(١) مُدَّامَهُ ، وَلَا يَلْبَسُونَ
غَيْرَ التَّرَانِكِ عِمَامَةً ؛ وَلَا يَعْرِفُونَ طَرَبًا إِلَّا مَا أَصْدَرَهُ صَلِيلُ الْحُسَامِ مِنْ غَنَاءَ ، وَلَا يَنْزِلُونَ
قَفَرًا إِلَّا وَابِتَ سَاعَةً نَزُولِهِمْ مِنْ قَنَا . وَلَمَّا وَثِقْنَا مِنْهُ بِإِنْفَادِهِمْ رَاجِعُنَا رَأَيْنَا الشَّرِيفَ ،
فَاقْتَضَى أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ بَسَطَ يَدَهُ فِي مَمَالِكِهَا ، وَأَخْطَأَ عَلَى جَمِيعِ مَسَالِكِهَا ؛ وَاتَّخَذَ
أَهْلُهَا خَوْلًا ، وَأَبْدَى فِي خِلَالِ دِيَارِهَا مِنْ عَدَمِ سِيَاسَتِهِ خَلَا . بَرَزَ مَرْسُومُنَا الشَّرِيفَ
النَّبَوِيَّ أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ قَعَدَ عَلَى تَحْتِ مَمْلَكَتِهَا ، وَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دَوْلَتِهَا ؛
وَطُوْلِعَ بِأَنَّهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الَّذِي لَهُ شُبْهَةٌ تَمَسُّكَ بِأَذْيَالِ
الْمَوَاقِفِ الْمُسْتَعْصِمِيَّةِ وَهُوَ مُسْتَصْحَبُ الْحَالِ عَلَى زَعْمِهِ ؛ أَوْ مَا عَلِمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ؟ أَوْ مَا تَحَقَّقَ الْحَالُ الَّتِي بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِنْبَاتِ ؟ ، أَصْدَرْنَا إِلَى الرَّحَابِ
التَّعْزِيهِ ، وَالْمَعَالِمِ الْيَمِينِيَّةِ تُشْعِرُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهَا فَاسْتَبَدَّ ، وَتَوَلَّى كِبَرَهُ فَلَمْ يُعْرِجْ عَلَى أَحَدٍ ؛
أَنْ أَمْرَ الْيَمِينِ مَا بَرَحَتْ تُؤَابِنَا تَحْكَمُ فِيهِ بِالْآيَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَالتَّقْوِيَّاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ
جَرِيحَةٍ ؛ وَمَا زَالَتْ تَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَمَا تَمَشَّى بِهِ الْجَمَالُ مَشْيًا وَثِيْدًا ،
وَتَقْدِفُهُ بَطُونُ الْجَوَارِي إِلَى ظُهُورِ الْيَعْمَلَاتِ وَلِيْدًا ، وَيُطَالِعُنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ
وَمَفَاسِدِهِ ، وَبِحَالِ دِيَارِهِ وَمُعَاهِدِهِ ؛ وَلَكِ أَسْوَةٌ بِوَالِدِكَ فَلَانِ ، هَلَّا أَقْتَفَيْتَ مَا سَنَّهُ
مِنْ آثَارِهِ ، وَنَقَلْتَ مَا دَوَّنَتْهُ أَيْدِي الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ .

وَأَتَّصَلَ بِمَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ أُمُورٌ صَدَرَتْ مِنْكَ .

مِنْهَا - وَهِيَ الْعِظْمَى الَّتِي تَرْتَّبُ عَلَيْهَا مَا تَرْتَّبُ - قَطْعُ الْمِرَّةِ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ،
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ وَإِذَا غَيْرُ ذِي زَرْعٍ ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ بِمَنْعٍ .

ومنها - انصبأبك إلى تفرغ مال بيت المال في شراء لهُو الحديث، وتقض العهود القديمة بما تُبديه من حديث .

ومنها - تعطيل أجياد المتأبر من عقود آسمنا، وخلو تلك الأماكن من أمور عقدا وحلنا؛ ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطلال، ولا تسعت فيه دائرة المقال؛ رَسْمُهَا والسيف يودّ لو سبق القلم حده، والعلم المنصور يودّ لو فات العلم وأهتر بتلك الروابي قده؛ والكاتب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب، وأهل العزم والحزم يودّون إليك إعمال الركاب، والحواري المنشآت قد تكوّنت من ليل ونهار، وبرزت كصور الأفيصة ليكنها على وجه الماء كالأطيّار؛ وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإلذار، ولا احتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار؛ فأقْلِعْ عَمَّا أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وانتظّم في سلك من استخلفناه فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب؛ وصن بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك، ومتنظّمون في سلك أوامر كملك، وداخلون تحت طاعة قلمك؛ فلسنا نشن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وأمثلة أوامر الله المطاعة عقله ولبه؛ ودان بما يحب من الديانة، وتقلد عقود الصلاح والتحف مطارف الأمانة؛ ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه نخرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا . فأصدرنا مرسومنا هذا إليه نقض عليه من أبناء حلمنا ما أطال مدة دولته، وشيّد قواعد صولته؛ ونستدعي منه رسولاً إلى مواقفنا الشريفة، ورحاب ممالكنا المنيّفة؛ لينوب عنه في قبول الولاية مناب نفسه، وليجن بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس شجر طاعتها - ومن سعادة المرء أن ينجي ثمار غرسه - بعد أن يضحجه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخفّ حملا، وتعالى رتبة وحسن مثلاً؛ وأشرط على نفسك في كل سنة قطعة ترفعها إلى بيت المال . وإياك ثم إياك ! أن تكون على هذا الأمر من مال؛

ورَتَّبَ جيشًا مقيمًا تحتَ عَلمِ السلطانِ الأجلِّ الملكِ الناصرِ للقاءِ العدوِّ المخدولِ التَّارِ،
أَلْحَقَ اللهُ أُولَهمُ بِالْهَلَاكِ وَأَخْرَجَهمُ بِالْبَوَارِ . وقد علمتَ تفاصيلَ أحوالهم المشهوره ،
وتواريخَ سيرهم المنكوره ؛ فأحرص على أن يُحَصِّكَ من هذا المَشْرَبِ السائغِ أوفرُ
نصيب ، وأن تكون ممن جَهَّزَ جيشًا في سبيلِ الله فرمى بِسَهمِهم فله أحرُّ كان مُصيبًا
أو [غير] مُصيب ؛ ليعودَ رسولُك من دارِ الخلافَةِ بتقاليدها وتشاريفها حاملًا أهْلَهُ
أعلامنا المنصوره ، شاكرًا رِموًا وقنا المبروره ؛ وإن أبى حالك إلا أن أَسْتَمَرَّتِ على
غِيكِ ، وأَسْتَمَرَّتِ مَرعى غِيكِ ؛ فقد منعناكَ التَّصَرُّفَ في البلادِ ، والنظرَ في أحكامِ
العِبَادِ ؛ حتَّى تَطأَ خيلُنا العِناقَ مَشْمِخَرَاتِ حُصُونِكَ ، وتَعَجَّلَ حينئذِ ساعةُ منونِكَ ؛
وما علمناكَ غيرَ ما علمه قَلْبُكَ ، ولا فهمناكَ غيرَ ما حدسه لُبُّكَ ؛ ولا تُكُنْ كالصغيرِ
يزيده كثرةُ التحريكِ نَومًا ، ولا ممن غزاه الإمهالُ يومًا فيومًا . أعلمناكَ ذلكَ فاعْمَلْ
بِمقتضاه ، موفِّقًا إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتَحَ الكُتَابُ بِخُطْبَةٍ إِمَامِيَّةٍ بِأَيَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ دُونِهَا)

كما كُتِبَ عن الإمامِ الحاكمِ بأمرِ الله أبى العباس « أحمد ابنُ الملكِ الناصرِ محمد بنِ قلاوون ،
الربيعِ سليمان » إلى السلطانِ الملكِ الناصرِ : أحمد ابنُ الملكِ الناصرِ محمد بنِ قلاوون ،
وهو بالكَرْكِ ، يَسْتَدْعِي حُضُورَهُ إلى قَلْعَةِ الجبلِ بالقاهرةِ المحروسةِ لتقليدِ السلطنةِ
الشريفة ، بعدَ خَلْعِ أخيه الملكِ الأشرفِ نُجُكُ ابنِ الناصرِ محمد ، وإمساكِ الأُميرِ
قُوصونَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ .

وقد ذكر صاحبُ " الدرِّ الملتقط " أنه كتبه في قَطْعِ البغدادىِّ الكاملِ بين يدي
الأميرِ قطلوبغا الفخرىِّ كافِلِ السلطنةِ الشريفة . وهذه نسخته :

﴿لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ .

فالحمد لله الذى أسبغ نعمة الظاهرة والباطنة، وألف قلوب أوليائه المتفقة والمُتباينة، وأخذ بنواصي أعدائه المُراجعة والبائنة؛ وأعلى جَدّهذه الدولة القاهرة، وأطلع فى أسنة العوالى نُجومها الزاهرة؛ وحرك لها العزائم فملكّت والأمور - بحمد الله - ساكنه، والبلاد - والمِنَّة لله - آمنه، والرعايا فى مكانها قاطنه، والسيوف فى أعمادها مثلُ النيران فى قلوب حُسّادها كامنه . وأقام أهل الطاعة بالفرض، وأستوفى بهم القرض، وقالوا الحمد لله الذى صدّقنا وعده وأورثنا الأرض؛ وأعزّ أنصار المقام الشريف العالى وأعزّ نصره، وأعدّ لعدوه حصّره؛ وأتى بدولته الغراء تسمو شمسها، وتُشمر غروبها؛ وتظهر فى حُلّ الصباح المشرق عروسها، وتجيء منه بخير راع للرعية يسوسها؛ وبشره بالملك والدوام، وسره بما أجمع له من طاعة الأنام، وأقدمه على كُرسيّ مُلكه تظله الغمام، وأراه يوم أعدائه وكان لا يُظنّ أن يرى فى المَنام؛ ولا يزال مؤيّد الهِمَم، مؤكّد الذّم، مجدّد البيعة على رِقاب الأُمم؛ ولا برحت أيامه المقبلة مُقبلةً بالنعم، خُضر الأَكاف على رَغَم من كاد وغيظ من رَغَم؛ ولا فتئت عهود سلفه الشريفة تُنشأ له كما كانت، ورعاياه تدين له بما دانت، وجنوده تُفديه من النفوس بأعزّ ما ذخرت وما صانت؛ وسعادة سلطانه تُكشِفُ الغَم، وتُشّر الذّم، وتُعيد إلى أنوف أهل الانفة الشّم، وتحفظ ما بقى لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللّم .

سَطَرها وأصدرها وقد حُققت بعوائد الله الطُّنُون، وصدّقت الخواطر العيون؛ وأنجز الله وعده، وأتمّ سعده؛ وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه،

وَفَرَّقَ فِرْقَ عَدُوِّهِ وَأَبَاتَهُ بِدَائِهِ ؛ وَوَطَّدَ لُرُقِيَّهِ الْمَنَابِرَ ، وَرَجَّلَ لَتَرْقِيَّهِ الْعَسَاكِرَ ، وَهَيَّأَ لِمَقَاتِلِ أَعْدَائِهِ فِي أَيْدِي أَوْلِيَائِهِ السُّيُوفَ الْبَوَاتِرَ . وَأَخَذَ قُوصُونَ وَأُمْسِكُ ، وَنَهَبَ مَالَهُ وَأَسْتَهْلَكَ ؛ وَهَدِمَتْ أُنْبِيَّتُهُ ، وَهَدَّتْ أَفْنِيَّتُهُ ؛ وَخَرِبَتْ دِيَارُهُ ، وَقُلِعَتْ آثَارُهُ ؛ وَأُخْلِيَتْ خَزَائِنُهُ ، وَأُخْرِجَتْ مِنْ بُطُونِ الْأَرْضِ دَفَائِنُهُ ، وَمَا مَانَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الرَّبَائِبُ الَّتِي ظَنَّمَا قَسَاوِرَ ، وَلَا نَاضَلَتْ تِلْكَ الْقِيْسِيُّ الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِرَ ؛ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ الْمَالُ الَّذِي ذَهَبَ ، وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ نَهَبَ . وَأُعِيدَ إِلَى الْمَهْدِ ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ ، وَقَهَرَ أَبْنَاءَهَا بِمُحْكَمِهِ ؛ وَمَوَّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخْلَى لَهُ الْغَابَ وَمَاخَرَجَ مِنَ الْكِتَاسِ ؛ وَغَالَبَ بِهِ الْغَلَبَ حَتَّى وَطِيعَ الرُّقَابَ ، وَدَاسَ الْأَعْقَابَ ؛ وَخَادَعَ وَدَلَّ الشَّيْطَانُ بَغْرُورَهُ ، وَدَلَّسَ عَلَيْهِ عَاقِبَةَ أُمُورِهِ ؛ فَاعْتَدَّ بَعْتَادَهُ ، وَاعْتَرَّ بِقِيَادِهِ ، وَاعْتَزَّ بِأَنَّ الْأَرْضَ لَهُ وَمَاعِلَمَ أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ فَأُمْسِكَ وَمَعَهُ رُءُوسَ أَشْيَاعِهِ ، وَحَصَرَتْ بِالْخَوْفِ نَفُوسَ أَتْبَاعِهِ - وَمِنْهُمْ الطَّنْبَغَا .

وَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَةِ وَصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبَرِ ، وَمَا قَاسَاهُ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعَبَرِ ، وَدَاسَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ مِنْ وَخَزِ الْإِبْرَ ؛ وَكَذَلِكَ مِنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ الْحَقَّ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ الْهَزِيمَةِ الَّتِي أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي قَعَدَتْ لَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ فِي فَمِ الْمَضِيقِ ؛ وَعُبِّتْ لَهُمْ صُفُوفُ الرِّجَالِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ حُتُوفُ الْأَجَالِ ؛ وَحَيَّرَتْهُمْ فِي سَعَةِ الْفِتَاجِ ، وَأَرْتَثَمَ بَوَارِقُ الْمَوْتِ فِي سُحْبِ الْعَجَاجِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَصِلُوا إِلَّا وَهُمْ أَشْلَاءُ مَمْرُوقَةٍ ، وَأَعْضَاءُ مُفَرَّقَةٍ ؛ قَدْ فَنَى تَحْتَهُمُ الظُّهْرُ ، وَقَفَى بِيَوْمِهِمُ الدَّهْرُ ؛ وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِي إِلَى شَقَاوَتِهِمْ وَهُمْ رُقُودٌ ، وَعُبِّتْ لَهُمُ الْخَيْلُ وَالْخَلَعُ إِلَّا أَنَّهَا مَلَأْسُ الدَّلِّ . وَهِيَ الْقِيُودُ ؛ فَأَخَذُوا جَمِيعًا مِنْهُمْ وَكَانُوا عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمُوَاتَاتِهِ ؛ وَحَمَلُوا إِلَى الْحَبْسِ النَّائِي الْمَكَانِ ؛ وَأُودِعُوا أَحْيَاءً فِي مُلْحَدِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، وَقَدْ نَالُوا الْمَقْصِدَ إِلَّا أَنَّهُمْ

مَأْمِنُوا الْقَوَاتِ ؛ وَوَكَّلْ بِحِفْظِهِمْ إِلَى أَنْ يُشْرِفَ سِرِيرُ الْمَلِكِ بِقُعُودِ مَقَامِهِ وَعُقُودِ
أَيَّامِهِ الْحَوَالَى ، وَسُعُودِ زَمَانِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمُّ بِالنَّجُومِ إِلَّا خَدَمَ اللَّيَالَى .

وَهَذَا النُّصْرُ إِنَّمَا تَهَيَّأَتْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - أَسْبَابُهُ ، وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا فَتِحَتْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ
أَبْوَابُهُ ؛ بِمَنَّةِ اللَّهِ وَنِيَّةِ الْمَقَامِ الْعَالَى لَا بِمَنَّةِ أَحَدٍ ، وَلَا بِمَنَّةِ بَأْسٍ مِنْ أَقْدَرٍ ، وَلَا يَأْسٍ
مِنْ حَجَرٍ ؛ وَمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَمَضَى بِهِ الْقَدَرُ السَّابِقُ وَعَلَى اللَّهِ
التَّمَامُ ؛ وَبِمُظَافَرَةِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ السَّيْفِيِّ ، قَطْلُوغًا الْفَخْرِيِّ السَّاقِي النَّاصِرِيِّ ؛ أَدَامَ اللَّهُ
نُصْرَتَهُ لِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْمُؤَيَّدَةِ . وَبِمَضَاءِ عَزَائِمِهِ الَّتِي مَاوَنْتْ ، وَقَضَاءِ قَوَاضِيهِ الَّتِي
مَا آتَنَتْ ؛ وَبِمَوَازَرَةِ مَنْ التَّفَّ عَلَيْهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ ، وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ مُظَافَرَةِ
الْآرَاءِ ؛ وَتَزْوَلِهِمْ عَلَى النِّيَّةِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلَا يُيْهِئُهُمْ مَنْ بَذَلَهُمْ ؛ وَلَا يَبَالُونَ
بِعَسَاكَرِ دِمَشْقِ الْقِيَمَةِ عَلَى حَلْبٍ وَمِنْ مَالِ إِلَيْهِمْ ، وَتَمَالَأَ مَعَهُمْ عَلَيْهِمْ ؛ وَمَنْ أَنْصَافِ
إِلَيْهِمْ مِنْ جُنُودِ الْبِلَادِ ، وَجِيُوشِ الْعِنَادِ ؛ وَلَا لَوَأْهُمْ مَا كَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْخَائِنُ مِنْ
وَعِيدِهِ ، وَلَا وَلَأْهُمْ مَا كَادَ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ مِنْ تَهْدِيدِهِ ؛ وَلَا بَالُوا بِمَا أَلَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْ
جُنْدِ الشَّامِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ سُيُولُهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ؛ وَخَادَعُهُمْ بِالرِّسَائِلِ
الَّتِي مَا تَزِيدُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا إِبَاءً ، وَلَا تُسَكِّكُهُمْ أَنْ السَّيْفَ أَصْدَقُ مِنْهُ إِنْبَاءً ، حَتَّى وَلَّى
لَا تَنْفَعُهُ الْخِدْعُ ، وَلَا تَنْصُرُهُ الْبِدْعُ ؛ فَمَا أَسْعَدَتْهُ تِلْكَ الْجُمُوعُ الَّتِي جَمَعَهَا ، وَلَا أَجَابَتْهُ
تِلْكَ الْجُنُودُ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا إِلَى مَكْنَنِ أَجَلِهِ ، وَلَا وَقَّتْ تِلْكَ السُّيُوفُ الَّتِي لَمْ يَظْهَرْ لَهُ
مِنْ بَوَاقِهَا إِلَّا حِمْرَةُ الْخَجَلِ ؛ حَتَّى أَخَذَ مَعَ طَاقِيَتِهِ بِلِ طَاغُوتِهِ بِمَصْرَ ذَلِكَ الْأَخَذِ
الْوَيْلِ ، وَقَذَفَ بِهِ إِلَى مَهْوَى هَلَكَةِ سَيْلِ ذَلِكَ السَّبِيلِ ؛ وَقَامَ مِنَ الْبُلْدِيَّاتِ الْمِصْرِيَّةِ
قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَنَظَّفُوا عَلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ الْكَافِرِ النَّعْمَةِ الْجَاحِدِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْأُمَرَاءِ
إِلَّا مَنْ بَذَلَ الْجُهْدَ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ وَالْحُنْدَ ؛ وَفَعَلَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ مَا لَمْ
يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ ، حَتَّى حُمِدَ الْأَمْرُ وَتَحَدَّ الْجَمْرُ ، وَتَوَارَتْ الْكُتُبُ بِمَا عَمَّتْ بِهِ الْبُشْرَى

من إقامة البيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأعطى اليمين ،
وأتم الحلف إتماماً لا يُقَدَّر معه ثمين ؛ وأقيمت له السَّكَةُ والخُطْبَةُ فُرِغَ على المنابر اسمه
وتهلل به وجوه الثُّقُود ، وظَهَرَ على أسارير الوجود ؛ وَضُرِبَت البشائر ، ونَهَبَت
المسرات السرائر ؛ وتَشَوَّقَت أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى حضور
ملكها ، وسُفُور الصُّباح لإذهاب ما بَقَّتْهُ عقابيلُ تلك الليلة من حَلَكَمَا . والمقام العالى
ما يزداد علماً ، ولا يَزَادَ عِزُّ ما ، وهو أدرى بما فى التأخير ، وبما فى بُعْدِهِ من الضرر الكبير ؛
ومثله لا يَعْلَمُ ، ومنه يُتَعَلَّمُ ؛ فهو أعلم بما يجب من مسابقة قُدُومِهِ للبشير ، وما سيعقِّ
من معاجلة لامتطاء جواديه ظهر الخمال وبَطْن السَّيرير ؛ فإلله الله ! فى تعجيل حِفْظ
هذا السَّوام المُشَرَّد ، وَضَمَّ هذا الشَّمْلَ المُشَتَّتَ ونَظَّمَ هذا العِقدَ المُبَدَّدَ ؛ وجميع كلمة
الإسلام التى طالما آفَرتْ ، وآتَجَّاعَ عارض هذه النعمة التى أبرقت ؛ وسرعة المسير
فإنَّ صبيحة اليوم المبارك الذى يُعرَف من أوله قد أشرقت ؛ فابقى مابه يُقْتَدَرُ ،
ولا سوى مُقَدَّمِهِ السعيد يُنْتَظَرُ .

وقد كتبناها ويَدُنَا ممدودة لمبايعته ، وقلوبُ الخلق كلها مستعدة لمتابعتِهِ ؛ وكرسى
المُلك قد أُرْلِفَ له مقعده ، ومؤمل الظَّفَرُ قد أُنجِزَ له موعده ؛ والدهرُ مطاوعه
والزمانُ مُسْعِدُهُ ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه تُرِصُّدُهُ ؛ والعهد له قد كُتِبَ ،
ولواء المُلك عليه قد نُصِبَ ؛ والمنبرُ باسمه عليه قد حُطِبَ ، والدينارُ والدرهم هذا
وهذا له قد ضُربَ ؛ ولم يبق إلا أن يَقْتَرِبَ ، وترى العيونُ منه ما تَرْتَقِبُ ؛ ويجلس
على السَّيرير ، ويُزَمِّعُ المبشِّرَ ويعزِّمُ على المسير ؛ وتُرَيْنُ الأقاليم ، ويبين لتسير شهابه
ما كان يُقْرَأُ فى التَّقَاوِيمِ ؛ لازال جيبُ مُلكه على الأقطار مَزْرُوراً ، وذيل نَقَّاره
على السماء مجروراً ؛ وحبلُ وَلِيَّتِهِ مُتَّصِلاً وقلبه مسروراً ، ومقدمه يحوزله من إرث
آبائه نِعْمًا جمة ومُلْكًا كبيراً ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ما استقر عليه الحال في زماننا إلى خلافة الإمام

المتوكل على الله خليفة العصر)

وهو أن تفتتح المكاتبة بالسلام، ويؤتى في ألقاب المكتوب إليه بما يُكتب من الألقاب عن السلطان على ماسياتى ذكره في المكاتبات السلطانيات في الباب الثانى من هذه المقالة، إن شاء الله تعالى .

مثال ذلك : أن تكون المكاتبة إلى نائب الشام مثلاً، فالذى يكتب إليه عن السلطان : « أعزَّ الله تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب الآتى ذكرها هناك، ويكتب عن الخليفة « سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يُحْص المَقَرِّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب .

قلت : ولو سلكوا سبيل الخلفاء السابقين في المكاتبات الصادرة عنهم : من الابتداء بلفظ « من عبد الله ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين إلى فلان على ما تقدّم » وأتوا في ألقاب المكتوب إليه بالألقاب المستعملة في [ذلك] الزمان في المكاتبات السلطانية : مثل أن يكتب عن الإمام المتوكل على الله محمد خليفة العصر إلى نائب الشام . « من عبد الله ووليه أبى عبد الله محمد الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، إلى المَقَرِّ الكريم العالى الأميرى الكبيرى » إلى آخر الألقاب المقدم بيانها في المقالة الثالثة . ثم يقال : « وسلام على المَقَرِّ الكريم ، فإن أمير المؤمنين يمدُّ إليه الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم يقال : أما بعد، فإن كذا وكذا، ويؤتى على المقصد ويختتم بالدعاء وغيره لكان أذهب مع الصواب، وأوفق لمكاتبة الخلفاء السابقين، وأقرب إلى اقتفاء سبيلهم .

الطرف الخامس

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية،

وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في الكُتُب الصادرة عنهم على سبيل الإجمال)

وقد ذكر صاحب "مواد اليان" وكان من كبار دولتهم في المكاتبات الصادرة عنهم نحو المكاتبات الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد، فقال : وإن كانت المكاتبَةُ من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفضل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول : لأنها أولى ما يُستفتح به، ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيراً «من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان» ويبدأ بذكر نعتِهِ إن كان الإمام شرفه بنعت : «سلامٌ عليك فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ويسأله أن يصلّي على محمّدٍ خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الأئمة المهديّين ويُسلم تسلياً». ويكون هذا التصدير في سطرين، يجعل بينهما فضاء قيس شبر، ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حدّه؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاء نصف الذي بينهما. ثم يقول : أما بعدُ ، و يقتض المعاني معني معني ، فإن كان أمراً أمر به الإمام قال بعد أنقضاء الكلام : وأمر أمير المؤمنين بكذا . ثم يقول بعد فصلٍ أوسع من الفصل الأول «فاعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه وأعمل عليه بحسبه» . ويقول للمخاطبين من الطبقة العالية : والسلام عليك ورحمة الله، ويفرد بالسلام من دونها .

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام «وكتب فلان بن فلان» باسم الوزير وأسم أبيه؛ ثم بطل هذا الرسم في الدولة العلوية

ولا يكتب أحد بالتصدير إلا الإمام وولي عهده . وهذه المكتبة عامة للناس جميعا في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين ، ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف .

الجملة الثانية

(في الكتب العامة ، وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتتح الكتاب بلفظ : « من عبد الله ووليه أبي فلان

فلان الإمام الفلاني » على ما تقدم ترتيبه)

وعلى هذا الأسلوب كان الحال في ابتداء دولتهم وإلى أوساطها .

وهذه نسخة كتاب كتب به الإمام العزيز بالله نزار الفاطمي إلى عامله بمصر يشّره بالفتح حين خرج إلى قتال القرمطي بالشام في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، مما أورده المسبّحي في تاريخه :

من عبد الله ووليه نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين ، إلى حسين بن القاسم . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جدّه محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه ، وعلى الأئمة من عترته الأبرار ، الطاهرين المطهرين وسلّم تسليما .

أما بعد ، فالحمّد لله الملك العظيم ، العليم الحليم ، ذي الطول الكريم ، والعمّ الجسيم ، والعزّ المديد ، والمحال الشديد ، ولي الحقّ ونصيره ، وماحق الباطل ومبيره ، المتكفل بالنصر والتمكين ، والتأييد والتحصين ، لأوليائه المتقين ، وخلفائه المصطفين الذابين

عن دينه ، والقائمين بحَقِّه ، والدالين على توحيدِه ، الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج حُجَجِهِم وظهورهم على أعدائه المشاقين له ، الضالِّين عن سبيله ، المُلْحِدِينَ في آياته ، الجاحدين نِعَمه ، المتزلِّ رِجْلُهُ ، وقوارع بأسه على من عصاه فحاده ، وصَدَّ عنه فناداه ، القاضى بالعَوَاقِبِ الحُسْنَى والفوز والنماء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه في أمره ، وفوض إليه حُكْمَهُ ، كُلُّ ذَلِكَ فَضْلاً مِنْهُ وَعَدْلاً ، وقضاءً فصلاً ؛ وهو الحَكَمُ العَدْلُ الذي لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

فبَارِكَ اللَّهُ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ الْفَرْدُ فِي مُلْكِهِ ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوُّ كِبَرِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَبَعَ عَبْدَهُ الْمُصْطَفَى ، وَأَمِينَهُ الْمُرْتَضَى ؛ مِنْ أَكْرَمِ سِنَخٍ وَنَبْعَةٍ ، وَأَظْهَرَ مِلَّةَ وَشَرَعَهُ فِي أَفْضَلِ دَهْرٍ وَعَصْرٍ ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَاباً مِنْ وَحْيِهِ حَكِماً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ قِيَمًا بَدِيعِ النِّزَامِ ، دَاخِلًا فِي الْأَفْهَامِ ، خَارِجًا عَنْ جَمِيعِ الْكَلَامِ ، لَيْسَ كَسَجْعِ الْكُفَّانِ ، وَلَا كَتَجْبِيرِ ذَوِي اللِّسَنِ وَالْبَيَانِ ؛ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ بِالْأُمِّ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَتَوَزَّعَتْ أَرَاؤُهُمْ ، فَضَلَّتْ أَحْلَامُهُمْ وَعَمِيَتْ أَفْهَامُهُمْ وَأَسْتَحُودَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ ؛ جَهْلًا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ ، فِدَاعَهُمْ إِلَى الْأَقْرَارِ بِالْإِلَهِمْ ، وَعَرَفَهُمْ وَحِدَانِيَةَ رَبِّهِمْ وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى إِرْشَادِهِمْ ، جَادًّا فِي الْأَجْتِهَادِ ، هَاجِرًا لِلدَّعَةِ وَالْمِهَادِ ؛ صَابِرًا عَلَى تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَقْنِيدِ الْمُلْحِدِينَ ؛ يَنْصَحُ لَهُمْ فَيَسْتَكْبِرُونَ ، وَيَهْدِيهِمْ فَيَضِلُّونَ ، وَيَحْذَرُهُمْ فَيَسْتَهْزِئُونَ ؛ حَتَّى ظَهَرَ دِينَ اللَّهِ فَسَمَا ، وَطُمِسَ الْكُفْرُ فَانْمَحَقَ وَعَقَا ؛ وَعَمَّتْ بَرَكَتُهُ ، وَفُضِّلَتْ عَلَى الْأُمِّ أُمَّتُهُ ، وَعَلَتْ عَلَى الْمَلَلِ مِلَّتُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمُصَلِّينَ ، وَزَادَهُ شَرْقًا فِي الْعَالَمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَانْتَخَبَهُ لِحِلَافَتِهِ ، وَجَعَلَهُ صَفِيَّةً مِنْ خَلْقِهِ وَأَمِينَةً عَلَى عِبَادِهِ وَهَادِيًا إِلَى سَبِيلِهِ ، قَائِمًا بِحَقِّهِ ، مُقْسِطًا فِي أَرْضِهِ ؛ ذَابًا عَنْ دِينِهِ ، مُجْبِيًا مَا أَمَاتَهُ أَهْلُ الْكُفْرِ مِنْ أَحْكَامِهِ ؛ وَأَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَهُ بِقُوَّتِهِ ؛ وَتَكَفَّلَ لَهُ بِالنُّجْحِ

فِي مَسْعَاهُ ، وَالظَّفَرِ مُبْتَغَاهُ ، وَنَيْلِ طَلِبَتِهِ فِيمَا أَمَّهُ وَأَرْتَاهُ . وَحَكَمَ بَكَّتْ كُلَّ عَدُوِّهِ
وَحَرَمِهِمْ ، وَإِذْلَاهُمْ وَمَحَقِّهِمْ وَخَذْلَهُمْ ، وَإِيْهَانِ كَيْدِهِمْ ، وَضَرْبِ الدَّلَّةِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ
كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا ؛ فَلَا يَتَّبِعُ نَاعِقُ مِنْهُمْ يَطْلُلُ ، أَوْ يَسْعَى بِنَفْسِهِ وَخَبَالُ ؛ أَوْ يُدْفِعُ
إِلَى أَقْتَرَاءِ عَلَى اللَّهِ أَوْ مُرُوقٍ عَنْ دِينِهِ أَوْ إِذْهَابِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ طَاعَةٍ
إِلَّا أَصْطَلَمَهُ وَأَنْزَلَهُ ، وَأَكْبَهَ لَوَجْهِهِ وَأَرْدَاهُ ، وَقَضَى عَلَيْهِ بِالشَّقْوَةِ فِي دُنْيَاهُ ، وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ فِي آخِرَاهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَحَ فَأَجَلَ ، وَأَعْطَى فَأَجَزَلَ ؛ مِنْ نِعْمَةِ السَّابِقَةِ ، وَالْآيَةِ الْمُنْتَابِعَةِ ؛
الَّتِي لَا يُوَازِيهَا شُكْرٌ ، وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا ذِكْرٌ ؛ حَمْدًا يُوجِبُ مِنْهُ الْمَزِيدَ ، وَيَسْتَدْعِي
الْمِنَّةَ وَالْتِجَادَ ؛ وَإِلَيْهِ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خَاضِعًا وَيَسْأَلُهُ رَاغِبًا حُسْنَ الْعَوْنِ عَلَى
مَا بَلَغَ رِضْوَانَهُ ، وَأَمْتَرَى فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ . وَتَقَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ بِمَا هَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ
وُصُولِهِ إِلَى مَدِينَةِ الرِّمْلَةِ عَلَى أَجْمَلِ صُنْعٍ وَالْأَطْفِ كِفَايَةٍ ، وَأَتَمِّ أَمْنٍ ، وَأَكْمَلِ عِزٍّ
وَأَوْطَدِ حَالٍ ، وَأَحْسَنِ أَنْتِظَامٍ ، وَأَبْسَطِ يَدٍ ، وَأَظْهَرِ قُدْرَةٍ ، وَأَشْمَلَ هَيْبَةٍ ؛ وَبِمَا أَوْلَى
اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَلِّهِ وَطَعْنِهِ ، وَارْتِحَالِهِ وَتَوَاتُّهِ : مِنْ نِعْمَةِ الْعَمِيمَةِ ، وَمَوَاهِبِ
الْجَسِيمَةِ ؛ وَمِنْحَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَمِنْتَنِ الْجَزِيلَةِ ؛ وَانَّهُ مِمَّا يَسْتَغْرِقُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ ، وَيَفُوتُ
الإِحْصَاءَ وَالنَّشْرَ ، وَذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ اللَّعِينِ التُّرْكِيِّ وَهَرَبَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ
يَلُوحِ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ بَلَغَ طَبَرِيَّةَ لِلَّذِي تَدَاخَلَ مِنَ الْفَرَقِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَلَقِ ؛
وَلَمَّا سَكَنَ قَلْبُهُ مِنَ الرَّعْبِ ، وَحَشَاهُ مِنَ الرَّهْبِ ؛ بِقَصْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ وَإِعْذَادِهِ
السَّيْرِ فِي طَلْبِهِ وَمَوَاصِلَتِهِ الْأَسْبَابِ ، وَمَتَابَعَتِهِ الْإِدَابِ . وَوَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا عَلَيْهِ
عَزْمُهُ فِي تَبِعِهِ وَأَقْتِفَاءِ أَثَرِهِ ، وَالْحُلُولِ بِعَقْوَتِهِ ^(١) حَيْثُ قَصَدَ وَحَلَّ ، لثِقَتِهِ بِاللَّهِ رَبِّهِ ،
وَتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ ، وَتَفْوِيضِهِ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَزَلْ جَلَّ وَعِزُّ يُولِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - بَعْدَ نُفُوزِ

(١) العقوة ماحول الدار والمحلة ، انظر القاموس ، ووقع في الأصول بالفاء بدل القاف وهو تصحيف .

كتابه - من عزَّ يؤيده ، وظفر يؤكده ، ونصر يوطئه ، والآء يحددها ، ومواهب يتابعها ، وعدو يذله ، ومناو يقله ، وشارد يصرفه إلى طاعته ، ومارق يعيده إلى موالاته ؛ إلى أن تم له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه ، وتميها له ما تواتر شكره له جل وعز فيه وكان مع ذلك مواصلا إلى اللعين الإعذار ، ومتابعا للإنذار ؛ ومحدرا له ما يعذر ، ومستدعيه إلى ما يختار ويؤثر ؛ وممينا له . مما يعني به مثله من العفو عنه ، وتقعد ما جرى منه ؛ والإقالة لعثرته ، والتجاوز عن هفوته ؛ والامتنان عليه بما رغب فيه من تقليده ناحية من نواحي الشام ، وإدراج الأرزاق عليه وعلى رجاله وأصحابه ؛ وإيشاره بالفضل الجليل ، واختصاصه بالطول الجزيل . فما نجح في الفاسق وعد ، ولا نجح فيه وعظ ، ولا وقي إلى قبول حظ ؛ ولا أصنى إلى قبول تذكرة ، ولا أناب إلى تبصره . وما زال جادا في تهوكه ، متاديا على تمهكه ؛ جاريا على ضلالتة ، سالكا سبيل عمائته ؛ مترددا في غوايته ، متلدا في جهالاته ؛ مقدرا أن بأس الله لا يرهقه ، وسطوته لا تلحقه ، ورجزه لا يحقه ، وذنوبه لا تزهقه ، وأجرامه لا تؤيقه . وما زال اللعين في خلال ذلك يسط آمال العرب ويرجىها ، ويرغبها ويمنيها ؛ بأقوال كاذبه ، وآمال خائبه ؛ ومواعيد باطله ؛ حتى أصنى أكثرها إلى غروره ، وقبول إفكه وزوره ؛ وأجابته طائفة طاغية ، ووصلت إليه متابعيه ؛ فتوفر جمعه ، وكثر عدده واشتد طمعه ، وقوى أمله ؛ وتمكن له باستدراج الله إياه وغضبه عليه أن يورط غضبته ومن آخذعه بغيه وأستفزه معه جهله ؛ ويوردهم جميعا ونفسه الرذلة موردا لا صدر له ، ولا علل بعده ؛ فخرج من طبرية وحل بيسان ، محل الخري والموان ؛ فعندها انتهى إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل ، الذي حصل فيه بعد رحيله من الرملة وهو الموضع المعروف بالطواحين . فعند ما قرب أستجرأ الفاسق اللعين ، واعتمد ما يعود بأطماعه ، أقام في الموضع أياما ناظرا فيما يحتاج إليه ، متأبها

لما يُريده ، وكان ذلك هو السبب الذى أطمعه . فبعد ما طمع قاده الحين
الغالب ، والقدر الجالب ؛ وما أراد الله عز وجل من استدراجه إلى موضع نكاله ،
ومنهل وباله ؛ ورحل من يئسان رحيل من استعجلته البلية ، واستدعته الرزية ؛
فخل بموضع يُعرف بكفر سلام ، كافرًا مجذود الإسلام ، متجرئًا على الله محاربًا لنجل
نبيه عليه السلام ؛ وأقام بها متلددًا في حيرته ، مترددًا في سكرته ؛ ثم استجره شومه ،
وقاده حينه ولومه ؛ إلى أن رحل فزل بكفر سبابا البريد ، فأنابه أسمها بما حل به من
السبي المييد والخزى الشديد ؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه الماكولة ، ونصب
أعلامه المتخذولة ، وأقام صفوفه المقلولة ؛ وأظهر آلة الحرب إقداما ، و [أخفى]
عن اللقاء إجماما .

فأمر أمير المؤمنين بترين العساكر المنصورة والجيوش المظفرة وتعبئتها على
مراتبها ، وترتيبها على مواكبها ؛ وتقدم إلى قوادها أن لا يمشوا إلا صفًا ،
ولا يسيروا إلا زحفا ، وعرفهم أنه سيسير بنفسه ، ويقصد اللعين بموكبه وجهوره
ومن معه من حمة رجاله ؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثان ولا يضرفه عن الاقتحام
صارف ؛ فبدأ من عزائمهم ، وشدة شكائهم ، وخلوص بصائرهم ، وسكون
أفئدتهم ، وثبات أقدامهم ، ما كانت به دلائل النصر واضحه ، وشواهد الفلج لائح ؛
وعلامات الفتح ظاهره ، وآيات التمجج باهره ؛ فمشوا على ما أمروا ، وساروا على
ما سيروا ؛ فعند ما دنوا من عدو الله أصابوه للجلاء معدا ، وفي المحاربة مجدا ؛
واستخاروا الله عز وجل وتدانوا للتلاق ، والأخذ بالنواصي والأعناق ؛ وقامت
الحرب على ساق ، وتجرع منها أمر مDAQ ؛ فاستطار شرارها ، وتأججت نارها ؛
وارتفع دخانها ، وعظم شأنها ؛ والتزم الأقران بالأقران ، واشتد الضرب والطعان ؛

إلى أن مشى أمير المؤمنين بنفسه، وجمهور موكبه، متوكلاً على الله، مأتاً إليه بجده
 محمد صلى الله عليه وسلم، متوسلاً بمتقدم وعده، وسالف إنعامه عنده، وقصد اللعين
 غير متلوم عن مصادمته، ولا معرج عن ملاحته؛ فقيوت نفوس أوليائه وعبيده،
 ومن آشملت عليه عساكر المنصورة، وجيوشه المظفرة بما تينوه من إقدامه،
 وشاهدوه من اعتزاه به، وحملوا على الفاسق وأحزاه به، وقذف الله في قلوبهم الرعب
 فترزلت أقدامهم، وأرعشت أيديهم ونجبت أفئدتهم، وولوا الدبر منهزمين، ومنحوا
 ظهورهم مؤلّين؛ وأفرقوا ثلاث فرق: فرقة قتلت في المعركة، وصيرت في الملاحمة؛
 فاحترت رؤوسهم، وفرقة أحست وقع السيوف وإرهاق الخوف؛ فاستأمنت تحت
 الدلة والصغار، والغلبة والأقذار، بقيت عليهم الأرواح، وحقت منهم الدماء.
 وفرقة أسرت أسرا، وقيدت قيذاً؛ وهرب التركي اللعين رئيس ضلاتهم، وعميد
 كفرهم؛ في شريذمة من أصحابه، فظن أن ذلك من بأس الله يُنجيه، ومن الأخذ
 بكظمه يؤقيه، هيهات! كما قال الله عز وجل: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾:
 ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فاتبعه سرعان الخيل
 وخيف الرجال؛ مع مفرج بن دغفل بن جراح، فأخذه قبضا وأتى به قودا أسيراً
 من غير عهد، وذليلاً من غير عقد؛ وأستولى أهل العساكر المنصورة، والجيوش
 المظفرة؛ على مناخه وسواده، وما كان فيه من مال وأثاث وكراع وقناع^(١)؛ وقليل
 وكثير، وجليل وحقير؛ فازوه وأسسعوا به، وأكثروا من حمد الله، وأنصرفوا
 إلى معسكرهم سالمين، بالمغنم والظفر آمينين؛ لم يكلم منهم أحد، ولم يتقص لهم حد؛
 وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس، ومن أسراهم
 ثمانمائة أسير، غير من استؤمن وقت الإيقاع بهم، ولم يفلت من الفسقة إلا من هرب

(١) القناع معانيه كثيرة ومنها السلاح وهو المراد هنا .

بُحْشَاشَةَ نَفْسِهِ مَعَ مَنْ لَأَمَ التُّرْكِيَّ اللَّعِينِ ، وَصَاحِبُ عَقْدِهِ وَمُورِّطُهُ فِي هَلَاكِهِ ، وَقَائِدُهُ إِلَى قِيَمَاتِهِ ، وَسَائِقُهُ إِلَى مُوَيْقَاتِهِ ، وَهُوَ كَاتِبُهُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحِمَارَةِ ، فَلَحِقَ بِطَبَرِيَّةٍ فَقُتِلَ هُوَ وَجُلٌّ مِنْ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَحْتَرَّ رَأْسُهُ وَأُتِيَ بِهِ ، فَكُمَلَتِ النِّعْمَةُ ، وَتَمَّتِ الْمَوْهِبَةُ ، وَتَجَدَّدَ حَمْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتَّصَلَ شُكْرُهُ ، لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ جَلِيلِ عَطَائِهِ ، وَكَرِيمِ حِبَائِهِ ، وَسَنَى آلَانَهُ . وَكَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِهِ ، وَاخْتِصَاصِ اللَّهِ إِيَّاهُ وَاتِّخَايَهُ لَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عَطَائِهِ الْهَنِيِّ ، وَحِبَائِهِ السَّنِيِّ ، وَمَا أَيْدَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعَزَّ الدِّينَ ، وَقَعَ الْمُشْرِكِينَ ، إِذْ كَانَ الْفَاسِقُ اللَّعِينُ ، التُّرْكِيُّ الْعَوِيُّ الْمُبِينُ ، ثَلَاثَةً مِنْ ثُلَاهِمَ وَرُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهِمْ ، وَحِزْبًا مِنْ أَحْزَابِهِمْ ، وَوَتْنَا مِنْ أَوْنَانِهِمْ ، وَطَاغِيَّةً مِنْ طَوَاغِيَّتِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بِلَدِ الْمُسْلِمِينَ يَدٌ تَصُدُّ عَنْهُمْ بِأَسَ غَيْرِهِمْ ، وَلَا عَضُدٌ يَدْفَعُونَ بِهَا سِوَاهُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوزِعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَيُوجِدَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ مُبْتَغَاهُ ، مِنْ إِعْزَازِ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ ، وَإِحْيَاءِ شَرِيعَةِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَجَاهِدَةِ التُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَعَ الظَّالِمِينَ وَالْقَانِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ، حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، وَيَجْمَعَ الْقُلُوبُ عَلَى طَاعَتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَعْرِيفِكَ ذَلِكَ ، وَتَلْخِصُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ ، لَتَقِفَ عَلَيْهِ وَتُنْذِيْعَهُ ، وَتَشَهَّرَهُ فِيمَا قَبْلَكَ ، وَتَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا مَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الظَّفَرِ . فَاعْلَمْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَكَتَبَ يَوْمَ الْخَمِيسِ خَمْسَ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بِحُطْبَةٍ مَفْتَتَحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ)

وعليه كان الحال في أواخر دولتهم . وعليه جرى في ”مواد البيان“ في الأمثلة التي ذكرها .

وهذه نسخة كتاب مما أورده في ”مواد البيان“ بشارة بفتح، وهي :

الحمد لله مُدِيلُ الْحَقِّ وَمُنِيرُهُ ، وَمُنِذِلُ الْبَاطِلِ وَمُبِيرُهُ ؛ مُؤَيِّدُ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ
الْإِعْجَازِ ، وَقَصَمَ وَعْدَهُ فِي الْإِظْهَارِ بَوْشِيكَ الْإِنْجَازِ ؛ أُنْحَدَ كُلُّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَفُضَ
كُلِّ شَرٍّ وَأَجْتَبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ اللَّامِعَ ، وَظِلَّهُ الْمَاتِعَ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ السَّرَاجَ الْمُنِيرَ ،
وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ؛ فَأَوْضَحَ مَنَاجِيَهُ ، وَبَيَّنَّ مَدَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ؛
وَسَنَّ حِلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَّ خَاصَّهُ وَعَامَّهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ
بِعَصَمِ دِينِهِ ؛ وَشَمَّرَ فِي نَصْرِهِ مُجَاهِدًا مَنْ نَدَّعَنَ سَبِيلَهُ ، وَعِنْدَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَّدَ
الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَامَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَمَّلَتْ
خَيْلُ اللَّهِ بِقِبَائِلِ الْهَامِ .^(٢)

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ جَعَلَهُ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِهِ ، وَوَفَّقَهُ لَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَقْتِفَاءِ
أَثَرِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى تَمْكِينِ الدِّينِ ؛ وَتَوْهِينِ الْمُشْرِكِينَ ، وَشِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنْهَضَهُ
بِالْمُرَامَةِ عَنِ الْمَلَّةِ ، وَالمُحَامَاةِ عَنِ الْحَوْزَةِ ؛ وَإِعْزَازِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَإِذْلَالِ حِرْبِ
الْكُفْرَانِ . وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى خَيْرَتِهِ الْمُجْتَبَى ، وَصَفْوَتِهِ الْمُتَّصَى ، مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَبِّ

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه بعلامة التوقف ولعله وتم وعده الخ كما يفيد السجع .

(٢) قبائل الرأس أطباقه وفي الأصول ”نبائل“ بالنون وهو تصحيف يأباه المعنى .

وكاف، وجاهد وناف؛ وحى الذمار، وغزا الكفار. صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه على بن أبى طالب سيفه القاطع، ومجته الدافع: وسهمه الصارذ، وناصره العاضد؛ فارس الوقائع، ومعوس (?) الجماع؛ مبيد الأقران، ومبيد الشجعان. وعلى الطهارة من عثرته أئمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجنات. وإن أولى النعم بأن يرقل فى لباسها، ويتوصل بالشكر إلى لبائها؛ ويتهادى طيب خبرها، ويتفاوض بحسن أثرها؛ نعمة الله تعالى فى التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولى الباطل والإفك؛ والهجوم عليهم فى عقر دارهم، وأجبتات أصلهم وهدم منارهم؛ واستنزاهم من معاقيلهم، وتشريدهم عن منازلهم؛ وتغميض نواظرهم الشوس، وإلباسهم لباس البوس؛ لما فى ذلك من ظهور التوحيد وعزّه، وتحمود الإلحاد وعزّه؛ وعلوامة المسلمين؛ وانخفاض دولة المشركين؛ ووضوح محجة الحق ومجته، وقضوح برهانه وآيته.

وكتب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد أنكفأ عن ديار الفلانيين والمشركين إلى دسّت خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحرا، وشردهم سهلاً ووعرا، وجرعهم من عواقب كفرهم مرّاً؛ وفرق جمائعهم التى تطبق سهوب الفضاء خيلاً ورجلاً، وتضيّق بها المهامه حزناً وسهلاً؛ ومزّق كئابهم التى تلحق الوهاد بالنجاد، وتختطف الأبصار بيوارق الأعناد؛ وسبى الداررى والأطفال، وأسر البطاريق والأقبال؛ وأفتتح المعاقل والأعمال، وحاز الأسلاب والأموال؛ وأستولى من الحصون على حصن كذا وحصن كذا. ومحا منها رسوم الشرك وعفاها، وأثبت سنن التوحيد بها وأمضاها. وغيم أولياء أمير المؤمنين ومتطوعة المسلمين من الغنائم ما أقر العيون، وحقق الظنون؛ وأنفصلوا وقد زادت بصائرهم نقاداً فى الدين، وسراثرهم إخلاصاً فى طاعة أمير المؤمنين؛ بما أولاهم الله من النصر والإظفار، والإعزاز والإظهار؛ ووضح للمشركين بما أنزله عليهم

من الخذلان، وأنالهم إياه من الهوان ؛ أنهم على مضلة من النجى والعمى ، وبعد من الرشد والهدى ؛ فضرعوا إلى أمير المؤمنين فى السلم والموادعة ، وتحملوا بذلاً بذلوه تفادياً من الكفاح والمقارعة ؛ فأجابهم إلى ذلك متوكلاً على الله تعالى ، وممثلاً بقوله تعالى إذ يقول : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . وعاقده طاعتهم على كتاب هُدنة كتبه له ، وأقره فى يده ؛ حجة مضمونة .

أشعرك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ من هذه النعمة بنصيب مثلك من الخالصين ، وتعرف موقع ما تفضل الله تعالى به على الإسلام والمسلمين ؛ فتحسن ظنك ، وتقر عينك ؛ وتشكر الله تعالى شكر المستمد من فضله ، المعتد بطوله ؛ وتتلو كتاب أمير المؤمنين ، على كافة من قبلك من المسلمين ، ليعلموا ما تولاهم الله به من نصره وتمكينه ، وإذلال عدوهم وتوحيته ؛ فاعلم ذلك وأعمل به .

الجملة الثالثة

(فى الكتب الخاصة ، كالمكتبة إلى الوزير ومن فى معناه)

قال فى " مواد البيان " بعد ذكر صورة المكاتب العامة عنهم : وقد يخاطب الإمام وزيره فى المكتبة الخاصة بما يرفع فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية ، ويتصرف فى ذلك ، ويزاد ويتقص على حسب لطافة محل الوزير ومنزله من الفضل والجلالة . قال : وليس لهذه المكتبة الخاصة حدود ينتهى إليها ، ولا قوانين يعتمد عليها ، وطريقها مستفيضة معلومة . وقد تقدم فى المكاتب الخاصة عن خلفاء بنى العباس أن مكتبة الوزير « أمتعنى الله بك » فى أدعية أخرى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس)

ولم أَقِفْ على شيء من المكاتبات الصادرة عنهم ، وإن ظَفِرْتُ بشيء منها بعد ذلك ألحقته إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ السَّابِعُ

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ، أتباع المهديّ بن تومرت المستمر

بقاياهم الآن بتونس وسائر بلاد أفريقيا ، وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن تُفَتِّحَ المكاتبَ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

وكان الرسم فيها أن يقال : « من أمير المؤمنين فلان » ويُدْعَى له بما يناسبه « إلى فلان » ويُدْعَى له بما يليق به ، ثم يُوقَى بالسلام ، ثم يُوقَى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضية عن الصحابة ، ثم عن إمامهم المهديّ ، ثم يُوقَى على المقصود ، ويُخْتَم بالسلام . والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة ويم الجمع عن المكتوب إليه .

كما كُتِبَ عن عبد المؤمن : خليفة المهديّ إمامهم إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد :

« من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعاونته ؛ إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد وفقه الله ، ويسره لما يرضاه ، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته . »

أما بعدُ فالحمدُ لله الذي له الاقتدار والاختيار، ومنه العونُ لأوليائه والإقْدَارُ،
 وإليه يرجع الأمرُ كُلُّه فلا يمنعُ منه الاستبداد والاستئثار، والصلاةُ على محمدٍ نبيِّه
 الذي أبتعثتْ بمبعثه الأضواء والأَنْوَارَ، وعمرتْ بدعوته الأنجاد والأغوار، وخَصَمَ
 بِحُجَّتِهِ الْكُفْرَ وَالْكَفَّارَ، وعلى آلِهِ وصحبه الذين هم الكرامُ الأبرار، والمهاجرين
 والأنصار؛ والرِّضَا عن الإمام المعصوم، المهديِّ المعلوم؛ القائمُ بأمر الله حينَ غِيَرَتِ
 الأغيار، وتقدم الامتعاظُ له والانتصار. وهذا كتابنا - كتب الله لكم نظرًا يُريكم
 المنهج، ويُفِيكم الأبهج فالأبهج؛ وآتاكم الله من نعمة الإيمان، وعصمة الاقْيَادِ له
 والإذعان، ما تجدون به اليقينَ والتَّلَجَّجَ - من حضرة مرآة كُشِّ حَرَسَهَا اللهُ تعالى،
 ولا آستظهار إلا بقُوته وحوله، ولا آستِثْكَارَ إلا من إحسانه وطوله.

ولما جعل اللهُ هذا الأمرَ العظيمَ رحمةً خلّقه، ومِطْيةً لرقبه وقرارةً لإقامة حَقِّهِ؛
 وحَلَّ حَمَلَتِهِ الدِّعَاءَ إِلَيْهِ، والدَّلَالَةَ بِهِ عَلَيْهِ، والترغيبَ في عظيم ما عنده ونعيم ما لَدَيْهِ؛
 وجعل الإنذارَ والإعذارَ من فُصُولِهِ الْمُسْتَوْعِبَةِ، وأحكامه المُرْتَبَةِ؛ وَمَنْجَاتِهِ الْمُخَلَّصَةِ
 من الخطوبِ الْمُهِلِكَةِ والأحوالِ الْمُعْطِبَةِ - رأينا أن نُخَاطِبَكُمْ بِكُتَابِنَا هَذَا أَخْذًا
 بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي الْمَضَاءِ إِلَى سَبِيلِهِ، والتَّحْرِيزِ عَلَى اغْتِنَامِ النِّجَاءِ وَتَحْصِيلِهِ،
 وإقامةِ الْحُجَّةِ فِي تَبْلِيغِ الْقَوْلِ وَتَوْصِيلِهِ؛ فَأَجِيبُوا - رَفَعَكُمْ اللهُ - دَاعِيَ اللهِ تَسْعِدُوا،
 وَتَسْكُنُوا بِأَمْرِ الْمَهْدِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي اتِّبَاعِ سَبِيلِهِ تَهْتَدُوا؛ وَأَصِرُّوا أَعْنَةَ
 الْعِنَايَةِ إِلَى النَّظَرِ فِي الْمَالِ، والتَّفَكُّرِ فِي نَوَاشِئِ التَّغْيِيرِ وَالزَّوَالِ، وَتَدَبَّرُوا جَرَى هَذِهِ
 الْأُمُورِ وَتَصَرَّفْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ؛ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا عِزَّةَ إِلَّا بِإِعْزَازِ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ
 ذُو الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ، وَلَا يَغْنُتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ، فَالذُّنْيَا دَارُ الْغُرُورِ، وَسوقُ الْحَالِ؛ وَلَيْسَ
 لَكُمْ فِي قَبُولِ النَّصِيحَةِ، وَآبْتِدَاءِ التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ؛ وَالْعَمَلِ بِثُبُوتِ الْإِيمَانِ فِي هَذِهِ
 الْعَاجِلَةِ الْقَيْسِيَةِ؛ إِلَّا مَا تَحِبُّونَهُ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْأَمْنَةِ وَالِدَّعَةِ، وَالكَرَامَةِ

المتسعة والمكانة المرفعة، والتنعيم بنعيم الراحة المتصلة والنفس الممتعة؛ فحنن لا تريد لكم ولسائر من نرجو إنايته، ونستدعي قبوله وإجابته، إلا الصلاح الأعم، والنجاح الأتم؛ وتأملوا - سدّدكم الله - من كان بتلك الجزيرة - حرسها الله - من أعيانها، وزعماء شائها؛ هل تخلص منهم إلى ما يودّه، وفاز بما يدنّره ويعدّه، إلا من تمسك بهذه العروة الوثقى، واستبقى لنفسه من هذا الخير الأدوم الأبقى، وتنعم بما لقي من هذا النعيم المقيم ويلقى . وأما من أخلد إلى الأرض وأتبع هواه، ورغب بنفسه عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه؛ فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء منقلبته، وخسارة مذهبه ومطلبه، وتنقل منه حادث الانتقام أخسر ما تنقل به؛ ونحى عليكم - وفقكم الله ويسركم لما يرضاه - أن تحسنوا الاختيار، وتصلوا الأدكار والإعبار، وتبتدروا الابتدار؛ وماحق من أنقطع إلى هذا الأمر الموصول الواصل، وأزعم ما يناله من خيره المحوز الحاصل؛ أن يناله منكم شاعلاً يشغله عن مقصوده، ويحيط به ما يضرّفه عن محبوه ومؤدّوه؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد، وتعلّثهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم كان منكم في عقب ذلك ما أعمدئموه في أمر أهل لورقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم، وبأن إخلاصهم؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبة مُحمّد، فالخير خير ما يقصد، والنجاة فيما يُترجّح عن الشر ويُنعد؛ وإنا لنرجو أن يكفكم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى نظر موقّق، ومتاع محقّق، ويحبّذكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذب يسعد، وسائق يرشد؛ والله يئنّ عليكم بما يُحْيِيكم، ويمكّن لكم في طاعته أسباب تأمليكم وترجيكم، بمنّه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

الأسلوب الثانى

(أن تُفتَحِ المكتبة بلفظ « أما بعد »)

والأمر فيه على نحو ما تقدّم فى الأسلوب قبله بعد البعدية ، كما كتب أبوالميمون عن المستنصر بالله : أحد خلفائهم إلى بعض نوابه ، وقد نقض العهد على بعض المهادين من النصارى .

« أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالمهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيّد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهديّ المعلوم ؛ الآتى بالتّعت الموجود ، فى الزّمن المحدود ، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التّهائم والتّجود ؛ والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعد تذلّ له النواصي ، ويهدّ الأقطار القواصي ؛ فكتبناه - كتبكم الله ممّن إذا هم بأمر تدبّر عواقبه ، وإذا عزّم على ركوب غرر ألفى معاطبه - من فلانة كلاًها الله تعالى . وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ؛ ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً ، ونخوة تعقب هواناً ودُلاً ؛ وقد أخطأتم فى فعلتكم الشّنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع العقد ؛ والثانى عصيان الأمر العزيز وفيه التّغيير بالمهج ، وترك السّعة للحرج ؛ والثالث أنكم تثيرون على أنفسكم من شرّ عدوكم - قصمه الله - شرّاً يستعير ، وضراً يعدّم فيه المتصرّ ، فليتك إذ تحلّيت بالعصيان ، ورَضِيتم الغدر المحرّم فى سائر الأديان ؛ تبتّم للعدوّ إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القويّ متى زحّمكم ؛ بل تدرّعون له الفرار ، وتركّونه فى مخلفيكم وما اختار ؛ وقد جرّيتم مرات أنكم لا ترزؤنهم ذرّه ، إلا رزءوكم ألف بدره ؛ ولا تُصيبونهم مرّه ، إلا أصابوكم ألف مرّه ؛ وإلى متى

تَنْهَوْنَ فَلَا تَنْهَوْنَ ؟ وَحَتَّامُ تَنْهَوْنَ فَلَا تَنْهَوْنَ ؟ فَإِذَا وَافَاكُمْ كِتَابُنَا هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فَأَذُوا مَنْ أَسْرَتُمْ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَرُدُّوْا مَا آتَيْتُمْ إِلَى مَسْرَحِهِ ؛ وَلَا تُنْسِكُوا مِنَ الْأَسَارَى
بَشْعَرِهِ ، وَلَا مِنَ الْمَاشِيَةِ بَوْبِهِ ؛ وَمَنْ سَمِعْنَا عَنْهُ - بَعْدَ وَصُولِ هَذَا الْكِتَابِ - أَنَّهُ تَعَدَّى
هَذَا الرَّسْمَ ، وَخَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ ؛ أَنْفَذْنَا عَلَيْهِ الْوَاجِبَ ، وَحَكَّمْنَا فِيهِ الْمَهَنَّدَ الْقَاضِبَ ؛
فَلْتُسْرِعْ مِنْ نَوْمَةِ الْعَفْلَةِ إِفَاقَتَكُمْ ، وَلَا تُتَعَرَّضُوا مِنَ الشَّرِّ لِمَا تَعِجْزُ عَنْهُ طَاقَتُكُمْ ؛ وَنَحْنُ
مَتَعَرِّفُونَ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مَنْ تَأَنَّ أَوْ يَدَارَ ، وَمُقَابِلُونَ لَكُمْ بِمَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ مِنْ إِقْرَارٍ
وإنكارٍ ؛ وَهُوَ يُرْسِدُكُمْ بِمَنَّةٍ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قلت : ثم طرأ بعد ذلك الإكثار من ألقاب خلفائهم في المكاتبات الصادرة عنهم ،
والمبالغة في مدحهم ، وإطرائهم على ما سيأتى ذكره في الكلام على المكاتبات الواردة
من ملوك الأقطار إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّامِنُ

(في الأجوبة ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُضَاهِي الأجوبةَ في الابتداء ، وهو على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُفْتَحَ الْجَوَابُ بِلَفْظِ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ »)

مثل أن يكتب « من عبد الله ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين »
إلى آخر الصدر على ما تقدم في الابتداءات ؛ ثم يقال : أما بعدُ ، وينساق منه إلى
ذكر الكتاب الوارد وعرضه على الخليفة ، وما اقتضته آراء الخلافة فيه ، ويكمل

على نحو الابتداء . كما كتب عن المفتي لأمر الله ، إلى غياث الدين مسعود بن ملكشاه السلجوقي في جواب كتابه الوارد عليه ، يخبره بأن بعض من كان خرج عن طاعته دخل فيها ، وأنحاز إليه ، وهو :

”من عبد الله أبى عبدالله محمد الإمام المفتي لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان بالقباه .

أما بعد - أطل الله بقاءك - فإن كتابك عُرض بحضرة أمير المؤمنين مُعرباً عن أخبار سعادتك ، وبحري الأمور على إرادتك ؛ وبلوغ الأغراض من الوجهة التي توجهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها ؛ بيمين ما يتق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتعتقه من الإخلاص وتستشعره ؛ وأن ركن الدين مجداً ومن أنضم إلى جملته وانتظم في سلك موافقته لما ظفروا منك يذمام أطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، وأستجابوا الداعي إذ سمعوه ؛ وأذعنوا لطاعتك مسرعين ، وأنقادوا إلى متابعتك مهطعين ؛ على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للصالح عند وصولها ، والتوفر على تحزى ما تقربه الخواطر مع حلولها ؛ والانفصال إلى من يفد إلى الأبواب العزيزة مؤنسا بقرب الدار ، ومستسعداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار . ووقف عليه وعرف مضمونه ؛ وجد ذلك لديه من الابتهاج ، والاعتباط الواضح المنهاج ، ما تقتضيه ثقته بجانبك وأعتقاده ، وتغويله على جميل معتقدك وأعتاده ؛ وأعتضاده من طاعتك بجميل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكونه من ولائك إلى وزر لا ترزع المخاوف حرمه ؛ وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العظيمة ، والموهبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك مجهزة ، ووعدوه - جلّت عظمتهم - بقبول أمثالها منجزه ؛ وإمدادك منها بأمداد تستدعي

لك النصر وتستنزله ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستجزله ؛ وتبلغ الأمل منك
 فيمن هو العدة للمبات ، والحامى لتقرير الأئس من روائع الشتات ، ومن يبقائه تكف
 عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسار من عقل القطوب ؛ ويأبى الله
 العادل في حكمه وحكمته ، الرؤوف بعباده وخليقته ؛ إلا إعلاء كلمة الحق بالهمم
 الإمامية ، والإجراء على عوائد صنيعة الحفيه ، الكافلة بصلاح العباد والرعية ؛
 وقد أقيمت أسواق التهئة بهذه البشرى ، وأفادت جدلاً نتاج وفوده ترى ؛ لاسمياً
 مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تدنى كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أعب
 القلوب وتذهب . وإلى البارى جل اسمه الرغبة في اختصاصك من عنايته بأحسن
 ما عهدته وأجمله ، وصلة آخر وقتك في نجاح المساعي بأوله ؛ وأن لا يخلى الدار
 العزيرة من إخلاصك في ولآئها ، ورغبتك في تحصيل مرضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييدك - آتغنى الله جزأك فيها على عادة
 تكريمته ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطويته ؛ ومكانك الأثيل في شريف
 حضرته ، وآبتهاجه بنعمة الله عندك وخيرته ؛ فتأملها تأملاً يشاكل طاعتك الصافية
 من الشوائب والأقذاء ، وتلقها بصدق الاعتماد عليها وحسن الإصغاء ؛ تفز بالإصابة
 قداحك ، ويقرن بالتوفيق مغداك ومرأحك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
 ورحمة الله وبركاته .



وكما كتب بعض كتاب الفاطميين عن الحافظ لدين الله : أحد خلفائهم إلى شمس
 الدولة أبى منصور محمد بن ظهير الدين بن نورى بن طغتكين بيبك جوبا عن
 كتابه الوارد عنه على الخليفة ، ويذكر أنه حسن لفخر الملك رواج وروده على الخليفة
 بالديار المصرية ، ويذكر نصرته على الفرنج بطرابلس ، وقتله القومص ملكها .

«من عبدالله وولّيه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين،
إلى الأمير فلان .

أما بعد، فإنه عُرضَ بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يدفناه ووزيره ، وصفيّه
وظهيره؛ السيد الأجل الأفضّل؛ الذي بذل نفسه في نصره الدين تُقّى وليّانا، وأوضح
الله للدولة الحافظيّة بوزارته مُجّة وبرهانا ، وأسبغ النعمة على أهلها بأن جعله فيهم
ناظرا ولهم سلطانا؛ ووفقه في حُسن التدبير، والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير؛
وبما أعاد المملكة إلى أفضل ما كانت عليه من النُصرة والهَبة، ولم يُخرج المادحون
لها إذا اختلفوا عن التحقيق وصدق اللّهجه ؛ فقد ساوت سياسته بين البعيد
والقريب ، وأخذ كلّ منهما بأجرل حظّ وأوفر نصيب ؛ وسارت سيرته الفاضلة
في الآفاق مسير المثل ، وأستوجب من خالقه أجر من جمّع في طاعته بين القول
والعمل . وشقّع عرّضه من وُصفك وشُركك ، والثناء عليك وإطابة ذِكرك ؛ وأنهى
ما أنت عليه من الولاء ، وشُكر الآلاء ؛ بما يُضاهي ما ذكرته فيه مما علِم عند تلاوته ،
وأُصغى إليه عند قراءته . وقد آسست بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المُشايعة ،
وموقعك من المُخالصة ؛ وكونك من ولاء الدولة على قضية كسبتك^(١) شرفا تفيّات
ظلاله ، وأفاضت عليك ملبسا جرّرت أذياله ؛ وسمّت بك إلى محلّ لا يُباهى من
بلغه ولا يُطاوّل من ناله ؛ وكنت في ذلك سالكا للمنهج القويم ، ومعتمدا ما أهل
بيتك عليه في التقديم ؛ لا جرم أنه عاد عليك من حُسن رأى أمير المؤمنين بما تقصّر
عنه كلّ أُمّنيّه ، ويشهد لك بخالصيّة جمعت فيها بين عملٍ ونيّة ؛ والله يضاعف

(١) في المصباح في مادة كسب "ويتعلّى بنفسه إلى مفعول ثان فيقال كسبت زيدا مالا وعلمها أى أَلته .
قال ثعلب وكلهم يقول كسبك فلان خيرا إلا ابن الأعرابيّ فإنه يقول أ كسبك بالآلف ."

أجرك على اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين، بالحبل المتين، ويوزعك شكر ما منحك من الاستضاءة بنور الحق المبين .

فأما الأمير الأسفهلار خفر الملك رواج وبعثك له على الوصول إلى الباب، وحضك إياه على التعلق من الخدمة بمحصّد الأسباب؛ فما كان الإذن له في ذلك إلا لأن كتابه وصل بلمتمسه، وعرض فيه نفسه وبذل المناجحة والخدمة، ويسأل سؤال من يعرف قدر العارفة بالإجابة إليه وموقع النعمة؛ فأجيب إلى ذلك إسعافاً له بمراده، وعملاً برأى الدولة فيمن يرغب إلى التحيز إليها من أقطاره وبلاديه؛ وإلا فلا حاجة لها إليه ولا إلى غيره، لأن الله تعالى - وله الحمد - وفر حظاً من الأولياء والأشياء، والأنصار والأتباع؛ والعساكر والجيوش والأجناد والأنجاد، والأعوان الأقوياء الشداد؛ وعبيد الطاعة الذين يتبارون في النصيح ويتنافسون في الاجتهاد والحرص، وسعة الأموال، وعمارة الأعمال، وجمع الرجال في العزائم بين الأفعال والأقوال؛ ولو وصل المذكور لكانت المنّة للدولة عليه، والحاجة له في ذلك لا إليه، قال الله عز من قائل : ﴿ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَعَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وأما توجهه إلى طرابلس وظفره بقومصها وقتله إياه مع من بها، وعظيم أمره فيها؛ فالله تعالى يعز الإسلام وينشر لواءه، ويعلي مناره ويحذل أعداءه؛ وينصر عساكره وأجناده، ويبلغه في أحزاب الكفر والضلال مراده؛ وهو عز وجل يمتك من الولاء بما منحك، ويُنيلك في دينك ودُنْيَاك أملك ومُقْتَرَحَك؛ فأعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى» .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الجواب بلفظ «أما بعد»)

كما نُكْتُبَ عن المفتي إلى السلطان محمود بن محمد السَّلْجُوقِ جواباً عن كتابه الوارد بإخباره باجتماعه مع عمه سنجر، ونسخته :

أما بعدُ فإنَّ كتابك عُرضَ بمحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بدرك الأوطار ، وحصول المقاصد على الآثار ، وما أنهيته من الاجتماع بعزِّ الدنيا والدِّين جمع الله في طاعته شملكما ! ووصل بالألفة والتوَادُّد حبلكما ! ومن إكرام الوفاة الذي أنت أهله ووليُّه ، وحقيق أن يتبع وَسميَّةَ لَدَيْكَ وَلِيَّهِ ؛ ^(١) والموافقة على كل حال آذنت ببلوغ الأغراض وتيسرها ، ونجاز المساعي على أتمِّ وفاق وتقرُّرها ؛ وأنْتَظامَ الأمور على أبجل معتاد وأكمل مُراد ، وأحسن اتِّساق وأطراد ؛ وأسْتِقْرارِ القواعد على الوصف الجامع أَشْتاتِ الاتِّفاق ، الدالُّ على صِدْقِ المحافظة بينكما وفَرطِ الإِشْفاق ؛ محفوقاً بالسعادة التي لا تزال ما تُرك في الطاعة الإمامية تملك قيادها ، وتُقلِّدك على الاتِّصال بنجاحها ، فتهلَّت بهذا النَّبِيَّ المبهج أسرة البشرى ، وأصبح الجدُّل بمكانه أفعم عرفاً وأذكى نَشْراً ، وقامت لأجله في عِراضِ الدار العزيرة مواسم ، أَضْحَتْ المِسرَّة بها مُقْتَرَّة الثغور ضاحكة المباسم ؛ وجديرٌ بمن كان له من الهمِّ الشريفة مددٌ واف ، ومنجِدٌ يدفع في صدر كلِّ خَطْبٍ مواف ؛ أن تكتنِفَه الميَّامنُ والسُّعود ، ويَصْدُقَ في كلِّ مَرَمًى يَنْحُوهُ من النُّجْحِ الموعود ؛ وتُنْقِذَ له المصاعبُ دُلَّالاً ، ويعودَ يمينُ نَقيبته كلُّ عافٍ من الصلاح جديداً مُقْتَبِلاً ؛ ولا يَنْفَكُ صنْعُ الله جلَّ اسمُه لطيفاً ، ويربَّاعه

(١) الوليُّ على فعيل المطربعد المطرودة يخفف عن كراع أنظر اللسان ج ٢٠ مادة ول ي .

(٢) لعله ويصادف النجح .

مُحَدِّقًا مُطِيفًا ، والتوفيقُ مصاحِبُهُ أَتَى حَلَّ وَثَوَى ، أَوْثَى عِناهُ إِلَى وجهه وَلَوَى ؛
والله يَمُنِّعُ أميرَ المؤمنين منك بِالْعُضْدِ الَّذِي يُدْبُّ عن دولته وَيَحَامِي ، وَيَنَاضِلُ دُونَهَا
بِجُنُودِ الإِخْلَاصِ وَيُرَامِي ؛ وَلَا يُخْلِكُ مِنْ رعايته التي لَا يَزَالُ يَسْتَقِرُّ فِيهَا إِلَيْكَ ،
وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِسْبَاغِ لِبَاسِهَا عَلَيْكَ ، حَتَّى تُنَسِّئَ لَكَ المَطَالِبَ مَعًا ، وَيَعْدُو الزَّمَانُ
فِيهَا يَنْشَأُ مَتَّبِعًا .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك ، أدام الله تأييدك ، أجراك فيها على مألوف
العادة ، وجتدد لك بها بُرُودَ الفَخَّارِ والسَّعَادَةِ ؛ فَاجِرْ عَلَى وَثَرَتِكَ فِي إِتْحَافِ حَضْرَتِهِ
بَطَيْبِ أَخْبَارِكَ ، وَبِجَارِي الأُمُورِ فِي إِيرَادِكَ وَإِصْدَارِكَ ؛ تُهْدِ إِلَيْهَا آتِبَهَا جَاوِافِرًا ،
وَأَبْتَسَامًا يَظَلُّ لثَامُهُ عن حمد الله المَسْنَدِ بِهَا سَافِرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَكُونَ الْإِفْتِتَاحُ فِي الْجَوَابِ مُصَدِّرًا بِمَا فِيهِ مَعْنَى وَصُولِ المَكَاتِبَةِ إِلَى الخَلِيفَةِ)
فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الكُتَّابِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ بِلَفْظِ « الْعَرَضُ عَلَى
الخَلِيفَةِ » وَيُؤْتَى فِيهِ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ الكِتَابُ الْمَجَابُ عَنْهُ ، ثُمَّ يُخْتَمُ كَمَا تُخْتَمُ الْإِبْتِدَآتُ .
كَمَا كَتَبَ الْعَلَاءُ بْنُ مُوَصَّلَايَا عَنْ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ إِلَى « أَنْسَر » عِنْدَ وَرُودِ كِتَابِهِ
عَلَى أَبْوَابِ الْخِلَافَةِ يَتَضَمَّنُ أَنْتِظَامَهُ فِي سِلْكِ الطَّاعَةِ وَغَلْبَتِهِ الْأَعْدَاءِ ، وَهُوَ :

عُرِضَ بِحَضْرَةِ أميرِ المؤمنين مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى تَمَسُّكِكَ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ
بِمَا لَا تَرَالُ تُجِدُّ فِيهِ مَلَايِسَ التَّوْفِيقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَتَجِدُّ بِهِ مَرَائِرَ السَّعْدِ مُحْصَفَةً
فِي كُلِّ حَلٍّ وَتَرَحَالٍ ؛ مُنِيبًا عَنْ تَوَفُّرِكَ عَلَى المَقَامَاتِ الَّتِي أَنْتَقَمْتَ بِهَا لِلْهُدَى مِنَ
الضَّلَالِ ، وَأَسْتَقَمْتَ فِيهَا حَتَّى أَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ صِلَاحٍ مِمَّتْ الظَّلَالِ ؛ شَاهِدًا بِمَا أَنْتَ

عليه من موالاة لا تألُو جُهداً في التزام شروطها بادئاً عائداً ، ولا تخلو فيها من حُسن أثرٍ يكون لدعائم الصواب عامداً ، وتُرى فيه قاصداً لا اجتلاب الخير عائداً . ووقف عليه وقوف من ارتضى ما يتوالى من قرباتك التي لا تزال في إعذاب ورودها ساعياً . ولما يُفَضَّى إلى أعشاب مرعاها في طلبِ الحمد مُراعياً ؛ وانتضى منك للخدمة بتلك الأعمال حُساماً باترا آجال بقاء الكُفْر هناك ، ماضياً في كل ما يُقضى بأنفساح مجال آمالك في الدهر ومبارك ؛ وأعتد لك بما أنهاه عنك رسولُ أمير المؤمنين العائد من قبلك ، وأوضحه من زُلفك التي شَفَع قولك فيها عملك ؛ وطالع به الرسولُ الذي نَفَذَتْه معه لقصد بابهِ ، والمُناب في تأكيد دواعي التَّجَح وتهميد أسبابه ؛ وحلَّ كلُّ ذلك لديه المحلَّ الذي ستجني ثمره كَمَا يَطِيبُ ويَحْلُو ، ويسلَّم من كل الاستزادة ويخلو ، ويعزُّ مهر الفوز به على غيرك وَيَغْلُو ؛ وتأثَّل لك من الرتبة بحضرته ما يُدِنِي لك كلَّ مطلب إلى مُرادك آثِل ، ويدوي قلب كلَّ متحرِّف عن وفائك ماثِل ؛ وصرت من أعيان الخُلصاء الذين سَمَت الهدى أفعالهم بالحمد ، سَمَت بالطاعة آمالهم إلى توَقُّل هَضاب المجد ؛ فما تَهَمُّ بك الغير إلا وتتقطع دُونك أعناقها ، وترجع في جلباب الخِية وحِصْصها إليك وإعناقها ؛ ولا تمتد نحوكَ يدُ ضِدِّ إلا ردها عنك جميل الآراء الشريفة فيك وغلَّها ، وأوجب نَهَلها عن موارد القصور وغلَّها ؛ وكيف لا يكون ذاك ولك في الطاعة كلُّ موقفٍ آغْتَدَى بِلَبَانِ الحمد ، وأعنى باشتهاره بلوغُ الهدى في وصفه والحدِّ ؛ فأحسن الله توفيقك فيما أنت بإزائه من إجمادٍ لَهَب الباطل بتلك الشَّعاب ، وإجهادِ النَّفس في إجمال المتاعب وإذلال الصَّعاب ؛ وأمدك بالعون على ما بدأت له من جب فيما يليك ، وطبَّ أدواء الفساد في نواحيك . ومع

(١) كذا في الأصول ولعله من خلال الاستزادة في المختار والقاموس "استزادة استقصه" .

(٢) بياض في الاصول بهذا المقدار ولعله من جب أصول العناد الخ .

مأفوت به من هذه المنحة التي قد جاز قدرها التقدير والظن، وجاد لك الدهر فيها بما كان نفع به على أمثالك وضن ؛ فيجب أن تستدِيمها، وتُحصن من النغل أديمها، بمزيد من الخدمة تنهز الفرص بالإسراع إليه والبدار، وتنتهج أقوم الجدد في مقابلة الإيراد منه بالإصدار، وتُنفذ وتُسَعِّك في كل مسعى ينثني إليك عنانُ الشئاء معه، وتُسَفِّق عُمرك في كل أمرٍ يجمع لك مرأى الرضا عنك ومُسَمِّعه ؛ لتجد من جدوى ذلك ما ينظم في السعادة شَمْلَكَ، ويضحى به القيادُ فيما يصدق أملك أملك ؛ وأن تُحمد السيرة في الرعايا الذين غدوا تحت كنفك، وتجعل الاشتغال على مصالحهم مُعرباً عن فضل شغفك بالخير وكلفك ؛ فإنهم ودائع الله تعالى يلزم أن تُنحى من ضياع يتسلط عليها في حال، وتُحمى من در الإحسان برضايع لا يخطر الفطام عنه ببال ؛ فلا تقف عند غاية في إفاضة الفضل عليهم وإسباغ ظله، وأعتادهم بتخفيف ثقل الحيف عنهم أو إزالة كُله ؛ ليكونوا في أفياء الأمن راتعين، ولحرق كل ملم بحسن ملاحظتك راقعين ؛ فالذى يراه أمير المؤمنين في فرضك حتى يزداد بأعك طولا، ولا يترك لك على الزمان اقتراحا ولا سولا ؛ يقتضى أن يتبع كل سابق إليك من الإحسان بلا حق، ويمرغ جناب النعمى لديك عند ذر كل شارق . وكذلك يرى أن يجدد لك من تشريفه المنور مطالع الفجر، المنوه بالذكر في الدهر ؛ الذى لا تزال الهيم العالية تصبو إلى الفوز به وتميل، وتقف عند حد الرجاء والتأمل، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدبر من خلاله ما الشرف الأكبر في مطاويه، وتمتطي من صهوة العز فيه ما يبعد على النظراء إدراك مراميه . ويجب أن نتلق مقدم ذلك عليك بما يُنبئ عن اقتران النعمة الغراء فيه، واقار أهلة التوفيق عندك بما تقصد في المعنى وتنتجيه ؛ وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت ، أصدر على يده من ضروب التشريفات ما يُقَرُّ

فِيكَ عُيُونٌ مِّنْ يَّوْذُكَ ، وَيَقْتَرِي مَغَانِيكَ كُلَّ سَعْدٍ يُورِي فِيهِ زَنْدُكَ ؛ فَاسْكُنْ إِلَى حَبَائِكَ بِالْمَزِيدِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ أَهَلَّتْ لَهَا ، وَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ تُوَفَّرَ عَلَيْكَ أَقْسَامُ الْحَمْدِ كُلُّهَا ؛ وَثِقْ بِمُتَرَادِفِ آلَاءٍ يَنْضُمُ لَدَيْكَ شَمْلُهَا ، وَيُثْقِلُ كُلَّ كَاهِلٍ حَمْلُهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف التاسع

(فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ)

لَمْ أَقِفْ عَلَى مَكْتَابَةٍ صَرِيحَةٍ فِي التَّصْوِيرِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ ، غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا جَعْفَرَ النُّعَاسَ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتُبِ" بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْإِمَامَ الْفُلَانِي إِلَى فَلَانٍ» أَتَّبَعَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ : وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ يُكَاتِبُ عَنْهُ بِالتَّصْدِيرِ إِلَّا الْإِمَامَ وَوَلِيَّ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ فَسَّرَ أَبُو حَاجِبٍ النُّعْمَانُ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ" التَّصْدِيرَ بِأَنْ قَالَ : يَكْتُبُ «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ» بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَعْتِهِ . وَيُقَالُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي فَلَانٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِهِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ .

وَذَكَرَ النُّعَاسُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعُنْوَانِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْعُوسِ أَنَّهُ يُخَدَفُ مِنَ الْكُتُبِ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ لَفْظُ الْإِمَامِ ، وَلَفْظُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : وَلِيَ الْعَهْدِ . وَظَاهِرُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْتَابَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ مُشَابِهَةٌ لِلْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَنَّ لَفْظَ وَلِيِّ الْعَهْدِ فِي الْمَكْتَابَةِ عَنْهُ يَقُومُ مَقَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ نَفْسِهِ ؛ وَحِينَئِذٍ فَيَتَجَهَّ أَنْ تَكُونَ الْمَكْتَابَةُ عَنْهُ «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ مِثْلًا وَلِيَ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ كَذَا وَكَذَا»
وَيُوثِقُ عَلَى الْمَقْصِدِ إِلَى آخِرِهِ . وَعَلَى ذَلِكَ يَدُلُّ كَلَامُ صَاحِبِ «ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ» .
فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : وَكَذَلِكَ الْمَكْتَابَةُ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ . عَلَى أَنَّ
الْمَكْتَابَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ قَدْ بَطَلَتْ فِي زَمَانِنَا جَمَلَةً .

الطَّرَفُ الْعَاشِرُ

(من المكاتبات عن الخلفاء المكاتبات إلى أهل الكفر)

وَكَانَ الرَّسْمُ فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » . وَيَقَعُ التَّخْلُصُ فِيهَا
إِلَى الْمَقْصُودِ بِ«أَمَا بَعْدُ» . وَيَخْتَمُ الْكِتَابُ بِلَفْظِ «وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى الْهُدَى» .
فَقَدْ حَكَى أَبُو هَالَلٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْأَوَائِلَ» أَنَّهُ كَانَ عَلَى الرُّومِ مَلِكَةٌ ،
وَكَانَتْ تُنَاطِفُ الرَّشِيدَ وَلَهَا ابْنٌ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا نَشَأَ قُوضَتْ الْأَمْرُ إِلَيْهِ فَعَاثَ
وَأَفْسَدَ ، نَخَافَتْ أُمُّهُ عَلَى مُلْكِ الرُّومِ فَقَتَلَتْهُ ، فُخِرَ عَلَيْهَا تَقْفُورُ مَلِكِ الرُّومِ فَقَتَلَهَا
وَأَسْتَوَى عَلَى مُلْكِهَا وَكُتِبَ إِلَى الرَّشِيدِ :

«أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَضَعْتَكَ مَوْضِعَ الشَّاهِ ، وَوَضَعْتَ نَفْسَهَا مَوْضِعَ الرَّخِّ ،
وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي أَنَا الشَّاهُ وَأَنْتَ الرَّخُّ . فَأَدِّ إِلَيَّ مَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ » .
فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ ، قَالَ لِكُتَّابِهِ أَجِيبُوا عَنْهُ ، فَكُتِّبُوا مَا لَمْ يَرْضَهُ ؛ فَكُتِبَ هُوَ إِلَيْهِ :

«مَنْ عَبْدُ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى تَقْفُورِ كَلْبِ الرُّومِ . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ فُهِمَتْ
كِتَابُكَ ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى الْهُدَى» .

وَيَقَالُ : إِنَّهُ كُتِبَ « الْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبِي
الِدَارُ » . وَلَا يَنْحَنِي مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَعَ الْإِيجَازِ .

وكما كُتِبَ عن الحافظ لدين الله : أحد خلفاء الفاطميين بمصر إلى صاحبِ صِقْلِيَّةٍ^(١) وما معها من ملوك الفرنج :

« من عبدالله وولَّيه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى الملك بجزيرة صِقْلِيَّةٍ ، وأنكوريةً وأنطاليَّةً وقلوريةً وسترلو وملف وما أنضاف إلى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ! وأرشده إلى العمل بطاعته في مصادره ومواردِه ؛ سلامٌ على من أتبع الهدى ، وأمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلّي على جدّه محمد خاتم النبيّين ، وسيد المرسلين ؛ صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ؛ الأئمة المهديّين ؛ وسلّم تسليماً .

أما بعد : فإنه عُرضَ بحضرة أمير المؤمنين الكتابُ الواصل من جهتك ، ففُضَّ ختامه وأجُتِلَ ، وقُرئَ مضمونه وتُليّ ؛ ووقعت الإصاغة إلى فصوله ، وحصلت الإحاطة بجمّله وتفصيله ؛ والإجابة تأتي على أجمعه ، ولا تُخِلُّ بشيء من مستودعه ؛ أما ما أفتنحتّه به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيعك القول فيما أولاك من إحسانه وكرمه ؛ فإن مواهب الله تعالى ومنّته التي جعل تواليها اختبار شكر العبد وأمتحانه على أنه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور عليم ، وهو القائل فيمن أنى عليهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُم لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يزال مضاعفها ومُرَادِفها ، ومتبعها سالفها آنفها ؛ وهو يؤليها كلّاً من عبيده بقدر منزلته عنده ، ويخصّ أصفياءه بأوفى مما تمنّاه الآمل المبالغ وودّه ؛ والله تبارك وتعالى يمنح أمير المؤمنين ، وآباءه الأئمة الراشدين ؛ ما غدت مستقدمات الحمد والشكر عند لوازمه مستأنّحه ، إذ كان أفردهم دون الخليفة بأن أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها

(١) في التعبير تساهل والفرض معلوم .

الآخِرِه ؛ وأختَصَّهم من حِبَّائِه بما لا يُحْصِيه عدد ، وخَوَّلهم من آلائِه بما لا يَقُوم
بشُكْرِه أحد .

وأما ما ذَكَرته من أَفتتاحك الجزيرةَ المعروفةَ بِجَزْيرة لما شَرَحته من عُدُوان أهلِها ،
وعُدُولهم عن طُرُق الخيرات وسُبُلها ؛ وأَجترأهم في الطُغيان على أسباب لا يجوز
التغافل عن مثلِها ؛ وأستعالمهم الظُّلمَ تمرداً ، وتماديهم في النِّجى تباهِياً في الباطل وغُلُوءاً ،
يأساً من الجزاء لَمَّا أَسْتَبَطُوهُ ، فإن من كانت هذه حالته حَقِيقٌ أن تكون الرحمة
عنه نائيه ، وخليقٌ أن يأخذه الله من مَأْمِنِه أخذَةً راييه ؛ كما أنه من كان من أهل
السلامه ، وسالِكاً سبيل الاستقامه ؛ ومُقْبِلاً على صَلاح شانه ، وغير متعَدِّ للواجب
في سِرِّه وإعلانه ؛ تعين أن نوفرَّ من الرعاية سَهْمَه ، ونُجْزِل من العناية نَصيبه وقِسْمَه ؛
ويومِن مما يُقْلِقُه ويُزِجُّجُه ، ويُقَصِّد بما يَسُرُّه ويُبْهَجُه ؛ ويصان عن أن ينالَه مكروه ،
ويُنْجى من أدنى يُلُمُّ به ويعرُوه .

وأما شُكْرُكَ لوزيرِكَ الأميرِ تأييد الدولة وعَضُدِها عزَّ الملك وفَخْرُه نظام
الرِّياسة ، أميرالأمرء ، فإنَّ من تَهَدَّبَ بِتهذيبك ، وتخلَّقَ بِأخلاقك وتَأَدَّبَ بِتأديبك ؛
لا يُنْكَرُ منه إصابَةُ المَرَامِي ، ولا يُسْتَغْرَبُ عنده نُجْحُ المَساعِي ؛ وواجبٌ عليه أن
لا يجعل قلبه إلا مثنوياً للنصائح ، وأن لا يزال عُمرُه بين غادٍ في المخالصة ورائح .

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيه ذا كراما أعتمده مقدّم أسطولك
من صُونِه وحِمَايَتِه ، وحِفْظِه ورِعايَتِه ؛ وإعادة ما كان أَخَذَ منه قبل المعرفة بأنه
جارٍ في الديوان الخاص الحافظي ، ففِعْلٌ يَجْمَلُ عنك صَدْرُه ، ويليقُ بك أن يُنْسَبَ
إليك ذِكْرُه وخَبْرُه ؛ ويدلُّ على علم أحبابك برأيك وإحكام مُعاقَدة المودَّة ، ويُعَرِّبُ
عن إيتارك إبرازها كُلَّما تقادم عهدُها في مَلابِسِ بهجة مستجَدِّه ؛ وهذا الفعلُ من

خلافتك الرضية غير مستبدع، وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع، لأجرم أن أوامره خرجت إلى مقدمي أساطيله المظفرة بما يُجنيك ثمرة ما غرسته، ويُعلي منار ثنائك الذي قزرته على أقوى أصل وأسسته؛ وقد نقدت مراسيمه بإجرائك على غلاتك المستمرة في المساحة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مراسيك، وبرسم الأمير تأييد الدولة وزريك، والرسولين الواردين عن حق الورود إلى نعر الإسكندرية حماه الله تعالى، ثم إلى مصر حرسها الله وحق الصدور عنهما، وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية .

وأما شكرك على الأسرى الذين أمر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك، ورسم بتسييرهم إليك محافظة على مرادك وبغيتك؛ فأوزعنا شعارهم أنهم عُتقاء شفاعتك، وأرقاء ممتلك؛ فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكريم النية، ومن الشواهد بأنه يُوجب لك ما لا يُوجب لأحد من ملوك النصرانية .

وأما سؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسره، وإنهاؤك أن ذلك مما يهمل أمره؛ فقد شفعك أمير المؤمنين بالإجابة إليه على ما ألفت من كريم شيمته، وسير إليك مع رسولك من تضمن الثبوت ذكر عذته، وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله إلى الدولة الفاطمية خلد الله ملكها شريداً طريداً؛ قد نبئت به أوطانه، وقد قنته دياره؛ لا مال له ولا حال، ولا عشيرة ولا رجال؛ فقبلته أحسن قبول، وبلغت به في الإحسان ما يزيد على السؤل؛ وعمرته من الإنعام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل، وجعلته فواضلها يقلب الطرف بين الخيل والحوال؛ وكانت أموره كل يوم في نمو وزيادة، وأحواله توفى على البغية والإرادة، إلى أن جرت نوبة أقتضى التدبير في وقتها أن عُدقت به الوزارة، ونيطت به السفاره؛ فوسوس له خاطره ما زخره

البَطَر وزَيْنَه ، وصَوْرَه الشَّيْطَانُ وَحَسَنَه ؛ وأَظْهَرَ مَا ظَهَرَتْ أَمَارَاتُه ، ووضَّحَتْ أُدْلَتُهُ
وعَلَامَاتُه ؛ فَاسْتَدْعَى قَبِيلَه وَأُسْرَتَه ، وَجَنَّتْهُ وَعَشِيرَتَه ؛ بِمَكَاتِبَاتٍ مِنْهُ سِرِّيَّه ،
وخطوطٍ عَثَرَ عَلَيْهَا بِالْأَرْمَنِيه ؛ فَكَانُوا يَصِلُونَ أَوَّلَ أَوَّلٍ ، إِلَى أَنْ أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ
أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَمِنْ جَلَّتْهُمْ أَبْنَا أَخِيهِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِهِ ، فَدَلَّوْهُ
بِالْغُرُورِ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى مَا قَضَى بِالْأَسْتِيحَاشِ مِنْهُ وَالنَّفُورِ ؛ وَقَوَّوْا عِزَمَه فِيمَا يُوَدِّى
إِلَى أَضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ وَأَخْتِلَالِ الْأُمُورِ ، فَامْتَعَضَ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ بِمَا أَسَاءَ بِهِ
سِيَاسَتَهُمْ ، وَأَبَوُا الصَّبْرَ عَلَى مَا غَيَّرَ بِهِ رَسْمَهُمْ وَعَادَتَهُمْ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ
أَسْتَغْثَمَ الْحَالَ فِيهِ ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ التَّغَاوُلَ عَنْهُ يَقْضِي بِمَا يَغْسُرُ اسْتِدْرَاكَهُ وَتَلَاْفِيهِ ؛
فَكَاتَبَ وَلِيَّهَ وَصَفِيَّهَ الَّذِي رُبِّيَ فِي شَجَرِ الْخِلَافَةِ ، وَسَمَّا بِهِ أَسْتَحْقَافَهُ إِلَى أَعْلَى دَرَجِ
الْإِنَافَةِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ بِاِكْتِسَابِهِ وَأَنْتِسَابِهِ ، وَغَدَا النَّظَرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلُوكَةِ
لَا يَصْلُحُ لغيرِهِ وَلَا يَلِيْقُ إِلَّا بِهِ ؛ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْأَفْضَلُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ وَالِى الْأَعْمَالِ
الْغَرِيبَةِ ، وَصَدَرَتْ كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُشْعِرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ الصَّعْبِ ، وَتَسْتَكْشِفُ بِهِ
مَا عَمَّا الدَّوْلَةَ مِنْ هَذَا الْخَطْبِ ؛ فَأَجَابَ دُعَاءَه ، وَلَبَّى نِدَاءَه ؛ وَقَامَ قِيَامَ مِثْلِهِ مِنْ
أَجْزَلِ اللَّهِ حِظَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَجَعَلَهُ جَلًّا وَعِزًّا حَسَنَةً هَذَا الزَّمَانِ ؛ وَأَخْتَصَّه بِعِنَايَةِ
قُوَّيْهِ ، وَأَمَدَهُ بِمَوَادِّ عُلُوِّيَّهِ ؛ وَأَيْدَهُ بِاعَانَةِ سَمَاوِيَّهِ ، تَخْرُجُ عَنِ الْإِسْتِطَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛
بِجَمْعِ النَّاسِ وَقَامَ خَطِيْبًا فِيهِمْ ، وَبَاعَثْنَا لَهُمْ عَلَى مَا يُزِلُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُخْطِئُهُمْ ؛ وَمَوْضَحًا لَهُمْ
مَا يُخْشَى عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ كَاجْتِمَاعِهِمْ يَوْمَ الْحَشْرِ ؛ وَغَضَّتْ
النُّجُودُ وَالْأَغْوَارُ ، وَأَمْتَلَاَتِ السُّهُولُ وَالْأَوْعَارُ ؛ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سَمْعَتِهَا
بِالْخَلَائِقِ ، وَارْتَفَعَتْ فِي تَوَجُّهِهِمْ لَطَلَبِ الْمَذْكُورِ الْأَعْدَاثُ وَالْعَوَاقِقُ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فِضَاءٌ
إِلَّا وَهُوَ بِهِمْ شَرِيقٌ ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مَزْعُجٌ بِقَصْدِهِ وَعَلَى تَأَخُّرِ ذَلِكَ قَلَقٌ . وَكَانَ
بِهَرَامٍ وَأَحْصَاهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ كَالشَّامَةِ فِي اللَّوْنِ الْبَسِيطِ ، وَكَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ؛

وسأروا مع السيّد الأجلّ الأفضّل نحوه مُسارِعِينَ ، وعلى الاتّقياض عليهم
متهافِينَ ؛ فلما شَعَرَ بذلك لم يَتَّقْ له قَرَارٌ ، وَلَا ذَ بِالْهَرَبِ وَالْفِرَارِ ، يَهْجُرُ الْمَنَاهِلَ ،
وَيَطْوِي الْمَرَاحِلَ ، وَيَرَى الشُّرُودَ غُنْمًا ، وَيُعَدُّ السَّلَامَةَ حُلْمًا ؛ وَأَسْتَقَرَّتْ وَزَارَةُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِهَذَا الْهَيْدِ الْأَجَلِّ الْأَفْضَلِ الَّذِي لَمْ تَزَلْ فِيهِ رَاغِبُهُ ، وَلَهُ خَاطِبُهُ ؛
وَنَحْوَ تَوَلَّيْهِ إِيَّاهَا مُتَطَلِّعُهُ ، وَإِلَى نَظَرِهِ فِيهَا مَبَادِرَةٌ مُتَسَرِّعُهُ ، وَلَمْ تَنْفَكْ لِرِزْنَةِ دَسْتِمَا
مُسْتَبْطِئَتِهِ ، وَفِي التَّلَهُّفِ عَلَى تَأْخُرِ ذَلِكَ مُعِيدَةٌ مُبْدِئَتُهُ ؛ فَأَحْسَنَ إِلَى الْكَافَّةِ قَوْلًا
وَفِعْلًا ، وَعَمِلَ فِي حَقِّ الدَّوْلَةِ مَا لَمْ يَجْعَلْ لَهُ فِي الْوُزَرَاءِ شِبْهًا وَلَا فِي الْمُلُوكِ الْعُظَمَاءِ
مِثْلًا ؛ وَغَدَا لِلْمَلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ حُجَّةٌ وَبُرْهَانًا ، وَأَوَّلَى الْأَوْلِيَاءِ إِعْزَازًا وَتَكْرِيمًا وَالْأَعْدَاءَ
إِذْلَالًا وَإِهْوَانًا ؛ وَصَانَ الْخِلَافَةَ عَنْ نَفَازِ حِيلِهِ ، وَتَمَامِ غِيْلِهِ ؛ وَمُخَادَعَةَ مَا كَرِهَ ، وَمُخَاطَلَةَ
غَادِرٍ ؛ فَلِذَلِكَ آتَتْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حُسَامًا بَاتِرًا مَاضِي الْغَرَارِ ، وَاجْتَبَاهُ هُمَا مَا
فِي الْمَصَالِحِ لَا يَطْعَمُ جَفْنُهُ غَيْرَ الْغَرَارِ ؛ وَأَصْطَفَاهُ خَلِيلًا وَظَهِيرًا لَتَسَاوَى بَاطِنُهُ
وِظَاهِيرُهُ فِي الصِّفَاءِ ، وَأَسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ لِمَقَافِرِهِ الْجَمَّةِ الَّتِي لَيْسَ بِهَا مِنْ خِفَاءٍ ،
وَأَتَنَظَّمَتِ الْأُمُورُ بِكَفَالَتِهِ فِي سَلَكِ الْوِفَاقِ ، وَعَمَّتِ الْخَيْرَاتُ بِوِزَارَتِهِ عُمُومَ الشَّمْسِ
بِأَنْوَارِهَا جَمِيعَ الْآفَاقِ ؛ فَسَعِدَتْ بِنَظَرِهِ الْجُدُودُ ، وَتَظَاهَرَتْ بِبِرْكَاتِهِ الْمَيَامِنُ وَالسُّعُودُ ؛
وَأَصْبَحَ غُضْنُ الْمَعَالِي يُبَيِّنُهُ مُورِقًا ، وَعَلَى الْمِلَّةِ مِنْ يُؤْمِنُ آرَائِهِ تَمَاسُّمٌ مِنْ مَسِّ الْحَوَادِثِ
وَرُقٍّ ، فَاتَّاهُ تُوْفِي عَلَى ضِيَاءِ الصَّبَاحِ ، وَعَزَمَاتُهُ تُرْزَى بِمَضَاءِ الْمُهَنْدَةِ الصَّفَاحِ ، وَمَآثِرُهُ
تَقُوتُ شَأْوَالِ الثَّنَاءِ وَغَايَةَ الْإِمْتِدَاحِ . فَانَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ النِّعْمَةَ عَلَى الْخِلَافَةِ الْحَافِظِيَّةِ ،
وَيُوزِعُ شُكْرَهُ عَلَى سُبُوغِهَا كَافَّةَ الْبَرِيَّةِ ؛ بِكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ ، وَمَنَّةِ وَطَوْلِهِ .

وَمَا أَمَعَنَ بِهَرَامُ فِي الْهَرَبِ ، وَجَدَّتِ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةَ وَرَاءَهُ فِي الطَّلَبِ ؛
وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ يَقْصِدُهَا هَالِكٌ ؛ عَادَ لِمَكَارِمِ الدَّوْلَةِ

وعواظِهَا ، وسأل أماناً على نفسه من متالِفِهَا ؛ فشَمِلَتْهُ الرحمة ، وكُتِبَ لَهُ الأمان
فعَاوَدَتْهُ النِّعْمَةُ ؛ وأَخْتَلَطَ بِرِجَالِ العساكر المنصورية ، وصَارَ حَظُّهُ بعد أن كَانَ
مَبْخُوساً مِنَ الحُظُوظِ الموفُورَةِ .

وأما أَعْتِذَارُ الكَاتِبِ عَمَّا وَجَّهَ إِلَيْهِ بَأَنَ مِنَ الكَلَامِ مَا إِذَا نُقِلَ مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ
أُخْرَى أَضْطَرَبَ مَبْنَاهُ فَأَخْتَلَّ مَعْنَاهُ ، وَلَا سِيَّما إِنْ غُرِسَ فِيهِ لَفْظٌ لَيْسَ فِي إِحْدَى
اللُّغَتَيْنِ سِوَاهُ ؛ فَقَدْ أَبَانَ فِيمَا نُسِبَ إِلَيْهِ السَّهْوُ فِيهِ عَنْ وُضُوحِ سَبَبِهِ ، وَقَدْ قُبِلَ عِذْرُهُ
وَلَمْ تُفَكَّ يَدُهُ عَنِ التَّمَسُّكِ بِهِ .

وأما مَا سَيَّرَتْهُ إِلَى خِزَائِنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُحْفَةً وَهَدِيَّةً ، وَأَبْنَتْ بِهِ عَنْ هِمَّةِ بَدَوَاعِي
الْمَجْدِ مِلَّةً ؛ فَإِنَّهُ وَصَلَ وَتَسَلَّمَ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُ مَتَوَلَّى الْخِزَائِنِ الْمُخْتَصِمَةَ بِهِ بعد عَرَضِهِ
عَلَى الثَّبَتِ المَعْطُوفِ كِتَابَكَ عَلَيْهِ وَمَوَاقِفَتَهُ ، وَقَدْ أَجْرَى رَسُولُكَ فِي إِكْرَامِهِ وَمُلَاحَظَتِهِ
عَلَى أَفْضَلِ مَا يَعْتَمِدُ مَعْ مِثْلِهِ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ وَرَدَ مِنْ جِهَتِهِ ، وَعَلَى قَدَرٍ مَنْ وَصَلَ بِرِسَالَتِهِ ؛
وَقَدْ سَيَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَسْرَاءِ دَوْلَتِهِ ، وَوَجَّهَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِحَضْرَتِهِ ؛ الْأَمِيرَ الْمُؤْمِنَ ،
الْمَنْصُورَ ، الْمُتَخَبَّ ، مَجْدَ الْخِلَافَةِ ، تَاجَ الْمَعَالِي ، نَغْرَ الْمُلُوكِ ، مُوَالِيَ الدَّوْلَةِ وَشُجَاعَهَا ،
ذَا النَّجَابَتَيْنِ ، خَالِصَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبَا مَنْصُورٍ جَعْفَرًا الْحَافِظِيَّ رَسُولًا بِهَذِهِ الْإِجَابَةِ ،
لِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ سَدَادِهِ ، وَمَوْصُوفٌ مِنْ مُسْتَوْفَقِ قَصْدِهِ وَمُسْتَضَوَّبِ أَعْيَادِهِ ،
وَأُلْقِيَ إِلَيْهِ مَا يَذْكُرُهُ وَيُشْرَحُهُ ، وَعَوَّلَ عَلَيْهِ فِيمَا يُشَافِيهِ بِهِ وَيُوضِّحُهُ ؛ وَأَصْحَبَهُ مِنْ سَجَايَاهُ
وَالطَّافَةِ ، مَا تَضَمَّنَتْهُ الثَّبَتُ الْوَاصِلُ عَلَى يَدِهِ ، إِبَانَةً لِحَالِكَ عِنْدَهُ ، وَمَوْفِقَكَ مِنْهُ ، وَمَكَانَكَ
لَدَيْهِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَتَطَلَّعٌ إِلَى وَرُودِ كُتُبِكَ مُتَضَمِّنَةً مِنْ سَارِ أَنْبَائِكَ وَطِيبِ أَخْبَارِكَ
مَا يَسْكُنُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَيَتَّقُ بِعِلْمِ حَقِيقَتِهِ ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معنائهم مما الجارى عليه الحال
في زماننا ، وهو على قسمين)

القسم الأول

(المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ، وفيه أطراف)

الطرف الأول .

(في مكاتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في ترتيب كتبهم إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال)

كانت أمراء سراياه صلى الله عليه وسلم ومن أسلم من الملوك تفتح المكاتب إلى
صلى الله عليه وسلم باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويُنْتَوْنَ بأنفسهم ، ويأتون بالتحميد
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ويتخلَّصون إلى المقصود بأما بعد أو غيرها ،
ويختتمون بالسلام . وملوك الكفر يبدؤون بأنفسهم ، وربما بدؤوا باسمه صلى الله
عليه وسلم . وكان المكتوب عنه منهم يعبر عن نفسه بلفظ الأفراد . مثل : أنا ، ولى ،
وقلت ، وفعلت . وربما عبر بعض الملوك عن نفسه بنون الجمع . ثم إن كان المكتوب
عنه مسلماً ، خاطبه صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسالة والنبوة مع كاف الخطاب
وتاء المخاطب ، وإن كان كافراً ، خاطبه بالكاف والتاء المذكورتين ، وربما خاطبه
باسمه . فإن كان المكتوب عنه مسلماً ختم الكتاب بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

أما عُنُونُهُ هذه الكُتُبُ، فيظهر أنها إن أُفْتُتِحَتْ باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُنِيَ بِاسْمِ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ عُنُونَتْ كَذَلِكَ، فيكتب في الجانب الأيمن «لحمدي رسول الله» أو نحو ذلك، وفي الجانب الأيسر «من فلان» وإن كانت ممن يَفْتَتِحُ المَكْتُابَةَ باسم نفسه عُنُونَتْ عَلَى العكس من ذلك.

الجملة الثانية

(في صورة مكاتبتهم إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

[وفيه أسلوبات :

الأسلوب الأول

(^(١) أن تفتتح المكاتبة باسم المکتوب إليه)

كما كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلام بني الحارث، بالكتاب الذي تقدمت إجابته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، وهو على ما ذكره ابن هشام في "السيرة".

"لحمدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله من خالد بن الوليد :

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام ثلاثة أيام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا

(١) الزيادة ساقطة من الاصول وهي لازمة لتنظام الكلام واتساقه كما يظهر من الأسلوب الثاني الآتي :

قَاتِلْتَهُمْ . وَإِنِّي قَدِمْتُ إِلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ كِتَابًا ^(١) : يَا بَنِي الْحَارِثِ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . فَاسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، أَمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَعَلَمَهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ! ” .



وَكَمَا كَتَبَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ .

وَنَسَخْتُهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ :

” إِلَى عَمِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ، مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ ،

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عَيْسَى فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ تُفَرُّوقًا ، إِنَّهُ لَكَمَا قُلْتَ ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا ، وَقَدِمَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَصْحَابُهُ (وَفِي رَوَايَةٍ : وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ) وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ [صَادِقًا مُصَدِّقًا] ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِأَنِّي ، وَإِنْ شِئْتَ

(١) فِي ” مِفْتَاحِ الْاِفْكَارِ ” ص ٦٦ وَبَعَثْتُ فِيهِمْ كِتَابًا قَالُوا يَا بَنِي الْحَارِثِ . وَالزِّيَادَةُ الَّتِي فِي آخِرِ

أَتَيْكَ [بِنَفْسِي] فَعَلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .^(١)



وَكَمَا كَتَبَ الْمُقَوْسُ صَاحِبَ مِصْرَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَابَ كِتَابِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ مِنْهُ فِي رِوَايَةٍ ذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَهُوَ :

”لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنَ الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بَقِيَ وَكَنتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لِهَما مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٌ وَكِسْوَةٌ ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لَتَرْكَبَهَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .“

وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا . وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ : أَنَّ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ :

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، مِنَ الْمُقَوْسِ إِلَى مُحَمَّدٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ وَأَنْتَ تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ رَسُولًا ، وَفَضَّلَكَ تَفْضِيلًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ قُرْآنًا مُبِينًا ، فَكَشَفْنَا عَنْ خَبْرِكَ فَوَجَدْنَاكَ أَقْرَبَ دَاخِعًا دَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَصْدَقَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالصِّدْقِ ، وَلَوْلَا أَنِّي مَلَكَتُ مُلْكًا عَظِيمًا ، لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِكَ ، لِعِلْمِي أَنَّكَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ الْمُرْسَلِينَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(١) الزيادة من رواية المواهب ج ٣ ض ٣٩٥ وروايته آيتك . قال شارحه : في موضع المفعول

الأسلوب الثاني

(أن تَفْتَحَ المَكَاتِبَ بِاسْمِ المَكْتُوبِ عَنْهُ)

كما كتب مسيلمة الكذاب إليه صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي تقدمت إجابته صلى الله عليه وسلم في المكاتبات الصادرة عنه، وهو :

« من مُسَيِّمَةِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ .

أما بعد، فَإِنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ، إِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ وَلِقْرِيشَ نِصْفِ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ .

الجملة الثالثة

(في المَكَاتِبَاتِ الَّتِي كُتِبَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ ظُهُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ)

أما الكُتُبُ الَّتِي كُتِبَتْ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ظُهُورِهِ، فَقَدْ حَكَى "صاحب الهناء الدائم بمولد أبي القاسم" أن تُبْعَا الْأَوَّلَ حِينَ مَرَّ بِمَوْضِعِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى سَائِكُنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ، أَخْبَرَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ مُهَاجَرُنِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَعَمَّرَ هُنَاكَ مَدِينَةً وَأَسْكَنَ فِيهَا جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ :

«أما بعد، يا مُحَمَّدُ فَإِنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَبِّكَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِكِتَابِهِ الَّذِي يُنَزِّلُهُ عَلَيْكَ وَأَنَا عَلَى دِينِكَ وَسُنَّتِكَ. آمَنْتُ بِرَبِّكَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ رَبِّكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ. وَإِنِّي قُلْتُ ذَلِكَ، فَإِنْ أَدْرَكْتُكَ فِيهَا وَنِعِمَّتْ، وَإِنْ لَمْ

أَذْرَكَ فَاشْفَعْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَنْسِنِي ، فَإِنِّي مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَابِعْتُكَ قَبْلَ
جَيْئِكَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْسَلَكَ اللَّهُ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .

وَحُفَّتِ الْكُتُبُ . وَنُقِشَ عَلَيْهِ «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
بِنَصْرِ اللَّهِ» .

وَكُتِبَ عُنْوَانُهُ : «إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ ، مِنْ تَبِيعِ الْأَوَّلِ حَمِيرٍ ، أَمَانَةُ اللَّهِ فِي يَدٍ مَنْ وَقَعَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ» .

وَدَفَعَهُ إِلَى رَئِيسِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ رَتَّبَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ بَنِيهِ يَتَدَاوَلُونَهُ
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، حَتَّى هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَهُ الَّذِي صَارَ
الْكِتَابُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَنِي ذَلِكَ الْعَالَمِ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ .



وَأَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي تُكْتَبُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ
الْأُمَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ بِكَاتِبَةِ الرِّسَالِ إِلَى اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِالسَّلَامِ
وَالْتَحِيَّةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشَفُّعِ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَقَاصِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ،
وَتَسْيِيرِهَا إِلَى تَرْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَكْثَرُ النَّاسِ مَعَاطَاةً لَذَلِكَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ
لِبُعْدِ بِلَادِهِمْ ، وَزُجُوجِ أَقْطَارِهِمْ .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا كَتَبَ بِهِ ابْنُ الْخَطِيبِ وَزَيْرُ ابْنِ الْأَحْمَرِ
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ عَنْ سُلْطَانِهِ يُوسُفَ بْنِ قَرَجَ بْنِ نَصْرٍ :

إِذَا فَاتَنِي ظِلُّ الْحِمَى وَنَعِيمُهُ ، * كَفَانِي وَحَسْبِي أَنْ يَهَبَ نَسِيمُهُ !

وَيُقِنُّنِي أَنِّي بِهِ مَتَكَيِّفٌ : * فَرَمَزَهُ دَمْعِي ، وَجَسَمِي حَظِيمُهُ !
يَعُودُ قُوَادِي ذِكْرُ مَنْ سَكَنَ الْغَضَى * فَيُقْعِدُهُ فَوْقَ الْغَضَى وَيُقِيمُهُ !
وَلَمْ أَرْ شَيْئًا كَالنَّسِيمِ إِذَا سَرَى ، * شَفَى سَقَمَ الْقَلْبِ الْمَشُوقِ سَقِيمُهُ !
تُعَلِّلُ بِالتَّذْكَارِ نَفْسًا مَشُوقَةً * تُنْذِرُ عَلَيْهَا كَأْسَهُ وَنَدِيمُهُ !
وَمَا شَفَّنِي بِالْغُورِ رَنْدٌ مَرْمُوحٌ ، * وَلَا شَاقِقِي مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ رِيمُهُ ،
وَلَا سَهْرَتِ عَيْنِي لِبَرْقِ نَيْلَةٍ * مِنَ التَّغْرِ يَبْدُو مَوْهِنًا فَأَشِيمُهُ .
بَرَانِي شَوْقٌ لِلنَّبِيِّ مَجِيدٍ * يَسُومُ قُوَادِي بَرْحَهُ مَا يَسُومُهُ !
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ * عَلَى الْبُعْدِ مُحْفُوظُ الْوَدَادِ سَلِيمُهُ
مَشُوقٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ * تَهَمُّ بِهِ تَحْتَ الظَّلَامِ هُمُومُهُ
إِذَا مَا حَدِيثُ عَنْكَ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا ، * شَجَاهُ مِنَ الشَّوْقِ الْحَدِيثِ قَدِيمُهُ
أَيَّجْهَرُ بِالنَّجْوَى ، وَأَنْتَ سَمِيعُهَا ! * وَيَسْرُحُ مَا يَخْفَى ، وَأَنْتَ عَلِيمُهُ !
وَتُعَوِّزُهُ الشَّقِيَا ، وَأَنْتَ غِيَاثُهُ ! * وَتُبَلِّغُهُ الْبَلَوَى ، وَأَنْتَ رَحِيمُهُ !
يُنِيرُكَ نُورُ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْهُدَى * فَأَقْمَارُهُ وَضَاحَةٌ وَنُجُومُهُ !
بِكَ أَنْهَلَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَابِغًا * فَأَنَوَّاهُ مُلْتَقًى وَغِيُومُهُ !
وَمِنْ فَوْقِ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ أَقْدَى * خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَاكَهَا وَكَلِيمُهُ !
لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضِيُّ الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ * وَمُجَدِّدُ الذِّكْرِ الْعَظِيمِ عَظِيمُهُ !
يَجِلُّ مَدَى عَلَيْكَ عَنْ مَدَجِ مَا دَجٍ * فَمُوسِرُ دُرِّ الْقَوْلِ فِيكَ عَدِيمُهُ !
وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيكَ وَرَائَهُ ! * وَمُجَدِّدُكَ لَا يَنْسَى الدَّمَامَ كَرِيمُهُ ،

وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِينِكَ نِسْبَةٌ * هِيَ الْفَخْرُ لَا يَحْشَىٰ ائْتِقَالًا مُقِيمُهُ !
 وَكَانَ يُؤَدِّي أَنْ أَزُورَ مَبَوَّأًا * بِكَ أَتَخَرْتُ أَطْلَالَهُ وَرُسُومُهُ !
 وَقَدْ يُجْهِدُ الْإِنْسَانُ طَرْفَ اعْتِرَافِهِ * وَيُعَوِّزُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرُومُهُ .
 وَعُذْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزَمِي ظَاهِرٌ * إِذَا ضَاقَ عُذْرُ الْعَزْمِ عَمَّنْ يَلُومُهُ .
 عَدَتْنِي بِأَقْصَى الْغَرْبِ عَنْ تَرْكِ الْعِدَا ، * جَلَالِقَةُ الثَّغْرِ الْغَرِيبِ وَرُومُهُ ،
 أَجَاهِدُ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِكَ أُمَّةً * هِيَ الْبَحْرُ يُعَيِّ أَمْرُهَا مَنْ يَرُومُهُ !
 فَلَوْلَا أَعْتِنَاءُ مِنْكَ يَا مَلْجَأَ الْوَرَى ! * لَرِيعَ حِمَاهُ ، وَأَسْتَبِيحَ حَرِيمُهُ !
 فَلَا تَقْطَعْ الْجَبَلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتُهُ ، * فَمَجْدُكَ مَوْفُورُ النَّوَالِ عَيْمُهُ !
 وَأَنْتَ لَنَا الْغَيْثُ الَّذِي تَسْتَدِرُّهُ ، * وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي تَسْتَدِيمُهُ !
 وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعْوَزَ مَطْمَعِي * وَأَقْلَقَنِي شَوْقُ تُسَبُّجِ حَيْمِهِ ،
 بَعَثْتُ بِهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ مُعَوَّلًا * عَلَىٰ مَجْدِكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ حَيْمُهُ !
 [وَكَلْتُ بِهَا هَمِّي وَصِدْقَ قَرِيحَتِي * فَسَاعَدَنِي هَاءُ الرُّوَى وَمِيمُهُ ^(١)]
 فَلَا تَسْنِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الرَّثَى * فَمِثْلُكَ لَا يُسْنِي لَدَيْهِ خَدِيمُهُ !
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ، * وَمَا رَأَى مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ !

إلى رسول الحق، إلى كافة الخلق، وعمام الرحمة الصادق البرق، والحاظر في ميدان
 اصطفاة الرحمن قصص السبق؛ خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له
 النبوة وآدم بين الطين والماء؛ شفيع أرباب الذنوب، وطبيب أدواء القلوب،
 ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب؛ نبي الهدى الذي طهر قلبه، وغفر ذنبه؛ وختم به

الرسالة ربّه، وَجَرَى فِي النُّفُوسِ مَجْرَى الْإِنْفَاسِ حُبّه، [الشَّفِيعُ] ^(١) الْمَشْفِيعُ يَوْمَ الْعَرْضِ،
 الْمَحْمُودِ فِي مَلَأِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ صَاحِبِ اللَّوَاءِ الْمُنشُورِ يَوْمَ النُّشُورِ، وَالْمُؤْتَمِنِ عَلَى
 سَرِّ الْكِتَابِ الْمُسْطُورِ، وَمُخْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ؛ الْمُؤَيَّدِ بِكِفَايَةِ اللَّهِ
 وَعِصْمَتِهِ، الْمُوقُوفِ حَظّه مِنْ عِنَايَتِهِ وَحُرْمَتِهِ، الظَّلَّ الْخَفَّاقَ عَلَى أُمْتِهِ ؛ مَنْ لَوْ حَازَتْ
 الشَّمْسُ بَعْضَ كِمَالِهِ مَا عَدِمَتْ إِشْرَاقًا، أَوْ كَانَ لِلْآبَاءِ رَحْمَةٌ قَلِيلَةٌ ذَابَتْ نَفُوسُهُمْ
 إِشْفَاقًا ؛ فَائِدَةِ الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ، وَسِرِّ الْوُجُودِ الَّذِي يَهْرِ الْوُجُودَ سَنَاهُ، وَصِفَى حَضْرَةِ
 الْقُدُسِ الَّذِي لَا يَنَامُ قَلْبُهُ إِذَا نَامَتْ عَيْنَاهُ ؛ الْبَشِيرِ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْبُشْرَى، وَرَأَى
 مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَنَزَلَ فِيهِ سَبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ ؛ مِنْ الْأَنْوَارِ مَنْ غُنْصَرُ نَوْرِهِ
 مَسْتَمَدّه، وَالْأَنْوَارِ تَحَلُّقُ وَأَنْوَارُهُ مَسْتَحِدّه ؛ مَنْ طُوِيَ لِسَاطُ الْوَحْيِ لَفَقْدَهُ، وَسُدَّ بَابُ
 الرِّسَالَةِ وَالثَّبُوتِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَوَقَّتِ الْبَلَاغُ حَسْرَى دُونَ حَدّه ؛
 الَّذِي آتَنَقَلَ فِي الْغُرَرِ الْكَرِيمَةِ نُورُهُ، وَأَضَاءَتْ لِمِلَادِهِ مَصَابِعُ الشَّامِ وَقُصُورُهُ،
 وَطَفِيقَتِ الْمَلَائِكَةُ نُحْيِيهَ وَفُودَهَا وَتَزَوَّرُهُ، وَأَخْبَرَتْ الْكُتُبُ الْمَتَزَلَّةَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِ
 وَصِفَاتِهِ، وَأَخَذَ عَهْدَ الْأَنْبِيَاءِ بِهِ عَلَى مَنْ آتَنَصَلَتْ بِمَبْعَثِهِ مِنْهُمْ أَيَّامُ حَيَاتِهِ ؛ الْمَفْرَعُ
 الْأَمْنِ يَوْمَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَالسِّنْدِ الْمَعْتَمِدِ عَلَيْهِ فِي أَهْوَالِ الْمُحْشَرِّ . ذِي الْمُعْجِزَاتِ
 الَّتِي أَثْبَتَهَا الْمَشَاهِدَةُ وَالْحِسُّ، وَأَقْرَبَهَا الْخُنُّ وَالْإِنْسُ : مِنْ جَمَادٍ يَتَكَلَّمُ، وَجُدُوعٍ لِفِرَاقِهِ
 يَتَأَلَّمُ، وَقِرْلَةٍ يَنْشَقُّ، وَشَجَرٍ يَشْهَدُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ؛ وَشَمْسٍ بَدَعَانَهُ عَنْ مَسِيرِهَا
 تُحْبَسُ، وَمَاءٍ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ يَنْجَسُ ؛ وَغَمَامٍ بَاسْتِسْقَانِهِ يَصُوبُ، وَطُوًى بَصَقَ
 فِي أَجَاجِهَا فَاصْبَحَ مَأْوَاهُ وَهُوَ الْعَذْبُ الْمَشْرُوبُ . الْمَخْصُوصِ بِمِنَاقِبِ الْكَمَالِ وَكِلَالِ
 الْمَنَاقِبِ، الْمُسَمًّى بِالْحَاشِرِ الْعَاقِبِ، ذِي الْمَجْدِ الْبَعِيدِ الْعَرَامَى وَالْمَرَاقِبِ ؛ أَكْرَمَ مِنْ

(١) الزيادة عن فتح الطيب (ص ٥١٧، ج ٤) المطبوع بالمطبعة الأميرية بيولاق سنة ١٢٧٩ هـ .
 وكذا هو في الريحانة .

(٢) في النسخ "الإيمان به" وكذا هو في ريحانة الكتاب .

رُفِعَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُغْتَرِبِ، وَنَجَّحَتْ لَدَيْهِ قُرْبَةُ الْبَعِيدِ وَالْمُقْتَرِبِ، سَيِّدِ
الرُّسُلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ الْمُحْسِنُونَ، وَاسْتُنْقِذَ
بِشَفَاعَتِهِ الْمُذْنِبُونَ، وَسَعِدَ بِاتِّبَاعِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَرْقُ، وَهَمَّعَ وَدَّقَ، وَظَلَعَتْ شَمْسُ، وَنَسَخَ الْيَوْمُ أَمْسَ.

من عتيق شفاعته، وعبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفئ
بذكره كلما تألم، المفتيح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذي إن ذكرتمثل طلوعه بين
أصحابه وآله، وإن هبَّ النسيم العاطر وجد فيه طيب خلا له، وإن سمع الأذان
تذكر صوت لاله. وإن ذكر القرءان استشعر تردد جبريل بين معاهده وحلاله،
[لا ثم تربه ومؤمل قربه، ورهين طاعته وحبه] المتوسل به إلى رضا ربه،
«يوسف بن إسماعيل بن نصر».

كتبته [إليك] يا رسول الله والدمع ماح، وخيل الوجذ ذات جحاح، عن شوقي
يزداد كلما نقص الصبر، وأنكسار لا يتأخ له إلا بدؤ مزارك الجبر، وكيف لا يعنى
مشوقك بالأمر، ويوطئ على كبده الجمر، وقد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك
المقدسة اللحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وأنصرفت الرفاق والعين
بنور ضريحك ما آكتحت، والركائب إليك ما رحلت، والعزائم قالت وما فعلت،
والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، وطيور الآمال عن وكور العجز لم تفرح،
فيا لها من معاهد فاز من حيائها، ومشاهد ما أعطر رايها، بلاد نيطت بها عليك
التمام، وأشرقت بنورك منها التجود والتهايم، ونزل في حجراتها عليك الملك، وأنجلي
بضياء قرقانك فيها الحلك، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة

الْعُرْرَ ؛ حَيْثُ قُضِيَتِ الْفُرُوضُ وَحُتِمَتِ ، وَأُفْتُتِحَتِ سُورَةُ الْوَحْيِ وَخُتِمَتِ ؛
وَأُبْتَدِئَتِ الْمِلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ وَتُمَّتَتْ ، وَكُسِخَتِ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتْ . أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ هَادِيًا ، وَأَطْلَعَكَ لِلخَلْقِ نُورًا بَادِيًا ؛ لَا يُطْفِئُ غُلَّتِي إِلَّا شَرْبُكَ ، وَلَا يُسَكِّنُ لَوْعَتِي
إِلَّا قُرْبُكَ ؛ فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفَاضَ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ أَدَاءِ
مَا فُرِضَتْ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ؛ وَعَقَّرَ الْخَدَّ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أَسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ
مَابَيْنَ دَارِي بَيْتِكَ وَهَجْرَتِكَ !

وَأِنِّي لَمَّا عَاقَنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَاقِقُ وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَعَدَنِي الْأَعْدَاءُ
فِيكَ غِنَ وَصَلِ سَبَبِي بِسَبَبِكَ ، وَأَصْبَحْتُ مَابَيْنَ بَحْرِ تِلَاطُمِ أَمْوَاجِهِ ، وَعَدَوْتُ تَكَاثُفَ
أَفْوَاجِهِ ، وَيَجْجِبُ الشَّمْسَ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ عَجَاجُهُ ؛ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَطَنُوا
عَلَى الصَّبْرِ نَفْسَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ لُبَّوْسَهُمْ ؛ وَرَفَعُوا إِلَى مُصَارَحَتِكَ
رُءُوسَهُمْ ، وَاسْتَعَذُّوا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتِكَ بُوْسَهُمْ ؛ يَطِيرُونَ مِنْ هَيْعَةٍ
إِلَى أُخْرَى ، وَيَتَلَفَّتُونَ وَالْخَاوِفُ يَمْنَى وَيُسْرَى ، وَيَقَارِعُونَ - وَهُمْ الْفَتَى الْقَلِيلَةُ -
جَمْعًا بِكُمُوعٍ قِصَرٍ وَكُسْرَى ؛ لَا يَلْبِغُونَ مِنْ عَدُوِّكَ كَالَّذَرَّ عِنْدَ انْتِشَارِهِ ، مِعْشَارَ مِعْشَارِهِ ؛
قَدْ بَاعُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُلْيَا ؛ فَيَالَهُ مِنْ
سُرْبِ مَرْوَعٍ ، وَصَرِيحٍ إِلَّا عَنْكَ مَمْنُوعٍ ، وَدَعَاءٍ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ ؛ وَصِبْنِي خُمْرَ
الْحَوَاصِلِ ، تَخَفِّقُ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْنَحَةُ الْمَنَاصِلِ ؛ وَالصَّلِيبُ قَدْ تَمَطَّى وَمَدَّ ذِرَاعِيهِ ،
وَرَفَعَتِ الْأَطْمَاعُ بَضْبِعِيهِ ؛ وَقَدْ حُجِبَتْ بِالْقَتَامِ السَّمَاءُ ، وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُ الْحَدِيدِ
وَالْبَاسِ الشَّدِيدِ فَاتَّقَى الْمَاءَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدَّمَاءُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمَا ضَعُفَتِ الْبَصَائِرُ
وَلَا سَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَمَا وَعِدَ بِهِ الشَّهْدَاءُ تَعْتِقُهُ الْقُلُوبُ حَتَّى تَكَادَ تَرَاهُ الْعُيُونُ ،
إِلَى أَنْ تَلْقَاكَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ أَبْلَيْتُنَا الْعُدْرَ ، وَأَرْغَمْنَا الْكُفْرَ ، وَأَعْمَلْنَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلِكَ الْيَبْضَ وَالسُّمْرَ .

(١) استنبت رُفعتي هذه لتطيرَ إليك [من شوقي] يجناح خافق ، وتُسعد من نبيّ التي
تصحبها برفيق موافق ؛ فتؤدّي عن عبّك وتبّغ ، وتعفّر الخلد في تُرْبَتِكَ وتمرّغ ؛
وتطيبُ برياً معاهدك الطاهرة ويؤتِكَ ، وتقفُ وقوف الخشوع والخضوع تُجاه تَأْوَتِكَ ؛
وتقول بلسان التملُّق ، عند التشبُّث بأسبابك والتعلُّق ، منكسرة الطرف ، حذرا بهرجها
من عدم الصّرف : ياغيث الأمّة ، ونعمام الرحمة ؛ ارحم غُربتي وأنقطاعي ، وتعمّد
بطولك قصّر باعِي ، وقوّ على هيبتك خور طِباعي ؛ فكَمْ جُرْتُ من لُجّ مهول ، وجُبْتُ
من حُزون وسُهل ؛ وقابل بالقبول نِباتي ، ونجّل بالرّضا إجابتي . ومعلوم من كمال
تلك الشّيم ، وسجّياتك الدّيم ؛ أن لا تُحبّ قصدَ مَنْ حطّ بفنائها ، ولا يظمأ
وارد أكب على إنائها .

اللهمّ يامن جعلته أوّل الأنبياء بالمعنى وآخرهم بالصّوره ، وأعطيته لواء الحمد يسير
أدم فمن دونه تحت ظلاله المنشوره ؛ وملّكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة
المعموره ، وجعلتني من أمته المجبولة على حُبّه المفطوره ؛ وشوقني إلى معاهده المبروره ،
ومشاهده المزوره ؛ ووكلت لساني بالصلاة عليه ، وقلّني بالحنين إليه ، ورغبتني
بالتماس ما لدّيه ؛ فلا تقطّع عنه أسبابي ، ولا تحرمني في حُبّه أجر ثوابي ، وتداركني
بشفاعته يوم أخذ كتابي .

هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشطّ مزاره ، ولم يُجعل بيده اختياره ؛
فإن لم يكن للقبول أهلاً فانت للإغضاء والسّماح أهل ، وإن كانت ألفاظها وعرة فجنابك
للقاصدين سهل ؛ وإذا كان الحبُّ يتوارث كما أخبرت ، والعروق تدسّ حسب ما
إليه أشرت ؛ فلي بانتسابي إلى (سعد) عميد أنصارك مزّيه ، ووسيلة أثيرة حفيه ،
وإن لم يكن لي عملٌ ترتضيه فلي نيه ؛ فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة المفتحة بسيف

كلمتك ، على أيدي خيَار أُمّتكَ ؛ فإنما نحنُ بها وديعةٌ تحتَ بعضِ أفضالك ، نعوذُ بوجه ربِّكَ من إغفالك ؛ ونستَشِقُّ من رِيحِ عَنایتِكَ نَفْحَهُ ، ونَرْتَقِبُ من نُورِ مُحمَّدٍ قَبُولَكَ لِحَمِّهِ ؛ نُدَافِعُ بها عَدُوًّا طَغَى وَبَغَى ، وَبَلَّغَ من مُضَايَقَتِنَا مَا آبَتَغَى ؛ فمواقِفُ التَّحْيِصِ قَدْ أُعِيتَ مِنْ كُتَبِ وَرَّخٍ ، وَالْبَحْرُ قَدْ أَصْمَتَ مِنْ أَسْتَصْرَخَ ؛ وَالطَّاغِيَةُ فِي الْعُدْوَانِ مُسْتَبْصِرٌ ، وَالْعَدُوُّ مُحَلَّقٌ وَالْوَلِيُّ مَقْصَرٌ . وَيَجَاهُكَ نَدْفَعُ مَا لَا يُطِيقُ ، وَبِعَنَايَتِكَ نَعَالِجُ سَقِيمَ الدِّينِ فُيُفِيقُ ؛ فَلَا تُفَرِّدْنَا وَلَا تُهْمِلْنَا ، وَنَادِ رَبَّكَ فِينَا : رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا ؛ وَطَوَائِفُ أُمّتِكَ حَيْثُ كَانُوا عَنَايَةً مِنْكَ تَكْفِيهِمْ ، وَرَبُّكَ يَقُولُ لَكَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ طَافَ وَسَعَى ، وَأَجَابَ دَاعِيًا إِذَا دَعَا ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَهْزَابِكَ وَأَلِّكَ ، صَلَاةً تَلِيقُ بِجَلَالِكَ وَتَحِقُّ لِكِبَالِكَ ؛ وَعَلَى خَجِيعَتِكَ وَصَدِيقِكَ ، وَحَبِيبِكَ وَرَفِيقِكَ : خَلِيفَتِكَ فِي أُمّتِكَ ، وَفَارُوقِكَ الْمُسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ عَلَى جِلَّتِكَ ، وَصَهْرَكَ ذِي الثَّوَرَيْنِ الْمُخْصُوصَ بِرِّكَ وَنَحْلَتِكَ ، وَأَبْنِ عَمِّكَ سَيْفِكَ الْمَسْلُوكِ عَلَى حَلَّتِكَ ، بِدْرِ سَمَائِكَ وَوَالِدِ أَهْلَتِكَ ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ ^(١) [كَثِيرًا بَشِيرًا] وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

من حضرة جزيرة الأندلس غرناطة صانها الله ووقاها ، ودفع عنها ببركتك كيد عداها .

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء السرايا، إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في ترتيب هذه المكاتبات على سبيل الإجمال)

كانت المكتبة إليهم تُفْتَحُ تارةً بلفظ « من فلان إلى فلان » ويؤتى في الصدر بالسلام والتحميد على نحو ما تقدم في المكتبة عن الخلفاء . ويقع التخلُّص إلى المقصود بـ « أما بعد » وتارةً يقع الافتتاح بـ « أما بعد » ويؤتى بالمقصود تلو ذلك ؛ ويعبر المكتوب عنه فيها عن نفسه بلفظ الأفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ، وتختتم بالسلام على أمير المؤمنين .

الجملة الثانية

(في صورة هذه المكاتبات ، وهي على أسلوبيين كما تقدمت الإشارة إليه)

الأسلوب الأول

(أن تُفْتَحَ المكتبة بلفظ « لفلان من فلان »)

وكان الرسم فيها أن يُكْتَبَ : « لعبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعدُ فإن كذا » .

كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جواب الكتاب منه إليه المقدم ذكره في المكتبة عن الخلفاء من الصحابة ، وهو : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ ، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مالٍ فشأني ، وإنه يعرفني قبلي

ذَلِكَ وَلَا مَالَ لِي، وَإِنِّي أَعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بَبِلِدِ السَّعْرُفِيهِ رَخِيسٌ، وَأَنِّي أَعَالِجُ
مِنَ الزَّرَاعَةِ مَا يُعَالِجُهُ النَّاسُ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةً. وَوَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ
حَلَالًا مَا خُتْتُكَ، فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ، إِنْ
رَجَعْنَا إِلَيْهَا عَشْنَا بِهَا! . وَلَعَمْرِي إِنْ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَذُمُّ مَعِيشَةً وَلَا تُذَمُّ لَهُ، فَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَفْتَحْ قُفْلَكَ وَلَمْ يَشْرُكْ فِي عَمَلِكَ؟

الأسلوب الثاني

(أن تَفْتَحَ المَكْتَابَةَ بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)

كما كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية - وهو على بعض أعماله - يستعفيه
عن العمل .

أما بعد، فقد كبر سنِّي وِرَقَّ عَظْمِي وَأَقْتَرَبَ أَجَلِي وَسَفَّهَنِي سُفْهَاءُ قُرَيْشٍ، فَرَأَى
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمَلِهِ .

الطرف الثالث

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العبال، وأمراء السرايا أيضا
إلى خلفاء بني أمية، وهي في ترتيبها على ما تقدم في المكاتبات إلى الخلفاء
من الصحابة رضي الله عنهم . وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تُفْتَحَ المَكْتَابَةُ بلفظ «من فلان إلى فلان» على نحو ما تقدم في المكاتبة

عنهم إلى الخلفاء من الصحابة مع زيادة الدعاء بطول البقاء)

كما كتب الجراح بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان في جواب كتابه الوارد عليه
منه، في توبيخه له بسبب تعرضه لأنس بن مالك رضي الله عنه على ما تقدم ذكره .

«لعبدالله عبدالمملك أمير المؤمنين، [أصلح الله] ^(١) أمير المؤمنين وأبقاه، وسهل حظّه وحاطه ولا عدّمناه؛ فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقّاه، وجعلني من كل مكروه فداء؛ يذكّر شئني وتوبيخني بأبائي، وتعييري بما كان قبل [نزول النعمة بي] ^(٢) من عند أمير المؤمنين أتمّ الله نعمته عليه، وإحسانه إليه. ويذكّر أمير المؤمنين أسطالة مني على أنس بن مالك، وأمير المؤمنين أحقّ من أقال عثرتي، وعفا عن ذنبي وأمهلي ولم يعجلني عند هفوتي؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه، وما قلّده الله من أمور عباده؛ فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعتي، وإفراج كربتي؛ فقد ملئت رعباً وفرقاً من سطواته، وحقّات نقماته؛ وأمير المؤمنين - أقاله الله العثرات، وتجاوز له عن السيئات؛ وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحقّ من صفح عفا، وتعمّد وأبق؛ ولم يُشمت بي عدواً مُكِبّاً، ولا حسوداً مُضِيباً؛ ولم يُجرّني عُصصاً. والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته إليّ، وتوحيه لي بما أسند إليّ من عمله؛ وأوطاني من رقاب رعيته، فصادق فيه مجزيّ عليه بالشكر، والتوسّل مني إليه بالولايه، والتقرّب له بالكفايه؛ وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين، فإن رأي [أمير المؤمنين] ^(٣) - طوّقني الله بشكره، وأعانني على تادية حقّه، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته، ومدّلي في أجله - أن يأمر بالكتاب إليّ من رضاه، وسلامة صدره، ما يؤمّنني به من سفك دمي، ويردّ ما شرد من نومي، ويطمّن به قلبي فعل، فقد ورد

(١) في الأصل "سلام على أمير الخ" والتصحيح عن مفتاح الأفكار (ص ١٨٢) .

(٢) بياض بالاصول، والتصحيح عن مفتاح الأفكار . وفيه بعد لفظ أنس بن مالك مانصه .

"خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جأه على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقامه وسطواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محبته ونزل عند خطته، وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابته من مجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحق الخ" .

(٣) الزيادة عن مفتاح الأفكار .

على أمر جليل خطبه ، عظيم أمره ، شديد كربه . أسأل الله أن لا يُسَخِّطَ أمير المؤمنين على ، وأن يُنبِّله في حزمه ، وعزمه ، وسياسته ، وفراسته ، ومواليه ، وحشمة ، وعُمَّاله ، وصنائه ، ما يَجِدُّ به حسنُ رأيه ، إنه وليُّ أمير المؤمنين والذابُّ عن سلطانه ، والصانعُ له في أمره ، والسلام .

الأسلوب الثاني

(أن يُفَتِّحَ الكِتَابَ بلفظ «أما بعد» ويُتَوَصَّلَ منه إلى المقصود)

كما كتب عبدُ الله بن عمر رضى الله عنهما إلى عبد الملك بن مروان في خلافته :
أما بعدُ ، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر . سلامٌ عليك فإنِّي
أحمدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وأمرني بالسمع والطاعة على كتاب الله وسُنَّة
نبيه فيما أستطعت .

الطَّرْف الرابع

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومَن في معانهم إلى خلفاء
بنى العباس ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات العامة من الملوك إلى الخلفاء ، ولها حالتان)

الحالة الأولى

(ما كان الأمرُ عليه في ابتداء دولة بنى العباس وأوساطها)

أما ابتداء دولتهم ، فكان الأمرُ فيه على ما تقدم في مكاتبات العمال ونحوهم إلى خلفاء
بنى أمية ، وقد تقدم تمثيله . إلا أنه زيد فيه في صُدُور المكاتبات سؤالُ الصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم من حين رتبته المأمون في صدور الكتب، وتكنيه الخليفة من حين أحدثه الأمين في كتبه على ما تقدم بيانه في المكاتبات عن الخلفاء فيما سلف .



وأما أوساط دولتهم من حين ظهور ملوك بني بويه وغلبتهم على الأمر ، فللكتاب فيه أسلوبيان :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بلفظ «لفلان من فلان» وتصدّر بالسلام والتحميد وسؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتخلص إلى المقصود بأما بعد) والرسم فيه على ما ذكره قدامة في كتاب الخراج أن يكتب : «لعبد الله فلان أبي فلان - بأسمه وكنيته ونعته - أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمّد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد، أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته، وأتم نعمته عليه، وزاد في إحسانه إليه، وفضله عنده وجميل بلائه لديه، وجزيل عطائه له» .

وزاد في "صناعة الكتاب" : في السلام «ورحمة الله وبركاته» . قال في "صناعة الكتاب" : ثم يقال : أما بعد فقد كان كذا وكذا ، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها . وتكون المكتبة : - وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا - فإن زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين ، فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاء وكتب : أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهنائه وكرامته، وألبسه عفوّه وعافيته وأمنه وسلامته : والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا .

وقال الفضل بن سهل: يُدعى للخليفة :

أما بعد، أطل الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزّه وتأييده، وأتمّ نعمته وسعاده وتوفيقه؛ وزاد في إحسانه إليه وموآهبه له . ولا يكتب إليه « وجعلني فداه » ويكون أول فصوله : أخبر أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - أن كذا وكذا . ثم يوالى الفصول بـ «أيده الله وأدام عزّه» . ونحو هذا .

وإن شئت كتبت : أما بعد أطل الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزّه وتأييده وكرامته، وأتمّ نعمته عليه، وزاد فيها عنده وحاطه وكفاه، وتولى له ما ولّاه .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين في العزّ والسّلامة، وأدام كرامته في السّعادة والزيادة؛ وأتمّ نعمته في السّبوغ والغبطة، وأصلحه وأصاح على يديه ونصره؛ وكان له في الأمور كلّها ولياً وحافظاً .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين في أعزّ العزّ، وأدوم الكرامة والسّرور والغبطة، وأتمّ نعمه في علوّ من الدرجة، وشرف من الفضيلة، ومُتَابِع من العائدة، ووهب له السّلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

والذى كانت عليه قاعدة ملوك بني بويه فمن بعدهم إن كان الكتاب في معنى حدوثِ نعمة من فتح ونحوه، أتى بعد ذلك بالتحميد مابين مرّة واحدة إلى ثلاث مرّات . ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الإفراد، وعن الخليفة بأمر المؤمنين، ويختتم الكتاب بالإنهاء وما في معناه .

وهذه نسخة كتاب كتب به أبو إسحاق الصّابي عن عز الدولة بن بويه إلى المطيع لله عند فتحه الموصل، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان صاحب حلب في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وهى :

(١) لعبد الله الفضل [الإمام] المطيع لله أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته عز الدولة
أبن معز الدولة مولى أمير المؤمنين . سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله، فإني أحمد
إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد - أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد، والتوفيق والتسديد؛
والعلو والقدره، والظهور والنصرة - فالحمد لله العلى العظيم، الأزل القديم، المتفرد
بالكبرياء والملكوت، المتوحد بالعظمة والجبروت؛ الذى لا تتحد الصفات،
ولا تحوز الجهات؛ ولا تحصره قرارة مكان، ولا يغيره مرور زمان؛ ولا تمتثل العيون
بنواظرها، ولا تتخيل القلوب بنواظرها . فاطر السموات وما تظّل، وخالق الأرض
وما تقبل؛ الذى دلّ بلطف صنعته، على جليل حكيمته؛ وبين بجلى برهانه، عن
خفى وجدانه؛ وأستغنى بالقدره عن الأعوان، وأستعلى بالعزة عن الأقران . البعيد
عن كل معاديل ومضارع، الممتنع على كل مطاول ومقارع؛ الدائم الذى لا يزول
ولا يحول، العادل الذى لا يظلم ولا يخور؛ الكريم الذى لا يظن ولا يتغل، الحليم الذى
لا يعجل ولا يجهل؛ ذلّم الله ربكم لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين، منزل
الرحمة على كل ولّى توكل عليه، وفوض إليه؛ وأتمر لأوامره، وأزدبح بزواجه،
وحلل النعمة بكل عدوّ صدّ عن سبيله وسنّه، وصدف عن فرائضه وسنّه، وحاده
فى مكسب يده ومسعاة قدمه، وخائنة عينه وخافية صدره؛ وهو راتع رتعة النعم
السائمة، فى أكلاء النعم السابعة؛ وجاهل جهلها بشكر آلائها، ذاهل ذهولها عن
طرق استبقائها؛ فلا يلبث أن يترع سرايلها صاغرا، ويتعزى منها حاسرا؛ ويجعل

الله كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَبِيلِ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

والحمد لله الذى أصطفى للنُّبُوَّةَ أَحَقَّ عِبَادِهِ بِحَمْلِ أَعْبَائِهَا ، وَارْتِدَاءِ رَدَائِهَا ؛ «مَجْدًا»
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظَّمَ خَطَرَهُ وَكَرَّمْ ؛ فَصَدَعَ بِالرَّسَالَةِ ، وَبَالَغَ فِي الدَّلَالَةِ ؛
وَدَعَا إِلَى الْهِدَايَةِ ، وَنَجَّى مِنَ الْغَوَايَةِ ؛ وَنَقَلَ النَّاسَ عَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إِلَى
طَاعَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ وَأَعْلَقَهُمْ بِجَبَائِلِ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ ، وَعِصْمَةِ مُحْيِيهِمْ وَمُمِيتِهِمْ ؛
بَعْدَ أَنْتِحَالِ الْأَكَاذِبِ وَالْأَبَاطِيسِلِ ، وَاسْتِشْعَارِ الْمُحَالَاتِ وَالْأَضَالِيلِ ؛ وَالتَّهَوُّكِ
فِي الْأَعْتِقَادَاتِ الذَّائِدَةِ عَنِ النَّعِيمِ ، السَّائِقَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ؛ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
مَنْ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ ، وَمُقَدِّمٌ لِلخَلْقِ ؛ وَنَاصِحٌ لِلرَّبِّ ، وَمُؤَدِّ لِلْفَرَضِ ؛ صَلَاةً زَاكِيةً نَامِيَةً ،
رَاضِحَةً غَادِيَةً ؛ تَزِيدُ عَلَى اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ وَالْأَدْوَارِ .

والحمد لله الذى أُنْتَجَبَ أمير المؤمنين ^(١) [أطال الله بقاءه] من ذلك السُّنْخِ الشَّرِيفِ ،
وَالْعُنْصُرِ الْمُتَيْفِ ؛ وَالْعِثْرَةِ الثَّابِتِ أَصْلُهَا ، الْمَتَدِّ ظِلُّهَا ، الطَّيِّبِ جَنَاهَا ؛ الْمَنُوعِ حِمَاها ؛
وَحَازِلِهِ مَوَارِيتُ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَخْتَصَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ
بِتَطَاوُلِ أَمَدِ الْخِلَافَةِ وَاسْتِخْصَافِ حَبْلِهَا فِي يَدِهِ ؛ وَوَقَّعَهُ لِإِصَابَةِ الْغَرَضِ مِنْ كُلِّ
مَرْمَى يَرْمِيهِ ، وَمَقْصِدٍ يَنْتَجِيهِ ؛ وَهُوَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - الْحَقِيقُ بِإِتْمَامِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ،
وَالزِّيَادَةُ فِيهِ لَدَيْهِ . وَأَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا أَبْتَدَيْتُهُ ثُمَّ أَعِيدَهُ ؛ وَأَكْرَرَهُ أَسْتَرِيدُهُ ؛
عَلَى أَنْ أَهْلَ رَكْنِ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ ، وَعِصْمَةَ الدَّوْلَةِ أَبَا شَجَاعٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلَتْنِي
لِلْأَثَرَةِ عِنْدَهُ الَّتِي بَدَّدْنَا فِيهَا الْأَكْفَاءَ ، وَقُتْنَا فِيهَا الْقُرْنَاءَ ؛ وَتَقَطَّعَتْ دُونَهَا أَنْفُسُ
الْمُنَافِسِينَ ، وَتَضَرَّعَتْ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ . وَأَنْ أَوْلَانِي فِي كُلِّ مَغْزَى فِي خِدْمَةِ

أمير المؤمنين أغزوه، ومنحى أخوه، ونأى أراهه، وشعث ألهه، وعدوا رغه،
وزائع أقومه، أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم، النقة جيوبهم، المأمونة
ضمايرهم، المشحوذة بصائرهم، من تمكين يد، وثبت قدم، ونصرة راية، وإعلاء
كلمة، وتقريب بغية، وإنالة أمنيته، وكذلك يكون من إلى [ولاء] أمير المؤمنين^(١)
اعتراؤه، وبشعاره اعتراضه، وعن زناذه قدحه، وفي طاعته كدحه، والله ولي
[بإدامة] ماخولنيه من هذه المتقبة، وسوغنيه من هذه الموهبة، وأن يتوجه
أمير المؤمنين في جميع خدمه الذائين عن حوزته، المتممين إلى دعوته، بمن الطائر،
وسعادة الطالع، ونجاح المطلب، وإدراك الأرب، وفي أعدائه الغامطين لنعمته،
النافضين موثيق بيعته، بإضرع الخلد، وإعاس الخلد، وإخفاق الأمل، وإحباط
العمل، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ينكر قديما من "فضل الله" بن
ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار، مستحقا من ارتكبا الإعراض،
وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضه، وتمثل حجه وتلفيقها، وتأليف
معاذيره وتميقها، مذهبي الذي أعم به كل من جرى تجراه من ناشئ في دولته،
ومعتد بنعمته، ومنسب إلى ولايته، ومشتهر بصنيعته، وأقدر أن أستصلحه
لأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشد،
ومناهج السداد، وهو يريني أن قد قيل وأرعوى، وأبصر وأهتدى، حتى رغبت
إلى أمير المؤمنين فيما شفني متفضلا فيه، من تقليده أعمال أبيه، والقناعة منه
في الضمان بمسور بذله، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله .

فلما بَلَغَ هذه الحال ، أَلَطَّ بِالْمَالِ ، وَخَاسَ بِالْعَهْدِ ، وَطَرَّقَ لَفْسَخَ الْعَقْدِ ؛ وَأَجْرَى
إِلَى أُمُورٍ كَرِهَتْهَا ، وَنَفَدَ الصَّبْرَ مِنِّي عَلَيْهَا ؛ وَخِفْتُ أَنْ أُسْتَمِرَّ عَلَى الْإِغْضَاءِ عَنْهَا
وَالْمَسَاحَةِ فِيهَا ، فَيَطْلِعَ اللَّهُ مِنِّي عَلَى إِضَاعَةِ الْأَحْتِيَاظِ فِي أَمْرِ قَلْدَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
زِيَامَهُ ، وَصَمْنِي دَرَكَهُ ، وَإِرْخَاءِ لَبِّي رَجُلٍ قَيْلٍ فِي الْأَعْتَادِ عَلَيْهِ رَأْيِي ، وَعَوَّلَ
فِي أَخْذِهِ بِمَا يُلْزِمُهُ عَلَى نَظَرِي وَأَسْتَيْفَانِي - فَتَنَّاوَلْتُهُ بِأَطْرَافِ الْعَدْلِ مُلَوَّحًا ، ثُمَّ بَأْتَبَاجَهُ
مُقْصِحًا مُصَرِّحًا .

وَرَسَمْتُ لِعَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِحِ أَبِي طَاهِرٍ أَنْ يُجِدَّ بِهِ وَبُوسْطَانَهُ وَسُفْرَانَهُ
فِي حَالٍ ، وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشُورَةِ وَالرَّفْقِ فِي أُخْرَى ، وَيَتَّقَلَ مَعَهُ بَيْنَ الْخُشُونَةِ
الَّتِي يَقْفُو فِيهَا أَثَرِي ، وَاللَّيْنِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُحَسَّهَ مِنِّي ، تَقْدِيرًا لِأَنْثَانِهِ ، وَزَوَالِ
أَلْتَوَانِهِ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى رَسْمِهِ فِي الثَّانِي لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلُحَ ، وَلِكُلِّ آبٍ حَتَّى
يَسْمَحَ ؛ وَلَمْ يَدْعِ التَّنَاهِيَّ فِي وَعْظِهِ ، وَالتَّمَادِيَّ فِي نُصْحِهِ وَتَعْرِيفِهِ سُوءَ عَاقِبَةِ
الْجَبَّاحِ ، وَمَغْبَةِ الْإِخْرَاجِ ؛ وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الْأُمُورِ وَشَرًّا ، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ
وَعَمَّهَا ؛ إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَنْ حُدِّ الْأَنْتِظَارِ ، إِلَى حُدِّ الرِّضَا بِالْإِصْرَارِ ؛
فَاسْتَأْنَفْتُ أَدْرَاعَ الْحَزْمِ ، وَأَمْتَطَاءَ الْعَزْمِ ؛ وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَعِندِي
أَنَّهُ يُغْنِينِي عَنِ الْإِتِمَامِ ، وَيَتَلَقَّانِي بِالْإِعْتَابِ وَيُنْقَادُ إِلَى الْمُرَادِ ، وَيَتَجَنَّبُ
طَرُقَ الْعِنَادِ .

فَإِنْ عَرَفَ خَبَرَ مَسِيرِي ، وَجَدَّيْ فِيهِ وَتَسْمِيرِي ؛ بَرَزَ بِرُوزِ الْخَالَفِ الْمَكَاشِفِ ،
وَتَجَرَّدَ تَجَرَّدَ الْمَوَاقِفِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَزْدَدْتُ مِنْهُ قُرْبًا ، أَزْدَادَ مِنِّي رُعْبًا ؛
وَإِذَا دَلَقْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، نَكَّصَ عَنِّي بَاعًا .

وتوافَتْ إلى حضرتي وجوه القبائل من عَقِيلٍ وشَيْبَانَ وغيرهما في الجمع الكَثِيفِ من صَعَالِيكهما ، والعَدَدِ الكثير من صَنَادِيدِهما ؛ دَاخِلِينَ في الطاعة ، متَصَرِّفِينَ في عَوَارِضِ الخِدْمَةِ .

فلما شَارَفَتْ الحَدِيثَةَ، اَنْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِهِ، وتَقَوَّضَتْ دَعَائِمُ أَمْرِهِ؛ وبَطَلَتْ أَمَانِيَّتُهُ وَوَسَاوِسُهُ، وَأَضْمَحَلَّتْ خَوَاطِرُهُ وَهَوَاجِسُهُ؛ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِ مِنْ نِقَاتِهِ وَغِلْمَانِهِ مَنْ كَانَ بِهِمْ يَتَعَصَّدُ، وَعَلَيْهِمْ يَتَعَمَّدُ؛ وَبَدَءُوا بِجَذْلَانِهِ وَالْأَخْذِ لِنُفُوسِهِمْ، وَمُفَارَقَتِهِ وَالطَّلَبِ بِمَحْظُوظِهِمْ؛ وَحَصَلَ مِنْهُمْ بِحَضْرَتِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ زُهَاءُ نَحْسِمَائَةِ رَجُلٍ ذَوِي خَيْلٍ مَخْتَارَةٍ، وَأَسْلِحَةٍ شَاكِكَةٍ؛ فَصَادَفُوا عِنْدِي مَا أَمَلُوا مِنْ فَائِضِ الْإِحْسَانِ، وَغَاوِيِ الْأَمْتِنَانِ؛ وَذَكَّرُوا عَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ نُظَرَائِهِمُ التَّنَزِّيَ إِلَى الْإِنْجَذَابِ، وَالْحَرِصَ عَلَى الْأَسْتِمْنَانِ؛ وَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ، وَيُبادِرُونَ وَلَا يَتَلَوَّمُونَ .

وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ مَضَى هَارِبًا عَلَى طَرِيقِ سِنْجَارٍ، مَنكَشِفًا عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ قَانَعًا مِنْ تِلْكَ الْأَمَالِ الْخَائِبَةِ، وَالظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ بِسَلَامَةِ حُشَاشَةِ هِيَ رَهِينَةُ غِيَّهَا، وَصَرِيعةُ بَغْيِهَا .

وَكَانَ أَنْهَزَامُهُ بَعْدَ أَنْ فَعَلَ الْفِعْلَ السَّيِّفِ، وَكَادَنَا الْكِدَّ الضَّعِيفَ؛ بِأَنْ أَغْرَقَ سُفُنَ الْمَوْصِلِ وَعَرُوبَهَا^(١)، وَأَحْرَقَ جَسْرَهَا وَأَسْتَدَمَ^(٢) إِلَى أَهْلِهَا؛ وَتَزَوَّدَ مِنْهُمْ اللَّعْنُ الْمُطِيفَ بِهِ أَيْنَ يَمُّ، الْكَائِنُ مَعَهُ حَيْثُ خَيْمٌ .

وَدَخَلَتْهَا يَوْمِي هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - دُخُولَ الْغَانِمِ الظَّافِرِ، الْمُسْتَعْلِي الظَّاهِرِ؛ فَسَكَنْتْ نَفُوسُ سُكَّانِهَا، وَشَرَحَتْ صُدُورَ قُطَّانِهَا؛ وَأَعْلَمَتْهُمْ مَا أَمَرَنِي

(١) نوع من السفن الرواكد كان في دجلة ولكنه عبر عنها في القاموس بالعربات . أى فواحدها عربة بالتحريك .

(٢) أى فعل ما يذم عليه .

به أمير المؤمنين - [أدام الله عزّه] وأعلى الله أمره - من تأنيس وحشتهم ، ونظم ألفتهم ، وضمّ نشرهم ، ولمّ شعثهم ؛ وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعلقتهم ، وصنوف متصرفاتهم ومعاشيهم ؛ فكثرت منهم الثناء والدعاء ؛ والله سامع ما رفعوا ، ومُجيب ما سألوا .

وأجلت حال هذا الجاهل - أيّد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمه ، وأذّل هزيمة ، وأسوأ رأى ، وأنكر اختيار ؛ لأنه لم يلقني لقاء البائع بالطاعة ، المعتذر من سالف التفريط والإضاعة ؛ ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ، المحقق لزعمه في الثبات للدافعه ؛ ولا كان في هذين الأمرين بالبرّ التقي ، ولا الفاجر الغوي ، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره ، وفضيحة جبنه وخوره ؛ متنبّها للصّلاح ، عادلاً عن الصّواب ؛ قد ذهب عنه الرّشاد ، وضربت بينه وبينه الأسداد ، وأنزله الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعه ، وجوار الصّنيعه ؛ وأستوجب نزعهما منه وتحويلهما عنه .

وتأملت - أيّد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجريب ، وتصفّحته على التقلب ؛ فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه ، ^(١) وعصى دواعي رأيه وحرّمه ؛ وقدمه من ولده على من هو أنس رُشداً ، وأكبر سنّاً ، وأثبت جاشاً ، وأجرأ جنّاناً ؛ وأشجع قلباً ، وأوسع صدرّاً ؛ وأجدر بمخايل النّجابه ، وشمائل اللّبابه .

فلما اجتمعت له أسباب القُدرة والثّروه ، وأمكنته مَنَاهِرُ الغِرة والفرصة ، وثب عليه وثبة السّرحان ، في ثلّة الضّان ؛ وجراه جزاء أم عامرٍ لمُجيرها ، إذ فرّته بأنبيائها وأظافيرها ؛ واجتمع [هو] وأخوه من الأثم ، المرتضِع معه ليّان الإثم ؛ المكنّى

(١) هي فاطمة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة . من هامش مخارات الصّابي المطبوعة .

أبا البركات - وليس بأب لها ، ولا حرى بشيء منها - على أن تَسْرَأَ عنه وعَقَاه ،
 وَقَبْضًا عليه وأَوْتَقَاه ؛ وأَقْرَاه من قَلْعَتِهَا بحيث تُقَرَّ العُتَاه ، وتُعَاقَب الجُنَاه ؛ ثم أَتْبَعَا^(١)
 ذلك باستِحْلَالِ دمه ، وإِفَاضَةِ مُهْجَتِهِ ، غَيْرَ رَاعِيَيْنِ فِيهِ حَقَّ الأَبُوَّة ، وَلَا حَانِيَيْنِ عَلَيْهِ
 حُقُوقُ البُتُوَّة ؛ وَلَا مَتَذَمِّمِينَ من الإِقْدَامِ عَلَى مِثْلِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَتْ عِنْدَ سُلْطَانِهِ قَدَمُهُ ،
 وَتَوَكَّدَتْ أَوَاصِرُهُ وَعِصْمَتُهُ ؛ وَلَا رَاحِمِينَ لَهُ مِنْ ضَعْفِ شَيْخُوخَتِهِ ، وَذَهَلِ كِبَرَتِهِ ؛
 وَلَا مُضْغِيَيْنِ إِلَى وَصِيَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمَا ، الَّتِي نَصَّهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ؛ وَكَرَّرَهَا فِي آيِهِ وَبَيِّنَاتِهِ
 إِذْ يَقُولُ : « أَشْكُرُ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ » وَإِذْ يَقُولُ : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
 إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
 وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
 كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » .

فَبَأَى وَجْهَ يَلْقَى اللَّهَ قَاتِلُ الْوَالِدِ حَدِيدٌ قَدْ أَمَرَ أَنْ لَا يَنْهَرَهُ ؟ وَبَأَى لِسَانَ يَنْطِقُ
 يَوْمَ يُسْأَلُ عَمَّا اسْتَجَازَهُ فِيهِ وَقَعْلُهُ ؟ وَتَاللهِ ! لَوْ أَنَّ بِمَكَانِهِ عُدُوًّا لَهَا قَدِ قَارَضَهُمَا
 الدُّحُولُ ، وَقَارَعَهُمَا عَنِ الثُّفُوسِ ؛ لَقَبِحَ بِهِمَا أَنْ يَلُومًا ذَلِكَ اللُّؤْمُ عِنْدَ الظُّفْرِ بِهِ ،
 وَأَنْ يَرْكَبَا تِلْكَ الْخُطَّةَ الشَّعْنََاءَ فِي الْأَخْذِ بِنَاصِيَتِهِ ؛ وَلَمْ يَرْضَ « فَضَّلُ اللَّهَ » بِمَا
 أَنَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى آسْتَوْفَى حُدُودَ قَطْعِ الرَّحِمِ ، بَأَنْ تَتَّبَعَ أَكْبَارَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ

(١) فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ قَبَضَ أَبُو تَغْلِبِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنُ حُدَّانَ عَلَى أَبِيهِ وَجَسَهُ فِي قَلْعَةٍ
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيَا وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ وَضِيقَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَخَالَفَهُمْ فِي أَهْوَائِهِمْ فَضَجَرُوا مِنْهُ
 وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ مَا خَالَفَهُمْ فِيهِ أَنَّهُ عِنْدَ وَفَاةٍ مَعَ الدَّوْلَةِ وَوَلَايَةِ ابْنِهِ بِخِتَارِ عَزَمُوا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ فَنَعِمَهُمْ قَاتِلًا
 أَنْ مَعَ الدَّوْلَةِ قَدْ خَلَفَ لَوْلَدِهِ مِنَ الْمَالِ مَا يَتِمُّكَ مَعَهُ مِنَ الظُّهُورِ فَاصْبَرُوا حَتَّى يَتَفَرَّقَ مَالُهُ فَوُثِبَ عَلَيْهِ أَبُو تَغْلِبِ
 وَوَضَعَهُ فِي مَحْبَسٍ فَفَضَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ وَانْتَشَرَ أَمْرُهُمْ . وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْصِرُ بِابْنِهِ
 حُدَّانَ عَلَى أَبِي تَغْلِبِ وَأَبَى بَرَكَاتٍ فَتَقَالَاهُ إِلَى قَلْعَةِ كَوَاشِي وَتَوَفَّى فِي الْإِعْتِقَالِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ
 وَثَلَاثَةَ أَهْ مِنْ هَامِشِ الْمُخْتَارَاتِ الْمَطْبُوعَةِ .

سَبِيلَهُ ، الْمُتَّبِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ مَا كَتَسَبَ ، وَوَحِيمِ مَا أَحْتَقَبَ ؛ لَمَّا غَضِبُوا
لَأَيِّهِمْ ، وَامْتَعَضُوا مِنَ الْمُسْتَحِلِّ فِيهِ وَفِيهِمْ : فَقَبِضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حِيلَةً
وَعِيلةً ، وَغَدْرًا وَمَكِيدَةً ؛ وَنَابَذَ حَمْدَانَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُنَابَذَةً خَارَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، بَانَ
أَصَارُهُ مِنْ فَنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْعَزِيزِ ، وَالْحُرْزِ الْحَرِيرِ ؛ وَأَنْ أُجْرِيَ اللَّهُ عَلَى
يَدِهِ الْحَرْبَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِكُنْيَتِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا نَحْسَهُ ،
وَأَتْلَفَ نَفْسَهُ ؛ وَصَرَعَهُ بِعُقُوقِهِ وَبَغْيِهِ ، وَقَنَعَهُ بِعَارِهِ وَخِرْيِهِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَّعِظُ ،
وَلَا يَنْزِعُ وَلَا يَقْلَعُ وَلَا يَزْدَحِرُ ؛ إصرارًا عَلَى الْخَرَائِرِ الَّتِي اللَّهُ عَنْهَا حَسِيئُهُ ، وَبِهَا طَلِيئُهُ ؛
وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مُرْصَدَتَانِ لَهُ بِالْخِزَاءِ الْمُحْقُوقِ عَلَيْهِ ، وَالْعِقَابِ الْمَسْجُوقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - خَطْبًا ، وَأَوْعَرُ مَسْلَكًا وَلَحْجًا ، أَنَّ
مِنْ شَرَائِطِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عُهُدَ إِلَيْهِ ، وَالْعَقْدِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ ؛ وَالضَّمَانِ الْمُخَفَّفِ
مَبْلَغُهُ عَنْهُ ، الْمَأْخُودِ عَقْوُهُ مِنْهُ ؛ أَنْ يَنْتَاهِيَ فِي ضَبْطِ الثُّغُورِ وَجِهَادِ الرُّومِ وَحِفْظِ
الْأَطْرَافِ ، وَرَمِّ الْأَكْكَافِ ؛ فَمَا وَفَى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ بَلْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ
بِالْأَمْوَالِ وَأَقْطَاعِهَا ، وَإِحْزَانِهَا فِي مَكَامِهَا وَقِلَاعِهَا ؛ وَالضَّنِّ بِهَا دُونَ الْإِنْجَاحِ
فِي وَجُوهِهَا ، وَالْوَضْعِ لَهَا فِي حُقُوقِهَا ؛ وَأَنْ تَرَاحَى فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمَلًا ، وَأَطْرَحَ
الْفِكْرَ فِيهِ مُغْفَلًا ؛ حَتَّى هَجَمَ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَرُ الْآثَارِ ؛ وَنَكَى الْقُلُوبَ ، وَأَبْكَى الْعُيُونَ ؛
وَصَدَعَ الْأَعْبَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ؛ فَمَا كَانَ عَنْدهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ
اللَّهِ إِذَا يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بِآيَتِهِمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ بَلْ صَدَفَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَاهِيًا ، وَعَدَلَ عَنْ كِتَابِهِ سَاهِيًا ؛ وَاسْتَفْسَخَهُ ذَلِكَ الْبَيْعَ وَالْعَقْدَ ، وَتَجَزَّهَ
الْوَعْدَ لَا الْوَعْدَ ، وَلَا طَفَّ طَافِغِيَّةَ الرُّومِ وَهَادَاهُ ، وَمَارَهُ وَأَعْطَاهُ ؛ وَصَانَعَهُ بِمَالِ

المسلمين الذى يَلْزِمُهُ - إن سَلِمَ دِينُهُ وَصَحَّ يَقِينُهُ - أن يُتَّقِيَ في مَرَابِطِهِمْ ، وَيَذَبَّ به عن حَرِيمِهِمْ ؛ لا أن يَعْكِسَهُ عن جِهَتِهِ ، وَيُلْقِيَهُ عن جِهَتِهِ ؛ بِالنَّقْلِ إلى عَدُوِّهِمْ ، وإدخال الوَهْنِ بذلك عليهم . وقَادَ إليه من الخيل العِتَاقِ ما هو الآنَ عَوْنٌ للكُفَرِ على الإيمان ، وَنَجْدَةٌ للطاغية على السُّلْطَانِ ؛ وكان فيما أُتِّخَفَ به الخمرُ التى حَظَرَ اللهُ عليه أن يَشْرَبَهَا وَيَسْقِيَهَا ، وَتَعَبَّدَ بأن يَحْتَنِيَهَا وَيَحْتَوِيَهَا ؛ وَصُلْبَانُ ذهبٍ صَاغَهَا لَهُ وَتَقَرَّبَ بها إليه تَقَرُّبًا قد بَاعَدَهُ اللهُ فيه عن الإِصَابَةِ والأَصَالَةِ ، وأَدْنَاهُ من الجَهَالَةِ والضَّلَالَةِ ؛ حَتَّى كَانَهُ عَامِلٌ من عَمَالِهِ ، أَوْ يَطْرُقُ من بَطَارِقَتِهِ .

فَأَمَّا فَشْلُهُ عن مَكَائِفِهِ ، وَلَهْجُهُ بِمَلَاطِفَتِهِ ، فَضَدَّ الذى أَمَرَهُ اللهُ به في قوله تعالى :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأما نَقْلُهُ مَا نَقَلَ من الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائِهِمْ ، فَتَقْيِضُ قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ
 ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأما إِهْدَاؤُهُ الخمرَ والصُّلْبَانِ ، فَخِلَافٌ عليه تَبَارَكَ اسْمُهُ ، إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

كُلُّ ذَلِكَ عِنَادًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَطُمَسًا لِأَعْلَامِ الدِّينِ ؛ وَضَنًا بِمَا يُجَاهِي عليه من
 ذَلِكَ الحُطَامِ ، المجموع من الحَرَامِ ، المَثْمَرِ من الآثَامِ ، المُقْتَطَعِ من فِءِ الإسلامِ ؛
 وَقَدْ فَعَلَ الآنَ بِي وبالعساكر التى مَعِيَ وَمَنْ نَضَمَ من أوليَاءِ أمير المؤمنين الذين هُمُ
 إِخْوَتُهُ وَصَحْبُهُ - إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ، وَأَنْصَارُهُ وَحِزْبُهُ - إِنْ كَانَ مُوقِنًا ؛ من تَوَعِيرِ
 الْمَسَالِكِ وَتَغْرِيقِ الرُّعُوبِ ، وَتَضْيِيقِ الْأَقْوَاتِ ، وَأَسْتِهْلَاكِ الْأَزْوَادِ ؛ لِيُؤْصَلَ إِلَيْنَا
 الضَّرُّ ، وَيُلْحَقَ بِنَا الْجَهْدُ ؛ فَعَلَّ الْعَدُوَّ الْمُبِينِ ، الْمَخَالِفِ فى الدِّينِ ؛ فَهَلْ يَحْتَمِعُ

[في أحد من المَسَاوِي - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع^(١) في هذا النادِّ العائد ، والشاذَّ الشارد ؟ ، وهل يُطَمَع من مثله في حق يقضيه ، أو فرض يؤدِّيه ؛ أو عهد يرعاه ، أو ذمام يحفظه ؛ وهو لله عاص ، وإمامه مخالف ، ولوالديه قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كَلَّا والله ! بل هو الحقيق بأن تُثْنى إليه الأعنة ، وتُشرع نحوه الأسنة ؛ وتُنصب له الأرصاد ، وتُسَخِّد له السيوف الحِداد ؛ ليقطع الله بها دأره ، ويحبب غاربه ؛ ويصرعه مَصْرَع الأئيم المأيم ، المستحق للعذاب الأليم ؛ أو يُقَيَّء إلى الحق ، إفاءة الداخل فيه بعد خروجه ، العائد إليه بعد مُرُوقه ، التائب المنيب ، النازع المستقبل ؛ فيكون حُكْمه شبيهاً بحكم الراجع عن الرِّدَّة ، المحمول على ظاهر الشريعة ؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لِمَأْشَدْنَا ، ووقف بنا على السبيل المُنْجِيَة لنا ؛ والمقاصد المُفْضِيَة إلى رِضا ، البعيدة من سَطا .

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لواءَ التَّهَرُّ ؛ وجعل أولياءه العالين الظاهرين ، وأعداءه السافين الهابطين ؛ وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال له تَقْفُوهُ وتَتَّبِعْهُ ، وأمثال تَتْلُوهُ وتُسْفَعْهُ ؛ واصلاً فيها إلى ما وصل فيه إليه من حِيَازَتِهِ مُهَنَّا ؛ لم يُسْفَك فيه دَمٌ ، ولم يُنْتَهَك محرم ، ولم يُنَلَّ جَهْدٌ ، ولم يَمَسَّ نَصَبٌ .

أنهت إلى أمير المؤمنين ذلك ، ليُضَيَّفَ صنْعَ الله له فيه ، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجَدَّ من شكره جَلٌّ وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ، مقتضياً للْعَوْن والتأييد ؛ إن شاء الله تعالى .

(٢)
[وكتب يوم الجمعة لتسع ليل خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة]

(١) الزيادة عن مختارات رسائل الصابي المطبوعة (ج ١ ، ص ٩١) وهي لازمة لانتظام الكلام .

(٢) الزيادة من مختارات رسائل الصابي .

الأسلوب الثاني

(أن تفتتح المكتبة بلفظ «كتابي للخليفة والحال على كذا وكذا» ويدعى للخليفة

بطول البقاء في أثناء ذلك ، ويعبر الملك المكتوب عنه عن نفسه

بلفظ الأفراد مع التصدير بالعبودية ، ويخاطب الخليفة

بأمر المؤمنين ويحث بالدعاء ونحوه)

كما كتب أبو الفرج البغا عن السلطان أبي تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني
حمدان بحلب وما معها ، جواباً للكتاب الوارد عليه من الطائع أو المطيع بالكنية
والخلع ماضوته :

« كتابي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - وعبد أمير المؤمنين مستديم بشكر الله تعالى
مدد النعم المتظاهرة عليه ، والمنح المتناصرة لديه ، بحمائل رأيه أدام الله علوه
وتقديمه - معترف بما طوقته به السعادة من عوارف تشريفه ، متمسك من الطاعة
بما أحله كنف إحسانه ، متوصل بالطرف إلى الاستزادة من طوله وأمتانه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين .

ووصل كتاب أمير المؤمنين - أدام الله نصره - مشتملاً على فوائد الإرشاد
والتوقيف ، مقترناً بخصائص التكرمة والتشريف ، فاقتديت من أوامره - أعلاها
الله تعالى ! - بأهدى دليل ، وسلكت في شكر ما اعتمدني من إشارته أوضح سبيل ؛
وبرزت لسائر من آخترني - أيده الله - لسياسته من الخاصة والعامة في الحلل
الحالية بسيمات تشريفه وإكرامه ، متدرباً ثوبى هديه وسكينته ، ومختلاً منهما بين كنف
دفاعه ومعونته ؛ ومتقلداً غضبه الذي هز النصر غراره ، وأطلق المضاء سفاره ؛

وعالياً على عُتق الزمان، بامتطاء ما حَبَانِي به من الحملان؛ مسترَقِّ النية بالرغبة إليه،
ومستخدِمِ النطق بالثناء عليه؛ ومقتصفاً أثر أسلافِي في خدمته وخدمة آبائه المؤمنين،
من الخلفاء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين؛ وأقتفاء مذهبهم في الذب عن فئة
الخلافة والمُرَامة دُونَ المِلَّة، والاجتهاد في طاعة الأئمة .

فالحمْد لله الذي جعل صنائع أمير المؤمنين مستقرةً عند مَنْ يربطها بعلائق الشكر،
ويحرُسها بالتوقُّر على ما أفاد الإجماع وجميل الذِّكر؛ وأدام علو أمير المؤمنين! وأيدنا
بعزِّ دولته، وبسَطِ بالتمكين قُدْرته، وحرَس من الغير سلطانه، وقرَن بنفاذ الأمر يده
ولسانه؛ ولا أخلاه من ولى ينشيه ويصنعه، وشكَّور يُعليه ويرفعه؛ وعزَّم يحمِّد أثره
ويرتضيه، ورأي بالتوفيق يُبرمه ويُمضيه . ووفَّقني من القيام بحقوق خدمته،
والتمسك بفرائض طاعته، والمعرفة بمواقع أصطناعه وتفضله، والاعتداد بمنح إنعامه
وتطوُّله؛ لما يستريضي من أياديهِ وآلائهِ، ويحرُس على مكاني من جميل آرائهِ،
إنه جواد كريم .

وقد آذنتُ مَنْ بَعْدَ وَقُرْبَ برفع أمير المؤمنين - أدام الله بسطته - ذِكْرِي عن
تعريف الاسم بنباهة الكُنية، وإصدار ذلك إلى الأسماع من شريف عبارته،
والإذن فيه لسائر مَنْ يذكُرني بحضرته، زاد الله في جلالها . وتقدَّمتُ بإثبات ذلك
على عُنوانات الكتب أمثالاً لأمره، وأخذاً بإذنه، ووقوفاً عند رسمه؛ عارفاً قدر
النعمة والموهبة فيه . وأعتدْتُ بما أعلمنيه أمير المؤمنين من نيابة فلان عبده
وما توخَّاه من محمود السَّفارة، وحُسن الوساطة، ووجدتُ ما يجمعني وإياه من
الإخلاص في ولاء أمير المؤمنين أقرب الأنساب، وأوكَد الأسباب؛ في تأكُّد
الألفة، وتثبيت قواعد الطاعة؛ والله يحرسُ أمير المؤمنين في كافَّة رعيته، وخاصَّة
أوليائه وصنائع دولته؛ من اختلاف الآراء، وتشدُّب الأهواء؛ ويُعينني من النهوض

بمفترسات أياديه ، واجبات ما يُسْئِدِيهِ إِلَى وَيُولِيهِ ؛ [على] ما قَرَّبَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ ،
وَأَزَلَّفَ عِنْدَهُ وَلَدَيْهِ ؛ بِمَنْهِ وَمَسِئَتِهِ ، وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ .



الحالة الثانية — من مكاتبات الملوك إلى خلفاء بنى العباس ما كان عليه الأمر
في آخر دولتهم ببغداد .

والحال فيه مختلف : فتارة يفتتح بالدعاء للديوان العزيز ، وتارة بالدعاء لما يعود
عليه ، وتارة بالصلاة ، وتارة بالسلام . وربما أفتتحت المكتوبة بآية من القرآن
الكريم مناسبة للحال .

قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " : والصدر نحو العبد
أو المملوك أو الخادم يُقْبَلُ الأَرْضَ ، أو العتبات ، أو مواطئِ المواقف أو غير ذلك .
ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدسة أو المشرفة ،
والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ،
وبأمير المؤمنين مجزدة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير مجزدة مع مراعاة المناسبه
والتسديد والمقاربه . ويختتم الكتاب تارة بالدعاء ، وتارة بطالع أو أنهى أو غيرهما مما
فيه معنى الإنهاء .

قال : وأختلِفَ فيما يخاطبُ به المكتوب عنه عن نفسه : فكتب صلاح الدين
أبن أيوب « الخادم » وكتب بنوه والعدل أخوه « المملوك » وكتب الكامل بن العادل
« العبد » وجرى على هذا أبْنُه الصالح . وكتب الناصر بن العزيز « أقل الممالك »
وكتب الناصر داود « أقل العبيد » ؛ وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب « الخادم
المطواع » وتبعه على ذلك أبْنُه جلال الدين ، وكانت أم جلال الدين تكتب
« الأمة الداعية » . هذا على شتم أنوف الخوارزمية وعلو شأنهم .

وعنوان هذه المكاتبات على اختلافها « الديوانُ العزيز، العالى، المولوى،
السيدى، النبوى، الإمامى، الفلافى (بلقب الخلافة) أدامَ الله أيامه، أو خلد
الله أيامه، أو أدامَ الله سلطانه » على مناسبة ما فى صدر الكتاب .
ثم هو على ستة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء للديوان العزيز)

قال فى "التعريف" : والمراد بالديوان ديوانُ الإنشاء، لأن المكاتبات عنه
صادرة وإليه واردة . قال : وسبب مخاطبتهم بالديوان الخضعان عن مخاطبة
الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العز والسلطان وبسط
الظل وما أشبه ذلك . مثل : أدامَ الله أيامَ الديوان العزيز، أو أدامَ الله سلطانَ
الديوان العزيز، أو خلدَ الله أيامَ الديوان العزيز، أو خلدَ الله سلطانَ الديوان العزيز،
وأدامَ الله ظلَ الديوان العزيز، وخلدَ الله ظلَ الديوان العزيز، وبسطَ الله ظلَ الديوان
العزيز، وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف
أبن أيوب» صاحب الديار المصرية ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ،
بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيذى الفرنج وإعادةه إلى ما كان عليه
من الإسلام، وهى :

«أدامَ الله أيامَ الديوان العزيز النبوى الناصرى» ، ولا زال مظفر الحد بكل
جاحد ، [غنى^(١)] التوفيق عن رأى كل رائد، موقوف المساعى على آقتناء مطلقات

(١) بياض فى الاصول والتصحيح من رسائل القاضى الفاضل الفتوغرافية .

الحامد، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد، متعدّد مساعي الفضل وإن كان لا يلقي إلا بشكر واحد، [ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غوي وریش راشد] ^(١) ولا زالت غيوث فضله [إلى الأولياء] ^(١) أنواء إلى المراج وأنواراً إلى المساجد، وبعوث رعبه إلى الأعداء خيالاً إلى المراقب وخيالاً إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة تلوماصدر عنه مما كان يجرى مجرى التبشير بصبح هذه الخدمة ، والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة ؛ فإنها بحر للأقلام فيه سجع طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عبء ثقيل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويسرى للأسرار في إظهارها مسارب ؛ ولله في إعادة شكره رضا ، وللنعمة الراحنة به دوام لا يقال معه هذا مضي . وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها ، وأستبنت عقائد أهلها على بصائرهما ؛ وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط ، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط ؛ وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضا فقد بذلت الأنفس في ثمنه ؛ وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً ، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا ؛ [وجاء أمر الله وأتوف أهل الشرك راغمة] ^(١) فأدبلت السيوف إلى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين ، وأستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين ؛ وأسترد المسلمون تراثاً كان عنهم آقياً ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيقاً على النأي طارقاً ؛ وأستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقى على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما شفى بالماء غلهم .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

ولما قَدِمَ الدينُ عليها عرف منها سُويْدَاءَ قلبه ، وهنَّا كَفَرُهَا المجرُّ الأسودُ بَيَّتَ
عِصْمَتَهَا من الكافرِ بِمَجْرِبِهِ ؛ وكان الخادم لا يَسْعَى سَعْيَهُ إِلَّا لِهَذِهِ العُظْمَى ، ولا يُقَاسِي
تلك البُؤْسَى إِلَّا رجاءَ هذه النُّعمَى ؛ ولا يُنَاجِزُ من أَسْتَمَطَلَهُ في حَرْبِهِ ، ولا يُعَاتِبُ بِأَطْرَافِ
القَنَا من تَمَادَى في عَتَبِهِ ؛ إِلَّا لَتَكُونَ الكلمةُ مجموعَه ، والدعوةُ إلى سامعها مَرْفُوعَه ؛
فَتَكُونَ كلمةُ الله هِيَ العُلْيَا ، وليفوز بجوهر الآخِرَةِ لا بِالْعَرَضِ الأَدْنَى من الدنيا ؛
وكانت الألسنةُ رُبَّمَا سَلَقَتْهُ فَانْضَجَ قُلُوبُهَا بِالْاِحْتِقَارِ ، وكانتِ الْخَوَاطِرُ رُبَّمَا غَلَتْ
عليه مَرَّاجِلُهَا فَأَطْفَأَهَا بِالْاِحْتِمَالِ وَالْأَصْطِبَارِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيراً خَاطِرٌ ، وَمَنْ رَامَ
صَفْقَةً رَابِجَةً تَجَاسَرَ ، وَمَنْ سَمَّا لَأَنْ يُحِلِّيَ عَمْرَةً غَامِرَةً ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْقُعُودَ يُلِينُ تَحْتَ نُيُوبِ
الأعداءِ المَعَالِجِمِ قَتْعُضُهَا ، وَيُضْعِفُ في أَيْدِيهَا مَهْرَ القَوَائِمِ فَتَقْضُهَا ؛ هَذَا إِلَى
كَوْنِ الْقُعُودِ لَا يَقْضِي فَرَضَ الله في الْإِحْهَادِ ، وَلَا يُرْعَى بِهِ حَقُّ الله في الْعِبَادَةِ ؛ وَلَا يُوفَى
بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الذِي تَطَوَّقَهُ الْخَادِمُ مِنْ أُمَّةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وْخَلَفَاءُ الله كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ لَه يُسْأَلُونَ ؛ لِأَجَرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُورَهُمْ وَسَرِيرَهُمْ
خَلْفَهُم الْأَطْهَرُ ، وَتَجَلَّاهُمُ الْأَكْبَرُ ؛ وَبَقِيَّتُهُمُ الشَّرِيفَةُ ، وَطَلَعَتْهُمُ الْمُتَنِيْفَةُ ، وَعُلُوانَ صَحِيفَةِ
فَضْلِهِمْ لَا عَدِمَ سَوَادُ الْعِلْمِ وَبَيَاضُ الصَّحِيفَةِ ؛ فَمَا غَابُوا لِمَا حَضَرَ ، [وَلَا غَضُّوا] ^(١) لِمَا
نَظَرُ ، بَلْ وَصَلَهُمُ الْأَجْرُ لِمَا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا ، وَشَاطَرُوهُ الْعَمَلُ لِمَا كَانَ عَنْهُ مَقْبُولًا
وَمِنْهُ مَقْبُولًا ؛ وَخَلَّصَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْمُضَاجِعِ مَا أَطْمَأَنَّتْ بِهِ جُنُوبُهَا [وَالِى الصَّفَائِحِ
مَاعَبَقَتْ بِهِ جُيُوبُهَا] ^(١) وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا ، وَالنَّهَارُ بِهِ بَصِيرًا ؛ وَالشَّرْقُ
يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ ، بَلْ إِنْ أَبْدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْغَرْبُ بِأَنْ وَارِهِ ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ
لَا تُكْتَنُهُ أَغْشَاقُ السُّدُفِ ، وَذَكَرَ لَأَنْوَارِهِ أَوْرَاقُ الصُّحُفِ .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل القوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا، وطارث فرقه فرقا، وفل سبه فصار عصا، وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصا، فكلت حملاته وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالعيان، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان؛ وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفه، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفه؛ ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون، وجذعت أنوف رماحه وطالما كانت شاحنة بالمنى أو راعفة بالذنون؛ وأضحيت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث، والرّب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث؛ فبيوت الشرك مهذومه، وثيوب الكفر مهتومه؛ وطوائفه المحاميه، بجمعة على تسليم البلاد الحاميه، وشجعائه المتوافيه، مدعنة ببذل المطامع الوافيه؛ لا يرون في ماء الحديد لهم غصره، ولا في فناء الأفنية لهم نضره؛ وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنه، وبذل الله مكان السيئه الحسنه، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنه .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركتهم، وأنجدهم بلاءكته؛ فكسرهم كسرة ما بعدها جبر، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة الله كفر؛ وأسر منهم من أسرت به السلاسل، وقتل منهم من فتكت به المناصل؛ وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار، وعن أنصاف محيل فانه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكار، فسيلوا بنار من السلاح ونالوه أيضا بشار^(١)]؛ فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كالعراجين، وتم أنجم رماح تبادل الطعان حتى صارت كالمطاعين؛ وكم فارسية ركض عليها فارسها السهم إلى أجل فاختلسه، وفقرت تلك القوس فاها فإذا قوها قدنesh القرن

على بُعد المسافة فافتَرَسَه ؛ وكان اليومُ مشهودا ، وكانت الملائكةُ شُهودا ؛ وكان الكُفْرُ مفقودا ، والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوعَ الكُفَّارِ نارَ جهنَّمَ وقودا ؛ وأَسِرَ الملكُ وبَيْدِهِ أوثقُ وثائقِهِ ، وآكَدَ وَصْلَهُ بِالَّذِينَ وَعَلَّاقَتِهِ : وهو صَلِيبُ الصَّلْبِوتِ ، وقائدُ أهلِ الجَبْرُوتِ ؛ وما دُهِمُوا قَطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دَهاثِهِمْ يَبْسُطُ لَهِمْ باعَهُ ، ويَحْرُضُهُمْ وكان مَدُّ اليدينِ في هذه الدَّفْعَةِ ودَّاعَهُ ؛ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ تَهافتَ على نارِهِم فَرَأَاشُهُمْ ، وتَجَمَّعَ في ظِلِّ ظَلَامِهِ خَشَاشُهُمْ ؛ فيقاتلون تحت ذلك الصَّليبِ أَصْلَبَ قتالٍ وأَصْدَقَهُ ، وَيَرُونَهُ مِثاقًا يَنْتُونُ عليه أَشَدَّ عَقْدٍ وأوثَقَهُ ، وَيَعُدُّونَهُ سُورًا تَحْفِرُ جِوَارِفُ الخَلِيلِ خَنْدَقَهُ .

وفي هذا اليومِ أُسِرَتْ سَرَائِهِمْ ، وَذَهَبَتْ دُهاثُهُمْ ؛ ولم يُفْلِتْ معروفٌ إلا القَوْمُصْ وكان لعنه الله مِلْياً يومَ الظَّفَرِ بالقتالِ ، ويومَ الخِلْدانِ بالأَحْتِيالِ ؛ فَجَأَ وَلَكِنْ كَيْفَ ، وطارَ خَوْفاً من أن يلحقَهُ مِئْسرُ الرِّيحِ وجَنَاحُ السَّيْفِ ، ثم أخذَهُ اللهُ بعدَ أَيَّامٍ بِيَدِهِ ، وأَهْلَكَهُ لِمَوْعِدِهِ ؛ فكان لِعِدَّتِهِمْ فَذَالِكَ ؛ وَأَنْتَقَلَ مِنْ مَلِكِ المَوْتِ إِلَى مالِكِ .

وبعدَ الكَسْرِ مَرَّ الخادِمُ على البِلادِ فَطَوَّأَهَا بما نَشَرَ عليها من الرايةِ العَبَّاسِيَّةِ السُّوداءِ صَبْغاً ، البِيضَاءِ صُنْعاً ، الخافِقَةِ هِيَ وَقُلُوبُ أَعْدَائِهَا ؛ الغَالِيَةِ هِيَ [وعِزائِمُ أُولِيائِهَا^(١)] المستَضَاءِ بِأنوارِها إذا فَتَحَ عَيْنَها البِشْرَ ، وَأشارَتْ بِأناملِ العَذَبَاتِ إلى وَجهِ النُّصْرَةِ ؛ فَافتَتَحَ بِلَدَ كَذَا وَكَذَا وَهَذِهِ أَمْصارُ ومُدُنُ ، وَقَدْ تَسَمَّى البِلادُ بِلاداً وَهِيَ مَزَارِعُ وَقُدُنُ ؛ وَكُلُّ هَذِهِ ذِوَاتُ مَعاقِلٍ وَمَعاقِرٍ ، وَبِحارٍ وَجَزائِرٍ ، وَجِوامِعَ وَمَنائِرٍ ، وَجُمُوعَ وَعَسائِرٍ ؛ يَتَجَاوَزُها الخادِمُ بعدَ أن يُحَرِّزَها ، وَيَتَرَكُها ورَآه بعدَ أن يَنْتَهِزَها ؛ وَيَحْصُدُ مِنْها كُفْراً وَيَزْرَعُ إيماناً ، وَيَحِطُّ مِنْ مَنائِرِ جِوامِعِها صُلْباناً وَيَرْفَعُ أَذاناً ؛ وَيُبَدِّلُ المَذائِجَ

مناير والكائنات مساجد، ويؤى بعد أهل الصلبان أهل القرآن للذب عن دين الله
مقاعد، ويقتر عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بجار
ومجور، وأن ظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزياله إلى يوم النفخ في الصور.
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعتها
كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله مانعهم، وأن كنيستها إلى الله شافعهم؛
فلمّا نازلها الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تألفت وتآلفت
على الموت فنزلت بعرضته، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته؛ فزاول البلد
من جانب فإذا أودية عميقة، ولجج وعرة غريقة، وسور قد انعطف عطف السوار،
وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى كان للطامع
عليها معرج، ولخيل فيها متوج؛ فنزل عليها، وأحاط بها وقرب منها؛ وضربت
خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور بأكفاه؛ وقابلها ثم قاتلها،
ونزلها ثم نازلها؛ وبرز إليها ثم بارزها، وحاجرها ثم ناجرها؛ فضمها ضمة ارتقب
بعدها الفتح، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجده عن عتق الصّفح؛
فراسلوه ببذل قطيعة إلى مده، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجده؛ فعرفهم
في لحن القول، وأجابهم بلسان الطول؛ وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات
الحصون عضيها وحبالها، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تقارحها سهامها ولا يفارق
سهامها فصالحها؛ فصالح السور بأكفاه فإذا سهمها في شأيا شرفاتها سواك،
وقدم النصر تسرا من المنجنيق ليخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء؛
فشج مرادع أبراجها، وأسمع صوت عيجها، ورفع مئثار عجاجها، فأخلى السور من
السيارة، والحرب من النظارة؛ فأمكن الثقب، أن يسفر للحرب الثقب، وأن يعيد

الحجر إلى سيرته من التراب؛ فتقدم إلى الصخر فضع سرده، بأنياب مِعُولِهِ، وحلَّ عَقْدَهُ، بضربه الأخرق الدالَّ على لَطَافَةِ أُمِّهِ، وأسمع الصخرة الشريفة حَيْنَهُ واستغاثته إلى أن كادت ترق لمُقْبَلِهِ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض، وأخذ الخراب عليها مَوْتِقًا فلن تَبْرَحَ الأرض؛ وُفِّحَ في السور بابُ سَدٍّ من نِجَاتِهِمْ أبوابًا، وأخذ ثَقْبٌ في حجره قال عنده الكافر: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا؛ فحينئذ يئس الكُفَّار من أصحاب الدُّور، كما يئس الكُفَّار من أصحاب القُبُور، وجاء أمرُ الله وغرَّهم بالله الغرور.

وفي الحال خرج طاغيةٌ كُفِرَهم وزيَّمُ أمرهم ابنُ بارزان سائلًا أن يُؤخَذَ البلدُ بالسَّلمِ لا بالعنوة، وبالأمان لا بالسُّطوة؛ وألقى بيده إلى التَّهْلُكَةِ، وعلاه دُلُّ الْمَلِكَةِ بعد عِزِّ الْمَلِكَةِ، وطرح جَبِينَهُ في التُّراب وكان حينًا لا يتعاطاه طارِحٌ، وبذل مَبْلَغًا من الْقَطِيعَةِ لا يَطْمَحُ إليه طَرْفُ آمِلٍ طامِحٍ؛ وقال: ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوْفَ وقد تعاقد الفَرَنْجُ على أنهم إن هُجِمَتْ عليهم الدار، وحملت الحربُ على ظهورهم الأوزار؛ بُدِئَ بهم فُجِّلُوا، وُثِّىَ بنساء الفَرَنْجِ وأطفالهم فُقِّتُوا، ثم آسَتْ قَتْلُوا بعد ذلك فلم يُقْتَلْ خَصْمٌ إلا بعد أن يَنْتَصِفَ، ولم يُسَلَّ سَيْفٌ من يَدٍ إلا بعد أن تنقطع أو ينقِصَ؛ وأشار الأمراءُ بالأخذ بالميسُور، من البلد المأسور؛ فإنه إن أُخِذَ حربًا فلا بد أن تَقْتَحِمَ الرجالُ الانْجَادَ، وتبذل أنفُسُها في آخر أمرٍ قد نِيلَ من أوله المراد. وكانت الجراحُ في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفَتَكَاتِ، واعتاق الحَرَكَاتِ، فُقِيلَ منهم المَبْدُولُ عن يَدِهِم صاغِرُونَ، وأنصرف أهلُ الحرب عن قُدْرَةِ وهم ظاهرون، وملك الإسلامُ خِطَّةً كان عهدُه بها دِمْنَةُ سَكَّانٍ، نغذمها الكُفْرُ إلى أن صارت روضةً جَنَانٍ؛ لا جرمَ أن الله أخرجهم منها وأهبطهم، وأرضى أهل الحق

وَأَسْخَطَهُمْ، فَإِنَّهُمْ - خَذَلَهُمُ اللَّهُ - حَمَّوْهَا بِالْأَسَلِ وَالصَّفَاحِ [وَبَنَوْهَا بِالْعَمَدِ وَالصَّفَاحِ] ^(١١)
وَأَوْدَعُوا الْكَنَاشَ بِهَا وَبِوَتِ الدَّيُوتِ وَالْإِسْتَبَارِيَةِ مِنْهَا كُلَّ غَرِيبَةٍ مِنَ الرُّحَامِ الَّذِي
يَطْرُدُ مَأْوَهُ، وَلَا يُطْرَدُ لِأَلَاؤِهِ، قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ، وَتَفَنَّنَ فِي تَوْشِيْعِهِ،
إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَالذَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ، فَمَا تَرَى
إِلَّا مَقَاعِدَ [لِلرِّيَاضِ لَهَا مِنْ بَيَاضِ التَّرْخِيمِ رَقْرَاقٌ، وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنْ
الْجَنِينِثِ أَوْرَاقٌ] ^(١٢).

وَأَوْزَعَ الْخَادِمُ بَرْدَ الْأَقْصَى إِلَى عَهْدِهِ الْمَعْهُودِ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الْإِثْمَةِ مِنْ يُوفِّيهِ
وَرَدَّهُ الْمَوْرُودِ، وَأُقِيمَتِ الْخُطْبَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَكَادَتْ السَّمَوَاتُ
يَتَقَطَّرْنَ لِلسُّجُومِ لَا لِلْوُجُومِ، وَالْكَوَاكِبُ يَنْثَرْنَ لِلطَّرَبِ لَا لِلرُّجُومِ، وَرُفِعَتْ إِلَى اللَّهِ
كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَكَانَتْ طَرَائِقُهَا مَسْدُودَةً، وَظَهَرَتْ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمُ النَّجَاسَاتُ
مَكْدُودَةً؛ وَأُقِيمَتِ الْخَمْسُ وَكَانَ التَّثْلِيثُ يُقْعِدُهَا [وَجَهَرَتِ الْأَلْسُنُ بِاللَّهِ أَكْبَرُ وَكَانَ
سِحْرُ الْكُفْرِ يَعْقِدُهَا] ^(١٣) وَجُهِرَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُطْبِهِ الْأَقْرَبِ مِنَ الْمُنْتَبِ، فُوحِبَ بِهِ
تَرْحِيبَ مَنْ بَرَّ بِمَنْ بَرَّ، وَخَفَقَ عِلْمَاهُ فِي حِفَافِيهِ، فَلَوْ طَارَ بِهِ سُورُوا لَطَارَ بِجَنَاحِيهِ .

وَكُتِبَ الْخَادِمُ وَهُوَ مُجْدٍ فِي اسْتِفْتَاحِ بَقِيَّةِ الثَّغُورِ، وَاسْتِشْرَاحِ مَا ضَاقَ بِتَمَادِي
الْحَرْبِ مِنَ الصُّدُورِ، فَإِنَّ قُوَى الْعَسَاكِرِ قَدْ اسْتَنْفَذَتْ مَوَارِدَهَا، وَأَيَّامَ الشِّتَاءِ
قَدْ مَرَدَّتْ مَوَارِدُهَا، وَالْبِلَادُ الْمَأْخُودَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا قَدْ جَاسَتِ الْعَسَاكِرُ خِلَالَهَا،
وَنَهَبَتْ ذَخَائِرَهَا وَأَكَلَتْ غِلَآلَهَا . فَهِيَ بِلَادٌ تُرْفَدُ وَلَا تُسْتَرْقَدُ، وَتُجْمُّ وَلَا تُسْتَفْقَدُ،
وَيُنْفَقُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْفَقُ مِنْهَا، وَتُجَهَّزُ الْأَسَاطِيلُ لِبُحْرَاهَا، وَتَقَامُ الْمَرَايِطُ لِبَرْهَا، وَيُدَّابُّ
فِي عِمَارَةِ أَسْوَارِهَا وَمَرَمَّاتِ مَعَاظِلِهَا؛ وَكُلُّ مَشَقَّةٍ فِيهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نِعْمَةِ الْفَتْحِ

مَحْتَمَلَةٌ ، وَأَطَاعُ الْفَرَنْجِ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ مَذَاهِبُهَا غَيْرُ مُرْجِيَّةٍ وَلَا مُعْتَرَلَةٍ ، فَلَنْ يَدْعُوا دَعْوَةَ
يَرْجُو الْخَادِمُ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا تَسْمَعُ ، وَلَنْ تَزُولَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَطْوَاقِ الْبِلَادِ حَتَّى تُقْطَعَ .
وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى
المشاهدة تتلخص . فلذلك تفننا لسانا شارحا ، ومبشرا صادحا ، ينشر الخبر على
سياقته ، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بالدعاء لغير الديوان بما فيه تعظيم الخليفة)

كما كتب القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
إلى ديوان الخلافة ببغداد .

أَسْعَدَ اللَّهُ عِظَاءَ الْأُمَلَاكِ بِالْإِتِّسَابِ إِلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَوْزَعَهُمْ
مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهَا . وَخَلَّدَ مُلْكَ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ مَا دَامَتِ الْأَفْلاكُ قَائِمَةً ،
وَالنُّجُومُ نَاجِحَةً ، وَتَقَعَ بَعْمَانُهَا غُلَّ الْأَمَالِ الْحَائِمَةِ ، وَفَسَّرَ بِمَكَارِمِهَا حُلْمَ الْأَمَانِيِّ
الْحَائِلَةِ ، وَرَتَّقَ بِتَدْيِيرَاتِهَا الْمَعْصُومَةَ فَتَوَقَّ النَّوْبَ الْمُتَعَاظِمَةَ ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَيْدِي
أَوْلِيَائِهَا مَعْجَزَاتٍ نَصَرَهَا ، وَصَرَفَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ بَيْنَ الْمَرْضِيِّينَ لِلَّهِ نَهْيَهَا وَأَمْرَهَا ،
وَأَوْدَعَ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمُودَعِهَا وَمُسْتَقَرِّهَا .

الملك - وإن كان قد يسر الله له منذ أُطْلِقَتْ عَذْبَةُ لِسَانِهِ خِدْمَةُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
فَتَفْسَحَ فِي وَسْيعِ مَآثِرِهَا ، وَتُخَيَّرَ مِنْ بَدِيعِ جَوَاهِرِهَا ، وَامْتِنَحَ مِنْ نَمِيرِ زَوَاجِرِهَا .
فإنه لا يعتذر عن الحصر الذي اعتراه في وصف المنعم عليه به من الخطاطب الشريف ،

الذى لولا أن عَصْمَةَ المِوَالَةِ تُثَبِّتُ فُؤَادَهُ الخَافِقُ ، وَتَسَدُّ لِسَانَهُ النَّاظِقُ ، لَمَا تَعَاظَى
وَصَفَّ مَا أَعْطَاهُ مِنْ كِتَابِهِ المَرْقُومِ ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ مِنْ سَحَابِهِ المَرْكُومِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَشْفُ
عَنْهُ الأَمَلُ نَاكِصًا وَهُوَ كَسِيرٌ ، وَيَتَقَلَّبُ دُونَهُ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ، إِلَّا أَنْ الْإِنْعَامَ
الشَّرِيفَ يَبْدَأُ الأَوَّلِيَاءَ بِمَالِهِمْ وَكُلَّهُمْ إِلَى أَمَانَتِهِمْ لَتَيَبِّتَ أَنْ تَتَعَاظَى حَظِيَّتَهُ ، وَلَوْ فَوْضَهُ
إِلَى رَاحَتِهِمْ لَنَكَلَتْ عَنْ أَنْ تَتَرَقَّى نَصِيبَتَهُ ، وَلَا غَرْوًا لِسَحَابِ أَنْ يُصَاحِفَ قَطْرُهُ الثَّرَى ،
وَالْفَجْرُ أَنْ يُشْرِقَ نَوْرُهُ عَلَى عَيْنِ الكَرَى وَالسَّرَى .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَّبَ عَلَى المَمْلُوكِ مَنَالَ الآمَالِ ، وَثَبَّتَ حَصَاةَ فُؤَادِهِ لِمَا لَا تَسْتَقِلُّ
بِحِمْلِهِ صُمُ الجِبَالِ . وَيَسْتَنْبِئُ عَنْ جَهْرِ الشُّكْرِ بَسْرَ الأَدْعِيَةِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا يُفِضِي بِهِ
إِلَى المَحَارِبِ وَإِنْ لَمْ يَقْصُرْ عَمَّا يَقْصُهُ فِي الأَنْدِيَةِ ، وَيُطَالِعُ بِأَنْ مَمْلُوكِ الخِدْمَةِ
وَأَبْنِ مَمْلُوكِهَا أَخَذَ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَشَرَّ لَخْدِمَةِ أَشْرَفِ خَلَافَةِ لِأَشْرَفِ نُبُوَّةٍ ، وَلِتَلْقَاهُ تَلَقًى
أَبْيَهُ الأَوَّلِ الكَلِمَاتِ ، وَرَأَى إِطْلَاعَ اللَّهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ طَاعَتِهِ
إِحْدَى المَعِيزَاتِ وَالكِرَامَاتِ ، وَسَمِعَ المِشَافَهَةَ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِمَا بِفَهْمِهِ
سَامِيًا طَرَفُهُ مُتَطَلِّعًا .

وَلَقَدْ أَشْبَهَ هَذَا الكِتَابُ الكَرِيمُ بَيْعَةً أُخِذَتْ عَلَيْهِ ، مَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ أَخْذًا يَكْتَلِي بِإِدْيَتِهِ .
وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو بَلَّ يَتَحَقَّقُ أَنَّ هَذَا الْعَبْدَ المِشَارَ إِلَيْهِ سَيُوفِي عَلَى سَابِقِهِ مِنْ عِبَادَةِ الدَّوْلَةِ
الْعَبَّاسِيَّةِ فِي الزَّمَانِ ، وَيَكُونُ بِمِشِيئَةِ اللَّهِ أَسْبَقَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ .

وَقَدْ صَدَرَتْ خِدْمَتَانِ مِنْ جِهَتِهِ وَبَعْدَهُمَا تَصَدَّرَ الخِدْمَ ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي الخِدْمَتَيْنِ
مِبَاشَرًا بِيَدِهِ السَّيْفِ وَمُسْتَنِيَا عَنْهَا العِلْمِ ، وَلَهُ نُصْرَةٌ بَاقِيَةٌ فِي الْوَلَاءِ وَهُوَ غَنَى بِهَا
عَنِ النُّصَيْرِ ، وَسِرِّيَّةٌ بَادِيَةٌ فِي الطَّاعَةِ هِيَ إِلَيْهَا أَسْكَنُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ مُشِيرٍ . يَعُودُ
الْمَمْلُوكُ إِلَى مَا لَا يَزَالُ يَفْتَحُ بِهِ الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةَ ، وَيَخْتِمُ بِهَ الْخَتَمَاتِ المَعْرُوضَةَ :

من الدعاء الصالح الذى [وان] أغنى الله وليه عنه فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه :
 لأنه مُزَكَّ لأعمالهم ، بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يُدعى
 كل أناس بإمامهم ؛ فيقول : - جمع الله لأُمير المؤمنين طاعة خلقه ! ، وأذلَّ رقبَ
 الباطل سيفُ حقه ! ، وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أمير المؤمنين
 فى الأولى ! من الأرض التى هى موطوءة كالسموات العلى ، وأدام نعمه على
 هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاهره من كرامته ؛ وعجل
 لمن لا يقوم بفرض ولايته إقامة قيامته ، وردَّ بسُيوفه التى لا تُردُّ ما الإسلام مطوّل
 به من ظلامته ، وأقام به مناهج الدين لأهله ، وأظهره بمظاهرتة على الدين كله ،
 حتى يلقى الله وما خَلَفَ فى الدنيا كافراً ، ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً ، ولا بلدًا
 إلا وقد بات الإسلام به أهلاً وقد أصبح منه الكفر دأثرًا ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يبدأ بآية من كتاب الله تعالى تناسب الحال)

كما كتب القاضى الفاضل ، عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
 إلى الخليفة المستضىء ببغداد بشرى بفتح بلد من بلاد التوبة والنصرة عليها :
 « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » :
 « سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ » : « فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ » . وصلاة يتبعها
 تسليم ، وكأس يمزجها تسليم . وذكر من الله سبحانه فى الملأ الأعلى ورحمة الله وبركاته
 معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستضىء بالله » المستضاء بأنواره ،
 المستضاف بداره ، الداعى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، الراعى للخلق كما يرعى

النسيم النسيم ، العام فضله ، التام عدله ، المطروق موريد فثائه ، المصدوق في مورد ثنائه ، المحقوق من كل ولي بولائه ، ابن السادة العز ، والقادة الزهر ، والذادة الحنس ، والشادة للحق على الأس ، سقاء الكوثر وزمزم والسحاب ، وولاة الموسم والموقف والكتاب ، والموصول الانساب [يوم] إذا تُفخ في الصور فلا أنساب ، والصايرون على حساب أنفسهم فهم الذين يؤتون أجرهم بغير حساب .

مملوك العتبات الشريفة وعندها ، ومن أشتمل على خاطره ولأؤها ووؤها ، وكانت المشاهدة لأنواره العلية التي يودها ، ومن يقرن بقرض الله سبحانه فرضها ، ويسابق بطاعته إلى جنه وصفها الله تعالى بقوله ﴿ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا ﴾ : يلم وجه ثراها ، ويرى على بعد دارها الأنوار التي ترى بها ، ويقف لديها وقوف الخاضع ، ويضع أقال الآنام عن ظهره منها بأشرف المواضع للواضع ، ويخبت إليها إخبات الطامخ الطامع ، ويرجو فضلها رجاء الطامخ الطامع . ولولا أن الكتاب حجاب بينه وبين المهابة التي تحول بين المرء وقلبه ، والجلالة التي هو في تعظيمها على نور من ربه ، لكان خاطره في قبضة الملع أسيرا ، ولا تقلب إليه البصر خاسئا حسيرا ، ولكن قلته قد تشاجع ، أن كان لسانه عن الإبانة قد راجع . فيقول :

إن الله قد رفع ملة الإسلام على الملل ، وكفل نصرها وكفى ما كفل ، وحمى ملكها وحمل ، وجعل لها الأرض في أيدي المخالفين ودائع ، ومكن يده من أعناقهم فهي إما تعقد الأغلال أو تصوغ الصنائع ، والحق بها قائم العمود ، والسيف الكفاية لازم العمود ، والبشائر تسمى الصباح وتخلق الدجى ، والخليل على طول ما تشتمل الوحا تنتعل الوجى ، والأيام زاهره ، والآيات باهره ، وعزة أولياها قاهره ، وذلة أعدائها ظاهره ، وعنايات الله لديها متواليه متظاهره . إذا تغرب أسمها يوما عن

مُنِيرٌ أَعِيدَ إِلَى وَطَنِهِ غَدًا ، وَإِذَا أُوقِدَتْ نَارُ فِتْنَةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أُوقِدَتْ فِي طَاعَتِهَا نَارُ هُدًى .

وقد كان النبلُ قَدَمَا قَرَّتْ عَنِ الْفُرَاتِ أَبْنَاؤُهُ ، وَتَحَصَّنَتْ غُلُلُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ فَلَمْ يَتَغَلَّغَلْ إِلَيْهَا مَأْوُهُ ، وَكَادَتْ السَّمَاءُ لِأُتْعِينَهُ بِمَطَرِهَا ، وَالْأَرْضُ لِأُتُوشِيَهُ بِزَهْرِهَا ، وَالْأَعْنَاقُ قَدْ تَقَاصَرْدُونُ الرَّاجِينَ بَدْوِ مَعْصِيَتِهَا ^(١) ، وَالْقُلُوبُ قَدْ لَادَتْ بِأَسْتَارِ الْجِدَارِ مَعْصِيَتِهَا ^(١) ، وَالْأَوْتَانُ مَنصُوبُهُ ، وَالْآيَاتُ مَغْصُوبُهُ ، وَالتَّيْجَانُ بَغِيرُ أَكْفَانِهَا مِنَ الْهَامَاتِ مَعْصُوبُهُ ، وَالَّذِينَ أَدْيَانَا ، وَالْمَذْكُورُونَ بِالْآيَاتِ يَخْرُونَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيَانَا ، وَالْعَادِلُونَ بِاللَّهِ قَدْ وَطَّنُوا أَلْسِنَةً وَصَرَّحُوا عَقَائِدَ ، وَالْمُعْتَدُونَ قَدْ أَصْلَحُوا فِعَالًا وَضَلُّوا مَقَاصِدَ ، وَكَرَاسِيُّ خِلَافَةِ اللَّهِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهَا أَجْسَادُ كَانَتْ تَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ ، وَمَنَائِرُ كَلِمَاتِ اللَّهِ قَدْ كَادَ كَيْدُهُمْ يَأْتِي بُنْيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَبَحَرَتْ عَلَى بُنْيَانِهَا أَسَدُ نُبُوهِ ، وَقَصُرَتْ الْأَيْدِي فَلَاحِدٌ سَوَاطِيفُهَا وَوَلَا حُدَّ سَطْوُهُ ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُ ^(١) (فَهِيَ كَالْجَحَاةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) وَغَرَّتِ الْأَيَّامُ وَمَا وَعَدَتْ ، وَأُورِدَتْ الْهَيْمُ وَمَا أَصْدَرَتْ ، وَطَفِي طُوفَانُ الطُّغْيَانِ وَوَلَا عَاصِمُ ، وَسَمَا بَنَاءُ الْبُهْتَانِ وَوَلَا هَادِمُ ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ ، وَرَحَلَتْ بَغْلِيلُهَا إِلَى الْقُبُورِ ، وَظَنَّ أَنَّ طَيِّ دَوْلَتِهِمْ مَعْدُوقٌ بِالشُّوْرِ ، حَتَّى إِذَا جَلَّاهَا اللَّهُ لَوْقَتِهَا ، وَأُنْجَزَ جَمُوعَ الضَّلَالِ إِلَى مِيعَادِ شَتَائِهَا ، وَأَرَاهِمُ آيَةَ مَعْدَلَتِهِ ^(١) (وَمَا نَزِيهِمْ مِنْ آيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) (وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ) : (وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كَانَتْ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ يُمْنُهَا عَلَى الْمَمْلُوكِ أَنْ أُنْتَجَبَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ أَرْضِهِ ، وَأُنْتَجَبَ لِإِقَامَةِ مَا أَمَاتَ الْبَاطِلُ مِنْ قَرَضِهِ ، وَيَسَّرَ لِمَا يَسَّرُهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَبَشَّرَهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِهَذَا الرِّسْمِ وَلَمْ نَعْرِ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي الرِّسَالَةِ .

بما بَشَّرَهُ من لواء النصر ومدَّ من ظِلِّهِ ، وألهمه الهِمَّةَ التي اقْتَرَعَ منها بكرا ، ومنحه
النُّصرةَ فما يستطيع العدوُّ صرفا ولا نصرا . مَكَّنَهُ من صِيَاصِيهِمْ فَخَّلَهَا ، ومن دِمَائِهِمْ
فَطَلَّهَا ، ومن سِيُوفِهِمْ فَقَلَّهَا ، ومن أَقْدَامِهِمْ فَاسْتَرْهَلَهَا ، ومن مَنَارِ دُعَاتِهِمْ فَعَجَّلَ تَدَاعِيَهَا ،
ومن أَنْفُسِ أَعْدَائِهِمْ فَأَكْثَرَ تَتَاعِيَهَا ، وَأَبْرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ،
وَيَسَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمُ الْعَفْوُ إِلَى مَنَافِعِهِمْ ، وَتَرَخَّزَاتِ الْمُلْكِ مِنْ تِيَجَانِهَا ، وَفَضَحَ
عَلَى يَدِهِ وَبِلْسَانِهِ مَا زَوَّرَتْهُ مِنْ أَنْسَابِهَا ، وَحَاسَبَهَا فَأَظْهَرَ زَيْفَ حِسَابِهَا ، وَنَقَلَهَا مِنْ
ظُهُورِ أَسْرَتِهَا إِلَى بُطُونِ تُرَابِهَا ، وَعَمَدَ إِلَى أَهْلِ دَعْوَتِهَا الَّذِينَ بَسَقُوا بِسُوقِ النِّخْلِ
فَأَعْلَاهُمْ عَلَى جُدُوعِهَا ، وَحَمَلَتْ قُلُوبُهُمْ فُوفَ الْحَقْدِ فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَكْجَامِ طُلُوعِهَا ، فَهَلْ
تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيهِ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ مِنْ لَاحِيهِ ، أَوْ تَجِدُ إِلَيْهِمْ مِنْ صَاحِيهِ ، فَأَصْبَحُوا
لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ أَوْ مَسَاكِينَهُمْ ، وَحُصِّدُوا حَصْدَ الْحَشِيشِ ثُمَّ لَا تُخَافُ سَيُوفَهُمْ
وَلَا سَكَاتِ كَيْفَهُمْ ، وَاسْتَرْزَلُوا مِنْ عِقَابِ اللُّوحِ ، وَنُجِنُوا فِي الْهَمِّ مِنْ طَوْلِ مُدَاوِمَةِ عِقَابِ
الرُّوحِ ، ثُمَّ تَدَارَكُوا إِلَى الدَّرَكِ ، وَاسْتَرْكُوا فِي الشَّرَكِ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ عِرَاصُ ، وَزَهَدَتْ
فِيهِمْ خَوَاصُ ، وَعُلِمَ أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ ، وَأَنَّ لَيْسَ يُقُوَّتُهُ طَالِبٌ ، وَأَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ
وَحْدَهُ ، وَأَنَّ الْوَيْلَ لِمَنْ تَجَاوَزَ أَمْرَهُ وَحْدَهُ .

وكان المملوكُ من عَطَلٍ من أوثانهم ، وأَبْطَلَ من أديانهم ، فَأَثَرًا بِخُسْنَةِ نِظَرٍ إِلَى
حَسَنَاتِ خَلِيلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْدِهِ الْأَصْنَامِ وَتَكْسِيرِهَا ، وَتَضْلِيلِهِ عَابِدِيهَا
وَتَكْفِيرِهَا . وَعَمَدَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْمُحَاضِرِ بِجَمْعِهَا ، وَإِلَى الْمُنَابرِ فَرَفَعَهَا ، وَالْجُمُعَةِ فَأَطَاعَ
مِنْ شَرْعِهَا ، وَأَسْمَاءَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَصَّلَهَا بِاسْمِهِ وَمَا قَطَعَهَا ،
وَعُمُومَتِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَتْلَاهَا لَهُ وَاتَّبَعَهَا ، وَأَشَادَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَتَكُونَ
الصَّلَاةُ جَامِعَهُ ، وَالذِّكْرُ شَامِلَهُ وَالْإِمَامَةُ لِلْجَمَاعَةِ شَارِعَهُ ، وَالْهَدَايَةُ لِلضَّلَالَةِ صَارِعَهُ ،
فَعَادَتْ لِلَّهِ أَعْيَادُ ، وَأَخْضَرَتْ لِلنَّبَرِ أَعْوَادُ ، وَأُنْجِزَ لِلْأُمَّةِ مِيعَادُ .

وبعد ذلك تماشدت أولياء الذاهبين وتنادت، وتساعت نحو مستقر المملوك وتعادت
 ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
 فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ وكانوا حمية حامية
 من بنى حاتم كالجراد أرجلا، إلا أن الله أصلاها بنيرانه، وكلماء مدا إلا أن الله
 أغرقها بطوفانه، وكانمل لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليانه، مع من أنضم
 إليهم من ألاف وأطراف، وأوشاب وأوباش: من جندى كسبه سيفه ذلة، وطرده
 عن مواقف الكرام وبحال الخزي أحله، ومن أرمنى كانوا يفرعون إلى نصرة
 نصرانيته، ويعتمدون منه على ابن معموديته، ومن عاتى أجابهم لفرط عماء وتفريط
 عاميته، فملا العيون سوادهم الأعظم، ووراءهم بأس الله الذى لا يرد عن أجرم،
 فامطرهم السيوف مطرا كانوا غناء لسيوله الجوارف، وعصفت بهم الأعنة عصفا
 كانوا هباء لوجه العواصف، ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ وعوتبت الأنفس
 والأروس ﴿فَقَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. وظلت قحاف بنى حاتم تحت غربان الفلا غربانا،
 وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا، وصفت موارد السلطان
 من القذى، وطفئ ذلك الفحم فلا يجد النفاق بعده ما تتعلق به الحدى، وبلغت
 الغايات فى كشف كل أذى، لا بضرب بموعده يقال فيه إذا .

وكتب المملوك، واسم أمير المؤمنين قد كتب سطره على جبين التقدين، وسمع
 لفظه من قم المنبرين بالبلدين، ومد كل منبريدا بل يدين، فحين سمع الناس قالوا
 حقا ما قاله ذو اليدنين، وصارت تلك الأسماء دبر الآذان ووراء الظهور، وحصلت
 المحبة العباسية سرا من أسرار القلوب إذا حصل ما فى الصدور، والخلائق مباحة
 متابعة وافية بعهد متوافية، داخلون فى الحق أفواجا، سالكون منه شرعة
 ومنهاجا .

والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين إماما خلّقه ، ووارثا لأرضه ولم يذرف فوق الأرض
منازعا لحقه ، ولا مناهبا لأرضه ، وأرتجع له الحق الذي كان نادا ، وردّ عليه الأمر
الذي لم يكن له غير الله رادا ، وبلغ كلّ مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان به ما كان له
وأذا ، وأخذ بيد انتقامه من كان عن سبيله صادّا ، والإسلام قد استنار كنشأته ،
والزمان قد استدار كهيمته ، والحق قد قرّ في نصابه ، والأمر قد قرّ عن صوابه .
فقد وفى الله القرار له بضمانه ، وأخذ بيده ما روى عن ابن عمه صلى الله عليه وسلم
وأصفى من لسانه .

فالحمد لله الذي صدّقه وعده ، وأورثه الأرض وحده ، وجدّد علاه وأعلى جدّه ،
وأسعد نجه وأنجم سعده ، ووعده نجه وأنجح وعده ، وأورده وصفه وأصفى ورده .
المملوك ينتظر الأمثلة ليتمّثلها ، والأمانة ليتحمّلها ، والتقليدات المطاعة ليتلوّها ،
والتشريفات الشريفة ليجلّوها ، والسواد ليجلّي الحلك عن ضمائر المبطلين ، والسيف
الحالي لحكمه في رقاب المعطلين ، وللآراء الشريفة فضل برهانها ، وفضل سلطانها ،
وأمرها الذي لا يخرج حين يخرج عن عزّ الملة وتوطيد بنيانها ، وعزمها الذي يرفع
حين يرفع ظلمة أذخانها . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الرابع

(أن يتبدأ الكتاب بالصلاة)

كما كتب القاضي الفاضل ، عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب"
إلى الخليفة ببغداد ، في البشري بفتح بلد من بلاد الثوبة أيضا ، وانهزام ملكها
بعساكره .

صلوات الله التي أعدها لأوليائه وذخرها ، وتحياته التي قدف بسببها شياطين أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب ، وأنقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فأنجاب عن أنجابه ، وزكاته التي هي لأؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعتري الموقنين في ترديده حصر ولا لكن - على مولانا عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دُور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاقل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم باطل ، وأمضت غرب كل عزم للحق مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشفعت يقظات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافل ؛ وعلى آباءه الغاية والمفرع ، والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ، والحاكمين بعزل الله إذ عديم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام المورثة من الوحي إذا عجز الاقتباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ؛ نحران الحكم ، وحفاظها ، ومعاني النعم ، وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة ، وكالبي السروح المنتشرة من كلا سيد الإمامه ؛ ومن لا ينفذ سهم عمل إلا إذا شُحِدَ بموالاهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح الساري بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع المحمد ومعاقله ؛ ومجالس الجود ، ومحال السجود ؛ ومختلف أنباء الرحمة المنزل ، ومرسى أطواد البسيطة المترزله ؛ ومفتر مباسم الإمامه ، ومجز مساحب الكرامه ؛ ومكان جُحُوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ؛ ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكلت لكم دينكم - ويتعقد على الولاية فأما غيره فله قوله : قاتلوا الذين يلونكم ؛ ويتاجها

بلسان جلى الإخلاص الصادق عقيدته، وأنشط الولاء السابق عقيلته، وأرهف الإيمان الناصع مضاربه، وفصح المعتد الناصح مذاهبه، فأعرب عن خاطر لم يحظر فيه لغير الولاء خطره، وقلب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء المصافاة فيه فطره - ويخبر أنه ما وهن عما أوجبته آلاؤه ولا وهى، ولا أنتهى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى، ووضحت الآيات لأولى النهى . والله سبحانه يزيل عنه في شرف المثل عوائق القدر وموانعه، ويكشف له عن قناع الأنوار التي ليست همته بما دون نظرها قانعه - وكان توجه منصوراً بجيش دعائه، قبل جيش لوائه، وبعسكر إقباله، قبل عسكر قتاله، وبنصال سلطانه، قبل نصال أجفانه، لاجرم أن كُتِبَ الرعب سارث أمام الكُتَّاب، وقواضب الحذر غمضت في جفونها عيون القواضب - وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمه، وتداعوا بلسان النعمة، وتصرفوا بيد الخدمة، وصالوا بسيف العزمه، متواخية نياتهم في الإقدام، متألقة طوياتهم في طاعة الإمام، كالبنيان المرصوص انتظاماً، وكالغاب المشجر أعلاماً، وكالنهار المانع حديداً وهاجاً، وكالليل الشامل عجاجاً عجاجاً، كالنهر المتدافع أضحاباً، وكالمشط المطرد أصطحاباً، والأرض ترجل برجلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها، والسماء تنزل نزولهم لما تضعه الدوايل من نجومها، فما أنتشرت رياضها المزهره، وغياضها المشجره، إلا دلت على أن السحاب الذى سقاهم كريم، والإنعام الذى غمرهم عظيم، والدنيا التي وسعته من عزمتهم تظعن وتقيم .

ولما علم العدو أن الخطب المظنون قد صرح خطابه، والأمل المخدوع قد صفر وطأه، راسل ورأى سل الشيوف يغمده، وما كرم ما كرم لعلمه أن الخنف يغمده، وأندفع هارباً هائباً، وخضع كائناً كاذباً، فمضى المملوك قدماً، وحمله ظلمه وقد خاب من حمل ظلمها، وأجابه بأنه إن وطئ اليساط برجله وإلا وطئه برأسه، وإن قدم

على المملوك بأمله وإلا أقدمه بياضه، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحدَّ
بسُكْرَةِ الموت من كأسه ؛ فلم يَخْرُجْ من مُراوغة تحتها مُغاورة ، ومُكاسرة وراءها
مُكاشرة ؛ فاستخار الله في طلبه ، وأتتهز فيه فُرصة شغل قلبه برييه ، ولم يَغْرُه ما أملى له
في البلاد من تَقْلِبِهِ ؛ وسار ولم يزل مقتحما ، وتقدم أوّل العسكر محتدما ؛ وإذا الدار
قد ترحل أهلها منها فبانوا ، وظعنوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا ؛ ولم يبق إلا مَوَاقِدُ
نيران رحلت قلوبهم بضرامها ، وأثافي دُهم أعجلت المهابة مارد سغبهم عن طعامها ؛
وغير بان بين كأنها في الديار ما قُطِع من رءوس بني حامها ، وعوافي طير كانت تنتظر
من أشلائهم فطر صيامها ؛ وعادت الرسل المنقذة لأقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم ؛
ذاكرة أنهم ليسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت ، وغسلوا بماء الصبح أطاع
نفيس كانت قد تطلعت ؛ وأنهم طلعوا الأوعار أوعالا والعقاب عقبانا ، وكانوا لمهابط
الأودية سيولا ولأعالي الشجر قُضباناً - فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله ،
والعزم منهم قد نال أمله ، والفنك بهم قد أعمل مُنْصَلَهُ ؛ وأن سنيوف عساكر أمير
المؤمنين مزهجة أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال ، وأن تلقى إلا وجوه أنظارها
من الرجال ؛ وأن المذكورين تمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده ، ورمل أطاره
العاصف الذي يسحفه ^(١) ويقوده - وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عاريه ،
والكمة بانخفاضهم غالية عالية ؛ ويد الله على أعدائه عادية ، وأنفس المخاذيل في وثاق
مهابة العالية عانيه - فرأى المملوك أن يرتب بعده الأمير فلانا ليبدل الأمانات ، لسوقه
أهل البلاد ومزارعيها ، ويفصل المحاكات ، بين متابعي السلطنة ومطاويعها ، ويفسح
بجبال الإحسان لمعاوذي المواطنين ومراجعيها ؛ فيعمر من البلاد ما قد شغره ، ويشعر
بالأمانة من لا شعر ؛ فإن مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها ،

(١) هو بالفاء من قولهم صحفت الريح السحاب اذا ذهب به والفاف في الأصول تصحيف .

وتردّ جرية البحر عن موقعها ، مما يضرّ بالفلال ويُسِفها ، ويُحِف بالرعايا ويُسِفها .

فالحمد لله الذى جعل النصرَ لائذاً بأعطاف أعتارمه ، وأنامل الرغب السائر إلى الأعداء محرّكة عذبات أعلامه ؛ والعساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تُغنى بأسمائها عن مُرهقاتها ، والكائب المقاتلة بشعارِ علائه ، تقرأ كُتب النصر من مُحامتها .

الأسلوب الخامس

(أن يتبدأ الكتاب بالسلام)

كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان "صلاح الدين" أيضاً ، يعتذرله عن تأخر الكتب ، ويذكر له خبر صاحب قُسطنطينية وصاحب صقليّة من ملوك النصرانية من الروم والفرنج :

سلامُ الله الأطيب ، وبركاته التى يستدرّها الحُضر والغيب ، وزكواته التى ترفع أولياءه إلى الدّرج ، ونعمه التى لم تجعل على أهل طاعته فى الدين من حرج - على مولانا سيّد الخلق ، وسادّ الخرق ، ومسدّد أهل الحق ، ولايسّ الشّعار الأطهر سَوادا ، ومستحق الطاعة التى أسعد الله من خصّه بها بدءاً ومعاداً ، ومولى الأُمّة الذى تشابه يوم نذاه وبأسه إن ركّض جوداً أو جواداً ، وواحد الدهر الذى لا يُتقّى ، وإليه القلوب تُثنى ، ولا يقبل الله جمعاً لا يكون لولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا آستقبال قبلةٍ ممن لا تكون محبته فى قلبه تُقيم وأسمه فى عمله إلى الله يسير ، مولانا أمير المؤمنين ، وعلى آبائه المالىّ الأرض عدلاً ، الملاء أهلاً وفَضلاً ، والضاربين فِصلاً والقائلين فَصلاً ، ومن تقول الجنة لأهلها بهم أهلاً ، المخصوصين بالعناية الإلهية ،

الحاكمين فكلُّ أمةٍ بطاعتهم مأمورةٌ وعن معصيتهم منيةٌ ، والمشرِّ في الأسارى على
أسرة الشرف فكم ملأتِ البهو مناظرهم البهية .

المملوك — يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ؛ والبساط المقبل
بطول استلامه ، والستر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ؛ وينهى أنه آخر
الخدم عن أن ينتظم الأوقات المتجددة ، ويقتضب الحالات المتجرِّدة ؛ والرُّسل عن
أن تتوارد دراكا ، وتتوالى وشاكا ؛ والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة
النبوية ، ومجالس العرض عليه ؛ ما انتهت إليه الأقدار ، وما أفضى إليه من كثير
المناجح وقليل الأعذار ؛ فإن أدب الأمل عن المطالعة كالصوم لا يفض ختامه ،
ولا يحل نظامه ؛ إلا بعيد يطلع هلاله مبشرا ، ويثبت خبره في الآفاق معطرا ؛ فلو أن
متكلِّفا أفر قبل مواعده ، وورد الماء قبل مواعده ؛ لكان مفسدا لعقده ، ناكثا لعهد .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار يجانبه مشتميه ، والحقائق لديه غير
متوجهه ؛ فإن طاغيتي الكفر بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب نارا ، ورفعا
لها أوزارا ؛ واتخذتا لها أسطولا جاريا وعسكرا جارا ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا ؛
وكتبا إلى الفرنج بعد أن هزمهم بالنجدة والنصرة ، وتضمننا لهم الخروج والكراهة ، ويصفان
ما استعدا به بما لا يعبر عنه إلا بالكثرة ؛ واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ،
وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رآته الأعين ؛ وورد إلى المملوك رسول
من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قدما ، وأكثرهم مالا متما ؛
فعرض عليه مواعدة يكون بها عسكره مودعا ، ويكون له بها مفرعا ، له ولصاحب
صقلية الذي زعم أنه أصل الشر يكون الشر منه مفرعا ؛ فلم ين ولم يجب إلى السلم ،
ولم يرعه أن عسكره خذله الله مبار في البر وفي اليم ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب السادس

(أن تُفتتح المكاتبة بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وذلك يختص بالفتوح وغيره مما حدث فيه نعمة ، وربما بدئت بآية من كتاب الله ، كما كتب العباد الأصفهائي عن السلطان " صلاح الدين يوسف بن أيوب " إلى الناصر لدين الله ببغداد بفتح القدس :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .
الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما أشتمل على شهبها كرام الصّحائف ، ولم يُجادل عن مثلها في المواقف ؛ في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأوضاحا ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ؛ ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حمى الحقائق ، وأنجزها الحق وقدف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادي المغارب ومرامي المشارق ؛ ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتح ، وأطراف أستها لدماء الأعداء نوازع .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأظفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدّد جده ؛ وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهون الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطب الدين بقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصّحابة ، والأخرى هذه التي عتق فيها من رقّ الكآبه ؛ فهو قد أصبح حرا فالزمان كهينته أستدار ، والحق بمهجته قد آسنار ؛ والكفر قد ردما كان عنده من

المُسْتَعَار، وَغُسِلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَاجِرِ الْفَجْرِ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ؛ وَأَتَى اللَّهُ بَنِيَّانَ الْكُفْرِ
 مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرُقْرَاقِ مَاءِ الْمَوْرِدَاتِ الْبَوَارِدِ. أَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً لَمْ تَظْهَرْ لِلْعُيُونِ اللَّاحِظَةِ، وَلَمْ تَخَفْ عَنِ الْقُلُوبِ الْحَافِظَةِ؛ عَزَّتْ سِيَمَا
 الْإِسْلَامِ بِمَسْوَمِهَا، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمُرْدَفِهَا، وَأَخَذَتِ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَتَرَى مُتَرَفِيهَا
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يُؤَوْفَوْا فِيهَا؛ فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حَيُومٌ، وَرَكَضَ فَاتَّبَعَهُ سَحَابٌ عَجَاجٌ مَرْكُومٌ، وَضَرَبَ
 إِذَا ضَرَبَهُ كَتَّابٌ حِرَاجٍ مَرْكُومٌ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْحُرُوبَ إِنَّمَا عُقِدَتْ سِجَالًا، وَإِنَّمَا جُمِعَتْ
 رِجَالًا، وَإِنَّمَا دَعَتْ خِيفًا وَثِقَالًا؛ فِيمَا سَيُوفٌ تَقَاتِلُ سُيُوفًا، أَوْ زُحُوفٌ تَقَاتِلُ
 زُحُوفًا؛ فَيَكُونُ حُدُّ الْحَدِيدِ بِيَدٍ مُدْكَرًا وَبِيَدٍ مُؤَنَّثًا، وَيَكُونُ السَّيْفُ فِي الْيَدِ الْمُوَحَّدَةِ
 يُغْنِي بِالضَّرْبَةِ الْمُوَحَّدَةِ وَفِي الْيَدِ الْمُتَلَتِّلَةِ لَا يُغْنِي بِالضَّرْبِ مُتَلَتِّلًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي فِتْنَتَيْنِ
 التَّقَاتَا، وَعُدُوتَيْنِ لَغَيْرِ مَوَدَّةٍ أَعْتَقَتَا. وَإِنْ هَذِهِ النُّصْرَةُ إِنْ زُيِّتَ عَنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ
 بُحِثَتْ كِرَامَاتُهُمْ، وَإِنْ زُيِّتَ عَنِ الْبَشَرِ فَقَدْ عُرِفَتْ قَبْلُهَا مَقَامَاتُهُمْ؛ فَمَا كَانَ
 سَيْفٌ يَلْقِظُ مِنْ جَفْنِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبَهَ الصَّرِيخُ، وَلَا كَانَ ضَرْبٌ يُطِيرُ الْهَامَ قَبْلَ ضَرْبِ
 يَرَاهُ النَّاطِرُ وَيَسْمَعُهُ الْمُصِیخُ، فَكَمْ فَرِيَةً كَانَتْهَا هِجْرَةُ الْمَوْتِ وَبِهَا التَّارِيخُ، وَكَمْ طَعْنَةً
 تَخْتَرُهَا هَضَابُ الْحَدِيدِ وَلَهَا شَمَارِيخُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيدًا ثَوْبُهُ، بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيدًا حَبْلُهُ، مُبَيِّضًا
 نَصْرُهُ، مُخَضَّرًا نَصْلُهُ، مَتَسِّعًا فَضْلُهُ، مُجْتَمِعًا شَمْلُهُ. وَالْخَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ
 الْعَظِيمِ، وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ؛ مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَمْنَحُ الْحُبُورَ لِكَافَةِ الْمُسْلِمِينَ؛
 وَيُكَرِّرُ الْبُشْرَى بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ - مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ

(١) أَيْ مَقْطُوعًا قَالَ الشَّاعِرُ .

أَبِي حَبِي لَسَلَى أَنْ يَبِيدَا * وَأَمْسَى حَبْلُهُا خَلَقًا جَدِيدًا

فَمَا فِي الْأَصْلِ وَالضَّوْءِ مِنَ الْحَاءِ الْمَهْلَةِ أَهْمَالٍ مِنَ النَّاسِخِ .

إلى يوم الخميس منسَلَخَه - وتلك سبعة ليالٍ وثمانية أيام حُسُومًا سَخَّرَهَا اللهُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ ورأيُهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ضَاحِكَةٌ كَمَا كَانَتْ مِنَ الْكُفْرِ بَاكِه ؛ فَيَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَوَّلِ فُتِحَتْ طَبْرِيَّةٌ وَفَاضَ رِىُّ النَّصْرِ مِنْ بُحَيْرَتِهَا ، وَقَصَّتْ عَلَى جَسْرِهَا الْفَرَّجُ فَقَصَّتْ نَجَبَهَا بِحَيْرَتِهَا ؛ وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ كُسِرَ الْفَرَّجُ الْكَسْرَةَ الَّتِي مَالَهُمْ بَعْدَهَا قَائِمُهُ ، وَأَخَذَ اللهُ أَعْدَاءَهُ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ . وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ مِنْسَلَخَ الشَّهْرِ فُتِحَتْ عَكَا بِالْأَمَانِ ، وَرُفِعَتْ بِهَا أَعْلَامُ الْإِيمَانِ ؛ وَهِيَ أُمُّ الْبِلَادِ ، وَأَخْتُ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ؛ وَقَدْ أَصْبَحَتْ كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ بِالْكَفْرِ وَكَأَنَّ لَمْ تَفْتَقِرْ مِنَ الْإِسْلَامِ .

وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصَّلْبُوتِ مَأْسُورٌ ، وَقَلْبُ مَلِكِ الْكُفْرِ الْأَسِيرِ جَيْشُهُ الْمَكْسُورُ مَكْسُورٌ ؛ وَالْحَدِيدُ الْكَافِرُ الَّذِي كَانَ فِي الْكُفْرِ يَضْرِبُ وَجْهَ الْإِسْلَامِ ، قَدْ صَارَ حَدِيدًا مُسَلِّبًا يُفَرِّقُ خُطُوبَاتِ الْكُفْرِ عَنِ الْأَقْدَامِ ؛ وَأَنْصَارُ الصَّلِيبِ وَبِكَارِهِ ، وَكُلُّ مَنْ الْمَعْمُودِيَّةُ تُحْمَدُهُ وَالذَّيْرُ دَارُهُ ؛ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ يَدُ الْقَبْضَةِ ، وَأَخَذَ رَهْنًا فَلَا تُقْبَلُ فِيهِ الْقَنَاظِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؛ وَطَبْرِيَّةٌ قَدْ رُفِعَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهَا ، وَنَكَّصَتْ مِنْ عَكَا مِلَّةُ الْكُفْرِ عَلَى عَقِبَيْهَا ، وَعَمَرَتْ إِلَى أَنْ شَهِدَتْ يَوْمَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ خَيْرُ يَوْمَيْهَا ؛ بَلْ لَيْسَ مِنْ أَيَّامِ الْكُفْرِ يَوْمٌ فِيهِ خَيْرٌ ، وَقَدْ غُسِلَ عَنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بَدْمَاءُ الشَّرِّكَ مَا كَانَ يَتَخَلَّلُهَا فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضَيْرَ ؛ وَقَدْ صَارَتْ الْبَيْعُ مَسَاجِدَهُمْ بِهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَصَارَتْ الْمَنَاحِرُ مَوَاقِفَ لُخْطَبَاءِ الْمَنَابِرِ ، وَاهْتَزَّتْ أَرْضُهَا لَوُقُوفِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا وَطَالَمَا اِرْتَجَّتْ لِمَوَاقِفِ الْكَافِرِ ؛ وَالْبَاسُ الْإِمَامِي النَّاصِرِيُّ قَدْ أَمْضَى مِسْكَانَهُ عَلَى يَدِ الْخَادِمِ حَتَّى بِالْذِّنِّ فِي الْكَائِسِ ، وَإِنْ عَزَّ أَوَّلُ الْإِسْلَامِ بِحَطِّ تَاجِ فَارِسَ ، فَكَمْ حَطَّتْ سَيْوْفُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ تَاجِ فَارِسَ .

فأما القتلى والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين ألفا .

وأما فرسان الديوية والاستبارية فقد أمضى الله حكمه فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ، ووصل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ، وفكك بافرنس كافر الكفار ، ومشيد النار ، من يده في الإسلام كما كانت يد الكلم ، وأقرت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذي يسر فتحها ، وتسلمتها الملة الإسلامية بالأمان وعرفت في هذه الصفة ربها .
وأما طبرية فافترتها يد الحرب فأنهت الحرب جرحها .

فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ، ولا تُزكى بأزكى منه العقود ، وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الأقصى من أقصاه ، وبلغ الله فيه الأمل الذي علم أن يُحصيه وأحاط بأجله وأقصاه ، لكل أجل كتاب ، وأجل العدو هذه الكتاب الجامعة ، ولكل عمل ثواب ، وثواب من هدى لطاعته جنات نعيمه الواسعة ، والله المشكور على ما وهب ، والمسئول في إدامة ما استيقظ من جد الإسلام وهب .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشارة نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسر الله لأوليائه من الغنائم . والبلاد والمعاقل التي فتحت هي : « طبرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، معليا ، القزله ، الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كثيرة . والولد المظفر تقي الدين بصور وحصن تينين . والأخ العادل سيف الدين نصره الله قد أوفت (؟) بالوصول من عنده من عنده من العساكر فينزل في طريقه على غزّة وعسقلان ، ويجهز مراكب الأسطول المنصور ويكثر عددها ، ويسير بها إلى ثغر عكا المحروس ويشحنها بالرجال ويوفر سلاحها وعددها ، والنهوض إلى القدس فهذا أو أن فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الخاصة، إلى خلفاء بنى العباس)

قال أبو جعفر النحاس : وقد يكتب الإمام بغير تصدير إذا لم يكن ذلك في شيء من الأمور التي سبيلها أن تنشأ الكتب بها من الدواوين . كما كتب القاسم بن عبد الله إلى المكتفي مهتئاً له بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وأسأل الله أن يعظم بركة هذا الأمر على أمير المؤمنين وعلى الأمة كافة .

قال : والمستعمل في هذا الوقت في مكتبة الوزير الإمام :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! وأعزه وأيده ، وأتم نعمته عليه ، وأدام كرامته له . ثم قال : وربما استحدثت مكتبة المرءوس إلى الرئيس على غير ترتيب الكتاب . كما كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزّيه :

أما بعد فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه ، من عظم حق الله عليه فيما أبواه له ، وأعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه .

الطرف الخامس

(في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

قد ذكر في "مواد البيان" أن المستعمل في دولتهم أن يقال بعد البسملة : أفضّل صلوات الله وبركاته ، وأشرف رضوانه وتحياته ، على مولانا وسيدنا الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، وعلى آبابه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين - إن كان له أبناء - فإن لم

يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين : المتظرين . ثم يقال بعد قضاء واسع : كتب عبد الموقف النبوي خلد الله ملكه ، من مقر خدمته بناحية كذا ، وأمر ما عُدق به ورد إلى نظره منتظمة بسعادة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى جده - والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما . ثم يقال : العبد يُنهي كذا وكذا ينص الأغراض التي بُني الكتاب على إنهاؤها وشرح حالها . قال : فإن كان الكتاب مبنياً على المطالعة ببعض الأخبار ، قيل في آخره بعد قضاء يسير : ” أنهي العبد ذلك ليستقر علمه بالموقف الأشرف ” ، إن شاء الله تعالى . وإن كان مبنياً على الاستمرار في بعض الأحوال ، قيل في هذا الموضع : ” ولمولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه الرؤى العالی في ذلك ” ، إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط في جواب عن كتاب ورد من الخليفة بالسؤال عن المكتوب عنه في مرضه ، وهو :

صلوات الله الرأيه ، وتحياته الذكية الذاكه ؛ وسلامه الذي يتزل على الروح بالروح ، ويؤذن من رضا الله بأشرف موهوب وأكرم ممنوح ؛ وبركاته التي فيها للمؤمنين سكن ، وبشفاعتها تُتقبل أعمال المؤمن بقبول حسن - على إمام الحق المنظور المغنى عن المتظر ، وحجة الله التي أرسلها نذيراً للبشر ؛ وخليفة الله الذي نزلت بمدحه مرثلات السور ، قبل مرتبات السير ؛ وبعثه الله بالثور الذي لا يمكن الكافر من إطفائه ؛ وبرهان الله الذي لا يطمع الجاحد في إخفائه ؛ ونائب النبوة ووارثها ، ونحيي القلوب وباعثها ، ومفيض أسرار الأنوار وناقضها ؛ سيدنا ومولانا الإمام الفلاني : ولا زالت الأقدار له جنوداً وجودوا ، والحديدان يسوقان إليه من أيامهما ولياهما إماءً وعبيداً ؛ وعلى آباءه الذين سبقَتْ لهم من ربهم الحسنى ، ورغبوا عن عرض هذا الأدنى ؛ ولا تتم ولا تتم على الخيان ، ولا يتم للثقلين أن ينفذوا ما لم يكونوا منهم

بُسْطَان - وعلى أبنائه وجوه الهدى البارزة من الأكنة ، وأيدي الندى والأعنة والأسنه .

كتب عبد الموقف النبوى خلد الله ملكه من مقرر خدمته بالمكان الفلانى ، وأمور ما عُدق به ورد إلى نظره على أتم حال وأكله ، وأحسن نظام وأجمله ؛ بسعادة مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى جده وآبائه الطاهرين . العبد ينهى أنه لو أخذ في شكر المنن التى تُرقيه فى كل يوم لهضاب بعيدة المرتقى ، وتورده جمات قريبة المستقى ، وتوجب على لسانه أن يبذل جهد من آسّرسل وعلى قلبه أن يبذل جهد من آتقى ؛ لقصر به الوصف ، وأعياء من ورق الجنة الخصف ؛ وكيف يُجارى من يده ديمة الله بقلمه ، أو كيف يتزح بحر الجود الذى يمدّه سبعة أبحر نعمه ، ولما ورد عليه التشرىف بالسؤال الذى أحياء بنسيم روحه ، ونفخ فيه من روحه ؛ فوقع له ساجدا ، وثاب إلى السجود عائدا ؛ وبذل مع ضراعتة الإتهال جاهدا ، وأخلص فرض الولاء معتقدا ورفع لواء الحمد عاقدا ؛ وكشف عنه الضر ، وأطاعت على وجهه النعم الغز ، وتكافأت الأنداد فى محل عيشه فخل الحلو ومرّ المر ؛ وآتهى من الدعوات إلى ما آتهى به المرّض ، وتقلل منه الجوهر الذى عُزل به العرض ، وصاغ بمهيجته السهام التى نقد بها الغرض ؛ وكاد يشاهده مرتفعا به الضنى والألم ، وفعلت أنواره فى ظلمته مالا تفعل الأنوار فى الظلم ، ولم يرد قبله حلو الأكل والآخر ، مأمون المآرد والمصادر ، مضمون الشفاء فى الباطن والظاهر ، عادت القلوب على الأجسام بفضله ، وسطت العافية على الأسقام بفضله بل بفضله ؛ والله سبحانه يملكه أعناق البلاد ، كما أجرى على يديه أرزاق العباد ، إن شاء الله تعالى . وكتب فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا .

الطرف السادس

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم

إلى خلفاء بني أمية بالأندلس)

وكانت المكتبة إليهم بالافتتاح بالدعاء بطول البقاء، مع الإطناب في الإطراء في شأن الخليفة ومدحه والثناء عليه والدعاء له ، والخطاب فيه للخليفة بأمر المؤمنين منعوتاً بمولاي وسيدى ونحو ذلك ؛ والتعبير عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة من ناء المتكلم ونحوها . كما كتب أبو المطرف بن المنثني من إنشائه عن المنصور إلى هشام ابن الحكم يخبره بجرى ان الصلح بينه وبين الموفق ، بعد ما كان بينهما من عداوة :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وأبن الأئمة الراشدين ؛ عزيزاً سلطاناً ، مُنيراً زمانه ؛ ساميةً أعلامه ، ماضيةً أحكامه ؛ ظاهراً على من ناواه ، قاهراً لمن عاداه ؛ كما يُحبُّ - أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدى على أحسن ما يكون عليه .

العبدُ المخلص ، والمولى المتخصّص ؛ الذي حسن مضمّره ، وأستوى سِرُّه وجَهْرُه ؛ ولاح استبصاره وجِدُّه ، وتناهى سعيه وجُهدُه ؛ في مضمار الجرى إلى الطاعة ، وبذل إذعانه وأتقياده ، وأستعبد إمكانه وإجهاذه ؛ فيما يقى بتكئين الإمامة المهديّة ، والخلافة المرضيّة ، ويشدُّ مبانى المملكة المصدّقة لتبشير اليمن والبركة ؛ والله سبحانه ولّى العون والتأييد ، والملى بالتوفيق والتسديد ، لاربّ غيره .

وبعد - أبقى الله أمير المؤمنين - فإن كتابي إليه سلف مُعرباً عن التزغة التي كانت بيني وبين الموفق مملوكة ، وقد بما نزع الشيطان بين المرء وصديقه ، والأخ وشقيقه ؛ وضرب ساعيا بالتشتيت والتشغيب ، والتباعد والتقريب ؛ بين الأب الحاني الشفيق ،

والأبن البر الرفيق ؛ ثم يعود ذوو البصائر والنهي ، وأولو الأحلام والحجاء ؛ إلى ما هو
للشعخاء أذهب ، وبالتجامل أولى وأوجب . وكتابي هذا وقد نسخ الله بيننا آية
الافتراق ، بالاتصال والاتفاق ؛ ومحاسنة التباين والخلاف ، وبدو التألف والإنصاف ؛
وعادت النفوس إلى صفائها ، وأنطوت على وقائها ؛ وخبث نار الفتنة ، وأمتد رواق
الهدنة ؛ وثبتت الأسباب الراسخة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة
القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ؛ والمعروف من الامتزاج في كل الأحوال والتشابك
وجلاء الشك باليقين ، وقرت بالانتظام العيون ، وصرنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين
مولانا وسيدنا رضيي لبنان ، وشريكي عنان ؛ وألفي تناصر ، وحليفي تظافر ؛ فنحن
عن قوس واحدة في نصرتها نرمي ، ومن ورائها ندود جاهدين ونحني ؛ قد فتنا الحياء
في السبق إلى الطاعة ، وأحرزنا قصب السبق في المظاهرة والمشايعة ؛ فما نفتأ نسعى
في تمهيدها ونذهب ، ولا ننفك نكدح لها وننصب ؛ والله الكفيل بانجادنا بعزته
وقدرته ، وحوله وقوته ؛ لا إله إلا هو .

وإن الذي عقده الله تعالى لنا ، وحسمه من دواعي القطيعة عنا ؛ ما أطرد وتأثى ،
وسنح وتهياً إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا أعزه الله ، ويمن نقيته ،
فمن تمسك بعروته وعاد بعصمته ، فقد فاز قدحه ، وتبلى في ظلم الأمور صبحه ؛
وأستدل بأوضح الدليل ، وعرض بالرأى الأصيل ؛ وأستنار بأضواء سراج ، وسلك
على أقصده منهاج ؛ ولم يزل الرشاد آراءه ، وصاحب السداد أنحاءه . والله تقدس اسمه
لا يزال يعترفنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويفسح به آماننا ، بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أراحه ؛ لم أجد في فسحة
ولا غنى ولا سعة ؛ من إطلاع أمير المؤمنين مولاي وسيدى من ذلك على الجليله ؛

وإعلامه بالصورة؛ فأنهضت إلى حضرته العالية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح
رسولى وعبدى وخاصتى مملوكه لينهى إليه الحال على حقيقتها، ويوفىها بكائتها؛
وأقرن به رسول الموفق، متحملاً مثل ما تحمله رسولى، ومتقلداً كالذى تقلده؛
ولأمير المؤمنين مولاي وسيدى الفضل العميم فى الإصغاء إليهما، والوعى عنهما،
والسماع منهما جميع ما يوردانه ويوصحانه، ويستوفيانه ويشرحانه، والتطول
بالمراجعة فيه، بما يستوجب ويقتضيه، واصلاً لعز مننه وأياديه؛ إن شاء الله تعالى.

الطرف السابع

(فى المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب، القائم بقاياهم الآن بتونس
وما معها من سائر بلاد أفريقية . وفيه ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَح المكتبة بالدعاء، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة من ملك آخر)

والرسم فيه أن تُفتَح بالدعاء المناسب للحال، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون
الجمع ويخاطب المكتوب إليه بأمير المؤمنين . كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن :
أحد خلفائهم فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستجيشه على الروم الفرنج القاصدين
بلاد الشام والديار المصرية، وهو :

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدِّين ؛
أبوابَ الميَّامِ ، وأسبابَ المحاسنِ ؛ وأحلَّه من كفايته في الحرم الآمن ، وأنجزه
من نُصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلَّح به كلَّ رأى عليه الهوى رائئ ؛ ومكَّن له
في هذه البسيطة بسطه ، وزاده بالعلم غبطه ؛ حتى يكون للأنياء بالعلم وللأرض
بالعزم وارثاً ، وحتى يُشيد بجادٍ قديماً من مجده الذي لا يزال بفضِّ الحديث حادثاً .

كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا ،
وأن نتيمن بمكاتبها ، وتترنَّ بخاطبتها ؛ وننصَّ إليها أمائل الأصحاب ، ونستسقي
معرفتها استسقاء السحاب ؛ وننتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسُلها ، وأيدي الرسل
سُبلها ؛ ونمسك طرفاً من جبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ، ونمسح
غرة سبق وارثها وارث نورها سلفه ؛ ونجتاذب أعداء الله من الجانين ، لاسيما
بعد أن نبنا عنه نيايتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمينية من ضلالة
أغضت عيون الأيام على قذاها ، وأنامت عيون الأنام بائعة يقطن بها بكرها ؛ ونياية
ثانية في تطهير بيت المقدس من كان يعارض برجسه تقديسه ، ويزعج ببناء ضلاله
تأسيسه ؛ وما كان إلا جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروجه أبهم آدم من الجنة ،
وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللعنه ، وما كانت لنا بذلك قوة
بل لله القوة ، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنه .

ولما حطت لدين الكفر تيجان ، وحطمت لذويه صُلبان ؛ وأنحرس الناقوس
الأذان ؛ ونسخ الإنجيل القراء ؛ وفكَّت الصخرة من أسرها ، وخفَّ ما كان على
قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها ؛ وذلك أن يد الكفر غطتها وعمرتها .
فله الحمد أن أحرم الصخرة بذلك البُنيان المحيط ، وطهرها ما طر من دم

الكُفْر وما كان يُطَهِّرُها البحرُ المحيطُ ؛ ^(١) فُهناكَ غلبَ الشُّركُ ، وأنقلبَ صاغِراً ،
واستجاشَ كافِرٌ من أهله كافراً ؛ وأسْتَغْصَبَ أنْفِبارَه النَّافِرَه ، وأسْتَصرَحَ نَصْرانِيَّتَه
المتناصره ؛ وتظاهروا علينا وإن الله مَوْلانا ، وطاروا إلينا زرافاتٍ ووحدانا ؛ فلم يبق
طاغيةٌ من طواغيمهم ، ولا أنْفِيَّةٌ من أنافِئِهِم ؛ إلا أَلْجَمَ وأسَرَجَ ، وأَجْلَبَ وأَرْجَحَ ، ونَحَرَجَ
وأَنحَرَجَ ، وجادَ بِنَفْسِه أو بولده ، وبَعَدَدَه وبَعُدَدَه ؛ وبذاتِ صدره وبذاتِ يَدِه ؛
وبكَتائِبِه بَرًّا ، وبمراكِبِه بحرا ؛ وبالأقوات لِلخَيْلِ والرِّجالِ ، والأسلحةِ والجُنَّ لِلْيَمِينِ
والشِّمالِ ؛ وبالنقدين على اختلافِ صِنْفَيْهِما في الجمعِ ، وأتتلافِ وَصَفَيْهِما في النِّفْعِ ؛
وأنهَضَ أَبْطالَ الباطلِ ، من فارسٍ وراجلٍ ؛ وراحمٍ ونايلٍ ، وحافٍ وناعلٍ ،
ومُواقِفٍ ومقاتِلٍ ؛ كُلٌّ خرجَ مَطْوَعا ، وأَهْطَعَ مُسْرِعاً ، وأتى متبرِّعاً ، ودعا نفسه قبل أن
يُسْتَدْعَى ؛ وسعى إلى حَتْفِها قبل أن يُسْتَسْعَى ؛ حَتَّى ظَنَنَّا [أَن] في البحرِ طريقاً يَلْسَا ،
وحَتَّى تَبَيَّنَّا أن ماوراءَ البحرِ قد خَلَا وعَسَا ؛ وقلنا : كيف تترك ، وقد علم أنه يُدْرِكُ ؛
وزادت هذه الحُشودُ المتوافيه ، وتجاوَتْ عنها الهِمَمُ المتجافيه ؛ وكَثُرَتْ إلى أن خرجَتْ
من سِجْنِ حَضْرَها ، ومُسْتَقَرِّ كُفْرَها ، وبقِيَّةِ نَعْرِها - وهو صور - فنازَلَتْ نَعَرَ عَمَّا
في أسْطُولِ مَلِكِ بَحْرَه ، وجمعَ سَلَكَ بَرَه - فنَهَضنا إليه ، ونَزَلنا عليهم وعليه ؛ فَضْرَبَ
مَعنا مَصافٍ قُتِلَتْ فيه فُرسانُه ، وجُدِلَتْ شُجْعانُه ، وخُدِلَتْ صُلْبانُه ؛ وساوَى الضَرْبُ
بين حاسِرِ القومِ ودارِعِهِم ، وبرَزَ الذين كُتِبَ عليهم القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم ؛ فُهناكَ
لادُّوا بِالْحَنادِقِ يَحْفِرُونها ، وإلى السِّتائِرِ يَنْصُبُونها ؛ وأخْلَدُوا إلى الأرضِ مَتاقِلِينَ ،
وحَمَلُوا أَنْفُسَهُم على الموتِ متحاملين ، وظاهروا بين الحنادقِ ، وراوَحُوا بين المجانيقِ ؛
وكَلِمًا يُجِنُّ القَتْلُ من عددهم مائةٌ أو صلها البحرُ مَنْ يَصِلُ وراءه بألفٍ ، وكُلِّمًا قَلُّوا
في أعيننا في زحفٍ ، قد كَثُرُوا فيما يَلِيهِ من الرَّخْفِ ؛ ولو أن دُرْبَةَ عَسا كَرنا في البحرِ

(١) لعل هذا هو جواب الشرط أول الفقرة .

كُدرتْها في البر، لَعَجَلُ الله مِنْهُمْ الْإِتِّصَافَ وَاسْتَقَلَّ واحِدُنَا بِالْعَشْرَةِ وَمِائَتُنَا بِالْأَلْفِ ؛
وقد أَشْتَهَرَ خُرُوجُ مَلُوكِ الْكُفَّارِ فِي الْجَمْعِ الْجَمِّ ، وَالْعَدَدِ الدَّهْمِ ، كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصَبٍ يُوفِضُونَ ،
وعلى نَارٍ يُعْرِضُونَ ؛ وَوَصُولُهُمْ عَلَى جِهَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - يَسِرُّ الله فَتَحَهَا - عَلَى عِزِّمِ الْإِتِّمَامِ
إِلَى الشَّامِ فِي مُنْسَلَخِ الشِّتَاءِ وَمُسْتَهَلِّ الصَّيْفِ ، وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَهُمْ تَسْتَقْبِلُ ،
وإِلَى حَرْبِهِمْ تَنْتَقِلُ ؛ فَلَا يُؤْمِنُ عَلَى ثَغُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَطَرَّقَ الْعَدُوُّ إِلَيْهِمْ وَإِلَيْهَا ،
وَيَفْرُغَ لَهَا وَيَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا ؛ وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . وَإِذَا قُسِمَتِ الْقُوَّةُ عَلَى تَلْقَى
الْقَادِمِ وَتَوَقَّى الْمُقِيمِ ، فُرُبَّمَا أَضْرَبَ الْإِسْلَامُ أَنْقَسَامُهَا ، وَتَلَمَّهَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ انْتِلَامُهَا .
ولمَّا مَحَضَ النَّظْرُ زُبْدَهُ ، وَأَعْطَى الرَّأْيَ حَقِيقَةَ مَا عِنْدَهُ ؛ لَمْ نَرِ لِمُكَاتَرَةِ الْبَحْرِ إِلَّا
بَحْرًا مِنْ أَسَاطِيلِهِ الْمَنْصُورَةِ فَإِنَّ عَدَدَهَا وَافٌ ، وَشَطْرُهَا كَافٌ ؛ وَيُمْكِنُهُ - أَدَامَ اللهُ
تَمَكِينَهُ - أَنْ يَمُدَّ الشَّامَ مِنْهُ بَعْدَ كَثِيفٍ ، وَحَدٍّ رَهِيْفٍ ، وَيَعْهَدَ إِلَى وَالِيهِ أَنْ يُقِيمَ
إِلَى أَنْ يَرْتَبِعَ وَيَصِيفَ ؛ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَكْفِيَ شَطْرًا لِلْأَسْطُولِ طَاغِيَةً صِقْلِيَّةً لِيَحْصُ
جَنَاحَ قُلُوعِهِ أَنْ تَطِيرَ ، وَيَعْقِلَ عُبَابَ بَحْرِهِ أَنْ يُغِيرَ ، وَيَعْتَقِلَهُ فِي جَزِيرَتِهِ ، وَيَجْرِي
إِلَيْهِ قَبْلَ جَرِيرَتِهِ ؛ فَيَذْهَبَ سَيِّدُنَا وَعَقِبُهُ بِشَرْفٍ ذِكْرٍ لَا تُرَدُّ بِهِ الْحَامِدُ عَلَى عَقِبِهَا ،
وَيُقِيمَ عَلَى الْكُفْرِ قِيَامَةً يَطْلُعُ بِهَا شَمْسُ النُّصْرَةِ مِنْ مَغْرِبِهَا ؛ فَإِذَا نَفَذَ طَرِيقَهُ وَعَلِمَ
النَّاسَ بِمَوْفِدِهِ ، أَوْرَدُوا وَأَصْدَرُوا فِي مَوْرِدِهِ ؛ وَشَخَّصَ الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ : هَذَا يَنْتَظِرُ
بُشْرَى الْيَدَارِ ، وَهَذَا يَسْتَطْلِعُ لِمَنْ تَكُونُ عُقْبَى الدَّارِ ؛ وَخَافَ وَطَاءَةً مَنْ يَصِلُ
مِنْ رِجَالِ الْمَاءِ مَنْ وَصَلَ مِنْ رِجَالِ النَّارِ . وَلَوْ بَزَقَتْ عَلَيْهِمْ بَازِقَةٌ غَرِيبَةٌ لِأَغْرَقَهُمْ
طُوفَانُهَا ، وَلَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ جَارِيَةٌ بِحَرِيَّةٍ لَنَعَقَتْ فِيهِمُ الْبَشَاتُ غَرَبَانُهَا .

وما رأينا أهلاً لهذه العزِّمة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه ؛
إِذْ كَانَ مَتَحَهُ عَادَةً فِي الرِّضَى بِهِ وَقُدْرَةً عَلَى الْإِجَابَةِ ، وَرَغْبَةً فِي الْإِنَابَةِ ؛ وَلا يَلَايَةُ لِأَمْرِ

(١) كذا في الأصول ولم نثر عليها في رسائل القاضي الفاضل .

المسلمين، ورياسة للدنيا والدين ، وقيامًا لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ؛
وَعَضْبًا لِّلّهِ وَلَدِينِهِ ، وَبَذَلًا لِّمَدْخُورِهِ فِي الذَّنْبِ عَنْهُ دُونَ مَا عَوْدِهِ ؛ وَالْآنَ فَقَدْ خَلَا
الإسلام بملائكته ، لَمَّا خَلَا الْكُفْرُ بِشَيَاطِينِهِ ؛ وَمَا أَجَلَتِ السَّوَابِقُ إِلَّا لِإِطْلَاقِهَا ،
وَلَا أَثَلَتِ الذَّخَائِرُ إِلَّا لِإِنْفَاقِهَا ؛ وَقَدْ آسْتَشْرَفَ الْمَسْلُومُونَ طُلُوعَهَا مِنْ جِهَتِهِ الْمَحْرُوسَةِ
بِجَارٍ مِنَ الْأَسَاطِيلِ تَغْشَى الْبِحَارَ ، وَلِيَالِي مِنَ الْمَرَكَبِ تَرْكُبُ مِنَ الْبَحْرِ النَّهَارَ ؛
وَإِذَا خَفَقَتْ قُلُوعُهَا خَفَقَتْ لِلْقِلَاعِ قُلُوبُ ، وَإِذَا تَجَافَتْ جُنُوبُهَا عَنِ الْمَوْجِ تَجَافَتْ
مِنَ الْمَلَاعِينِ جُنُوبُ ؛ فَهِيَ بَيْنَ تَغْرِ كُفْرٍ تَعْتَقِلُهُ وَتَحْصُرُهُ ، وَبَيْنَ تَغْرِ إِسْلَامٍ تُفْرِجُ
عَنْهُ وَتَنْصُرُهُ ، يَكُونُ بِهَا مَصَائِبُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ (؟) وَتَقْظَلُ قَلَائِدُ الْمُشْرِكِينَ لِغُرْبَانِ بَحْرِهِ
طَرَائِدُ ، وَيَمْضِي سَيْفُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَعْدَمُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَيُعَلِّمُ مَعَهُ أَنَّ سَيْفَ اللَّهِ خَالِدٌ ؛
أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِمَا يَزِيدُ حَضْرَةَ سَيِّدِنَا مِنْ عِزِّهَا ، فِيمَا مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ ظِلِّهَا ،
وَبِمَا يُسَكِّنُهُ مِنْ حَرِّهَا ، فِيمَا يَبْسُطُ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِهَا مِنْ بَاسِهَا وَيُنْزِلُ بِهِمْ مِنْ
رَجْزِهَا ، وَبِمَا يَجْرِدُهُ مِنْ سَيُوفِهَا الَّتِي تَقْطَعُ فِي الْكُفْرِ قَبْلَ سَلِّهَا وَهَزْهَا .
وَقَدْ أَوْفَدْنَاهُ عَلَى بَابِ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا ، وَهُوَ الدَّاعِي الْمُسْمِعُ ، وَالْمُبَلِّغُ الْمُقْنِعُ ،
وَالْمُجْمَعُ الْمُسْتَجْمَعُ ؛ عَلِمْنَاهُ أَمْرًا يَسْرًا ، وَبَوَّانَاهُ الصَّنْدَرِ فَكَانَ وَجْهًا ، وَأَوْدَعْنَاهُ السَّرَّ
فَكَانَ صَدْرًا .

الضرب الثاني

(أن تكون المكتبة صادرة عن بعض الأتباع)

والرسم فيه أن تُفْتَحَ المكتبة بالدعاء بطول البقاء ، مثل أن يكتب أحد أتباعه
إليه ؛ وَيَعْبَرُ الْمَكْتُوبُ عَنْهُ عَنْ نَفْسِهِ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ ، وَعَنِ الْخَلِيفَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
كما كتب أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى بعض خُلَفَائِهِمْ جَوَابَ كِتَابٍ وَرَدَ
بِالْكَشْفِ عَنْ عَامِلٍ تَغْرِ شَقُورَةٍ .

« أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، وناصر الدين والدنيا بفضلہ العِمْ ، ولا برحمت مصالح العباد بباله الكريم جائله مائله ، وسيرته الحميدة لدانيم وقاصيم شامله كافله ، ولا زال الله في أرضه بالقسط قائما ، وعلى ماينفع الناس محافظا دائما .

كتبته - أيد الله أمره ! صدر جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بعد امتثال ماحدثه ، والانتهاه إلى ماوجب الانتهاه عنده ، من أمر ثغر شقورة حرسه الله !

على ما أنص مناقله ، وأعريض مراتبه ومنازله ؛ وذلك أن كتابه العزيز وافانى على يد رجل من أهلها فيه فصول رفعها ، وأحاديث سطرها وجمعها ؛ وأندرج الكتاب المرفوع بذلك طيه ، لينظر إليه من أدعى عليهم رفعه ، ويستبين حقيقته أو وضعه ؛

وبإبطاء هذا الرفع سبقته الأنباء ، واستقرت عند جمعها الأفراض والأنحاء ؛ فاجتمعوا إلى عاملهم فلان وفقه الله ، وحضرهم حاكم الجهة أبقاه الله ؛ وتبعوا تلك الوجوه بالرد لها ، والإنكار على القائم بها ؛ وعقدوا فى كل عقد منها عقدا يناقضه ،

وأستظهروا بشهادات تنافيه وتعارضه ؛ وأندرجت العقود ، ثابتة فى كتاب الحاكم على السبيل المعهود فى إثبات العقود ؛ فثبتت عندى لثبوتها عنده ، وخاطبوني مع ذلك متبرين من هذا الرفع ، واضعين له فى عقله ودينه بأحط المواضع ؛ وصرخوا بأرضائهم بسيرة عاملهم وأغبتاهم بحمايته وسداد نظره ، وعلى تيقن ذلك وصل هذا الرفع بالكتاب العزيز وما أندرج طيه على ما قدمت ذكره ؛ فاستأنفت النظر ، وأعدت العمل ، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد فى أمرهم ؛ وأردفت الكتاب المرفوع ليقفوا على نصه ، وينظروا إلى شخصه ؛ فراجعوني أنه لا مزيد عندهم على ما قدموه ، ولا خلاف فيما تقدوه وأحكموه ، وأحالوا على ما تثبت به العقود ،

وهى من الناس المقاطع والحدود ؛ فأقتضى النظر لإعلام أمير المؤمنين وناصر الدين أعلى الله أمره ، حسب ما حدثه ، بما وقعت عليه الحال ، ليرفع الإشكال ،

ولا يتعلق بهذه الحبيبة البال ؛ وقد أدرجت إلى حضرته السامية الكتب المذكورة
تعرض عليها ، وتستقر الجلية منها لديها ؛ إن شاء الله .

وأندرجت العقود إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة وفقه الله ، والله يشكر لأمير المؤمنين
وناصر الدين تحريه وأجهاده ، وتوفيقه وسداده ؛ ويؤالي من والاه ، ويكيد
من عاداه . ولو كانت الحال بشقورة على ماصوره هذا الرفع لما أنطوت عن أسرارها ،
ولا [خفيت على] على البعد أخبارها ؛ وسفوف إلى فلانة ^(١) بين ، وهو متشرع متدين ،
وعضده على ما هو بسبيله في ذلك الثغرمعين ؛ والله يسر الجميع إلى ما يقضى
حقوق النعمة ، ويقيم فروض الخدمة ؛ بعونه وقدرته ! .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بالقاب الخليفة نفسه ثم يؤتى بالصدر معبرا عن المكتوب
عنه بالعبد . ومخاطبا للخليفة بيمين الجمع للتعظيم ، ويختم الكتاب
بالسلام . وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يوصف الخليفة بالمقام)

كما كتب أبو الميمون أيضا عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد
خلفائهم :

المقام الأعلى ، المقدس ، المكرم ، الإمامي ، الطاهر ، الزكي ، مقام الخليفة
المؤيد بنصر الله ، الإمام « الناصر لدين الله » كلاً الله جلّالهم ، وقياً ظلالهم ، وبواً
وؤود السعود ووجود الظهور والصعود مواطئهم المقدسة وحلالهم .

(١) كذا في الأصول وعليه علامة توقف ولعله وتعفف والى فلانة الخ والمراد براءته مما نسب إليه .

عبدكم المتقلب في نعمتهم ، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناسحة في خدمتهم ،
المتسبب إلى الزلغى عندهم بالترام طاعتهم ، والاعتصام بعصيتهم ، فلان .

كتب عبدُ المقام الأعلى ، والندي الذي أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
وأحتوى على الفضائل وأستولى ، من موضع كذا حماه الله تعالى ؛ وجنّاه لطاعتكم
قُطِب ، ولسانه بشكر نعمتكم رطب ؛ فبتلك رجاء الفوز ، وبها ابتغاء نيل الآمال
والخوز ؛ وكيف لا يطاوعه الجنان ، وشكر اللسان مستمدا لإدراك الإحسان ؛ وللمقام
الأسنى عوارف ، لا يتقلص ظلها الوارف ، وقطرات بالرحمة مسطرات بمِدار سحابها
الواكف ؛ وقد كانت للعبد سهام ، فاضت عليه بها من النعمة رهام ؛ ثم جَزَرَ الماءُ
باسترجاعها الآن ، وسقى العبدُ بانتزاعها كأس الحزن مَلَأَتْ ؛ وردت لك بهذه
الجهة أنقطاع المواساة ، وأمتناع الألسن بالمكابدة لشطف العيش والمقاساة ؛
وإلى المقام الأعلى الأسنى نفزع حين نفزع ، ونذهب حين نرجو ونذهب ، ونلجا
فلا نؤخر طلباتنا ولا نترجا ، وخدمة العبد هذه تتوب عنه في تقبيل ذلك المقام الأسنى ،
والتعرض لما عهد لديه من نفحات الرضى ، والتضرع في إدراك ما جَزَرَ من تلك
المنة ، وغِيض من قِيض تلك النعمى ؛ ويُنبئ من رغبته في بركة تلك الأدعية ،
التي هي لخيرات كالأوعيه ؛ ما يرجوه بشفاعه تأكد الأمتنان ، ومجرد عوارف الرأفة
والحنان ؛ إن شاء الله تعالى .

والرب تعالى يُبقي المقام الأعلى والنصر له مظاهر ، والخير لديه مظاهر ،
والسعد لوليّه ناصر ، ولعدوه قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لا ربّ غيره ، ولا خير
إلا خيره ؛ والسلام .

الضرب الثاني

(أن يعبر عن الخليفة بالحضرة)

كما كتب أبوالمطرف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم، يستأذنه في وفادة صاحب أرغون من الأندلس أيضا على أبواب الخلافة مغاضبا لأهل مملكته :

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والإحسان بما يجلو نوره متراكم الإنظام؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، أبي يعقوب آبن سادتنا الخلفاء الراشدين؛ وصل الله لها إسعاد القدر، وإنجاد النصر والظفر؛ ولا زال مقامها الأعلى سامي النظر، مبارك الورد والصدر؛ ويفيض منه الجود، فيض المطر، ويحيط به السعود، إحاطة الهالة بالقمر.

نشأة أيامها الغز، وربى إنعامها المواظب على الحمد والشكر، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر، عبدها وآبن عبدها فلان.

سلام الله الطيب المبارك وتحياته، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته. وبعد فكتب العبد - كتب الله للقام الأعلى فتوحا يعم جميع الأمصار، وسعودا يقضى بقل السمر الطوال والبيض القصار - من بلنسية، وبركاته تظهر ظهور النهار، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار، فخالق من واري في سلسالها المعين، وراج للذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين؛ والله يبق عز الإسلام ببقائه، ويعيننا على أمثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه ! بمنه .

(١١)
وقد تقرّر له من المقام الكريم - أدام الله علّوه ، وكبّت عدوه ؛ أمر بالسك -
وطال ماله في البلاد الأرغونية من زعامة في شأوها برز ، ولغايتها أحرز ؛ وكان
قد كفّل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرها عليه ، وألّقي زمامها
إليه ؛ وتفرد منها بعبء وحمله ، وخطة بلغ منها أمله ؛ ثم إنه حطّ من رُتبته ،
وتأكدت المبالغة في نكته ؛ لقضية عرضت له مع أهل أرغون ، فلفظته تلك
الجنّات ، وأزعجه أمر لم يمكنه عليه الثبات ؛ ورأى أن يلجأ بحاله إلى المقام الباهر
الأنوار ، العزيز الحواري ؛ فواصل هذا الموضع قبل مقدّم العبد عليه ، مقرراً ما نزل به ،
ومستأذناً في الوجه الذي تعرّض لطلبه ؛ فأذن له في مقصده ، وأنصرف عن التأهب
للحركة من بلده ؛ ثم لما وصل العبد هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجّهاً إلى
الباب الكريم ، ومتوسّلاً بأمله إلى فضله العميم ؛ والظاهر من حقه على أهل أرغون
وشدة عداوته لهم ، وما تأكّد من القطيعة بينه وبينهم ؛ أنه إن صادف وقت فتنه
معهم ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العالی أيّده الله فينتهي من نكائهم والإضرار
بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مُفضية به إلى درك النار ؛ وكثير من زعماء أرغون
ورجالها أقاربهُ وفُرسانه ، وكلّهم في حبله حاطب ، ولإنجاده متى أمكنه خاطب ؛
وللقام الكريم أعلى الرأي فيه أبقاه الله شافياً للعَلَل ؛ وكافياً طوارق الخطب الجلل ،
مأمولاً من ضروب الأئم وأصناف الملل ، وهو سبحانه يُديم سعادة جدّه ، ويخصّه
من البقاء الذي يسرّ أهل الإيمان ويضعف بهجة الزمان بأطوله وأمدّه ،
والسلام .

الأسلوب الثالث

(أن تُفَتِّحَ المكتبةُ بأوصافِ الخلافةِ والثناءِ عليها، والخطابُ فيه بأمرِ المؤمنين
وعن المکتوب عنه بنون الجمع)

وهذه المكتبة من المكتبات البديعة المُسَفِّرة عن صُبحِ البلاغة .

ونسختُها بعد البسملة على ما كتب به ابن الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر
صاحب الأندلس إلى المستنصر بالله أبي إسحاق إبراهيم خليفة الموحدين يومئذ
بالأندلس . والاستفتاح :

الخلافةُ التي أرتفع عن عقائد فضْلِها الأصيلِ القواعدِ الخِلافِ ، واستقلتْ مَباني
نُفْرِها الشائعِ وعِزِّها الذائع على ما أسَّسه الأسلاف ؛ ووجب لِحَقِّها الجازم وفَرْضُها
اللازم الاعتراف ؛ ووَسَّعتِ الآملين لها الجوانِبُ الرحيمةُ والأخفافُ ، فامتزاجُنا بَعَلانِها
الْمُنِيفِ ، وولائِها الشريفِ ، كما آمَرتِج الماءُ والسُّلاف ؛ وثَنائُنا على مَجْدِها الكريمِ ،
وفَضْلِها العَمِيمِ ، كما تَأَرَّجتِ الرِّياضُ الأفْوافُ [لَمَّا زارها الغَمَامُ الوَكَّافُ ^(١)] ودُعَاؤُنا بِطُولِ
بَقائِها ، وأَتصالِ عَلائِها ، يَسْمُو به إلى قرع أبواب السموات العَلاَّ الاستِشْراف ؛
وَحِرْصُنا على تَوْفِيَةِ حَقوقِها العَظِيمِ ، وفواضِلِها العَمِيمِ ، لا تَحْصُرُهُ الحُدُودُ ولا تُدْرِكُهُ
الأوصاف ؛ وإن عَدَّرتِ في التَقْصِيرِ ، عن نَيْلِ ذلك المرامِ الكَبِيرِ ، الحَقُّ والإنصافُ . خلافةُ
وِجْهَةٍ تعْظِمُنا إذا تَوَجَّهَتْ الوجُوهُ ، وَمَنْ نُؤْثِرُهُ إذا هَمَّنا ما نَرْجُوهُ ، وَنُقَدِّدُهُ وَنُبَدِّدُهُ
إذا اسْتُمْنِحَ المَحْبوبُ وأَسْتُدْفِعَ المَكْرُوهُ ؛ السُّلْطانُ [الخَلِيفَةُ ^(١)] الجَلِيلُ ، الكَبِيرُ ، الشَّهِيرُ ،
الامامُ ، الهامُ ، الأعلَى ، الأوحدُ ، الأَصْعَدُ ، الأَسْعَدُ ، الأَسْمَى ، الأَعْدَلُ ، الأَفْضَلُ ،
الْأَسْنَى ، الأَطْهَرُ ، الأَظْهَرُ ، الأَرْضَى ، الأَحْفَلُ ، الأَكْمَلُ ، أمير المؤمنين أبي إسحاق

(١) الزيادة من كتاب "ريحانة الكتاب" المخطوط المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت نمرة ٤

أَبْنُ الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ الْبَاطِلِ الْهَامِ؛ عَيْنُ الْأَعْيَانِ، وَوَاحِدُ الزَّمَانِ؛ الْكَبِيرُ، الشَّهِيرُ،
الطَّاهِرُ، الْفَاضِلُ، الْمَعْظَمُ، الْمَوْقُرُّ، الْمَاجِدُ، الْكَامِلُ، الْأَرْضِيُّ، الْمُقَدَّسُ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَبِي يَحْيَى أَبِي بَكْرٍ، أَبْنُ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ، الْجَلِيلِ، الرَّفِيعِ، الْمَاجِدِ، الطَّاهِرِ، الشَّهِيرِ،
الْمَعْظَمُ، الْمَوْقُرُّ، الْأَسْمَى، الْمُقَدَّسُ، الْمَرْحُومُ أَبِي زَكْرِيَّا، أَبْنُ الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ، الْمَجَاهِدِ الْهَامِ
[الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ، الْخَطِيرِ، بَطْلُ الْمِيدَانِ، مَفْخَرُ الزَّمَانِ، الطَّاهِرُ الْفَاضِلُ، الْأَمُضِيُّ الْمُقَدَّسُ
الْأَرْضِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي إِسْحَاقَ أَبْنُ الْخَلِيفَةِ] ^(١) الْهَامِ الْإِمَامِ ذِي الشَّهْرَةِ الْجَاحِجَةِ، وَالْمَقَانِحِ
الْوَاضِحَةِ، عِلْمُ الْأَعْلَامِ، نَخْرُ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ، الْمَعْظَمُ، الْمَجْدُ، الْمُقَدَّسُ، الْأَرْضِيُّ،
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَكْرِيَّا أَبْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ
أَبْقَاهُ اللَّهُ. وَمَقَامُهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ رِزْقًا وَأَمَانًا، لَا يَنْخُسُ جَلْبُ الثَّرَاتِ إِلَيْهِ وَقْتُ وَلَا يُعَيَّنُ
زَمَانًا، وَكَانَ عَلَى مَنْ يَتَخَطَّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ مُؤَيَّدًا بِاللَّهِ مُعَانًا. مَعْظَمُ قَدْرِهِ الْعَالِي
عَلَى الْأَقْدَارِ، وَمُقَابِلُ دَاوَى حَقِّهِ بِالْإِبْتِدَارِ، الْمُتْنِي عَلَى مَعَالِيهِ الْخُلْدَةُ الْآثَارُ،
فِي أَصُونَةِ النَّظَامِ وَالنَّثَارِ، ثَنَاءُ الرُّوضَةِ الْمُعْطَارِ عَلَى الْأَمْطَارِ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِطَوْلِ
بَقَائِهِ فِي عِصْمَةِ مَنْسِدِلَةِ الْأَسْتَارِ، وَعِزَّةٍ ثَابِتَةِ الْمَرْكَزِ مُسْتَقِيمَةِ الْمَدَارِ، وَأَنْ يَنْخَمَ لَهُ
بَعْدَ بُلُوغِ غَايَاتِ الْأَجَالِ وَنَهَايَاتِ الْأَعْمَارِ، بِالزُّلْفَى وَعُقْبَى الدَّارِ.

سَلَامٌ كَرِيمٌ كَمَا حَمَلَتْ نَسَمَاتِ الْأَنْشَارِ، أَحَادِيثَ الْأَزْهَارِ، وَرَوَتْ نُفُورُ الْأَقَاخِ
وَالْبَهَارِ، عَنْ مَسَلْسَلَاتِ الْأَنْهَارِ، وَتَجَلَّى عَلَى مَنَصَّةِ الْأَشْتَهَارِ، وَجْهٌ عَرَّسَ النَّهَارِ،
يَخْصُ خِلَافَتَكُمْ الْكَرِيمَةَ النَّجَارَ ^(١) [الْعَزِيزَةَ الْجَارَ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَخْفَى حِكْمَتَهُ الْبَالِغَةَ عَنْ أَذْهَانِ الْبَشَرِ، فَعِجَزَتْ عَنْ قِيَاسِهَا،
وَجَعَلَ الْأُرُوحَ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ، أَجْنَادًا مُجَنَّدَةً يَحْنُ إِلَى أَجْنَاسِهَا. مُنْجِدٌ هَذِهِ

الملّة ، من أوليائه الحِلّة ، بمن يروّض الآمال بعد شِماسها ، ويُيسّر الأغراض قبل آتماها ، ويُعنى بتجديد المودّات في ذاته وأبتغاء مرّضاته على حين إخلاق لِبَاسها ، الملك الحقّ واصل الأسباب بجوِّله بعد أنتكاث أمرِاسها ، ومُعنى النفوس بطوِّله بعد إفلاسها - حمداً يُدرّ أخلاف النعم بعد إنساسها ، ويُنشر رمم الآمال من أرماسها ، ويُقدّس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله سراج الهداية ونبراسها ، عند أقتناء الأنوار وأقتباسها ، مطهر الأرض من أوضارها وأدناسها ، ومُصطفى الله من بين ناسها ، وسيد الرُّسل الكرام ما بين شيثها وإلياسها ، الآتى مُهيّئنا على آثارها في حين قترتها ، ومن بعد نصرتها وأستثناسها ، مُرغم الضّارغ في أخياسها ، بعد أقترارها وأقتراسها ، ومعقر أجرام الأصنام ومُضِمت أجراسها .

والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه حُمة شرعته البيضاء وحراسها ، ومُلقي غراسها ، ليوث الوغى عند احتدام مرّاسها ، ورهبان الرجاء تُكفل بمناجاة السميع العليم ، في وحشة الليل البهيم ، بإيناسها ، وتقّواح نواسم الأشجار عند الاستغفار بطيب أنفاسها .

والدعاء لخلافتكم العلية المستنصرية بالسعادة التي تشعشع أيدي العزة القعساء من أكواسها ، ولا زالت العصمة الإلهية كفيلاً باحترامها وأحتراسها ، وأبناء الفتوح ، المؤيدة بالملائكة والروح ، رِيحان جُلاسها ، وآيات المفاحر ، التي ترك الأوّل للآخر ، مكتتبة الأسطار بأطراسها ، وميادين الوجود مجالاً لجياد جودها وباسها ، والعزّ والعدل منسوين لفسطاطها وقسطاسها ، وصفيحة النصر العزيز تُقبض كفها المؤيدة بالله على رياسها ، عند أحتياج أضدادها وشرة إنكاسها ، لأتهاب البلاد وآتماها ، وهبوب رياح رِيحها وتمرد مرداسها .

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كتاب نصره أمداداً تُدعِنُ أعناقُ الأنام،
 لطاعة ملككم المنصورِ الأعلام ، عند إحساسها ، وآتاكم من آيات العنايات آيةً
 تضرب الصخرة الصماء من عصاها بعصاها فتبادر بانجاسها - من حمراء غرناطة -
 حرسها الله - وأيام الإسلام ، بعناية الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام
 لولائمها وأعراسها ، وطواعين الطعان ، في عدو الدين المعان ، تجدد عهداً
 بعام عمواسها .

والحمد لله حمداً يُعيد شوارِد النعم ، ويستدِر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن من
 انتكاب الجُدود وانتكاسها ، ولَى الآمال ومكاسها . وخلافتكم هي المثابة التي
 يُزهى الوجود بمحاسن مجدها زهو الرياض بوردِها وآسها ، وتُستمد أضواء الفضائل من
 مقباسها ، وتروى رُواة الإفادة والإجادة غريب الوجادة عن ضحاكها وعباسها ،
 وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم وقد فعل ، وأنطق بحجج نفركم من آحتفى وأنتل ؛
 فإنه وصلنا كتابكم الذي حسبناه على صنائع الله لنا تيممةً لاتلقع بعدها عين ، وجعلناه
 على أحل مواهبه قلادة لا يحتاج معها زين ، ودعوانه من جيب الكاية آية بيضاء الكتابة
 لم يبق معها شك ولا مِين ، وقرأنا منه وثيقة ود هضم فيها عن غريم الزمان دين ؛
 ورأينا منه إنشاء ، خدَم اليراع بين يديه وشاء ، وأخترع بهميان عُقدته مشاء ، وسئل
 عن معانيه الاختراع فقال : إنا أنشأناهن إنشاءً ؛ فأهلاً به من عربى أتى يصف
 السائح وألبانه ، ^(١) ويبين فبحسن الإبانة أدى الأمانة ، وسئل عن حيه فأنتمى إلى كئانه ؛
 وأفصح وهو لا ينيس ، وتهللت قسماته وليل حبره يعيس ؛ وكان خاتمه المقفل على
 صوانه ، المتحف بيا كر الورد في غير أوانه ، رَعَف من مسك عنوانه . والله من قلم

(١) ضبب عليه في الاصول بعلامة التوقف ولم نهتد الى تحقيقه .

دَيَّجَ تِلْكَ الْحُلَّالَ ، وَنَقَعَ يُحْجِجُ الدَّوَاةَ الْمُسْتَمْتِدَةَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ الْغُلَّلَ ؛ فَلَقَدْ تَخَارَقَ
فِي الْجُودِ ، مُقْتَدِيًا بِالْخِلَافَةِ الَّتِي خُلِدَ نَخْرُهَا فِي الْوُجُودِ ؛ بِخَادِ بَسْرِ الْبَيَانَ وَلُبَابِهِ ،
وَسَمَحَ فِي سَبِيلِ الْكَرَمِ حَتَّى بَمَاءِ شَبَابِهِ ؛ وَبَحَّحَ لِفَرْطِ بَشَاشَتِهِ وَفَهَامَتِهِ ، بَعْدَ شَهَادَةِ
السَّيْفِ بِشَهَامَتِهِ ، فَهَشَى مِنْ التَّرْحِيبِ فِي الطَّرْسِ الرَّحِيبِ عَلَى أُمِّ هَامَتِهِ .

وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَكِيمٍ أَفْصَحَ بَمَلْفُوزِ الْإِكْسِيرِ ، فِي اللَّفْظِ الْيَسِيرِ ، وَشَرَحَ بِلِسَانِ
الْخَبِيرِ ، سِرَّ صِنَاعَةِ التَّدْيِيرِ ؛ كَأَنَّمَا خَلَّمَ الْمَلَكَةَ السَّاحِرَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ، قَبْلَ أَشْتِجَارِ
الْجِلَادِ ، فَآثَرَتْهُ بِالطَّارِفِ مِنْ سِحْرِهَا وَالتَّلَادِ ؛ أَوْ عَثَرَ بِالْمَعْلُوقِ ، وَتِيكَ الْقَدِيمَةِ الْمَطْلُوقِ ؛
بِدَفِينَةِ دَارِ ، أَوْ كَتَرْتَحَمَتْ جِدَارِ ، أَوْ ظَفَرَ لِبَانِي الْحَنَائَا ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ بِهِ عَنْ أَمَانِيَّةِ
الْمَنَائَا ، بِبِدْيَعِهِ ، أَوْ خَلَفَ بِجَرِيرِ الرُّومِ ، قَبْلَ مَنَازِلَةِ الْقُدُومِ ، عَلَى وَدَيْعِهِ ؛ أَوْ أَشْهَمَهُ
أَبْنُ أَبِي سَرِجٍ ، فِي نَسَبِ الْفَتْحِ وَسَرِجٍ ؛ أَوْ حَسَمَ لَهُ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ بِبُلُوغِ الْمَطْلَبِ ،
أَوْ غَلَبَ الْحُطُوطَ بِخِدْمَةِ آلِ الْأَغْلَبِ ؛ أَوْ خَصَّصَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بِمَزِيدِ ، أَوْ شَارَكَ الشَّيْعَةَ
فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي يَزِيدٍ ؛ أَوْ سَارَ عَلَى مِنْهَاجِ ، فِي مُنَاصَحَةِ بَنِي صِنْهَاجٍ ، وَفَضَّحَ بِتَخْلِيدِ
أَمْدَاحِهِمْ كُلِّ هَاجٍ .

وَأَعْجَبَ بِهِ ! وَقَدْ عُرِّزَ مِنْهُ مِثْنُ الْبَيَانِ بِثَالِثٍ ، بِخَلَبِ سِحْرِ الْأَسْمَاعِ ، وَاسْتَرْقَاقِ الطَّبَاعِ
بَيْنَ مِثْنَى الْإِبْدَاعِ وَمِثَالِثٍ . كَيْفَ أَقْتَدَرَ عَلَى هَذَا الْمُحْيِدِ ، وَنَاصَحَ مَعَ التَّثْلِيثِ مَقَامَ
التَّوْحِيدِ ؛ نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَلِيَّ الْعَوْنِ ، عَلَى الصَّمْتِ وَالصَّوْنِ ، فَالْقَلَمِ هُوَ الْمَوْحَدُ قَبْلَ
الْكَوْنِ ، وَالْمُتَصِفُ مِنْ صِفَاتِ السَّادَةِ ، أُولَى الْعِبَادَةِ ، بِضُمُورِ الْجِسْمِ وَصُفْرَةِ
الْلَوْنِ ؛ إِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ فَارُوقِيَّةٌ ، وَأَنَارَةٌ مِنْ حَدِيثِ سَارِيَّةٍ وَبَقِيَّةٍ ؛ سَفَرٌ وَجْهٌ
فِي الْأَعْقَابِ ، بَعْدَ طُولِ الْإِنْتِقَابِ ، وَتَدَاوُلِ الْأَحْقَابِ ، وَلِسَانُ مُنَابٍ ، عَنْ كَرِيمِ
جَنَابٍ ؛ وَإِصَابَةُ السَّهْمِ لِسَوَاهِ مُحْسُوبِهِ ، وَإِلَى الرَّامِي الَّذِي سَدَّدَهُ مَنَسُوبِهِ ؛ وَلَا تُشْكِرُ

على الغمام بارقه، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقه، فما شاءه الفضل من غرائب روجد، ومحاريب خلقي كريم ركن الشكر فيها وسجد. حديقه بيان استنارت نواسيم الإبداع من مهبطها، واستنارت غمام الطباع من مصبها، فأتت أكلها مرتين بإذن ربها؛ لا، بل كتيبة عز طاعت بقنا الألفات سطورها، فلا يرومها التقد ولا يطورها، ونزعت عن قسي الثنات خطوطها، وأصطفت من بياض الطرس وسواد النقس بلى تحوطها.

فكأس المدير، على الغدير، بين الخورنق والسدير؛ تقامر بندر الحباب، عقول ذوي الألباب، وتفرق كسرى في العباب، وتهدي وهي الشمطاء نشاط الشباب؛ وقد أسرج ابن سريج وألجم، وأفصح الغريص بعد ما ججم، وأعرب النسائي الأنجم؛ ووقع معبد بالقضيب، وشرعت في حساب العقد بنان الكف الخضيب؛ وكأن الأنامل فوق مثاليث العود ومثانيه، وعند إغراء الثقل بثانيه؛ وإجابة صدى الغناء بين مغانيه؛ المراد تشرع في الوشي، أو العناكب تسرع في المشي؛ وما الخبر بنيل الرغائب، أو قدوم الحبيب الغائب؛ لا بل إشارة البشير، بكم المشير على العشير. بأجلب للسرور، من زائره الملتقى بالبرور؛ وأدعى للعبور، من سفيره المبهج للشفور؛ فلم نرمثله من كتيبة كتاب تجنب الجرد [تمرح] في الأرسان، وتنشوف مجالى ظهورها إلى عرائس الفرسان؛ وتهز معاطف الارتياح، من صهيلها الصراح، بالنغات الحسان، إذا وجدت الصريح نازعت أثناء الأعنة، وكاثرت بأسنة آذانها مشرعة الأسنة، فإن آدعى الظلم أشكاه فهو ظالم، أو نازعها الطي هواديها وأكفاهها فهو هادي أو حالم، وإن سئل عن عيوب الغرر والأوضح، قال مشيرا إلى وجوهها الصباح، جلدة بين العين والأنف سالم؛ من كل عبل الشوى،

مُسَابِقٍ لِلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ، سَامِي التَّلِيلِ ، عَرِيضٍ مَاتَحْتَ الشَّلِيلِ ، مَسْجُوحَةٍ أَعْطَافِهِ
بِمَنْدِيلِ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ : مَنْ أَحْمَرَ كَالْمُدَامِ ، مُجَلِّئًا عَلَى النَّدَامِ عَقِبَ الْفِدَامِ ، أُتْحِفَ
لُونُهُ بِالْوَرْدِ ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، وَحَيَّ أَفْقُ حَيَّاهُ بِكُوكَبِ السَّعْدِ ، وَتَشَوَّفُ الْوَاصِفُونَ
إِلَى عَدِّ مَحَاسِنِهِ فَأَعَيْتَ عَلَى الْعَدِّ ، بِجَرِّ سَاجِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَدِّ ، وَرِيحٌ تَبَارَى الرِّيْحَ عِنْدَ
الشَّدِّ ، بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ ، حَكَمَ لَهُ مَدِيرُ فَلَكِ الْكَفَلِ بِاعْتِدَالِ فَضْلِ الْقَدِّ ، وَمِيزَهُ قَدْرُهُ
الْمُيَزُّ يَوْمَ الْأَسْتَبَاقِ ، بِقَصَبِ السَّبَاقِ ، عِنْدَ اعْتِبَارِ الْحَدِّ ، وَوَلَدَ مَخْطُطَ غُرَّتِهِ أَشْكَالَ
الْجَمَالِ ، عَلَى الْكَمَالِ ، بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ وَتَقَاءِ الْحَدِّ ، وَحَفِظَ رَوَايَةَ الْخَلْقِ الْوَجِيهَ
[عَنْ جَدِّهِ الْوَجِيهِ] ^(١) وَلَا تُتَكَرَّرُ الْوَايَةُ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ الْحَدِّ - وَأَشْقَرُ أَبِي الْخَلْقِ وَالْوَجْهَ الطَّلَاقُ
أَنْ يَحْقِرَ كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنَ الْعَسَجِدِ ، وَطُرِفَ بِالذَّرِّ وَأُنْعِلَ بِالزَّبْرِجَدِ ، وَوُسِمَ فِي الْحَدِيثِ
بِسِمَةِ الْيَمْنِ وَالْبَرَكَةِ ، وَاخْتَصَّ بِفُلْجِ الْخِصَامِ ، عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمَرْكَةِ ، وَأَنْفَرْدَ بِمُضَاعَفِ
السَّهَامِ [الْمُنْكَسِرَةِ عَلَى الْهَامِ] فِي الْفَرَائِضِ الْمَشْتَرَكَةِ ، وَاتَّصَفَ فَلَكُ كَفَلَهُ بِجَرَكَتِي
الْإِرَادَةِ وَالطَّيْعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَةِ ، أَصْغَى إِلَى السَّمَاءِ بِأُذُنِ الْمُتْلِهِمْ ، وَأَعْرَبَ لِسَانُ
الصَّهِيلِ ، عِنْدَ التَّبَاسِ مَعَانِيَ الْهَمْزِ وَالتَّسْهِيلِ ، بَيَانِ الْمُبْهَمِ ، وَفُتِنَتِ الْعَيُونُ مِنْ ذَهَبِ
جِسْمِهِ ، وَبُلْحَيْنِ نَجْمِهِ بِحُبِّ الدِّينَارِ وَالذَّرْهِمِ ، فَإِنْ انْقَضَ فَرَجُهُ أَوْ رِيحُهَا هَجْمُ ،
وَمِنْ أَعْتَرَضَ فَشَفَقَ لَاحَ بِهِ لِلنَّجْمِ نَجْمٌ - وَأَصْفَرَ قَيْدَ الْأَوَايِدِ الْحَزَّ ، وَأَمْسَكَ الْحَاسِنَ
وَأَطْلَقَ الْغُرَّةَ ، وَسُئِلَ مَنْ أَنْتَ فِي قُودِ الْكَتَائِبِ ، وَأُولَى الْأَخْبَارِ الْعَجَائِبِ ،
فَقَالَ أَنَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرِهِ ، نَزَجَسَ هَذِهِ الْأَلْوَانِ ، فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ ،
تَحِيًا بِهِ وَجْهَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ ، أَغَارَ بِخَوْفِ الصَّائِلِ ، عَلَى مُعْصَفَرَاتِ الْأَصَائِلِ فَارْتَدَّاهَا ،
وَعَمَدَ إِلَى خُيُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَمْسِ ، فَالْحَمَّ مِنْهَا حُلَّتَهُ وَأَسَدَّاهَا ،
وَأَسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِ مَلِكُ الْحَاسِنِ فَمَا أَعْدَاهَا ، فَهُوَ أَصِيلٌ تَمَسَّكَ بِذَيْلِ اللَّيْلِ عُرْفُهُ

وَذَيْلُهُ ، وَكَوَكَبٌ يُطْلَعُهُ مِنَ الْقَتَامِ لَيْلُهُ ، فَيَحْسُدُهُ فَرَقَدَ الْأَفْقَ وَسَهْلُهُ - وَأَشْهَبَ
تَغَشَّى مِنْ لَوْنِهِ مُضَاضُهُ ، وَتَسْرِبَلٌ مِنْهُ لَأَمَةٌ فَضْضَاضُهُ ، قَدْ أَحْتَفَلَ زَيْنُهُ ، لَمَّا رُقِمَ
بِالنَّبَالِ بَحْيَتُهُ ، فَهُوَ الْأَشْمَطُ ، الَّذِي حَقُّهُ لَا يُغْمَطُ ، وَالذَّرَاعُ الْمُسَارِعُ ، وَالْأَعْزَلُ
الدَّارِعُ ، وَرَاقِي الْحِضَابِ الْفَارِعُ ، وَمَكْتُوبُ الْكِتَابَةِ الْبَارِعُ ؛ وَأَكْرَمُ بِهِ مِنْ مُرْتَضٍ
سَالِكٍ ، وَمُجْتَهِدٍ عَلَى غَايَاتِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مُتَهَالِكٍ ، وَأَشْهَبُ يَرَوِي مِنَ الْخَلِيفَةِ ،
ذِي الشِّيمِ الْمُنِيفَةِ ، عَنْ مَالِكٍ - وَحُبَارَى كَلَّمَا سَابَقَ وَبَارَى ، أَسْتَعَارَ جَنَاحَ الْحُبَارَى ؛
فَإِذَا أَعْمَلْتَ هَذِهِ الْحِسْبَةَ ، قِيلَ مِنْ هُنَا جَاءَتِ النَّسَبَةُ ، طَرَدَ النَّمِرُ ، لَمَّا عَظُمَ
أَمْرُهُ وَأَمِرُ ، فَنَسَخَ وَجُودَهُ بَعْدَمِهِ ، وَأَبْتَرَهُ الْقُرُوءَ ثُمَّ لَطَّخَهُ بِدَمِهِ ، وَكَانَ مُضَاعَفَ
الْوَرْدِ نَثْرَ عَلَيْهِ مِنْ طَبَقِهِ ، أَوْ الْفَلَكَ ، لَمَّا ذَهَبَ الْحَلَّكَ ، مُزِجَ فِيهِ بَيَاضَ صُبْحِهِ بِحَمْرَةِ
شَفَقِهِ - وَقِرْطَاسِي حَقُّهُ لَا يَجْهَلُ ، حَتَّى مَاتَرَقَى الْعَيْنَ فِيهِ تَشْهَلُ ، إِنْ نُزِعَ عَنْهُ جُلَّهُ ،
فَهُوَ نَجْمٌ كُلُّهُ ، أَنْفَرَدَ بِمَادَّةِ الْأَلْوَانِ ، قَبْلَ أَنْ تَشُوْبَهَا يَدُ الْأَكْوَانِ ، وَتَمْزِجَهَا أَقْلَامُ
الْمَلَوَانِ ، يَتَقَدَّمُ مِنْهُ الْكِتَابَةُ الْمُفِيلَةُ لَوَاءُ نَاصِعٍ ، أَوْ أَبْيَضُ مِمَاصِعٍ ، لَيْسَ وَقَارَ
الْمَشِيبِ ، فِي رَيْعَانِ الْعُمَرِ الْقَشِيبِ ، وَأَنْصَبَتْ الْأَذَانُ مِنْ صَهْلِهِ الْمُطِيلِ الْمُطِيبِ ،
لَمَّا آرْتَدَى بِالْبَيَاضِ إِلَى نَعْمَةِ الْخَطِيبِ ، وَإِنْ تَعَبْتُ مِنْهُ لِلتَّأْخِيرِ الْمَتَعَبُ ،
قَلْنَا الْوَأُولَا تُرْتَبُ ، مَا يَبِينُ بَخْلَ وَحَرِّهِ ، وَبِهَرْمَانَةِ وَدَرِّهِ ، وَيَا لَلَّهِ مِنْ آبَتْسَامِ غُرِّهِ ،
وَوُضُوحِ يُمَيْنِ فِي طَرِّهِ ، وَبِهَجَّةٍ لِلْعَيْنِ وَقُرِّهِ ، وَإِنْ وَلَعَ النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ ،
وَخَصَّوْا الْحَدِيثَ بِقَرَى الْأَدِيمِ ، وَأَوْجَبَ الْمَتَعَصَّبُ ، وَإِنْ أَبِي الْمَنْصِبُ ، مَرْتَبَةُ
التَّقْدِيمِ ، وَطَمَحَ إِلَى رُتْبَةِ الْخَدُومِ طَرَفُ الْحَدِيدِ ، وَقُرْنِ الْمُثَرَّى بِالْعَدِيمِ ، وَبُخْسِ
فِي سُوقِ الْحَسَدِ الْكِيلِ ، وَدَجَى اللَّيْلِ ، وَظَهَرَ فِي فَلَكِ الْإِنْصَافِ الْمِيلُ ، لَمَّا تُدْوِرَتْ
الْخَلِيلُ ، بَغَى بِالْوَجِيهِ وَالْخَطَّارِ ، وَالذَائِدِ وَذِي الْخِمَارِ ، وَدَاحِيسِ وَالسَّكْبِ ،
وَالْأَيْجَرِ وَزَادَ الرُّكْبِ ، وَالْجُوحُ وَالْيَحْمُومُ ، وَالْكَيْتُ وَمَكْتُومُ ، وَالْأَعْوَجُ وَحُلُومُ ،

ولاحق والغضبان ، وعفور^(١) والزعفران ، والمحبر ، واللعب ، والأغر والغراب ،
 وشعلة والعقاب ، والقياض واليعبوب [والمذهب واليعسوب ، والصموت
 والقطيب ، وهيدب والصيب وأهلوب^(١)] وهذاج ، والحرون وخراج ، وجلوى ،
 والجناح والأخوى ، ومجاج والعصا ، والنعام ، والبقاء والحمامه ، وسكاب والجراده ،
 وحوصاء ، والعراده . فكم بين الشاهد والغائب ، والفروض والرغائب ؛ وفرق ما بين
 الأثر والعيان ، غي عن البيان ؛ وشتان بين الصريح والمشتبه ، والله القائل في مثله
 « خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به » والناسخ يختلف به الحكم ، وشر الدواب عند
 التفضيل بين هذه الدواب الصم البكم ؛ إلا ماركبه نبي ، أو كان له يوم الافتخار برهان
 خبي ؛ ومفضل ما سمع على ما رأى غي ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفت
 لأقضمت حبّ القلوب علقا ، وأوردت ماء الشئنة نظفا ؛ وأتخذت لها من عذر
 الخدود الملاج عذر موشية ، وعلت بصفير الحان القيان كل عشي ؛ وأعلت
 بالأهله ، وغطيت بالرياض بدل الأجله .

إلى الرقيق ، الخلق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مثوى الرعاية روقة الفتيان
 رعاته ويهدي عقيقتها من سبجه أشكالا تشهد للمخترع سبحانه بإحكام مخترعاته ،
 وقفت ناظر الاستحسان لا يريم ، لما بهره منظرها الكريم ، وتخامل الظلم وتضائل
 الرّيم ، وأحرس مقوله اللسان وهو بملكات البيان الحفيظ العليم ، وناب لسان الحال ،
 عن لسان المقال ، عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام الذي أطلعت أزهارها غمام
 جوده [وأقتضت اختيارها بركة وجوده^(١)] : لو علمنا أيها الملك الأصيل ،
 الذي كرم منه الإجمال والتفصيل ؛ أن البناء يوازيها لكننا لك بكلك ،

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

أو الشكر يُعَادِلُهَا وَيُجَازِيهَا لَتَعْرِضُنَا بِالْوَشَلِ إِلَى نَيْلِ نَيْلِكَ ، أَوْ قُلْنَا : هِيَ الَّتِي
أَشَارَ إِلَيْهَا مَسْتَصْرِخٌ سَلَفُكَ الْمُسْتَنْصِرُ بِقَوْلِهِ : أَدْرِكَ بِخَيْلِكَ ، حِينَ شَرِقَ بِدَفْعِهِ
الشَّرْقُ ، وَأَنْهَزَ الْجَمْعُ وَأَسْتَوَى الْفَرْقُ وَاتَّسَعَ فِيهِ وَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْخَرْقُ ؛ وَرَأَى أَنْ
مَقَامَ التَّوْحِيدِ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى التَّثْلِيثِ ، وَحِزْبِهِ الْحَلِثِ ، هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ .
وَالآنَ قَدْ أَغْنَى اللَّهُ بَتْلَكَ النَّيَّهَ ، عَنْ إِنْجَادِ الطَّوَالِ الرَّدِّيْنِيَّةِ ، وَبِالدَّعَاءِ مِنْ تِلْكَ
الْمَثَابَةِ الدِّينِيَّةِ إِلَى رَبِّ الْبَيْنَةِ ، عَنْ الْأُمْدَادِ السَّيْنِيَّةِ ، وَالْأَجْوَادِ تَخْوُضِ بَحْرِ الْمَاءِ
إِلَى بَحْرِ الْمَيِّتَةِ ، وَعَنِ الْجُرْدِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَقَاوِدِ اللَّيْثِ الْأَبْيَةِ . وَجَدَّدَ بِرِسْمِ هَذِهِ
الْهَدْيَةِ ، مَرَّاسِيمَ الْعُهُودِ الْوُدِّيَّةِ ، وَالذَّمَّ الْمُوَحَّدِيَّةِ ، لَتَكُونَ عَلَامَةً عَلَى الْأَصْلِ ،
وَمَكْنَذَةً لِدَعْوَى الْوَقْفِ وَالْفَضْلِ ، وَإِشْعَارًا بِالْأَلْفَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ أَلْفُهَا أَلْفُ الْوَصْلِ ،
وَلَا مُهَا حَرَامًا عَلَى النَّصْلِ .

وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْنَا رَسُولُكُمْ فَلَانَ فَقَرَّرَ مِنْ فَضْلِكُمْ ، مَا لَا يُنْكِرُهُ مَنْ عَرَفَ عُلُوَّ
مِقْدَارِكُمْ ، وَأَصَالَةَ دَارِكُمْ ، وَفَلَكَ إِبْدَارِكُمْ ، وَقُطْبَ مَدَارِكُمْ ؛ وَأَجْبَنَاهُ عَنْهُ يُجْهِدُ مَا كُنَّا
لِنَقْنَعُ مِنْ حَنَاهُ الْمَهْتَمِّصِ ، بِالْمَقْتَضِبِ الْمُخْتَصِرِ ، وَلَا تُقَابِلِ طُولَ طَوْلِهِ بِالْقِصْرِ ،
لَوْلَا طُرُوءُ الْحَصْرِ .

وَقَدْ كَانَ بَيْنَ الْأَسْلَافِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرِضْوَانُهُ - وَدُّ أُرِمَتْ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ
مَعَاقِدُهُ ، وَوُثِّرَتْ لِلْخُلُوصِ ، الْجَلِيلِيَّ النَّصُوصِ ، مُضَاجِعُهُ الْقَازَةَ وَمَرَاقِدُهُ ، وَتَعَاهُدُ
بِالْجَمِيلِ تَوَجَّعَ لِفَقْدِهِ فَاقِدُهُ ؛ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ الْفَضْلُ فِي تَجْدِيدِهِ ،
وَالْعُطْفُ بِتَوْكِيدِهِ ؛ فَنَحْنُ الْآنَ لَا نَذَرِي أَىْ مَكَارِمِكُمْ نَذْكُرُ ، أَوْ أَىْ قَوَاضِيكُمْ نَشْرَحُ
أَوْ نَشْكُرُ ، أَمْفَاتُحْتُمْ الَّتِي هِيَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِيقَةِ فَتَحُ ، أَمْ هَدِيَّتِكُمْ وَفِي وَصْفِهَا لِلْأَقْلَامِ
سَبْحُ ، وَلَعْدُو الْإِسْلَامِ بِحِكْمَةِ حُكْمَتِهَا كَبْحُ ، إِنَّمَا نَكُلُ الشُّكْرَ لِمَنْ يُوفِّي جَزَاءَ الْأَعْمَالِ

البرّه ، ولا يَخْسُ مثقالَ الذّرة ولا أدنى [من] مثقالِ الذّره ، ذى الرحمة الثّرة ، والألطف المتصلة المستمّره ، لا إله إلا هو .

وإن تَسَوَّقَم إلى الأحوال الراهنه ، وأسباب الكُفّر الواهية بقدره الله الواهنة ؛ فنحن نُظَرَفكم بطُرفها ، ونُظَلِّعكم على سبيل الإجمال بطُرفها ؛ وهو أننا لمّا أعاد الله من التّحيص ، إلى مثابة التّخصيص ، من بعد المَرَام العويص ؛ كحلّنا بتوفيق الله بَصَر البصيره ، ووقفنا على سبيله مساعى الحياة القَصيره ؛ ورأينا كما نُقَل إلينا ، وكرّر على مَنْ قَبَلنا وعلينا ؛ أَنَّ الدنيا - وإن غَزَّ الغُرور ، وأنام على سُرُر الغفلة السُّرور ؛ فلم ينفع الخطور على أجداث الأحباب والمُرور - جَسْرُيَعبر ، ومتاع لا يُبْط من حَي به ولا يُجْبر ، إنما هو خُبر يُجْبر ، وأن الحَسرة بمقدارها على تركه تجبر ؛ وأنّ الأعمار أحلام ، وأنّ الناس نِيام ؛ ورُبّما رَحَلَ الراحل عن الخان ، وقد جَلَّه بالأذى والدَّخان ؛ أو ترك به طِينا ، وثناء يقوم بعده للآتى خَطِيبا ؛ فجعلنا العدل في الأمور مَلَاكا ، والتَّقَدُّ للثُّغور مِسْواكا ؛ وَضَمِّج المهاد ، حديث الجهاد ، وأحكامه مَنَاط الاجْتِهَاد ، وقوله : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ)) من مُجْجج الاستشهاد ، وبادرنا من الحصون المُضَاعَة وجنح التَّقِيَّة دامس ، وسا كُنْها بأُس ، والأعصم في شَعَقَاتِها من العِصْمَة يَأُس ؛ فزَيَّنا ببيض الشُّرُفات ، ثناياها ، وأفَعَمْنَا بالعُذْب الفُرات ، رَكَاياها ؛ وَغَشَّينا بالصَّفِيح المُضَاعَف أبوابها ، وأَحْتَسَبْنَا عند مَوْقِ الأَجُور ثَوَابِها ، وَبَيَّضْنَا بِناصع الكِلْس أثوابها ؛ فهي اليوم تُوهِم حَسَّ العِيان ، أنها قِطْع من بِيض العَنان ، تكاد تَتَاوَل قُرْصَ البدر بالبَّنان ، متكفِّلةً لِلْؤْمَن من فَرَع الدنيا والآخرة بِالْأَمَان ؛ وأَقْرَضْنَا الله قَرْضَا ، وأَوْسَعْنَا مَدُونَةَ الجِنِيش عَرْضَا ، وفَرَضْنَا إِنْصَافَه مع الأَهْلَة فَرْضَا ؛ وَاسْتَنْدْنَا مِنَ التَّوَكُّل على الله الغنى الحميد إلى ظِلِّ لَوَاء ،

وَبَدَّنَا إِلَى الطَّاعِيَةِ عَهْدَهُ عَلَى سَوَاءٍ ۚ وَقُلْنَا : رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ وَكُلُّ جَبَّارٍ لِعِزِّكَ ذَلِيلٌ ، وَحِزْبُكَ هُوَ الْكَثِيرُ وَمَا سِوَاهُ قَلِيلٌ [أَنْتَ الْكَافِي ، وَوَعْدُكَ الْوَعْدُ الْوَاقِي ، فَاقْضَ عَلَيْنَا مَوَازِعَ الصَّابِرِينَ ^(١)] وَأَكْتُبْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِحُطُوظِ رِضَاكَ الظَّافِرِينَ ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَنَحْرُكًا أَوَّلَى الْحَرَكَاتِ ، وَفَاتِحَةً مُصَحِّفَ الْبَرَكَاتِ ۚ فِي خِيفٍ مِنَ الْحُشُودِ ، وَأَقْتَصَارٍ عَلَى مَا بِحَضْرَتِنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَظْفَرَةِ وَالْجُنُودِ ۚ إِلَى حِصْنِ آشِ الْبَازِي الْمِطْلِ ، وَرُكَابِ الْعَدُوِّ الضَّالِّ الْمِضِلِّ ، وَمُهْدَى نَفَثَاتِ الصَّلِّ ۚ عَلَى أَمْتِنَا وَارْتِفَاعِهِ ، وَسُمُوفِ قَاعِهِ ۚ وَمَا بَدَّلَ الْعَدُوِّ فِيهِ مِنْ أَسْتَعْدَادِهِ ، وَتَوْفِيرِ أَسْلِحَتِهِ وَأَزْوَادِهِ ، وَأَنْتِخَابِ أَنْجَادِهِ ۚ فَصَلِّينَا بِنَفْسِنَا نَارَهُ ، وَزَاخِنَا عَلَيْهِ الشَّهَدَاءُ نُصَابِرُ أَوَارِهِ ، وَتَلْقَى بِالْخَوَارِجِ الْعَزِيزَةِ سَهَامَهُ الْمَسْمُومَةَ ، وَجَلَامِدَهُ الْمَمُومَةَ ، وَأَحْجَارَهُ ۚ حَتَّى فَرَعْنَا بِحَوْلٍ مَنْ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ أَبْرَاجَهُ الْمُنِيعَةَ وَأَسْوَارَهُ ، وَكَفَفْنَا عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ أَضْرَارَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَضَفْنَا إِلَيْهِ حِصْنَ السَّهْلَةِ جَارَهُ ۚ وَرَحَلْنَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ شَحَنَاهُ رَابِطَةً وَحَامِيَهُ ، وَأَزْوَادًا نَامِيَهُ ۚ وَعَمِلْنَا بَيْنَنَا فِي رَمِّ مَائِلَمِ الْقِتَالِ ، وَبَقَرْنَا مِنْ بَطُونِ مَسَالِحِهِ الرِّجَالَ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِنَبِينَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ فِي الْخَنْدَقِ لَمَّا حَمَى ذَلِكَ الْمَجَالَ ، وَوَقَعَ الْأَرْتِجَازُ الْمُنْقُولُ خَبْرَهُ وَالْأَرْتِجَالَ ، وَمَا كَانَ لِيَقَرَّ لِلْإِسْلَامِ مَعَ تَرْكِهِ الْقَرَارِ ، وَقَدْ كُتِبَ الْجَوَارُ ، وَتَدَاعَى الدَّعْرَةُ وَتَعَاوَى الشَّرَارُ .

وَكَأَ أَغْرَيْنَا الْجَهَّةَ الْغَرِبِيَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ بُرْغَةِ الَّتِي سَدَّتْ بَيْنَ الْقَاعَدَتَيْنِ : مَالَقَةَ وَرُنْدَةَ الطَّرِيقِ ، وَالْبَسْتُ دُلَّ الْفِرَاقِ ذَلِكَ الْفَرِيقَ ، وَمَنْعْتُهُمَا أَنْ يُسَيِّغَا الرِّيقَ ۚ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِلْسَامِ ، لَطِيفِ الْمَنَامِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَلَا رِسَالَةَ إِلَّا فِي أَجْنَحَةِ

هَدَى الْحَمَامُ ، فَيَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَهَا ، وَعَجَّلَ مَنَحَهَا ، بَعْدَ حَرْبٍ أُنْبَتَتْ فِيهَا النُّحُورُ ،
وَتَزَيَّنَتْ الْحُورُ ، وَتَبَعَ هَذِهِ الْأُمُّ بَنَاتُ شَهِيرِهِ ، وَبُقِعَ لِلزَّرْعِ وَالضَّرْعِ خَيْرُهُ ، فَشُنِفِي
النَّغْرَ مِنْ بُوسِهِ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْإِسْلَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ بَعْدَ عُبُوسِهِ .

ثُمَّ أَعْمَلْنَا الْحَرَكَةَ إِلَى مَدِينَةِ الْحَزِيرَةِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ، وَتَعَلَّقَهَا عَلَى بِلَادِ الْعَدَا ،
وَأَقْتَحَمَ هَوْلَ الْفَلَا وَغَوْلَ الرَّدَا ، مَدِينَةً بَنَتْهَا حِمصٌ فَأَوْسَعَتِ الدَّارَ ، وَأَغْلَتِ الشَّوَارَ ،
وَرَاعَتْ الْأَسْتِكْثَارَ ، وَبَسَطَتْ الْأَعْتِمَارَ ، رَجَّحَ إِلَيْنَا قَصْدُهَا عَلَى الْبُعْدِ ، وَالطَّرِيقِ
الْجَعْدِ ، مَا أَسَفَتْ بِهِ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ اسْتِئْصَالِ طَائِفَةٍ مِنْ أَسْرَاهُمْ مَرَّوًا بِهَا آمَنِينَ ،
وَبَطَائِرِهَا الْمَشُومِ مُتَمِئِّينَ ، قَدْ أَنَهَكَهُمُ الْإِعْتِقَالُ ، وَالْقَيْودُ الثَّقَالُ ، وَأَضْرَعَهُمُ
الْإِسَارُ ، وَجَلَّلَهُمُ الْإِنْكَسَارُ ، بَخَدْلُوهُمْ فِي مَصْرِعٍ وَاحِدٍ ، وَتَرْكُوهُمْ عِبْرَةً لِلرَّائِي
وَالْمُشَاهِدِ ، وَأَهْدُوا بِوَقِيعَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ تُكَلُّ الْوَاحِدُ ، وَتِرَّةُ الْمَاجِدِ ، فَكَبَسْنَاهَا
كَبَسًا ، وَجَعَلْنَاهَا بِالْهَامِ مِنْ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَى ، فَصَبَحَتْهَا الْخَلِيلُ ، ثُمَّ تَلَا حَقَّ الرَّجُلِ
كَمَا جَنَّ اللَّيْلُ ، وَحَاقَ بِهَا الْوَيْلُ ، فَأُبَيْحَ مِنْهَا الدَّمَارُ ، وَأَخَذَهَا الدَّمَارُ ، وَخُحِقَتْ
مِنْ مَصَانِعِهَا الْبَيْضُ الْأَهْلَةُ ، وَخُسِفَتِ الْأَقْمَارُ ، وَشُفِيتِ مِنْ دِمَاءِ أَهْلِهَا الضُّلُوعُ
الْحِرَارُ ، وَسَلَطَتْ عَلَى هَيَاكِلِهَا النَّارُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَلْفِ الْعَدِيدَةِ مِنْ سَنِيهَا
الْإِسَارُ ، وَاتَّهَتْ إِلَى إِشْيِيلِيَّةِ الثَّكُلِي الْمَغَارِ ، بِخَلَّلَ وَجْهَهُ مِنْ بَهَا مِنْ كِبَارِ النُّصْرَانِيَةِ
الصَّغَارِ ، وَاسْتَوْلَتْ الْأَيْدَى عَلَى مَا لَا يَسْعُهُ الْوَصْفُ وَلَا تَقْلُهُ الْأَوْقَارُ .

وَعُدْنَا وَالْأَرْضُ تَمُوجُ سَبِيًا ، لَمْ تَتْرُكْ بَعِثَرَيْنِ شِبْلًا وَلَا بَوْجَرَةً ظَنِيًا ، وَالْعَقَائِلُ
حَسْرَى ، وَالْعَيُونُ تَبْهَرُهَا الصُّنْعُ الْأَسْرَى ، وَصُبْحُ الشَّرَى قَدْ حُمِدَ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ الْمَسْرَى ،
فُسَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى . [وَلِسَانُ الْحَمِيَّةِ يُنَادِي ، فِي تِلْكَ الْكَائِنَاتِ الْمُخْتَرَةِ وَالنَّوَادِي ،
يَا لِنَارَاتِ الْأَسْرَى] ^(١) .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

ولم يكن إلا أن نُفِلَت الأنفال ، وُؤِمِمت بالأرضاخ الأغفال ، وتميزت الهوادي والأكفال ، وكان إلى غزو مدينة جِيَّان الاحتفال ؛ قُدْنَا إليها الجُردُ تُلَاعِبُ الظلالَ شَاطِأ ، والأبطالُ تَقْتَحِمُ الأخطارَ رِضًا بما عندَ اللهِ وَأَغْتَبَاطَا ، والمهَنَدَةُ الزُّرْقُ تَسْبِقُ إلى الرقابِ آسْتِلَالًا واختراطا ، والرَّدِينِيَّةُ السُّمُرُ تسترط حياة النفوسِ آسْطَرَا ، وأزحنا العِللَ عَمَّنْ أرادَ جِهَادًا مُنْجِيَا غُبَارُهُ من دُخَانِ جَهَنَّمَ وِرِبَاطًا ؛ ونَادَيْنَا الجِهَادَ الجِهَادَ ، يَا أُمَّةَ الجِهَادِ ، رَايَةَ النَّبِيِّ الهَادِ ، الْجَنَّةُ الْجَنَّةُ تحت ظلالِ السيوفِ الحِدَادِ ؛ فَهَزَّ الندَاءُ إلى اللهِ تَعَالَى كُلَّ عامِرٍ وَغَامِرٍ ، وَأَثْمَرَ الْجَمُّ من دعوة الحقِّ إلى أَمْرِ أَمْرٍ ، وَأَتَى النَّاسُ من الفُجُوجِ العميقةِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ؛ وكَاثَرَتِ الرَايَاتُ أَزْهَارَ الْبِطَاحِ لَوْنًا وَعَدَا ، وَسَدَّتِ الحُشُودُ مَسَالِكَ الطَّرِيقِ العَرِيشَةِ سَدًّا ؛ ومَدَّ بَحْرُهَا الزَّاحِرُ مَدًّا ، فلا يَحِدُ لها الناظِرُ ولا المناظِرُ حَدًّا .

وهذه المدينةُ هِيَ الأُمُّ الْوُلُودُ ، وَالْجَنَّةُ الَّتِي فِي النَّارِ لُسْكَانُهَا من الكُفَّارِ الْخُلُودُ ؛ وَكُرْسِيُّ الْمُلْكِ وَمَجْنِبَتُهُ الْوَسْطَى من الممالكِ بَاءَتْ بِالْمَزَايَا العديدةِ وَنَجَحَتْ ، وَعِنْدَ الْوِزَانِ بغيرِهَا من أُمَمَاتِ الْبُلْدَانِ رَجَحَتْ ؛ غَابَ الْأَسُودُ ، وَجَحَرَ الْحَيَّاتُ السُّودُ ؛ وَمِنْصَبُ التَّمَائِيلِ الهائلُ ، وَمَعْلَقُ النَوَاقِيسِ الصَّائِلُ .

وَأَدْنَيْنَا إِلَيْهَا الْمَرَاحِلَ ، وَعَيْنَانَا لَتَجَارِ الْمَحَلَّاتِ الْمُسْتَقْلَاتِ مِنْهَا السَّاحِلُ ؛ وَلَمَّا أَكْثَبْنَا جَوَارَهَا ، وَكِدْنَا نَلْمَحُ نَارَهَا ، تَحَرَّكْنَا وَوَشَّاحُ الْأَفْقِ الْمَرْقُومُ ، بَزْهَرِ النُّجُومِ ، قَدْ دَارَ دَائِرُهُ ؛ وَاللَّيْلُ من خَوْفِ الصَّبَاحِ ، عَلَى سَرَحِهِ الْمُسْتَبَاحِ ، قَدْ شَابَتْ غَدَائِرُهُ ، وَالنَّسْرُ يَرِفِرِفُ بِالْيَمَنِ طَائِرُهُ ، وَالسَّمَاءُ الرَّاحِ يَنَارُ تَغْرِ الْإِسْلَامِ نَائِرُهُ ؛ وَالتَّعَائِمُ رَاعِدَةٌ فَرَائِصُ الْجَبَسِ ، من خَوْفِ الْأَسَدِ ؛ وَالْقَوْسُ يُرْسِلُ سَهْمَ السَّعَادَةِ ، بَوْتَرِ الْعَادَةِ ، إِلَى أَهْدَافِ النَّعْمِ الْمُعَادَةِ ؛ وَالْجُوزَاءُ عَابِرَةٌ نَهْرَ الْحَجَرَةِ ، وَالزُّهْرَةُ تَغَارُ من الشَّعْرِى الْعَبُورِ بِالضَّرَةِ ؛

وعُطَارِدُ يُسَدِّي فِي حِيلِ الْحُرُوبِ عَلَى الْبَلَدِ الْمَحْرُوبِ وَيُلْحِمُ ، وَيُنَظِرُ عَلَى أَشْكَالِهَا
الْمُهَنْدِسِيَّةِ فُيَفْهِمُ ، وَالْأَحْمَرُ يَبْهَرُ ، وَالْعَلَمُ الْأَبْيَضُ يَقْرَأُ وَيَنْهَرُ ، وَالْمُسْتَرَى يُبْدِي فِي فَضْلِ
الْجِهَادِ وَيُعِيدُ ، وَيُزَاحِمُ فِي الْخَلْفَاتِ عَلَى مَالِ السَّعَادَةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَزِيدُ ، وَزُحَلْ
عَلَى الطَّالِعِ مَزْحَلْ ، وَعَنْ الْعَاشِرِ مَرْتَحَلْ ، وَفِي زَلْقِ السَّقُوطِ وَحَلْ ، وَالْبَدْرُ
يُطَارِحُ حَجَرَ الْمُنْجِنِقِ ، كَيْفَ يَهْوِي إِلَى النَّبْقِ ، وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ يَرْقُبُ ، وَجِدَارُ
الْأَفْقِ يَكَادُ بِالْعُيُونِ عَنْهَا يُنْقَبُ .

وَلَمَّا فَشَا سِرُّ الصَّبَاحِ ، وَاهْتَرَّتْ أَعْطَافُ الرِّيَاطِ لَتَحِيَّاتِ مَبَشِّرَاتِ الرِّيَاحِ ، أَطْلَلْنَا
عَلَيْهَا إِطْلَالَ الْأَسْوَدِ عَلَى الْفَرَائِسِ ، وَالْفُحُولِ عَلَى الْعَرَائِسِ ، فَنَظَرْنَا مَنَظَرًا يَرُوعُ بِأَسَا
وَمَنَعَهُ ، وَيُرِوقُ وَضْعًا وَصَنَعَهُ ، تَلَقَّعَتْ مَعَاقِلُهُ الشَّمَّ لِلْسَحَابِ بِرُودِ ، وَوَرَدَتْ مِنْ
غَدِيرِ الْمُزْنِ فِي بُرُودِ ، وَأَسْرَعَتْ لِاخْتِطَافِ أَزْهَارِ النُّجُومِ وَالذَّرَاعِ بَيْنَ النِّطَاقِ مَعَاصِمُ
رُودِ ، وَبَلَدًا يُعْيِي الْمَاسِجَ وَالذَّرَاعِ ، وَيَنْتَظِمُ الْحَانِي وَالْأَجَارِعِ ، فَقُلْنَا : اللَّهُمَّ نَفْلُهُ أَيْدِي
عِبَادِكَ ، وَأَرِنَا فِيهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ جِهَادِكَ ، فَتَزَلْنَا بِسَاحَتِهَا الْعَرِيضَةِ الْمُتُونِ ، تُزُولُ
الْغَيْثُ الْهَتُونِ ، وَتَيَمَّنَا مِنْ فَحْصِهَا الْأَفْجِجِ بِسُورَةِ التِّينِ وَالزُّرْتُونِ ، مَتَرَبَّةً مِنْ أَمَانِ
الرَّحْمَنِ لِلْبَلَدِ الْمَفْتُونِ ، وَأَعْجَلْنَا النَّاسَ بِحِمَّةِ نُفُوسِهِمُ النَّفِيسَةِ ، وَسَحِيَّةِ شَجَاعَتِهِمُ الْبَيْتِيسَةِ ،
عَنْ أَنْ نُبَوِّئَ لِلْقِتَالِ الْمَقَاعِدَ ، وَنُدْنِي بِإِسْمَاعِ شَمِيرِ النَّفِيرِ مِنْهُمْ الْأَبَاعِدَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ
الْخَلْدِيمُ بِالْمَخْدُومِ ، وَيَرْكَعَ الْمُنْجِنِقُ رُكْعَتِي الْقُدُومِ ، فَدَفَعُوا مَنْ أَصْحَرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْسَانِ ،
وَسَبَقَ إِلَى حَوْمَةِ الْمِيدَانِ ، حَتَّى أَتَجَرَّوْهُمْ فِي الْبَلَدِ ، وَسَلَبُوهُمْ لِبَاسَ الْجِلْدِ ، فِي مَوْقِفِ
يُذْهِلُ الْوَالِدَ عَنِ الْوَلَدِ ، صَارَتْ السَّهَامُ فِيهِ غَمَامًا ، وَطَارَتْ كَأَسْرَابِ الْحَمَامِ تُهْدِي
حَمَامًا ، وَأَضْحَتْ الْقَنَا قَصْدًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ شَهَابًا رَصْدًا ، وَمَاجَ بَحْرُ الْقَتَامِ بِأَمْوَاجِ
النُّصُولِ ، وَأَخَذَ الْأَرْضَ الرَّجْفَانُ لَزْزَالِ الصَّبَاحِ الْمَوْصُولِ ، فَلَا تَرَى إِلَّا شَهِيدًا

تُظَلِّلُ مَصْرَعَهُ الْخُورَ ، وَصَرِيحًا تَقْدِفُ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ أَمْوَاجُ تِلْكَ الْبُحُورِ ، وَنَوَاشِبَ
تَبَأَى بِهَا الْوُجُوهُ الرَّجِيمَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالنُّحُورُ ، فَلَمِيقْضِ ، فَوَدَّهُ يُحْضِبُ ، وَالْأَسْمَرُ ،
غُصْنُهُ يَسْتَشْمِرُ ، وَالْمَغْفَرُ ، حِمَاهُ يَحْفَرُ ، وَظُهُورُ الْقَيْسَى تُقْصَمُ ، وَعِصَمُ الْجُنْدِ الْكَوَافِرُ
تُقْصَمُ ، وَوَرَقُ الْيَلْبِ ، فِي الْمَتَقَلْبِ ، يَسْقُطُ ، وَالْبُتْرُ تَكْتَبُ وَالسُّمْرُ تَنْقُطُ ، فَاقْتَحِمِ
الرَّبِضُ الْأَعْظَمُ لِحِينِهِ ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ لَعِیُونَ الْمُبْصِرِينَ وَالْمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةَ دِينِهِ ،
وَتَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَدِيدِهِ ، وَنُهَبَ الْكُفَّارُ وَخُذِلُوا ، وَبُكِّلَ مَرْصِدُ جُدُلُوهُ ، ثُمَّ دُخِلَ
الْبَلَدُ بَعْدَهُ غَلَابًا ، وَجُلِّلَ قَتْلًا وَاسْتِلَابًا ، فَلَا تَسْلُ ، إِلَّا الظُّبَى وَالْأَسْلُ ، عَنْ قِيَامِ
سَاعَتِهِ ، وَهَوْلِ يَوْمِهَا وَشَنَاعَتِهِ ، وَتَخْرِيبِ الْمَبَائِثِ وَالْمَبَانِي ، وَغِيَا الْأَيْدِي مِنْ خَزَائِنِ
تِلْكَ الْمَغَانِي ، وَنَقَلَ الْوُجُودَ الْأَوَّلِ إِلَى الْوُجُودِ الثَّانِي ، وَتَخَارَقَ السَّيْفُ بِخَاءِ بَغِيرِ
الْمَعْتَادِ ، وَهَلَّتِ الْقَنَا الرُّدَيْنِيَّةُ مِنَ الدَّمَاءِ حَتَّى كَادَتْ تُورِقُ كَالْأَغْصَانِ الْمُعْتَرِسَةِ وَالْأَوْتَادِ ،
وَهَمَّتْ أَفْلَاكُ الْقَيْسَى وَصَحَّتْ ، وَأَرْنَتْ حَتَّى بَحَّتْ ، وَنَفِدَتْ مَوَادُّهَا فَشَحَّتْ
بِمَا أَلَحَّتْ ، وَسَدَّتِ الْمَسَالِكَ جُثُثُ الْقَتْلِ فَمَنْعَتِ الْعَارِ ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ
الشَّافَةَ وَقَطَعَ الدَّائِرَ ، وَأَزْلَفَ الشَّهِيدَ وَأَحْسَبَ الصَّابِرَ ، وَسَبَقَتْ رُسُلُ الْفَتْحِ الَّذِي
لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ الْغَائِرِ ، تَنْقُلُ الْبُشْرَى مِنْ أَفْوَاهِ الْحَابِرِ ، إِلَى آذَانِ الْمَنَابِرِ .

أَقْنَاهَا أَيَّامًا نَعْفَرُ الْأَشْجَارَ ، وَنَسْتَأْصِلُ بِالتَّخْرِيبِ الْوِجَارَ ، وَلِسَانُ الْإِنْتِقَامِ ،
مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، يُنَادِي بِالنَّارَاتِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ تَسْفِيًا مِنَ الْفُجَّارِ ، وَرَعِيًا لِحَقِّ
الْحَارِ ، وَقَفَلْنَا وَأَجْنَحَةُ الرَّاياتِ ، بِرِيَّاحِ الْعِنَايَاتِ ، خَافَقَهُ ، وَأَوْفَاقُ التَّوْفِيقِ ،
النَّاشِئَةُ مِنْ خُطُوطِ الطَّرِيقِ ، مُوَافَقَهُ ، وَأَسْوَاقُ الْعِزِّ بِاللَّهِ نَافَقَهُ ، وَحَمَلَاءُ الرِّفْقِ
مُصَاحِبَهُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مُرَافِقَهُ ، وَقَدْ ضَاقَتْ ذُرُوعُ الْجِبَالِ ، عَنْ أَعْنَاقِ الصُّمْبِ
السَّبَالِ ، وَرُفِعَتْ عَلَى الْإِكْفَالِ ، رُدَفَاءُ كِرَائِمِ الْأَفْقَالِ ، وَقُلِقَلَتْ مِنَ النُّوَاقِيسِ أَجْرَامُ

الجبال بالهندام والاحتفال ؛ وهلك بمهلك هذه الأم بنات كُنَّ يرتضعن نُدِيَّها الحوافل
ويستوثرن حِجْرها الكافل ؛ شَمِلَ التَّخريبُ أسوارها ، وعَجَلَتِ النارُ بوارها .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دِلَّاءَ الإِدلال قبل المتح ، فبشّرت بالمتح ؛
وقصدنا مدينةً أبَدَةً وهى ثمانية الجناحين ، وكُبرى الأختين ، ومساهمة جِيَّانَ
في حين الحين ؛ مدينة أخذت عَرَضَ الفضاء الأخرق ، وتمشّت فيه أرباضها تمشي
الكتابة الجامحة في المُهْرَق ؛ المشتعلة على المتأجروالمكاسب ، والوضع المتناسب ،
والفالج المُعْبِي رَيْعُهُ عَمَلَ الحاسب ، وكُورَةُ الدِّبْرِ اللَّاسِب ، المتعددة اليعاسب ؛
فأناخ العفاء بربوعها العامرة ، ودارت كُؤُسُ عَقَارِ الحُتُوف ، بَنَانُ السُّيُوف ،
على متدِيرِها المعاقرة ، وصَبَحَتْها طلائعُ الفاقرة ، وأغرِيتُ ببطون أسوارها عُوجُ
المعاول الباقرة ؛ ودخلت مدينتها عَنُوةُ السيف ، في أسرع من خَطَرَةِ الطَّيْف ،
ولا تسأل عن الكَيْف ؛ فلم يبلغ العفاء من مدينة حافله ، وعقيلة في حُلَلِ المحاسن
رافله ؛ ما بلغ من هذه البائسة التي سجدت لآلهة النيران أبراجها ، وتضائل بالرغام
مِعْراجها ؛ وضفت على أعطافها ملائسُ الحِذْلان ، وأقفر من كائنها كُؤُسُ
الغزْلان .

ثم تأهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، ونخزائن المزاين الوافرة ، وربّة الشهرة السافرة ؛
[والأبناء المسافرة] ^(١) قُرْطَبَةً وما أدراك ماهيه ، ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد
الراسخة الراسية ، والمباني المباهية والزهراء الزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ؛ حيث هالة
بدر السماء ، قد استدارت من السور المشيد البناء ؛ ونهر الحجرة من نهرها الفياض ،
المسلول حُسامه من عمود الغياض ؛ قد لصق بها جارا ، وفلك الدُّولاب المعتدل

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

الانقلاب قد استقام مدارا، ورجع الحنين أشيقا إلى الحبيب الأول وأذكارا؛
 حيث الطود كالنّاج، يزدان بلجين العذب المجاج؛ فيزرى بتاج كسرى ودارا؛ حيث
 قسيّ الجسور المديرة، كأنها عوج المطى الغريرة، تعبر النهر قطارا؛ حيث آثار العامرى
 المجاهد، تعبق بين تلك المغاهد، شدى منقطارا؛ حيث كرائم السحاب، تزور عرائس
 الرياض الحباب، فتحمّل لها من الدرّ نثارا؛ حيث شمول الشمال تدار على الأدواح؛
 بالغدو والرواح، فترى الفصون سكارى وما هي بسكارى؛ حيث أيدي الافتتاح،
 تقتض من شقائق البطاح، أبكارا؛ حيث ثغور الأفاج الباسم، تقبلها بالسحر
 زوار النواسم، فتخفي قلوب النجوم الغيارى، حيث المصلّى العتيق قد رحب بجالا
 وطال منارا، وأزرى ببلاط الوليد احتقارا؛ حيث الظهور المثارة بسلاح الفلاح
 تجب عن مثل أسنمة المهّار، والبطون كأنها لتدميت الغائم بطون العذارى، والأدواح
 العالية تخترق أعلامها الهادية بالحدّاول الخبارا؛ فاشئت من جو صقيل،
 ومعرّس للحسن ومقيل، ومالك للعقل وعقيل. ونحائل كم فيها للبلابل من قال وقيل،
 وخفيف يحاوب بثقيل. وسنابل تحكى من فوق سوقها، وقضب بسوقها، الهمزات
 فوق الألفات، والعصافير البديعة الصفات، فوق القضب المؤتافات، تميل بهبوب
 الصبا والجنوب، مائلة الجيوب بذرر الجيوب. وبطاح لا تعرف عين المحل، فتطلبه
 بالدحل؛ ولا تصرف فى خدمة بيض قباب الأزهار، عند افتتاح السوسن والبهار؛
 غير العبدان من سودان النخل، وبحر الفلاحة الذى لا يدرك ساحله، ولا يبلغ
 الطية البعيدة راحله، إلى الوادى، وسمّر النوادى، وقرار دموع الغوادر؛ المتجاسر
 على تخطيه، عند تمطيه، الجسر العادى؛ والوطن الذى ليس من عمرو ولا زيد،

والفرا الذى فى جوفه كل صيد؛ أقل كرسية خلافة الإسلام، وأغار بالرصافة والجحر
دار السلام، وما عسى أن تطنب فى وصفه السنة الأفلام، أو تعبّر به عن ذلك الكمال
فنون الكلام .

فاعلمنا إليها السرى والسير ، وقُذنا إليها الخيل وقد عقد الله بنواصيها الخير .

ولما وقفنا بظاهرها المنيه المعجب ، وأصطفقنا بخارجها المنيه المنجب ؛
والقلوب تلمس الإعانة من منعم مجزل ، وتستزِل مدد الملائكة من مُنجد مُزِل ،
والراكب واقفة من خلفنا بمعزل ، تتناشد فى معاهد الإسلام : قفّا نبك من ذكرى
حبيب ومزِل - برز من حاميتها الحاميه ، وقود النار الحاميه ، وبقية السيف
الوافرة على الحصاد الناميه ، قطع الغائم الهاميه ، وأمواج البحور الطاميه ، واستجنت
بظلال أبطال المجال أعداد الرجال الناشيه والراميه ؛ وتصدى للزَل من صناديدها
الصهب السبال ، أمثال الحصاب الراسيه ، تجنّاجن السوابج الكاسيه ؛ وقواميسها
المفاديه للصلبان يوم يوسها بئفوسها المواسيه ، وخنازيرها التى عدتها عن قبول
مُحج الله ورسوله ستور الظلم الغاشيه ، ومُحور القلوب القاسيه ؛ فكان بين الفريقين
أمام جسرها الذى فرق البحر ، وحلّى بلجينه ولائى زينه منها النحر ؛ حرب لم تنسج
الأزمان على منوالها ، ولا أتت الأيام الحبالى بمثل أجنة أهوالها ؛ من قاسها بالفجار
أفك وبقر ، أو مثّلها بجحر الهباءة نحر وهجر ، ومن شهبها بحرب داحس والغبراء
فما عرف الخير ، فليسأل من جرب وخبر ؛ ومن نظرها بيوم شعب جيله ، فهو
ذوبله ؛ أو عادها بطن عاقل ، فغير عاقل ؛ أو أحتج بيوم ذى قار ، فهو إلى المعرفة
ذو افتقار ؛ أو ناضل بيوم الكديد ، فسهمه [غير السديد] ، إنما كان مقاما غير مُعتاد ،

ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مُرتاد، وزلزال جبال أوتاد، ومتلّف مذخور
 لسلطان الشيطان وعداد، أعلم فيه البطل الباسل، وتورد الأبيض الباتر وتاد الأسمر العاسل،
 ودوم الجلمد المتكاسل، وأنبعث من حذب الحنية إلى هدف الرمية الناشر النَّاسِل،
 ورؤيت لمرسلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر الرماح إلى التشاجر والارتباك،
 ونسبت الأسنة في الدروع تشب السمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل،
 وعزّل الرديني عن العمل، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقت
 عُذر السوانج خُلجانا، وأتحدت جداول الدروع فصارت بحرا، وكان التعائق فلا ترى
 إلا تحرا يلزِم تحرا، عناق وداع، وموقف شمل ذى أنصداع، وإجابة مناد إلى
 فراق الأيد وداع، وأستكشفت مآل الصبر الأنفس الشفافة، وهبت بريح النصر
 الطلائع المبشرة الهفافة، ثم أمد السيل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الأبواب،
 وأستخلص العزم صفوة اللباب، وقال لسان النصر: أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَاب، فأصبحت
 طوائف الكفار، حصائد مناجل الشفار، فمفارقهم قد رضى حرماتها بالاعقار،
 ورؤوسهم مخطوطة في غير معالم الاستغفار، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج
 المستطرفة والأسوار، وزفر على المدينة جناح البوار، لولا الانتهاء إلى الحد والمقدار،
 والوقوف عند اختفاء سر المقدار.

ثم عبرنا نهرها، وشددنا بأيدي الله قهرها، وضيّقنا حصرها، وأقننا بها أياما
 تحوم عقبات البؤود على فريستها حياما، وترى الأرواح بيوارها، وتسلط النيران
 على أقطارها، فلولا عائق المطر، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرأينا
 أن نروضها بالاجتاث والانتساف، ونوالى على زروعها ورُبوعها كرات رياح
 الانتساف، حتى يهيا للإسلام لوك طعمتها، ويتهنأ بفضل الله إرث نعمتها،

ثم كانت عن موقفها الإفاضة من بعد نحر التُّحور ، وقَذِفَ جمار الدِّمار على العدُو
المدُّحُور ، وتدافعت خلفنا السابقات المستقلات تدافع أمواج البُحور .

وبعد أن اتَّحْنَا على جَنَاتِهَا الْمُصْجِرِهِ ، وكُرومِهَا الْمُشْتَجِرِهِ ، إلحاحَ الغريم ، وعَوْضَها
المنظَرُ الكَرِيهِ من المَنظَرِ الكَرِيم ، وطاف عليها طائفٌ من رَبَّنَا فأصبحت كالصَّريم ،
وأغرِيتَنَا حَلاَقَ النارِ بِحَمِّ الجَحِيم ، وراكنا في أجواف أجوائها غمامُ الدُّخَانِ ، تُدَكِّرُ
طَيِّبَةَ البان ، بيومَ الغَمِيم ، وأرسلنا رياحَ الغارات لا تَدُرُّ من شَيْءٍ أَنتَ عليه إلا جعلته
كالرَّمِيم ، وآستقبلنا الوادِىَ يَهولُ مَدَا ، وَيَرْوِعُ سَيْفُهُ الصَّقِيلَ حَدَا ، فَيَسِّرُهُ اللهُ من
بعد الإِعْوَاذِ ، وَأَنْطَلَقَتْ على الفُرْصَةِ [بتلك الفُرْصَةِ] أَيْدِى الأَتَهَاذِ ، وسألنا من ساءله
أَسَدُ بَنِ الفَرَاتِ فأقْبَى بُرْجُمانَ الجَوازِ فَعَمَّ الأَكْتِسَاحُ والاستَبَاحُ جَمِيعَ الأَحْوَازِ ، فَأَدْبَلَ
المُصُون ، وَأَتَشَبَّهتِ القُرَى وَهَدِمَتِ الحُصُونُ ، واجتُنَّتِ الأَصُولُ وَحُطِّمَتِ الغُصُونُ ،
ولم نَرَفَعْ عنها إلى اليومِ غَارَةً تُصَالِحُهَا بِالْبُوسِ ، وتُطْلِعُ عليها غُرَرَهَا الضاحِكَةَ باليومِ
العَبُوسِ ، فهى الآنَ تَجْرَى السَوابِقُ وَتَجْرَى العَوالِى ، على التَوالِى ، والحِسرَاتُ تُتَجَدَّدُ
فى أَطْلَافِهَا البَوالِى ، وَكَأَنَّ بها قَدْ صُرِعَتْ ، وإلى الدَّعْوَةِ المَحْمَدِيَّةِ قَدْ أُسْرِعَتْ بِقُدْرَةٍ
من لو أَنزَلَ القرآنَ على الجبالِ لَحَشَعَتْ من خَشْيَةِ اللهِ وَتَصَدَّعَتْ ، وعِزَّةٍ من أذَعَنْتِ
الجَبَابِرُ لِعِزِّهِ وَخَنَعَتْ ، وَعُدْنَا والبُنُودُ لا يَعْرِفُ اللَّفَّ تَشْرُها ، والوَجُوهُ المَجَاهِدَةُ
لا يَخَالِطُ التَّقْطِيبَ تَشْرُها ، والأَيْدِى بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى مَعْتَلِقَةً ، والأَلْسُنُ بِشُكْرِ نِعَمِ اللهِ
مُنْطَلِقَةً ، والسِوْفُ فى مَضَاجِعِ الغُمُودِ قَلِقَةً ، وسرايِلُ الدُّرُوعِ خَلِقَةً ، والحِياذُ من
رَدَّها إلى المَرابِطِ والأَوَارِى رَدَّ العَوَارِى حَقِيقَةً ، وَبَعَبَاتِ الغَيْظِ المَكْظُومِ مَحْتَبِقَةً ،
تَنْظُرُ إلينا نَظْرَ العائِبِ ، وَتَعُودُ من مِياذِنِ المِراحِ والأَخْتِمالِ تحتَ حُلَلِ السِّلَاحِ عَوَدَ

الصَّيَّانَ إِلَى الْمَكَاتِبِ ، وَالطَّبْلَ بِلِسَانِ الْعِزِّ هَادِرٍ ، وَالْعَزْمَ إِلَى مُنَادَى الْعَوْدِ الْحَمِيدِ
مُبَادِرٍ ، وَوَجُودُ نَوْعِ الرَّيَّاحِ ، مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكِفَاحِ ، نَادِرٍ ، وَالْقَاسِمُ تَرْتَّبَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
السَّبِي النَّوَادِرِ ، وَوَارِدُ مَنَهْلِ الْأَجُورِ ، غَيْرُ الْمُحَلِّ وَلَا الْمَهْجُورِ ، صَادِرٍ ، وَمُنَاطِرُ الْفَضْلِ
الْآتِي عَقِبَهُ أَخِيهِ الثَّانِي عَلَى الْمَطْلُوبِ الْمَوَاتِي مُصَادِرٍ ؛ وَاللَّهُ عَلَى تَيْسِيرِ الصَّعَابِ
وَتَخْوِيلِ الْمَنِّ الرَّغَابِ قَادِرٌ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَمَا أَجْمَلَ لَنَا صُنْعَهُ الْخَفِيُّ ! وَأَكْرَمَ بِنَا لُطْفَهُ
الْخَفِيُّ ! اللَّهُمَّ لَا تُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، وَلَا نَلْجَأُ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَلْتَمِسُ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا لَدَيْكَ ، فَأَعِزِّدْ عَلَيْنَا عَوَائِدَ نَصْرِكَ يَا مُبْدِيَّ يَامُعِيدَ ، وَأَعِزِّدْنَا مِنْ وَسَائِلِ
شُكْرِكَ عَلَى مَا نَنَالُ بِهِ الْمَزِيدَ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ .

وَقَارَنْتُ رِسَالَتَكُمْ الْمِيمُونَةَ مِنْهُ لَدَيْنَا حَدِّقْ فَتَحْ بَعِيدَ صَيْتِهِ ، مَشْرَبٌ لَيْتُهُ ، وَغَفْرٌ
مِنْ فَوْقِ النَّجُومِ الْعَوَاتِمِ مَبِيتُهُ ، عَجَبْنَا مِنْ تَأْتِي أَمَلِهِ الشَّارِدِ ، وَقَلْنَا الْبَرَكَةُ فِي قُدُومِ الْوَارِدِ ،
وَهُوَ أَنَّ مَلِكَ النَّصَارَى لَا طَفَنًا بِجَمَلَةٍ مِنْ الْحُصُونِ كَانَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ
قَدْ غُصِبَتْ ، وَالتَّمَاثِيلُ فِيهَا يَبُوتُ اللَّهُ قَدْ نُصِبَتْ ؛ أَدَاهَا اللَّهُ بِمَحَاوِلَتِنَا الطَّيِّبَ مِنْ
الْحَلِيبِ ، وَالتَّوْحِيدَ مِنَ التَّثْلِيثِ ؛ وَعَادَ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ عَوْدَةَ الْأَبِ الْغَائِبِ ، إِلَى الْبَنَاتِ
الْحَبَائِبِ ؛ يَسْأَلُ عَنْ شُؤْنِهَا ، وَيَمْسَحُ دُمُوعَ الرَّقَّةِ عَنْ جُفُونِهَا ؛ وَهِيَ لِلرُّومِ خُطَّةُ
خَسْفٍ قَلَمًا أَرْتَكِبُوهَا فِيمَا نَعْلَمُ مِنَ الْعُهُودِ ، وَنَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ ؛ وَالِىَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفَ الْجُودِ ! ، وَجَعَلْنَا فِي مُحَارِبِ الشُّكْرِ مِنَ الرُّكْعِ السُّجُودِ ! .

عَرَفْنَاكُمْ بِمَجْمَلَاتِ أُمُورٍ تَحْتَهَا تَفْسِيرٌ ، وَبِمَنْنٍ مِنَ اللَّهِ وَتَيْسِيرٍ ، إِذَا اسْتِيفَاءُ الْجَزَيَّاتِ
عَسِيرٌ ؛ لَنَسْرِكُمْ بِمَا مَنَحَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، وَتَتَوَجَّعُ بِعِزِّ الْمَلَّةِ الْحَنِيفَةِ جَبِينَكُمْ ، وَنُخْطَبُ بَعْدَهُ
دَعَاكُمْ وَتَأْمِينَكُمْ ؛ فَإِنَّ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بَطْهَرُ الْغَيْبِ سِلَاحُ مَاضٍ ، وَكَفِيلُ الْمَوَاقِبِ
الْمَسْئُولَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ الْوَهَّابِ مِيفَاضٌ ؛ وَأَتَمُّ أَوْلَى مَا سَاهَمَ فِي بَرٍّ ، وَعَامِلَ اللَّهِ بِمُخْلُوصٍ

سِرٍّ ؛ وأين يذهب الفضل عن بيتكم ، وهو صفة حَيْكَمٍ وَثَرَاتٍ مَيْتِكُمْ ؛ ولكم مَزِيَّةُ الْقَدَمِ ، ورسوخُ الْقَدَمِ ؛ والخلافةُ مَقْرُهَا إِيوَانُكُمْ ، وأصحابُ الإمامِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مستَقْرُّهَا قَيْرَوَانُكُمْ ؛ وهجيرُ المنابرِ ذِكْرُ إِمَامِكُمْ ، والتوحيدُ أَعْلَامُ أَعْلَامِكُمْ ؛ والوقائعُ الشَّهِيرَةُ فِي الْكُفْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَيَّامِكُمْ ، والصَّحَابَةُ الْكِرَامُ فَتَحَةُ أَوْطَانِكُمْ ، وَسُلَالَةُ الْفَارُوقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَائِجُ سُلْطَانِكُمْ ، ونحنُ نَسْتَكْثِرُ مِنْ بَرَكَةِ خِطَابِكُمْ ، وَوَصْلَةِ جَنَابِكُمْ ، وَلَوْلَا الْأَعْذَارُ لَوَالَيْنَا بِالْمَتْرِيدَاتِ تَعْرِيفَ أَبَوَابِكُمْ .

والله عز وجل يتولى عنا من شُكْرِكُمُ الْمُحْتَمومِ ، مَا قَصَّرَ الْمَكْتُوبُ مِنْهُ عَنِ الْمَكْتُومِ ؛ وَيُثَبِّتُكُمْ لِإِقَامَةِ الرُّسُومِ ، وَيُجَلِّحُ مَحَبَّتَكُمْ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْجُسُومِ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدُكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدُكُمْ ، وَيُوَالِي نِعْمَةَ عِنْدَكُمْ .

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ، الطَّيِّبُ الْبَرُّ الْعَمِيمُ ؛ يَخْصُصُكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا ، مَا أَطْلَعَ الصَّبْحُ وَجْهَهَا مُثِيرًا ، بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ النَّسِيمُ سَفِيرًا ، وَكَانَ الْوَمِيزُ الْبَاسِمُ ، لَا كَوَاسَ الْغَائِمِ ، عَلَى أَزْهَارِ الْكَأَمِ مُدِيرًا ؛ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف الثامن

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأُمَرَاءِ مِنَ الْعَمَالِ وَأُمَرَاءِ السَّرَايَا)

فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ)

وَكَانَ الْغَالِبُ فِي مَكَاتِبَاتِهِمُ الْإِفْتِتَاحُ بِأَمَّا بَعْدَ وَالتَّعْيِيرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْوَحْدَةِ ، وَخَطَابُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِالْكَافِ .

كَمَا كَتَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ نَائِبٌ عَنِ الْحَجَّاجِ عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ وَالْحُرُوبِ .

أما بعد ، فإنك تراخى عن الحرب حتى تأتيتك رُسلى ويرجعون بعذرِكَ ، وذلك أنك
تُمسِك حتى تَبْرأ الجراح وتُنسى القتلى ويَحِمُّ الناس ، ولو كنت تَلْقَاهم بذلك الحد
لكان الداء قد حُسِم ، والقَرْن قد قُصِم ، ولَعَمْرِي ما أنت والقوم سَوَاء ، لأنَّ من
ورائك رجالا ، وأمامك أموالا ؛ وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يُدْرِك الوجيف
بالدَّيْب ، ولا الظَّفَر بالتعذير .

وكما كتب المهلب إلى المجاج مجيباً له عن ذلك .

أما بعد ، فإننى لم أُعْطِ رُسْلَكَ على قول الحقِّ أجراً ، ولم أحتجَّ فيهم مع المشاهدة
إلى تلقين . فذكرت أنى أجمُّ القوم ، ولا بدَّ من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال
المغلوب . وذكر أن فى الجسم تُنسى القتلى وتَبْرأ الجراح ، وهيهات أن يُنسى
ما بيننا وبينهم ، يابى ذلك قتل من لم يَحِن ، وقروح لم تَعْرِق ، ونحن والقوم على حالة
وهم يَرْقُبون مِنَّا حالاتٍ ، إن طَمِعُوا حاربُوا ، وإن مَلُّوا وَقَفُوا ، ونَطْلُبُ إذا هَرَبُوا ،
فإن تركتني فالدَّاء بإذن الله مُحْسوم ، وإن أعجَلتني لم أَطْعَكَ ولم أعص وجعلت
وجهي إلى بابك ، وأنا أَعُوذُ بالله من سَخَطه ومَقَتِ الناس .

الطرف التاسع

(فى المكاتبات الصادرة عن الملوك وَمَنْ فى معنائهم ، إلى الملوك وَمَنْ فى معنائهم ،
على ما كان عليه مصطلح أهل المشرق ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(أن تكون المكاتبُ عن ملك إلى غير ملك)

ورسمهم أن يَفْتَحَ الكُتَّابُ بلفظ « كُتِّبنا إليك فى يوم كذا ، ومن مكان كذا ،
والأمر على كذا وكذا » ويذكر الحال التى عليها المكتوبُ عنه حينئذٍ وألقى عليها

الخليفة إن كان المكتوب عنه من أتباع الخليفة، أو التي عليها الملك إن كان من أتباع الملك ونحو ذلك ؛ ويكون التعبير في هذه المكاتب عن المكتوب عنه بنون الجمع ، والخطاب للمكتوب إليه بالكاف . ولا يقال في المكتوب إليه في هذه الحالة : سيدي ومولاي ، ولا سيدنا ولا مولانا . وبذلك يكتب عن الملوك ومن في معناهم من سائر الرؤساء إلى المرءوسين .

ثم هو على مرتبتين :

المرتبة الأولى - أن يُراعى جانب المكتوب إليه في الرقة بعض المראה .

كما كتب أبو إسحاق الصبّاح عن صمصام الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه ، إلى صاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد وزير نغر الدولة ، في الشفاعة في شخص من بعض أزمائه :

كاتبنا - أدام الله تأييد صاحب الجليل كافي الكفاة - وإن وثقنا من المسؤولين بالإيجاب والإجابة ، ومن المأمورين بالامتثال والطاعة ؛ فإننا نخص بكاتبنا الصادرة عنا في المآرب العارضة لنا ، من خصت من كلا الفريقين نهضة إليها ، وظهرت منابرتة عليها ؛ وإذا آتينا إليه - أدام الله عزّه - في ذلك عددنا مع ما قدم الله عندنا من رتبته في الطبقة الأولى ، وميّزنا مع ما وفرّ الله علينا من طاعته عن الطبقة الأخرى ؛ وأنسنا منه عادة مشكورة في اتباع محبوبنا ، والإسعاف بمطلوبنا ؛ ليسلس لنا إلى مخاطبته قياد يتقاعس عن سواه ، وتبسط منا في مكاتبته أنامل نجعد عن لايجري مجراه ؛ ولا سيما إذا كان ذلك في مكرمة يطيب ثاؤها ، ومنقبة يُسَادُ بناؤها ؛ والله يمدّه ويمدنا فيه من طيب السجايا ، وصالح العطايا ؛ بما هو الوليُّ به ، والحقيق بالشكر عليه .

وكتابتنا هذا - أدام الله عزَّه الصاحب الجليل كافى الكفاة - مبنى على إذكاره بحق لنا رعيته ، وديمام من أجله أوجبناه ؛ وذلك أسدُّ لإحكامه وألزم لإيجابه ، وأوكد لأسبابه ؛ وقد عرّف مكان أبى منصور يزداها دار بن المرزبان من خدمتنا ، وموقعه فى حملتنا ، وتوفّر حظّه من جميل رأينا ، وخالص اعتقادنا ؛ ومن أوجه وسائله لدينا ، التى أوجبت له ذلك علينا ، أنا لا نزال عدّه عليه ، من الاعتداد باحسان الصاحب الجليل كافى الكفاة إليه ، وإلى أبية من قبله ، والاعتراف بأنه أيدّه الله أبو عذرة صنعّه ، والسابق إلى الجذب بضبعه ؛ ولن كان أقر له من ذلك معروف لأينكر ، ودخل من الشاء عليه فى إجماع لا يُحرق ؛ فقد بين عن نفسه أنه ممن يُطبق حمل المنّ ، ويحسن مصاحبة النعم ؛ ويستحق أن تُقرّ عنده أسلافها ، وتدرّ عليه أخلافها ؛ إذ لم يذهله الربوع فيها عن التّجيد من اضطرافها وأنصرافها ، ولم يُلْهِهِ التوسّط لها عن حياطة أطرافها وأكتافها ؛ ومنّ لنا اليوم بالشكور الذى لا يَغِط ، والذّكور الذى لا ينسى ؟ والعلم بما يلزمه ، والقُوم بما يحقّ عليه . وأعلّنا حال قريين له يقال لهما الفرکان بن حرزاد ، ورستم بن يزدا ؛ وأنها تصرفان بعض الخدمة تصرفاً تزيلاً فيه عن نهج السّداد ، وسنن الرّشاد ؛ وأقتضى ذلك أن طلباً بالتقويم والتهذيب ، ووجلاً مضيق القصاص والتأديب ؛ وأنه قد مضت لهما فيه مدّة طويلة فى مثلها ما صلح المعاقب ، واكتفى المعاقب ؛ وسؤاله لهما ، ومرادنا له فيهما ، شفاعة الصاحب الجليل كافى الكفاة إلى مولانا الأمير السّيد شاهنشاه نخر الدولة فى أن يسعهما العفو ، ويدركهما العطف إما باستخدام يتطوّقان به المنّ ، ويأذن لهما بانصراف إلى الوطن ؛ وقد استظهرنا بكتاب كتبناه فى أمرهما : هذا الكتاب يشتمل عليه ، حتّى إذا وجب أن يجعله الصاحب الجليل كافى الكفاة ذريعة إلى

(١) كذا فى الأصول ولعله أنه لا يزال يعدّ ما عليه من الاعتداد الخ .

الغرض ، ومطيةً إلى المقصد ؛ أمضى في ذلك رأيه ، وعقد عليه تدبيره . فإن رأى
الصاحب الجليل أن يتوصل في هذا الأمر إلى ما يُشاكل عادته عندنا في الأمور
الواردة عليه فعل ، وتوثق في الجواب أن يكون متضمنًا لذكر الفعل دون القول ،
والإنجاز دون الوعد ؛ إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الصابي عن صمصام الدولة المقدم ذكره ، إلى الصاحب بن عباد أيضا
في حالة أخرى ، بسبب ردِّ إقطاع إلى أبي جعفر محمد بن مسعود قرين كتاب
إلى نخر الدولة

كتابتنا والسلامة لدينا رهنه ، وعادة الله لإقرارها ضامنه ؛ والحمد لله رب العالمين ،
والصاحب الجليل كافي الكفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنه لم يزل لمالكنا أفيئةً
نقام بها أسواق المكارم ، وتحيا بها سنن المحامد ؛ وقد جعله الله بتفضله الحافظ
لجمال ذلك علينا ، والضارب بسهمه فيه معنا ؛ فالحمد لله على أن قرن الحظوظ التي
خولنا ، والمنازل التي تولنا ، بالخلائق الخليفة بها ، الداعية إلى استقرارها ، والطرائق
المطرقة إلى ثباتها واستمرارها ، وأن زان أيا منّا هذه الحاضرة ، بآثار الصاحب
كافي الكفاة أدام الله عزه فيها الناصرة ، ومسايعه الرشيدة ، وأفعاله المستقيمة ،
وأحاديثه الجميلة ؛ وإياه نسأل أن يُحرينا وكلّ ناصح على أفضل ما عودنا وأحسن
ما أولاه ومنحنا بقدرته .

وإذا كان مولانا الأمير السيد شاهنشاه نخر الدولة ، وفلك الأمة ؛ بالمحل الذي
أهله الله له : من استعذاب الإحسان إلى أوليائه ، وأقراض الإفضال على نصحاءه ؛
وكان الصاحب الجليل بالحال التي هو بها من القيام بما حمل به المُناب فيه عنه ،
(١)

(١) في الاصل « من القيام قد كل له والمناب الخ » وهو تخليط من الناسخ .

فقد وجب أن تكون الرعاية لدوى الحرمات مستحكمة الأسباب ، ثابتة الأطناب ؛ واضحة الأعلام ، ماضية الأحكام ؛ ولا سيما فيمن تعلق منا بالعبادة ، وأخذ من ذمامنا بالوثيقة ؛ و « أبو جعفر محمد بن مسعود » أيده الله جامع للوات ، التي يستحق بها اجتماع العناية ؛ سالفًا صالحًا في الخدمة ، وسابقة متمكنة في الجملة ؛ وأشمالًا على كل ما وجبت به الحقوق ، ولزمت به الرعايات . وذكر أنه كانت له بنواحي الجبل تسوينات ومعاش أنعم بها مولانا الأمير السيد نضر الدولة عليه في حال بعد حال ، وشرفه بها في مقام بعد مقام ؛ منها كذا وكذا ، وإذا جمع الجميع كان قليلًا في جنب ما يفيضه مولانا الأمير السيد شاهنشاه نضر الدولة ، وفلك الأمة على خدمته : من جليل عوارفه الجارية على يد صاحب الجليل كافي الكفاة أدام الله تأييده ، والواصل إلى مستحقها بلطف توصله ، وجميل معتقده . وكان موقعه جليلًا عند أبي جعفر محمد بن مسعود أيده الله في جنب ما يصلح من شأنه ، ويقيم من جاهه ، ويرب من معاشه ، ويُلِمُّ من حاله . وقد كتبنا إلى مولانا في ذلك كتابًا بجملاً قصصناه على الرغبة إليه ، في رد هذه المعاش عليه ؛ وعوّلنا على صاحب الجليل في إخراج أمره العالی بذلك له ، وإحكام المناشير والوثائق بجمعه ، والتقدم بمكاتبة العمال والولة بتقوية أيدي أصحابه ، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقايا ، على الأكرّة والمزارعين ، والوكلاء والمعاملين ، وتأكيّد الكتب بغاية ما تؤكّد به أمثالها ، ويبلغ به أبو جعفر محابة كلّها . فإن رأى صاحب الجليل أن يأتي في ذلك كلّ ما يجده ويعدّه ويرعاه ويحفظه ، جاريا على المألوف من متابريته على ما عاد علينا وعليه معنا بطيب الذّكر والبشر ، وثناء اليوم والغد ، فقد أنفدنا بهذا الكتاب ركائب لنا دلالة على خصوص متضمنه في تعلقه بالاهتمام منا ، فعل إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن تكون المكاتب من ملك إلى ملك)

ورسمهم في ذلك أن يُفْتَحَ الكُتَابُ بلفظ : كُتِبَ والأمر على كذا وكذا ، ويُؤْتَى
 بالتعبير عن المكتوب عنه في أثناء الكتاب بلفظ الأفراد دون الجمع ، وهنا يَفْتَحُ
 شأنُ المكتوب إليه ، فيعبر عنه بمولاي وسيدى ، ومولانا وسيدنا ، ونحو ذلك .
 ثم هو على مراتب ^(١) :

المرتبة الأولى

(أن يكون المكتوب إليه ملكا أيضا)

فيخطبه على قدر مقامه بالسيادة أو غيرها مع الدعاء بما يناسبه : من طول البقاء
 ونحوه ، ثم تارة يَقَعُ التعرُّض فيها بذكر الطلب ورفق الحال التي هو عليها ، وتارة لا يقع
 التعرُّض إلى ذلك - كما كتب أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة ، بن معز الدولة ،
 ابن بويه ، إلى عضد الدولة بن بويه في طلب الصلح ، وقد جرى بينهما اختلاف .

كُتِبَ - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة - من العسكر
 بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد ، مخصوص
 بالعز والتكين ؛ يجرى على أفضل ما عود الله خلفاءه في أرضه ، وأجابه في رعاية خلقه ؛
 من التكفل لهم بالإظهار والإداله ، وتوليهم بالإعلاء والإنافه ؛ وأنا مستظل بكنف
 طاعته ، مستكن في حرم مشايعته ؛ شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بالائه ؛ راغب

(١) لم يذكر في الأصول غير الأولى ويظهر أن التقسيم سهو فان المقسم هو الكتابة من ملك إلى ملك وهو
 عين المرتبة الأولى فتأمل .

إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور. وفي نفسي من كل مكروه
ومستهجن، ويوفقي وإياه لكل مستحب ومستحسن، ويعيدنا من المقام على
الفرقة، والزوال عن سنن الألفه، وهو المحمود رب العالمين .

والحقوق بين مولانا الملك وبينى فيما قررته منا اللّحمه، وأكّده العضمه، وأثّنته
الأسلاف، ونشأت عليه الأخلاف، حقيقة بأن لا تسرع إليها دواعى النقض،
ولا تتمكن منها ملهات النسخ، ولا ييم للشيطان عليها ما يحاوله بنزغه، ويتوصل إليه
بكيدته، وأن تزاح العوارض عنها، وتضمحل دون التأثير فيها، وأن نعتقد جميعا
أن بتقارضا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها، فلا يستنكف مستنكف منا أن
يخفض جناحه لأخيه، ويقص من حماه في مقاربة ذويه، إذ كان ذلك حاميا
له في أهول الأحوال مما هو أشد خفضا، وأبلغ رضا، وأسوأ مغبة، وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالشاقب من تأمله، والصحيح من تمييزه وتدبره،
أن دولتنا - حرسها الله - مبنية على أسس التراقد والتعاضد، موضوعة على قاعدة التوازن
والنظائر، وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم جعلوا الائتلاف رتاجا بين
الأعداء وبينها، ثم إن مفتاحه هو الخلاف المتطرق لهم عليها، ولو حدث التناقض
في أيام رياسة أضعفنا منه، وأوهننا عقده، وأحدثنا سنا، وأقلنا حنكة، لكان ذلك
أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أخصفنا رأيا، وأسدنا تدبرا، وأوفانا
حلمنا، وأكلنا حزما . وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيننا قوارص
أحققناها حتى أمتلأ الإناء من قطرها، وأستقينا منها على العظيمة التي لا تواء بعدها،
وما أعود على نفسى بلوم في ابتداء قبيح ابتدأته، ولا بمركب شنيع ركبته ولا حق
أطرحته، ولا استصلاح تركته، ولا أدفع مع ذلك أننى قابلت لما تضاعف بالأقل

الأيسر، وجازيت لما تَرَادَفَ بِالْأُدُونِ الأثرر؛ إلا أنى ما آثرت كثيره ولا قليله، ولا آخرت دقيقه ولا جليله؛ لكنه لم يَصْلُحْ فى السيرة - وقد أشفينا على التراخف للحرب، والتدألف للطعن والضرب - أن أستعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق، وإقامة الرسوم، فيرائى الأولياء الذين بهم تُحْمَى البيضة، وتُحاط الحوزة، متناقض الفعلين، متنافى المذهبين؛ وكنت فى ذلك الفعل الذميم، والرأى الذى ليس بمستقيم؛ مقتدياً لا مبتدياً، ومُتَّبِعاً لا مبتدعاً. ولو وقف بى مولانا الملك الجليل قبل أواخر الجفاء، وعطف معى إلى أول شرائع الصفاء؛ لكانت عريكتى عليه ألين، وطريقه إلى ارتباط طاعتي وولائى أقصد؛ لكنه أيده الله أقام على ما لا يليق به من مجانبتي ومغالطتي، وبثَّ الجبائل لى ودسَّ المكاييد إلى، ومتابعته الجواسيس والكتب إلى الأولياء فى عسكى الذين هم أوليأؤه، إن أنصف وعدل، ونصحأؤه، إن أحسن وأجمل.

وكان الأشبه بمولانا لو كنت الغالط عليه، والباعث لهذه الأسباب إليه، أن يسوسنى سياسة الحكيم، ويستخلصنى استخلاص الكريم؛ إذ كنّا لم نقدّمه معشر أهل البيت علينا، ونوّله أزمّة أمورنا؛ إلا لياسو جروحنا، ويجهركسورنا؛ ويتعمّد مسيئتنا، ويستميل نافرينا؛ فأما أن يُحاول منا استباحة الحريم، وإركاب المركب العظيم؛ فكيف يجوز أن تدوم على هذا طاعه، أو تُصلح عليه جماعه؛ أو يُغضى عليه مُغض، أو يُصَفَح عنه صاغ؟. وكان من أشدّ هذه الجفوة وأفظعها، وأفساها وأغلظها؛ أن عاد رسولى من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه، وما أعرف له أيده الله فى ذلك عذراً يبسطه، ولا سلك منه السبيل التى تشبهه؛ وبالله جهد القسم ومنتهاها، وأجلّها وأوفاها؛ لقد سار مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وسرّت إلى هذا الموضع، واعتقادنا لا يجاوز حفظ الحدود والأطراف، وحيطة النهايات

والأكناف ؛ والأغلب علينا أنّ مولانا الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معي
المعائبة اللطيفة ، والمحاطبة الجميلة ؛ والاستدعاء منى لما يسوغ له أن يطلبه ولى أن
أبدله ، من تعفية السالف ، وإصلاح المستأنف ، وتوفية الحق في رتبة لا أضن بها
عليه ، ولا أستكثر التزول عنها له ؛ وتقرير أصل بيننا يكون أيده الله به معقلا
لى وموثلا ، وأكون نائباً له ومظفراً - إلى أن بدأ الأصحاب بالغيث في هذه البلاد ؛
والحوا عليها بالفارات ، وأعتمدوها بالنكيات ؛ وكان هذا كالرشاش الذى يؤذن
بالأنسكاب ، والوميض الذى يبعد بالاضطرام - وأوجبت قبل المكافحة عليه والشروع
فى مثله فى حقّ مولانا الملك الجليل ، الذى لا أدع أن أحفظ منه مادعاى إلى
إضاعته ، وأتمسك بما اضطرنى إلى مفارقتة ؛ أن أقدم أمام الالتقاء على الحرب التى
هى سجال كما يعلم ، إبلاغ نفسى عذرها وإعطاء المقادة منها ؛ داعيا له إلى طاعة الخالق
والإمام ، وصلة ألغم والأرحام ؛ وحقن الدماء والمهج ، وتسكين الذمء والرج ؛
وثنى العنان عن الموزد الذى لا يدرى وارده كيف يصدر عنه ، ولا يثق بالسلامة منه ؛
وتعريف ما يريد منى لأتبعه ما لم يكن ثاملى ، وعائدا بالوهن على ؛ والله الشاهد
على شهادة قد علم إخلاصى فيها ، وسماحة ضميرى بها ؛ وأننى أكره أن أنال منه ،
كما أكره أن ينال منى ؛ وأنال من أن أظهر عليه ، كما أنال من أن يظهر على ، وأحب أن
يرجع عنى وأرجع عنه ؛ وقد ألتمت قلوبنا ، وتألّف على الجليل شملنا ؛ وطرفت أعين
الأعداى عنا ، وأنحسمت مطامعهم فىنا ؛ فإن فعل ذلك فحقيق به الفضل ، وهو لعمر
الله له أهل ؛ ولا عذره فى أن لا يفعله ، وقد وسّع الله ماله ، ووفر حاله ، وأغناه
عمّا يلتمسه الصعلوك ، ويخطر له السبروت ؛ وجعله فى جانب الغنى والثروة ،
والحزم والحيلة ؛ وإن أبى فكنا بهذا حجة عند الله الذى تستزل منه المعونة وعند
الناس الذين تلمس منهم العصبية ؛ وقد أنفذت به إسفندار بن خسرويه وإبراهيم

أَبْنِ كَالِي ، وَهُمَا تَقْتَايَ وَأَمِينَايَ ، لِيُؤَدِّيَاهُ وَيُشَا فِيهَا عَنِّي بِمَثَلٍ مُتَضَمِّنَةٍ وَنَجْوَاهُ ،
وَاللَّهُ يُعِيدُنَا فِي مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مَنْ أَنْ يَخْتَارَ إِلَّا أَوْلَى الْأُمْرَيْنِ وَالْيَقَهُمَا بِدِينِهِ
وَمُرُوءَتِهِ ، وَهُوَ وَلِيُّ مَا يَرَاهُ فِي الْأَمْرِ بِتَعْجِيلِ الْإِجَابَةِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَتَتَّهِ
بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(أَنْ تَكُونَ الْمَكْتُوبَةُ عَنْ دُونِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ)

وَرَسْمُهُمْ فِيهِ أَنْ يُتَبَدَأَ بِلَفْظِ كِتَابِي ، وَالدَّعَاءُ لِلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
وَيَخَاطَبُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِالسَّيِّدِ
وَالْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَيَعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ :

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْأَمِيرِ نَصْرُخُوزِهِ فَيَرْوِزُ بِنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى
أَبْنِ عَمِّهِ شَرِيفِ الدَّوْلَةِ يَذْكُرُ لَهُ حَالَهُ مَعَ أَخِيهِ صَمْعَامِ الدَّوْلَةِ .

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، شَرِيفِ الدَّوْلَةِ ، وَزَيْنِ الْمِلَّةِ ،
وَالسَّلَامَةِ لِي شَامِلَةً بِمَا مَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ مِنْ ظِلِّهِ الظَّلِيلِ ، وَرَأْيِهِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ تَأَدَّى إِلَى مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ مِنْ أَخْبَارِي مَا أَسْتَعْفِي بِهِ
عَنْ تَطْوِيلِ الْمَفْصَلِ ، وَأَكْتَفِي بِهِ عَنْ إِجْمَالِ الْمُجْمَلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَسْفَارَ بَنِ كَرْدُويَةَ
وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ بَرْسَفِ الْكَافِرِينَ لَنَعْمَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبَيْنَا
رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ قَبْلَنَا ، الْغَامِطِينَ لِمَا تَظَاهَرَ عَلَيْهِمَا مِنْ إِحْسَانِنَا وَإِفْضَالِنَا ؛ هَجَمَا عَلَيْنَا
يُحْدِثُ تَظَاْفَرًا عَلَيْهِمَا ، وَشُبْهَةً جَدْبَانِي إِلَيْهَا ؛ وَأَبْرَمًا كَذِبًا مِنَ الْقَوْلِ لَمْ أَظُنَّ هُمَا يُقَدِّمَانِ

على مثله ، ولا يتفوهان بإطلاجه ؛ فأصغيتُ إليهما إصغاءً واثقٍ بهما لا المنخدع لهما ؛ فلما أنزلاني على حُكُمهما ، وأوثقاني بحيث لا أستطيع مخالفتَهما ؛ ظهرتِ الحيلة ، ووضّحتِ الغيلة ؛ وفاتني الاختبار ، وغلبني المقدار ؛ بخرى ما كانت عاقبته خذلانَ الله إياهما ، وإنزاله بأسه وتقمّته عليهما ؛ وخلاصي بسلامة الصدر ، واتضح القدر ، من حباثلهما المنصوبه ، وأشراكهما المبثوثة . ولما حصلتُ في كنف الملك السيد صمصام الدولة أقالني العثره ، وقيل مني المَعْذِرَه ؛ وأحلّني من دراهِ وجهه بحيث لم أعدم عاده ، ولا أنقطع عني مادّه ؛ وكانت الحال تُوجب مُقايي فيها إلى أن تتعفى آثارُ الفتنة التي أثارها ذانكما الخبيثان الجانيان .

ثم ورد فلان في الرسالة ، وتَمَّ الله على يده عقد الصلح والمسالمة ؛ فأُخرجتُ عن الاحتجاب إلى الظهور ، وعن الاحتجار إلى البروز ؛ وأُزلتُ من الدار المعمورة في جانب يصل إلى منه سبب وُصوله على العموم دون الخصوص ، وعاملني الملك السيد صمصام الدولة بما يليق بفضله متبعا في ذلك مقاطعة السيف بينه وبينى ؛ وطاعة مولانا الملك السيد الأجل شرف الدولة في أمرى ، وجدّد عندى من الإنعام والتوسعة والإيثار والتكرمة آخر ما شفّع تلك الشفقة أولا ؛ ولقيني فلان دَفْعَات ، وشافهني مرّات ؛ وتمجّل عني إلى مولانا الملك موالاتي الشكر كثيرا ، واعتدادا طويلا عريضا ؛ ودعاء الله يسمع مرفوعه ، ويُجيب مسؤوعه ؛ بمنّه وقدرته ؛ وحوله وقوّته .

والآن فإذا قد جمع الله الكلمه ، ووَكَّد الألفة وحرس النعمه ؛ وحصّن الدولة وأخرج عنها مَنْ كان يُسبُّ الفتنة ، ويُسدّي ويُنير في الفرقه ؛ فإني واثق بالله جل وعز وبما تترقى الحال إليه في غاية محبوبي ، ونهاية مطلوبي ؛ وأقاصى ما تبلّغه

أُمْنِيَّتِي ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ هِمَّتِي ، وَتَقْتَضِيهِ أُخُوَّتِي وَعِصْمَتِي ؛ وَلِلَّهِ الْمَشِيئَةُ ، وَمِنْهُ الْمَعُونَةُ ؛
فَإِنْ رَأَى مُوَلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدُ أَنَّ يَسْكُنَ إِلَى سُكُونِي ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَى طُمَأْنِينِي ،
وَيُجَرِّى إِلَى غَايَةِ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجْمَلَ : لِيَشْمَلَنَا إِنْعَامُهُ ،
وَيَتَظَاهَرَ عَلَيْنَا أَمْتِنَانُهُ ؛ وَأَسْتَوْفِي بَقِيَّةَ حَظِّي مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ وَعَائِدَتِهِ ، وَجَدَّوَاهِ
وَفَائِدَتِهِ ؛ وَيَأْمُرَ بِتَشْرِيفِي بِكَتَابِهِ ، وَتَاهِيلِي بِجَلِيلِ خُطَابِهِ ؛ وَتَضَرِّفِي بَيْنَ أَمْرِهِ
وَمُهْنِهِ ، فَعَلَّ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تم الجزء السادس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السابع

وَأَوَّلُهُ الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ مُلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَامُهُ

وَحُسْبِنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

”استدراك لما فات“

نُبّه في صفحة (٤٥) من الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى هذا على بعض كلمات مطموسة بالخبر لم نهند إليها عند طبع ذلك الجزء . أما وقد عُدَّ الآن في بعض المكتبات الأهلية على أصل لذلك الجزء فرؤى تكميلاً للقائدة إثبات المطموس هنا ليصلحه القارئ في مواضعه إن أراد . وتسهيلاً لمعرفة مواضع البياض من أول نظرة قد نقلت الصفحة بتمامها وجعل ما كان ساقطاً لطمسه بين قوسين هكذا () . وهي :

يجهز بریدی بطلب هذه الأفلام من ولّاة الوجه القبليّ ، ويُؤتى بها فتحفظ عند كاتب السرّ ويبرى منها ما يحتاج إليه (في كتابة السلطان و) يوضع في دواته بقدر الحاجة . قال في ”منهاج الإصابة“ : ولا بدّ فيه (من ثلاثة شقوق أو أكثر) بقدر ما يحتاج إليه في محجّ القلم الخبر في القرطاس .

وأعلم أن للكُتّاب فيه طريقتين — إحداهما طريقة الثُلث ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (التقوير — و) (الشانية طريقة المحقّق ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (البسط دون التقوير وسأتي إيضاح الطر) يقتين وكيفية (تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى) .

وقد ذكر السمرمريّ في أرجوزته اختصاص قلم الطومار بأمور : أحدها أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم ، والمدّات بسنّه ، والتعاريق بوجهه منفثاً فيها على اليمين — الثاني أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة (والفاء والقاف فيه (أوساطها محدّدة وجنباها) مدوّرة — الثالث (أن يكون البياض بين الأحرف كمثله بين السطور) — الرابع أن يكون (الفضل من جانبي القرطاس متساوياً في المقدار — الخامس أن لا يكون) فيه صاد مدوّرة (ولا) كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثاريّ في ألفيته (أنه يدخل) فيه الترويس في الألف ، والباء ، والجيم ، والدال (والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة) واللام والنون في الأفراد والتركيب عند الابتداء وأنه (لا يجوز فيه) الطمس في شيء من عُقده كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

فهرس

الجزء السادس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

المهييع الثانى - فى ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان

٥ وبيان معانيها؛ وهى نوعان

٥ النوع الأول - الألقاب الإسلامية؛ وهى صنفان

٥ الصنف الأول - المذكورة؛ وهى ضربان

الضرب الأول - الألقاب المفردة المختصة فى اصطلاح الكتاب باسم

٥ الألقاب

٣٥ الثانى - المركبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتاب بالنعوت

٧٥ الصنف الثانى - (وكتب خطأ الضرب الثانى) من الألقاب المفردة المؤنثة

» (لعل الصواب النوع الثانى كما نبه عليه) من الألقاب المفترعة

على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل

٧٨ الكفر وهى على ضربين

٧٩ الضرب الأول - الألقاب المذكورة؛ وهى نمطان

٧٩ النمط الأول - المفردة

٨٣ الثانى - الألقاب المركبة

٩٥ الضرب الثانى - من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة

٩٧ الجملة السابعة - فى تفاوت الألقاب فى المراتب؛ وهى قسمان

٩٧ القسم الأول - مايقع التفاوت فيه فى الصعود والهبوط؛ وهو نوعان

٩٧ النوع الأول - » » » بحسب القلة والكثرة

» الثانى - مايقع فيه التفاوت فى العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه

٩٨ جوهر اللفظ أو ماوقع الاصطلاح عليه؛ وهو صنفان

صفحة

- الصف الأول — الألقاب المفردة؛ وهى على أربعة أنماط ... ٩٨
- النمط الأول — التوايح ... ٩٨
- » الثانى — ما يقع التفاوت فيه بحسب لحوق ياء النسب
- وتجزئه منها ... ٩٩
- » الثالث — ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب ... ١٠١
- » الرابع — » فيه التفاوت بحسب ما فى ذلك اللقب من
- أقتضاء التشريف لعلو متعلقه ورفعته ... ١٠١
- الصف الثانى — الألقاب المركبة؛ وهى على ضربين ... ١٠٢
- الضرب الأول — ما يترتب بعضه على بعض لقبا بعد لقب؛ وله اعتباران
- الاعتبار الأول — أن يشترك فى رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام
- وغيرهم؛ وهو على ثلاثة أنماط (صوابه أربعة) ... ١٠٢
- النمط الأول — ما يضاف إلى الإسلام ... ١٠٢
- » الثانى — » إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ... ١٠٥
- » الثالث — » إلى الملوك والسلطين ... ١٠٦
- » الرابع — » لأمير المؤمنين ... ١٠٨
- الاعتبار الثانى — أن يختص الترتيب فى الألقاب بنوع من المكتوب
- له؛ وهو أربعة أنماط ... ١٠٩
- النمط الأول — ما يختص بأرباب السيوف ... ١٠٩
- » الثانى — » بالوزراء ومن فى معناهم ... ١١١
- » الثالث — » بالقضاة والعلماء ... ١١١
- » الرابع — » بالصلحاء ... ١١٢

صفحة

- القسم الثانى — مما تفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه
 بالتقديم والتأخير؛ وهو نوعان ... ١١٥ ...
- النوع الأول — الألقاب المفردة؛ وهى على ستة أنماط ... ١١٥ ...
- النمط الأول — « التى تلى الألقاب الأصول ... ١١٥ ...
- « الثانى — ما يلى العالى أو السامى من الألقاب ... ١١٦ ...
- « الثالث — ما يلى لقب الوظيفة ... ١١٧ ...
- « الرابع — ما يقع قبل لقب التعريف ... ١١٧ ...
- « الخامس — « فصلا بين الألقاب المفردة والمركبة ... ١١٨ ...
- « السادس — ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب
 المفردة ... ١١٨ ...
- النوع الثانى — مما تفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير
 الألقاب المركبة؛ وهى على ثلاثة أنماط ... ١١٩ ...
- النمط الأول — ما يلى لقب التعريف ... ١١٩ ...
- « الثانى — ما يقع فى آخر الألقاب المركبة ... ١١٩ ...
- « الثالث — ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها ... ١٢٠ ...
- الجملة الثامنة — فى بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب
 التعريف الخاص به ... ١٢٠ ...
- « التاسعة — فى ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
 على قدر طبقاتها؛ وهى قسمان ... ١٢١ ...

صفحة

- القسم الأول - الألقاب الإسلامية ١٢١
- الضرب الأول - « المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها ؛ وهي
- ثلاثة أنواع ١٢٢
- النوع الأول - ألقاب الخلفاء ١٢٢
- « الثانى - « ولاية العهد بالخلافة ١٢٣
- « الثالث - « إمام الزيدية باليمن ١٢٣
- الضرب الثانى - الألقاب المملوكية ؛ وهي نوعان ١٢٣
- النوع الأول - « التى أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية ١٢٣
- « الثانى - « التى يكتب بها عن السلطان لغيره من المملوك ؛
- وهي على ثلاثة أصناف ١٢٥
- الصف الأول - ألقاب ولاية العهد بالسلطنة ١٢٥
- « الثانى - « المملوك المستقلين بصغار البلدان ١٢٥
- « الثالث - « المكتوب إليهم من المملوك عن الأبواب
- السلطانية ؛ وهي نمطان ١٢٦
- النمط الأول - ما يصدر بالألقاب المذكورة ١٢٦
- « الثانى - « المؤنثة ١٢٩
- الضرب الثالث - من الألقاب الإسلامية، الألقاب العامة لسائر
- الطوائف ؛ وهي ثمانية أنواع ١٣٠
- النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم ١٣٠
- « الثانى - من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية ١٤٦

صفحة

- النوع الثالث — من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية ... ١٥٤
- » الرابع — من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ... ١٦١
- » الخامس — ألقاب التجار الخواجكية ... ١٦٥
- » السادس — من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية كرياسة الطب ... ١٦٨
- » السابع — من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ... ١٧٠
- » الثامن — » » » النساء ... ١٧١
- القسم الثاني — » المرتبة » أهل الكفر؛ وهي على ثلاثة أضرب ... ١٧٣
- الضرب الأول — ألقاب متديتهم؛ وهي نوعان ... ١٧٣
- النوع الأول — » بطارقة النصاري ... ١٧٣
- » الثاني — » رؤساء اليهود ... ١٧٤
- الضرب الثاني — ألقاب ملوكهم وتختص بالنصاري؛ وهي نمطان ... ١٧٤
- النمط الأول — الألقاب المذكرة ... ١٧٤
- » الثاني — » المؤنثة ... ١٧٩
- الضرب الثالث — ألقاب تواب ملوكهم وكخالصتهم؛ وهي على نوعين ... ١٨٠
- النوع الأول — » التواب ... ١٨٠
- » الثاني — » الكخالصة ... ١٨٠

صفحة

- الجملة العاشرة — في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت
 في عرف الكتاب؛ وهي على ضربين ١٨٣
- الضرب الأول — فيما يجري من ذلك مجرى التفاؤل، ويختلف باختلاف
 الأحوال والوقائع ويتنوع إلى أنواع ١٨٣
- » الثاني — ما يجري من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا ١٨٦
- الباب الثاني — من المقالة الثالثة في مقادير قطع الورق وما يناسب
 كل مقدار منها من الأقلام؛ وفيه فصلان ١٨٩
- الفصل الأول — في مقادير قطع الورق؛ وفيه طرفان ١٨٩
- الطرف الأول — « » « في الزمن القديم ١٨٩
- » الثاني — في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا
 (زمن المؤلف)؛ وفيه ثلاث جمل ١٩٠
- الجملة الأولى — في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب
 السلطانية بالديار المصرية ١٩٠
- » الثانية — في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء
 بالممالك الشامية ١٩٢
- » الثالثة — في مقادير قطع الورق الذي تجرى فيه مكاتبات
 أعيان الدولة ١٩٣
- الفصل الثاني — من الباب الثاني من المقالة الثالثة في بيان ما يناسب
 كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
 من الأقلام الخ؛ وفيه طرفان ١٩٤

صفحة

الطرف الأول — فيما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ... ١٩٤

» الثانى — فى مقادير البياض الواقع فى أول الدرج وحاشيته وبعده

ما بين السطور فى الكتابة ... ١٩٥

الباب الثالث — من المقالة الثالثة فى بيان المستندات وكتابة الملخصات

وكيفية التعيين؛ وفيه فصلان ... ١٩٧

الفصل الأول — فى بيان المستندات : وهى التوقيع على القصص

وما يجرى مجراها؛ وهو على ضربين ... ١٩٧

الضرب الأول — السلطانيات؛ وهى صنفان ... ١٩٧

الصنف الأول — ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء ... ١٩٧

» الثانى — ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء ... ١٩٩

الضرب الثانى — ما يتعلق بالكتب فى المظالم؛ والنظر فيه من وجهين ٢٠٢

الوجه الأول — فيما يتعلق بالقصاص ... ٢٠٢

» الثانى — فيما يتعلق بالنظر فى المظالم وما يكتب على القصص؛

... وهو ستة أنواع ... ٢٠٤

النوع الأول — ما يرفع إلى السلطان فى آحاد الأيام ... ٢٠٦

» الثانى — ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء ... ٢٠٦

» الثالث — ما يرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان

للحكم فى المواقب ... ٢٠٧

» الرابع — ما يرفع منها للنائب الكافل إذا كان ثم نائب ... ٢٠٨

» الخامس — ما يرفع من القصص إلى الأتابك إذا كان فى الدولة

أتابك عسكر وهو الأمير الكبير ... ٢٠٨

» السادس — ما يرفع منها للدوادار ... ٢٠٩

صفحة

الفصل الثانى - فى التعين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على

الرقاع والقصص ٢١٠

الطرف الثانى - فى كتابة الملخصات والإجابة عنها ٢١٢

الباب الرابع - من المقالة الثالثة فى الفواتح والخواتم واللواحق ؛

وفيه فصلان ٢١٧

الفصل الأول - فى الفواتح ؛ وفيه ستة أطراف ٢١٧

الطرف الأول - فى البسملة ٢١٧

» الثانى - فى الحمدلة ٢٢٤

» الثالث - فى التشهد فى الخطب ٢٢٦

» الرابع - فى الصلاة والسلام على النى صلى الله عليه وسلم

وعلى آله وصحبه فى أوائل الكتب ٢٢٧

» الخامس - فى السلام فى أول الكتب ٢٢٩

» السادس - فى أما بعد ٢٣١

الفصل الثانى - فى الخواتم والواحق ؛ وفيه سبعة أطراف ٢٣٢

الطرف الأول - فى الاستثناء بالمشيئة بأن يكتب إن شاء الله تعالى ... ٢٣٢

» الثانى - فى التاريخ ٢٣٤

» الثالث - فى المستندات ٢٦٢

» الرابع - فى الحمدلة فى آخر الكتاب ٢٦٥

» الخامس - فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى آخر الكتاب

وما يلتحق بذلك ٢٦٧

الطرف السادس - في الحسبة في آخر الكتاب	٢٦٩
» السابع - في اللواحق	٢٧١

المقالة الرابعة

في المكتبات ؛ وفيها بابان	٢٧٤
الباب الأول - في أمور كلية في المكتبات ؛ وفيه فصلان	٢٧٤
الفصل الأول - في مقدمات المكتبات ؛ وفيه ثلاثة أطراف	٢٧٤
الطرف الأول - في أصول يعتمد عليها الكتاب في المكتبات	٢٧٤
» الثاني - في بيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز	٣١٥
» الثالث - في أمور تختص بالأجوبة	٣٢٣
الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الرابعة ، في ذكر أصول المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ؛ وفيه طرفان	٣٢٧
الطرف الأول - في ذكر أصولها وترتيبها	٣٢٧
» الثاني - في ذكر لواحق المكتبات ولوازمها	٣٤٥
الباب الثاني - من المقالة الرابعة ، في مصطلحات المكتبات الدائرة بين كتاب أهل الشرق والغرب والديار المصرية في كل زمن من صدر الإسلام إلى زمننا (زمن المؤلف) ؛ وفيه ستة فصول	٣٦٥
الفصل الأول - في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفيه ثلاثة أطراف	٣٦٥
الطرف الأول - في ذكر ترتيب كتبه صلى الله عليه وسلم في الرسائل على سبيل الإجمال	٣٦٥

صفحة

الطرف الثاني - في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ... ٣٦٧

» الثالث - » » » » الكفر للدعاية

إلى الإسلام ... ٣٧٦

الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في الكتب الصادرة

عن الخلفاء ؛ وهي على قسمين ... ٣٨٣

القسم الأول - المكتبات إلى أهل الإسلام ؛ وفيه تسعة [عشرة]

أطراف ... ٣٨٣

الطرف الأول - في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة

رضي الله عنهم ... ٣٨٣

» الثاني - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية ... ٣٨٩

» الثالث - » » » » بني العباس ببغداد ،

وولاية العهد بالخلافة ؛ وفيه ثلاث جمل ... ٣٩٢

الجملة الأولى - في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال

» الثانية - في الكتب العامة ... ٣٩٥

» الثالثة - في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ... ٤١٥

الطرف الرابع - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس في الديار

المصرية بعد مصير الخلافة إليها ... ٤٢١

» الخامس - في الكتب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٤٣٢

» السادس - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس ... ٤٤٣

صفحة

الطرف السابع — في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ... ٤٤٣

» الثامن — في الأجوبة ... ٤٤٧

» التاسع — في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة ... ٤٥٦

» العاشر — من المكاتبات عن الخلفاء : المكاتبات إلى أهل الكفر ٤٥٧

الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكاتبات

الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه

الحال ؛ وهو على قسمين ... ٤٦٤

القسم الأول — المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ؛

وفيه أطراف ... ٤٦٤

الطرف الأول — في مكاتبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٤

» الثانى — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء

السرايا إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٧٧

» الثالث — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء

السرايا أيضا إلى خلفاء بنى أمية ... ٤٧٨

» الرابع — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم

إلى خلفاء بنى العباس ... ٤٨٠

» الخامس — في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٥٢١

» السادس — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم

إلى خلفاء بنى أمية بالأندلس ... ٥٢٤

» السابع — في المكاتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب ٥٢٦

صفحة

الطرف الثامن — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

السرايا في صدر الإسلام إلى من في معنائهم ... ٥٥٨

» التاسع — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معنائهم

إلى الملوك ومن في معنائهم على ما كان عليه مصطلح

أهل المشرق ... ٥٥٩

(تم فهرس الجزء السادس من كتاب صبح الأعشى)